

العنوان:	مرويات الامام قتادة بن دعامة السدوسي في تفسير الطبري : من أول سورة الاحقاف الى آخر سورة الحديد جمع و دراسة و تحقيق : الجزء الاول
المؤلف الرئيسي:	أحمد، تهانبي أبو زيد محمد
مؤلفين آخرين:	حمزة، عمر يوسف(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 704
رقم MD:	562694
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تفسير القرآن الكريم، مرويات التفسير، ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، 310 هـ، تفسير الطبري، السور و الآيات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/562694

القسم الثاني
دراسة مرويات
الإمام قتادة بن دعامة السدوسي
للأجزاء السادس والعشرين والسابع والعشرين

دراسة مرويات الإمام قتادة للجزء السادس والعشرين

وتشتمل على:

- ◀ سورة الأحقاف
- ◀ سورة محمد.
- ◀ سورة الفتح.
- ◀ سورة الحجرات.
- ◀ سورة (ق)
- ◀ سورة الذاريات إلى الآية (٣٠)

(٤٦) سورة الأحقاف مكية وعدد آياتها (٣٥)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ إِنْ تُؤْنِسُوا بِيَوْمِ الْبُرْجِ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَةَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الآية: ٤

النص: ١/١ حدثنا ابن عبد الأعلى^(١)، قال: ثنا ابن ثور^(٢)، عن معمر، عن قتادة: (أَوْ أَنَارَةَ مِنْ عِلْمٍ)، قال: أو خاصة من علم.

٢٧٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢١٥).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال الطبري^(٣): للمفسرين عدة أقوال في معنى قوله تعالى: (أَوْ أَنَارَةَ مِنْ عِلْمٍ):

(١) ابن عبد الأعلى: هو أبو محمد عبدالأعلى بن عبدالأعلى الشامي البصري، القرشي، أحد علماء الحديث، سمع من حميد الطويل وطبقته، قال ابن ناصر الدين: صدوق من الأثبات، توفي في شعبان سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي، (المتوفي سنة ١٠٨٩هـ)، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، د.ط، د.ت، (١/٣٢٤)، والعبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، (٤٨/٧٤٧هـ/١٣٤٧م)، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسويوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١/٢٣٥).

(٢) ابن ثور: هو محمد بن ثور الصنعاني، أبو عبدالله العابد، ثقة، من التاسعة، مات سنة تسعين تقريباً. انظر: تقريب التهذيب، للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (ص ٥٤٩).

(٣) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الأملّي الأصل، البغدادي المولد والوفاء، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفي سنة عشرة وثلاثمائة، صنف من الكتب: تاريخ الرجال، تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن. انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤلفة: إسماعيل باشا البغدادي، طبع بوكالة المعارف- استنبول ١٩٥٥م، مكتبة المثني، بغداد (مج ٢/٢٦-٢٧)، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، حدث عن: اسحق بن أبي إسرائيل، روى عنه أبو شعيب. انظر: طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، (٢/١٠٦-١١٤).

الأول: أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئاً، وأن لها شركاً في السموات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة، قاله ابن عباس، وابن عياش^(١).

الثاني: أو خاصةً من علم، أو علم تثيرونه فتستخرجونه، قاله: الحسن، أو تأثرون ذلك علماً عن أحد ممن قبلكم، قاله مجاهد.

الثالث: أو بيينةً من الأمر، قاله ابن عباس، وببقية من علم، قاله ابن عياش^(٢).

ويقرأ (أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ) (أو أثارة من علم)، وقرأت (أو أثرٍ من علم) - بإسكان التاء - ومعناها: إذا قال: أثارة على معنى علامة من علم، ويجوز أن يكون على بقیة من علم، ويجوز أن يكون على معنى ما يُؤثر من علم^(٣).
وقال ابن كثير^(٤): قرأ آخرون^(٥): (أو أثرٌ من علم) أي: أو علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم، كما قال مجاهد، في قوله تعالى: (أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ) أو أحد يَأثر علماً.

(١) ابن عياش: هو أبو بكر بن عياش، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، الكوفي المقرئ، مولى واصل الأجدب الأسدي الحناط، عرض القرآن ثلاث مرات على عاصم، حدث عنه: ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، ولد أبو بكر سنة ست وتسعين، ومات في جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/٢٦٥-٢٦٦).

(٢) جامع البيان (١١/٢٧٢-٢٧٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: أبي اسحق إبراهيم بن السري، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (٤/٤٣٨).

(٤) ابن كثير: هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري، ثم الدمشقي، ولد سنة احدى وسبعمئة وتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمئة كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، أخذ الكثير عن ابن تيميه، له تفسير القرآن، والبداية والنهاية في التاريخ. انظر: طبقات المفسرين، (١/١١٠-١١١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨٢)، وزاد المسير (٧/٣٧٠).

وقال العوفي^(١): عن ابن عباس رضي الله عنه: أو بينةً من الأمر^(٢).
وقد ذكر هذا المعنى القرطبي^(٣) في تفسيره فقال: قال ابن خويذ منداد^(٤)
في قوله تعالى: (أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ) يريد الخط. وقد كان مالك^(٥) رحمه الله يحكم
بالخط إذا عرف الشاهد خطه، وإذا عرف الحاكم خطه أو خط من كتب إليه
حكم به، ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير.

(١) العوفي: هو سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، روى عنه ابنه محمد، وابن أبي الدنيا،
قال أحمد فيه: جهمي روى عن أبيه وجده، وعنه أخواه عبدالله وعمرو، قال: أبو حاتم: ضعيف، مات
سنة إحدى وثمانين ومائة هجرية، تقريب التهذيب، (ص ١٩٧)، وتهذيب التهذيب، (٢/٢٩٤)

(٢) تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفي
سنة ٧٧٤هـ)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (٤/١٥٤).

(٣) القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالله القرطبي،
مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، كان من عبادة الصالحين والعلماء العارفين الورعين
الزاهدين في الدنيا، سمع من ابن رواج، روى عنه ولده شهاب الدين أحمد، جمع في تفسير القرآن كتابا
كثيرا في خمسة عشر مجلدا سماه: (جامع أحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن)، وهو
من أجل التفاسير، توفي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. انظر: طبقات المفسرين (٢/٦٥-٦٦)، وشذرات
الذهب (٥/٣٣٥).

(٤) ابن خويذ منداد: هو محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر بن خويذ منداد، له كتاب (أحكام القرآن)،
تفقه على الأبهري، وقد قال فيه أبو الوليد الباجي: لم أسمع له في العراق ذكراً. انظر: طبقات المفسرين
(٢/٦٨).

(٥) مالك بن أنس: شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن
أبي عامر بن عمرو بن الحارث، أمه عالية بنت شريق الأزديّة، ولد سنة ثلاث وتسعين هجرية، وقيل
سنة أربع وتسعين، اختلف في عمره، والصواب ست وثمانين سنة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، أهم
مصنفاته (الموطأ). انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٤٨).

وقال ميمون بن مهران^(١) وأبو سلمة بن عبدالرحمن^(٢)، وقتادة (أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ) خاصةً من علم، وقال مجاهد: في رواية تأثرونها عنم كان قبلكم. وقال القرظي^(٣): هو الإسناد، والحسن. المعنى شيء يثار أو يستخرج، وقال الزجاج^(٤): (أَوْ أَثَارَةٌ) أي علامة والأثارة مصدر كالسماحة والشجاعة، وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية؛ يقال: أثرت الحديث، أثرٌ أثاراً وأثارةً وأثرة فأنا آثر؛ إذا ذكرته عن غيرك، ومنه قيل حديث مأثور؛ أي نقله خلف عن سلف^(٥).

(١) ميمون بن مهران: هو ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، ثقة، فقيه، من الرابعة، مات سنة سبع عشرة. انظر: تقريب التهذيب (ص ٦٤٥).

(٢) أبو سلمة بن عبدالرحمن: هو أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، روى عن أبيه وزيد بن ثابت، وكان ثقة، فقيهاً كثير الحديث، توفي سنة أربع وتسعين. انظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية (١١٨/٥-١٢٠).

(٣) القرظي: هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة، عالم، من الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة عشرين وقيل قبل ذلك. انظر: تقريب التهذيب (ص ٥٨٨)، والكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق: عبدالرحيم محمد أحمد القشقرى، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (٢٤٣/١).

(٤) الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل، كان يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو، مات ببغداد سنة إحدى عشر وثلاثمائة هجرية، من تصانيفه (معاني القرآن وإعراجه). انظر: طبقات المفسرين (١/١٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨١-١٨٢).

وقال الشوكاني^(١): قيل في الصحاح^(٢): أو أثارُهُ من علم بقية منه وكذا الأثرُ بفتحتين، قال ابن قتيبة^(٣): أي بقية من علم الأولين وقال الواحدي، وهو معنى قول المفسرين، وقال الزجاج: أو أثاره أي علامة، والأثاره مصدر كالمساحة والشجاعة، وأصل الكلمة من الأثر، وهي الرواية^(٤).

قوله تعالى: (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) يعني أو علم يؤثر، أو يروى وينقل وإن لم يكن مكتوباً؛ فإن المنقول عن الحفظ مثل المنقول عن الكتب، وإنها استوفت أدلة الشرع عقليها وسمعيها^(٥).

الأثرُ والأثارُ التي تقرأ بها العامة: البقية، وما يؤثر وهي من قولهم: أثر الحديث يَأْثُرُهُ أَثْرًا وَأَثَرَهُ وَيَقُولُونَ: هل عندك من هذا أَثْرَةٌ وَأَثَارَةٌ؟ أي: أَثَرٌ، ومنه سيف مأثور أي عليه أثر الصنعة، وطرائق العمل^(٦).

(١) الشوكاني: هو أبو عبدالله محمد بن علي محمد بن عبدالله الحافظ العلامة الشهير بالشوكاني، القاضي بصنعاء، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، توفي سنة خمسين ومائتين وألف، له من التأليف (الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة) (بغية الأريب عن معنى اللبيب). انظر: هدية العارفين (٢/٣٦٥-٣٦٧).

(٢) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، عنى بترتيبه: محمود خاطر، مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص٦).

(٣) ابن قتيبة: هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد ولد ببغداد سنة (٢١٣هـ-٨٢٨م)، وسكن الكوفة، توفي سنة (٢٧٦هـ-٨٩٨م)، من أئمة الأدب ومن المصنفين. انظر: الأعلام (٤/١٣٧).

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني، الصنعاني (المتوفي سنة ١٢٥٠هـ)، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، الطبعة الأولى، ربيع الثاني ١٣٥١هـ، (٥/١٣).

(٥) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر، الطبعة ١٩٧٤م، دار الفكر، (٤/١٦٩٦).

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة ١٩٩٨م، (٢/٣١٢).

ورجح الطبري قول من قال: (الْأَثَرَةُ) البقية من علم، لأنَّ ذلك هو المعروف من كلام العرب، وهي مصدر من قول القائل: أثر الشيء أثارة مثل سمج، سماجة، وقبح قباحة.

فأما من قرأه (أو أثره) فإنه جعله أثره من الأثر، كما قيل: قنرة وغبرة. وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه (أو أثره) بسكون الثاء، مثل الرجفة والخطفة، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط ومن علم استثير من كتب الأولين، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به، فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعوكم ما تدعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك، (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في دعوكم لها ما تدعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تغن عن المدعي شيئاً^(١). وفي ذلك لم يخالف قتادة المفسرون.

النص: ٢/٢ حدثنا بشر^(٢)، قال: ثنا يزيد^(٣)، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (أَوْ أَثَرَةٌ مِنْ عِلْمٍ) أي خاصة من علم.

٢٧٢/١١

(١) جامع البيان (٢٧٣/١١).

(٢) بشر: هو بشر بن معاذ العقدي، أبو سهل البصري الضرير، صدوق، من العاشرة، روى عن جرير بن عبد الحميد، ووالد علي بن المديني وغيرهم، روى عنه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، مات سنة بضع وأربعين. انظر: تقريب التهذيب (ص ١٥٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤هـ-٧٤٢هـ)، راجعه وقدم له: الدكتور سهل زكار تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (١٤٦/٤-١٤٧).

(٣) يزيد: هو يزيد بن زريع العيشي، أبو معاوي البصري، من بكر بن وائل وقيل: التيمي من تيم من بني عبس، روى عن سعيد بن أبي عروبة، وسفيان الثوري، وآخرون، روى عنه: احمد بن عبدة الضبي وطائفة، وقال إسحاق بن منصور عن يحيي بن معين: ثقة، ولد سنة إحدى ومائة، ومات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة، وكان من أروع أهل زمانه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٠٧/٢٠-٣١٠).

النص: ٣/٣ حدثنا عبدالوارث بن عبدالصمد بن عبدالوارث^(١)، قال: ثنا أبي^(٢)، عن الحسين^(٣)، عن قتادة (أَوْ أَتَارَةً مِنْ عِلْمٍ) قال: خاصة من علم.

٢٧٢/١١

النصوص بالأرقام: ٢/٢-٣/٣ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم: ١/١.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا^(٤) مِنْ الرُّسُلِ^(٥) وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

الآية: ٩

(١) عبدالوارث بن عبدالصمد بن عبدالوارث: هو أبو عبيدة، صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وخمسين. انظر: تقريب التهذيب (ص ٤٣٠).

(٢) أبوه: عبدالصمد بن عبدالوارث: هو عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد العنبري مولا هم التنوري، أبو سهل البصري، صدوق، ثبت، من التاسعة، مات سنة سبع. انظر: تقريب التهذيب (ص ٤١٧).

(٣) الحسين: هو الحسين بن ذكوان المعلم، العوزي، المكتب، البصري، روى عن سليمان الأحول، وقتادة، ونافع مولى بن عمر وآخرون، روى عنه: عبدالله بن المبارك وآخرون. قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي: ثقة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/٤٦٣-٤٦٤).

(٤) (بدعاً): معناه: مبدعاً لم يتقدمني رسول، وقيل: مبدعاً فيما أقوله. انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ص ٣٩)، والبدعُ: الشيء الذي يكون أولاً. انظر: لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م (٢/٣٧)، وأبدعْتُ الشيء: اخترعته لا على مثال، وشيء بدعُ بالكسر: أي مبتدعُ، وفلان بدعُ في هذا الأمر: أي بديعُ، والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، (٣/١١٨٣-١١٨٤).

(٥) الرسل: أصل الرسل: الاتبعات على التؤدة، ومنه: الرسول: المنبعث. وجمع الرسول: رسل، ورسل الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء. انظر: مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، (ص ٣٥٩).

النص: ٤/٤ حدثنا ابن حميد^(١) قال: ثنا عبد الوهاب^(٢) بن معاوية، عن أبي هبيرة^(٣) قال: سألت قتادة (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ) قال: أي قد كان قبلي رسل.

٢٧٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٩٣/٢).
- وابن كثير في تفسيره (١٥٤/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٨٥/١٦).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢١٥/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ) يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم، يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه، إذا كان فيه أول، ومن البدع قول عدي بن زيد^(٤):

(١) ابن حميد: هو الإمام الحافظ الحجة الجوال، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ويقال الكشي، ويقال اسمه عبد الحميد، ولد بعد السبعين ومائة، حدث عن علي بن عاصم ومحمد بن بشر وغيرهم، حدث عنه مسلم والترمذي والبخاري وغيرهم، توفي سنة ٢٤٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٢٣٥/١٢)، والكاشف، للمؤلف حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوامة، (٦٧٦/١).

(٢) عبد الوهاب بن معاوية: عبد الوهاب بن معاوية المروزي روى عن إبراهيم الصائغ ومقاتل بن حيان، روى عنه أبو حجر عمرو بن رافع، سمعت أبي يقول ذلك، وسألته عنه، فقال: صالح الحديث. انظر الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى سنة ٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، (٧٢/٦ - ٧٣).

(٣) أبي هبيرة: هو يحيى بن عباد بن شيبان الأنصاري، أبو هبيرة الكوفي، ثقة من الرابعة، مات بعد العشرين. انظر: تقريب التهذيب (ص ٦٨٧).

(٤) عدي بن زيد: هو عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي: شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروبياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فسكن المدائن، ثم تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر ووشى به أعداء له عند النعمان بما أوغر صدره، فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة، وجمع ما بقي من شعره في ديوان ببغداد. انظر: الأعلام، للزركلي (٢٢٠/٤).

فلا أنا بَدَعُ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَدِي *** رجلاً عَرِثَ مِنْ بَعْدِ بُؤْسِي وَأَسْعُدِ^(١)(٢)
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ومجاهد وقتادة (قُلْ مَا كُنْتُ بَدَعًا مِنَ الرُّسُلِ) ما أنا
 بأول رسول^(٣). وقال بمثلهم القرطبي^(٤)، وقرأ أبو حيوة^(٥) وابن أبي عبله^(٦)، (بَدَعًا): بفتح
 الدال: جمع بَدْعَة^(٧).

وقال الزمخشري: كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من
 الغيوب، فقيل له: (قُلْ مَا كُنْتُ بَدَعًا مِنَ الرُّسُلِ) فاتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما
 تسألون عنه من الغيب، فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما أتاهم الله من آياته، ولا يخبرون

(١) ورد البيت في ديوانه (ص ١٠٤)، بيت رقم (١٨) من قصيدة مطلعها:

تُعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أَمِّ مَعْبِدٍ *** نَعْمَ! فَرَمَاكَ الشُّوقُ بَعْدَ التَّجَلُّدِ

وفي الشرح: بدع: أول، تعتدي: أي تتملق، عرت: أي علفت، وبؤسي: جمع بؤس، وفي اللسان: اعتراني الأمر
 أي غشيني وأصابني، وأسعد: جمع سعد. وهو اليمن والخير. يقول: لست بدعاً من الناس، فلا ينتابني ما ينتاب
 الناس. انظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تأليف: أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي،
 حققه: علي محمد الجاوي، د.ط، د.ت، (ص ٣٩٣).

(٢) جامع البيان (١١/٢٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٥٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨٥).

(٥) أبو حيوة: هو شريح بن يزيد الحضرمي المقرئ المؤذن، والد حيوة بن شريح. أخذ القرآن عن أبي البرهسم
 وجريز بن معدان الحضرمي، وحدث عن شعيب بن أبي حمزة وطائفة، وكان مقرئ أهل حمص في زمانه. أخذ
 عنه ابنه حيوة، ومحمد بن مصفى، وآخرون، صدوق، عالم، ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ثلاث ومائتين.
 انظر: طبقات القراء، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٦٨٣ - ٧٤٨هـ، تحقيق
 الدكتور: أحمد خان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،
 الرياض (١/١٩٤ - ١٩٥).

(٦) ابن أبي عبله: هو إبراهيم بن أبي عبله، واسمه: شمر بن يقظان بن المرتحل، أبو إسماعيل، وقيل: أبو
 اسحق، ثقة كبير، تابعي، أخذ القراءة عن أم الدرداء الصفري، هجيمة بنت يحيى الأوصابية، قرأ على الزهري
 وروى عنه وعن أبي أمامة، وأنس، وروى عنه: مالك بن أنس وابن المبارك، وخلق توفي سنة إحدى، وقيل سنة
 اثنتين، وقيل سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن
 محمد بن الجزري (المتوفي سنة ٨٣٣هـ)، عنى بنشره: ج. برجستراسر، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م،
 الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (١/١٩).

(٧) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي
 ناصف، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، الكتاب التاسع،
 القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، (٢/٢٦٤).

إلا بما أوحى إليهم، ولقد أجاب موسى^(١) صلوات الله عليه عن قول فرعون^(٢): فما بال القرون الأولى؟ بقوله: علمها عند ربي^(٣).

وقال الرازي: أي ما كنت أولهم، فلا ينبغي أن تتكروا إخباري بأني رسول الله إليكم، ولا تتكروا دعائي لكم إلى التوحيد ونهبي عن عبادة الأصنام، فإن كل الرسل إنما بعثوا بهذا الطريق^(٤).

ويقول البغوي^(٥): لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف

(١) موسى عليه السلام: هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ولد بمصر زمن فرعون، حيث كان يأمر بقتل الأبناء عاماً، وأن يتركوا عاماً، فذكروا أن هارون ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم، وأم موسى اسمها (أيارخا)، وقيل (أياذخت). انظر: قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٧٤هـ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (٣٤٧/٢ - ٣٥١).

(٢) فرعون: فرعون عدو الله، هو فرعون موسى عمر أربع مائة سنة، وكان اسمه وليد بن مصعب، وقيل غير ذلك، وليس في الفراعنة أعتى منه، وليس هو فرعون يوسف عليه السلام، لأن فرعون يوسف أسلم على يديه، والله أعلم. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثاني من القسم الأول، د.ط، د.ت، (٤٩/٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، (٢٩٠/٤).

(٤) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، (٥٤٤ - ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، (٧/٢٨).

(٥) البغوي: هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف كـ (شرح السنة)، و(معالم التنزيل)، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين المروزي، وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيداً إماماً، عالماً علامة، وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه. توفي بمرور الرُّوذ مدينة من مدائن خراسان في شوال سنة ست عشرة وخمس ومائة، وعاش بضعاً وسبعين سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء، (٤٣٩/١٩ - ٤٤٢)، وطبقات المفسرين، وتذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، (٣٤٧هـ - ١٣٤٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، (١٢٥٧/٤ - ١٢٥٨)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (٦٠٨هـ - ٦٨١هـ)، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (مج/٢، ١٣٦).

تتكرون نبوتي^(١)، وهكذا قال الفراء^(٢)^(٣). وقال الشوكاني بمثلهم، أي: ما أنا بأول رسول، قد بعث الله قبلي كثيراً من الرسل^(٤). وقال ابن قتيبة في معنى الآية: أي بدءاً منهم ولا أول^(٥).

ويتضح من ذلك اتفاق المفسرين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن أول من أرسل بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾^(٦). وفي ذلك لم يخالف قتادة المفسرين.

النص: ٥/٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد: قال ثنا سعيد عن قتادة قوله (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاً مِنَ الرُّسُلِ)، يقول: أي إن الرسل قد كانوا قبلي.

٢٧٥/١١

النص: ٦/٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة في (بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) قال: قد كانت قبله رسل.

٢٧٦/١١

النصوص: ٦/٥ - ٦/٦: تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم: ٤/٤.

(١) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، شارع عسير، ١٤١٢هـ، (مج ٧/٢٥٢).

(٢) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي بني أسد المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد، ومن كتبه: معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، وغيرها. انظر: الأعلام (١٧٨/٨)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/١١٨-١٢١).

(٣) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: علي النجدي ناصف، د.ط، د.ت، (٣/٥٠).

(٤) فتح القدير، (١٣/٥).

(٥) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، (ص ٤٠٧).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

النص: ٧/٧ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة (وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) ثم دري أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يفعل به، يقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١).

٢٧٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٣٠/٤).
- وابن أبي شيبة في تفسيره (٣٨١/٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (١٠٨/٢).

دراسة النص:

أورد الواحدي إن أسباب نزول قوله تعالى: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) هو: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

ذكر الطبري في معنى قوله: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ): فقال: اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل له: قل للمؤمنين بك ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة والام نصير هناك، قالوا: ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم في الآخرة، فقيل له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٣). وقال: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٤)، قاله:

(١) سورة الفتح، الآيتان (٢-١).

(٢) لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك، ورأوا فيها فرجاً مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى تهاجر إلى الأرض التي رأيتها؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)، يعني لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيت في منامي أو لا؟ ثم قال: إنما هو شيء رأيت في منامي وما أتبع إلا ما يوحى إليّ. انظر: أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (ص ٤٠١)

(٣) سورة الفتح، الآيتان (٢-١).

(٤) سورة الفتح، الآية (٥).

ابن عباس وقتادة، وعكرمة. وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا، أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم، أو يؤمنوا به فيتبعوه، قاله الحسن. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما أدري ما يفترض عليّ وعليكم^(١).

وقال: عكرمة والحسن وقتادة إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢).

وقول الطبري ذكره القرطبي في تفسيره^(٣)، وكذا الرازي^(٤). وقال الزمخشري: لأنه لا علم لي بالغيب، ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله، ويقدر لي ولكم من قضاياه^(٥). وقال السدي^(٦): أخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان، وما يصنع به وبأمته فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٧)، وقال في أمته: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٨)^(٩). أما الضحاك

(١) جامع البيان (١١/٢٧٦ - ٢٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨٥ - ١٨٧).

(٤) مفاتيح الغيب (٨/٢٨).

(٥) انظر: الكشاف (٤/٢٩٠)، زاد المسير (٧/١٣٢ - ١٣٣)، وفتح القدير (٥/١٤).

(٦) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، ولد سنة (١٢٨ هـ - ٧٤٥ م)، سكن الكوفة، كان صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، وكان يقعد في سدة باب الجامع، فسمي السدي، مات سنة سبع وعشرين ومائة هـ. انظر: الأعلام، (١/٣١٧)، وتهذيب التهذيب (١/٣١٣-٣١٤).

(٧) سورة الصف، الآية (٩).

(٨) سورة الأنفال، الآية (٣٣).

(٩) معالم التنزيل (مج ٧/٢٥٤).

فقال: المراد لا أدري ما أوامر به ولا ما تؤمرون به في باب التكاليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء والامتحان^(١). وقال ابن الجوزي^(٢) في كتابه نواسخ القرآن: والقول بنسخها لا يصح لأنه إذا خفي عليه علم شيء، ثم أعلم به لم يدخل ذلك في ناسخ ولا منسوخ^(٣).

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهذلي^(٤). وإنما قلنا ذلك أولاً بالصواب لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خروج من الله عز وجل خطاباً للمشركين، وخبراً عنهم، وتوبيخاً لهم، واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم، فإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي، ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن، وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غداً في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدة وعذاب؟ وإنما أتباعنا إياك إن اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا إليه رغبة في نعمة وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة وعذاب، نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به، وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم^(٥).

(١) انظر روح المعاني (١٠/٢٦)، والتفسير المنير (١٨/٢٦-١٩).

(٢) ابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله البكري البغدادي، الحنبلي، ولد سنة عشر وخمس مائة أو قبلها، وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسطة، ومن أشهر كتبه "زاد المسير"، و"الوجوه والنظائر"، و"جامع المسانيد"، وغيرها. انظر: طبقات المفسرين، للعلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي، د.ط، د.ت، د.ن، (ص١٧)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٢-١٣٤٣).

(٣) نواسخ القرآن، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (ص٢٢٧).

(٤) أبو بكر الهذلي: قيل اسمه سلمى، ابن عبد الله، وقيل: رُوح، إخباري، متروك الحديث، من السادسة، مات سنة سبع وستين. انظر: تقريب التهذيب، (ص٧٢٣).

(٥) جامع البيان (١١/٢٧٧).

النص: ٨/٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)، قال: قد بين له أنه قد غفر من ذنبه ما تقدم وما تأخر.

٢٧٦/١١

النص رقم: ٨/٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧/٧.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ^(١) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الآية: ١٠

النص: ٩/٩ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال ثنا سعيد عن قتادة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...الآية)، كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام^(٢) آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أحبار^(٣) اليهود.

٢٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٥/٢).

دراسة النص:

أسباب نزول قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...الآية) ذكره السيوطي^(٤).

(١) (شاهد): الشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، وشَهِدَ الشاهد عند الحاكم: أي بين ما يعلمه وأظهره. انظر: لسان العرب، لابن منظور (مج ٨/١٥١-١٥٢).

(٢) عبد الله بن سلام: ابن الحارث، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: كان اسمه الحصين، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم. توفي سنة ٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (٢/٤١٣).

(٣) (أحبار): الحبر: العالم، ذمياً كان أو مسلماً. انظر: لسان العرب، (مج ٤/١١).

(٤) السيوطي: هو أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن عثمان المصري الشافعي، ولد سنة (٨٤٩هـ)، وتوفي سنة (٩١١هـ)، عالم، شارك في شتى العلوم، ومن مصنفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها. انظر: معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية - تأليف: عمر رضا كحاله، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، (١٢٨/٥).

فقال: عن عوف بن مالك الأشجعي^(٥)^(٦). يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين، وقوله: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ)، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه، وشهد شاهد من بني إسرائيل، وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة^(٧)، وهو قول: مسروق^(٨)، والشعبي، والقول

(٥) عوف بن مالك الأشجعي: هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني، صحابي جليل، شهد مؤتة مع خالد بن الوليد، والأمراء قبله، وشهد الفتح، وكانت معه راية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين، وأبو هريرة، وقد مات قبله، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام. انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ بن الكثير (٣٤٦/٨).

(٦) عن عوف بن مالك الأشجعي: قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر يهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه، فسكتوا فما أجابه منهم أحد، فانصرف، فإذا رجل من خلفه، فقال كما أنت يا محمد فاقبل، فقال أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلنا ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد أنه النبي الذي لا تجدون في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه، وقالوا فيه شراً، فانزل الله: (... الآية). انظر: لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (ص ١٩٠-١٩١).

(٧) التوراة: هي في اللغة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس، وهي في اصطلاح اليهود: عبارة عن خمسة أسفار، يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده، وهي:

- سفر التكوين
- سفر الخروج.
- سفر اللاويين أو الأحبار.
- سفر العدد.
- سفر التثنية.

انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، تأليف: عبد القادر شيبه الحمد، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص ١٧)، وهو أول كتاب نزل من السماء، وأن ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتاباً، بل صحفاً. انظر: الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهر ستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، (١/٢١٠ - ٢١١).

الآخر: عني به عبد الله بن سلام، قالوا: ومثل القرآن التوراة، قاله: سعد بن أبي وقاص^(٩)، وعبد الله بن سلام، وقتادة^(١٠)، وبه قال القرطبي^(١١). وقال مسروق والشعبي: ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية، وإسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة، أما ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة، ويوسف بن عبد الله بن سلام^(١٢)، ومالك بن أنس، وابن زيد^(١٣)، وهلال بن يساف^(١٤) والسدي،

(٨) مسروق: ابن الأجدع، الإمام القدوة، العلم، أبو عائشة، الوداعي الهمداني، الكوفي، وهو مسروق بن الأجدع بن مالك، بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان بن معمر، ويقال سلامان، ويقال: سرق وهو صغير، ثم وجد فسمي مسروقاً، قال أبو نعيم توفي سنة (٦٢هـ)، وقال يحيى بن بكير سنة ٦٣هـ، هو تابعي ثقة، وهو من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة وشهد حروب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء، (٤/٦٣-٦٨)، الأعلام، (٧/٢١٥).

(٩) سعد بن أبي وقاص: واسم أبيه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق القرشي، الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، كان مجاب الدعوة، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، أسلم قديماً، قالوا: كان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة، وكان فارساً شجاعاً، من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين. انظر: البداية والنهاية، (٨/٧٢ - ٧٨).

(١٠) جامع البيان (١١/٢٧٨ - ٢٧٩).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨٨ - ١٨٩).

(١٢) يوسف بن عبد الله بن سلام: (يوسف بن عبد الله بن سلام الإسرائيلي، المدني، أبو يعقوب، صحابي صغير، وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٧٠٧).

(١٣) ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم، ضعيف من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين. انظر: تقريب التهذيب (ص ٤٠٠).

(١٤) هلال بن يساف: ويقال: ابن إساف، الأشجعي، مولاهم الكوفي، ثقة من الثالثة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٦٦٩).

والثوري^(١٥)، إنهم كلهم قالوا إنه عبد الله بن سلام^(١٦).

وأجاب الكلبي^(١٧) بأن السورة مكية إلا هذه الآية، فإنها مدنية، وكانت الآية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا، فهذه الآية نزلت بالمدينة وإن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين^(١٨). وقال الزمخشري: والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله، وإيمانه به، لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه، وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر، أنصف من نفسه، فشهد عليه واعترف، مع استكباركم عنه وعن الإيمان به أستم أضل الناس وأظلمهم^(١٩)؟. ولم يختلف ابن الجوزي عنهم وقال مثلهم^(٢٠). وزاد الثعالبي^(٢١)، وقال: جاء شاهد من بني إسرائيل أنه من عند الله، وقوله فأمن على هذا

(١٥) الثوري: سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي، الفقيه الحافظ، الحجة، كان يلقب بأبى المير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٩٧هـ، ومات سنة ١٦١هـ. (طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداؤدي (المتوفي سنة ٩٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - ١٤ شارع الجمهورية بعبدين، الطبعة الأولى ربيع الأول ١٣٩٢هـ أبريل ١٩٧٢م مطبعة الاستقلال الكبرى ٨ شارع نجيب الريحاني (١/١٩٣).

(١٦) تفسير ابن كثير (٤/١٥٦).

(١٧) الكلبي: العلامة الإخباري، أبو النضر، محمد بن السائب بن بشير بن الكلبي المفسر، أخذ عن أبي صالح وجريز والفرزدق، وغيرهم، وروى عنه الثوري وغيره، توفي سنة ١٤٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (٦/٢٤٨).

(١٨) مفاتيح الغيب (٩/٢٨ - ١٠).

(١٩) الكشاف (٤/٢٩٢).

(٢٠) انظر: زاد المسير (٧/١٣٣ - ١٣٤)، وفتح القدير (٥/١٥)، وروح المعاني (٢٦/١٢ - ١٣)، والبحر المحيط (٨/٥٧ - ٥٨).

(٢١) الثعالبي: هو أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الأديب الشاعر، صاحب التصانيف الأدبية السائدة في الدنيا، عاش ثمانين سنة، وكان رأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بحكم أقرانه، وله من التأليف: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها، وله أيضاً كتاب (فقه اللغة)، وكانت ولادته سنة خمسين وثلاثمائة، وتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة، ونسبته إلى خياطة جلود الثعالب، وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراء. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٣/٢٤٦ - ٢٤٧)، ووفيات الأعيان (مج ٣/١٧٨ - ١٨٠).

التأويل يعني به تصديق موسى وتبشيريه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(٢٢). وجاء عن الفراء أنه قال: شهد رجل من اليهود على مثل ما شهد عليه عبد الله بن سلام من التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه موصوف في التوراة، فأمن ذلك الرجل واستكبرتم^(٢٣). والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ)، في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش واحتجاجاً عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية نظير سائر الآيات قبلها، ولم يوجد لأهل الكتاب^(٢٤) ولا اليهود^(٢٥) قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على

(٢٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (١٥٠/٤).

(٢٣) انظر: معاني القرآن (٥١/٣)، ومعالم التنزيل (مج ٧/٢٥٤ - ٢٥٥)، وتفسير القرآن الجليل، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (مج ٣/٣٥).

(٢٤) أهل الكتاب: هم الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشريعة وأحكام، وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا: إلى من له كتاب محقق، مثل التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب. وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية، فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم، وينحى بهم نحو اليهود والنصارى، إذ هم من أهل الكتاب، ولكن لا يجوز مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، فإن الكتاب قد رفع عنهم. انظر: الملل والنحل، (٢٠٨/١).

(٢٥) اليهود: هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: إنا هدنا إليك، أي رجعنا وتضرعنا. وهم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، (٢١٠/١)، وهو شعب سامي خرج من شبه جزيرة العرب، وانتشر في الهلال الخصيب، وفي القرن السادس هبط فريق من اليهود مصر، ولكن سرعان ما خرج بهم سيدنا موسى عليه السلام إلى سيناء وفلسطين، وفي فلسطين أنشأ اليهود مملكة، ولكنها سرعان ما انقسمت على نفسها، فظهرت مملكة إسرائيل في الشمال، ويهود في الجنوب. انظر: موسوعة المورد العربية، لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٩٠م، (١٣٢٩/٢).

مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي^(٢٦).

النص: ١٠/١٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) قال: هو عبدالله بن سلام.

٢٧٩/١١

النص رقم: ١٠/١٠ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٩/٩.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

الآية: ١١

النص: ١١/١١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)، قال: قال ذلك أناس من المشركين نحن أعز، ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان، فإن الله يختص برحمته من يشاء.

٢٨١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٥٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٨٩/١٦).
- والشوكاني في تفسيره (١٥/٥).

دراسة النص:

(إفك): الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، وهو الصرف عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب^(٢٧). يقول تعالى ذكره: وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاءكم به خيراً، ما سبقتمونا إلى التصديق به^(٢٨).

(٢٦) جامع البيان (٢٨١/١١).

(٢٧) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٩).

(٢٨) جامع البيان (٢٨١/١١).

إِنَّ سَبَبَ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لِّدِينِ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ... الآية)، نزلت في أمة لعمر بن الخطاب^(٢٩). وقال ابن كثير: أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالاً^(٣٠)، وعماراً^(٣١)، وصهيباً^(٣٢)، وخباباً^(٣٣) رضي الله عنهم، وأشباههم وأضربهم من المستضعفين والعييد والإمام وما ذلك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة، وله بهم عناية^(٣٤). وقال الرازي: وهو أن الكفار لما سمعوا أن جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة

(٢٩) كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله، يقال لها زين، فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زين، فأنزل الله في شأنها: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لِّدِينِ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا... الآية). انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٦٦).

(٣٠) بلال بن رباح: بلال رضي الله عنه بن رباح الحبشي المؤذن، لزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له، واختلف في تاريخ وفاته، فقيل مات بالشام زمن عمر، وقيل مات في طاعون عمواس، وقيل مات سنة عشرين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/٣٢٦).

(٣١) عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس حليف بني مخزوم، وأمّه سمية مولاة لهم، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، واختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة، فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، روى عنه من الصحابة أبو موسى، وابن عباس وعبد الله بن جعفر، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٥١٢-٥١٣).

(٣٢) صهيب الرومي: هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة، قال الواقدي: صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو، كان يقال له الرومي، لأن الروم سبوه صغيراً، ونشأ بالروم، وكان من السابقين للإسلام، فأسلم صهيب مع عمار في يوم واحد، هاجر صهيب إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفى بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل سنة تسع وثلاثين. انظر: أسد الغابة، (٢/٤١٨-٤٢١).

(٣٣) خباب: خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبو محمد، وهو مولى عتبة بن غزوان، وقيل مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية، فهو تميمي النسب، و من السابقين الأولين للإسلام، روى عنه ابنه عبد الله ومسروق، توفى سنة سبع وثلاثين، وكان عمره إذ مات ثلاث وسبعين، وصلى عليه سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة، (١/٥٩١ - ٥٩٣).

(٣٤) انظر تفسير ابن كثير (٤/١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/١٨٩ - ١٩٠)، والكشاف (٤/٢٩٣)، وزاد المسير (٧/١٣٥).

من المؤمنين الحاضرين، وقالوا لهم: لو كان هذا الدين خيراً لما سبقنا إليه أولئك الغائبون الذين أسلموا^(٣٥)، ومثل هذا القول ذكره جماعة من المفسرين^(٣٦). وقال الفراء: لما أسلمت مزينة^(٣٧)، وجهينة^(٣٨)، وأسلم^(٣٩)، وغفار^(٤٠)، قالت بنو عامر^(٤١): بن صعصعة وغطفان^(٤٢) وأشجع^(٤٣) وأسد^(٤٤): لو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه رعاة البهم^(٤٥).

(٣٥) مفاتيح الغيب (١١/٢٨).

(٣٦) انظر فتح القدير (١٥/٥)، وروح المعاني (١٤/٢٦)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٣٥١/٣)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (٨١/٨)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (مج ٢/٩٩٥).

(٣٧) مزينة: بطن من مضر، من العدنانية، اختلف فيه، فقال القلقشندي: هم بنو عثمان وأوس بني عمرو بن أد بن طابخة، ومزينة أمهما، عرفوا بها وهي مزينة بنت كلب بن وبرة، وقال ابن دريد: مزينة قبيلة، وهم عمرو بن طابخة، ومزينة أم ولده، وهي ابن كلب بن وبرة، كانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى، ومن ديارهم وقرامهم: فيحة، والدوحاء. وقدم وفد من مزينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أربعمائة رجل، وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين، وعددهم ألف، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأنصار ومزينة وجهينة وغفار، وأشجع، ومن كان من بني عبد الله موالى دون الناس والله ورسوله مولاهم)، وقد نزلوا الكوفة سنة ١٧ هـ، واشتركوا في حوادث سنة ٦٥ هـ، وخرجت جماعة منهم مع محمد بن عبد الله بن حسن علي أبي جعفر المنصور. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، تأليف عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، (٣/١٠٨٣ - ١٠٨٣).

(٣٨) جهينة: حي عظيم من قضاة من القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، وفي هذا الحي بطون كثيرة، منازلهم كانت مساكنهم ما بين الينبع ويثرب في متسع من بريا الحجاز، على العودة الشرقية من بحر القلزم، انتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وغلبوا على بلاد النوبة. وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة، ونزلت جهينة الكوفة، وبها محلة تنسب إليهم، قاتلوا مع خالد بن الوليد سنة ٥٨ هـ في فتح مكة، وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين وعددهم ألف. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (١/٢١٦).

(٣٩) أسلم: بطن من خزاعة من القحطانية، وهم بنو أسلم بن قصي بن حارثة بن عمرو مزيقيا، منهم: الحجاج بن مالك بن عويمر الأسلمي، الصحابي. انظر: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تأليف أبي العباس أحمد القلقشندي (٧٥٦ هـ - ٨٢١ هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٩٥٩ م (ص ٣٩).

(٤٠) غفار: غفار بن مليل: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عمرو) بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانوا حول مكة، ومن مياهم بدر، ومن أوديتهم: ودان. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة (٣/٨٩٠).

وافق قول قتادة أقوال المفسرين على أن معنى قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)، أي لو كان ما جاء به محمداً خيراً ما سبقنا إليه المستضعفون والعبيد والإماء، لأنهم عند أنفسهم المستحقون للسبق وإلى كل مكرمة، وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً وأخطأوا خطأ بيناً، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا

(٤١) بنو عامر بن صعصعة: بطن من هوازن، من قيس بن عيلان من العدنانية، وهم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وينقسمون إلى أربعة أفرع: نمير، ربيعة، هلال، وسوأة، منازلهم: أما منازلهم فكانوا كلهم بنجد، ثم نزلوا ناحية من الطائف مجاورين العدوان أصهارهم، فنزلوا حولهم، وكانوا بذلك زماناً، ووقعت بين عدوان حرب، وتشتت أمرهم، فطمعت فيهم بنو عامر، وأخرجتهم من الطائف، فكانت بنو عامر يتصفون بالطائف لطيبها وثمارها، ويتشتون بلادهم من أرض نجد، لسعتها وكثرة مراعيها، ويختارونها على الطائف. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة (٧٠٨/٢ - ٧٠٩).

(٤٢) غطفان: بطن عظيم، متسع، كثير الشعوب، والأفخاذ، من قيس بن عيلان من العدنانية، وهم: بنو غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى، وجبل طيء، ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية، واستولت عليها قبائل طي من ديارهم، ذو أزل ذرة، ومن جبالهم: ضرعد، الأكوام، ومن أوديتهم: الرمة، كانوا ينزلون فيه، ومن مياههم: المدان، ودحل، وقد حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، وفي الأحزاب، وكانوا ألوفاً. انظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة، (٨٨٨/٣).

(٤٣) أشجع: قبيلة من غطفان، من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بضواحي المدينة، وكان بالمغرب الأقصى منهم حي عظيم، وأما تاريخهم فكانوا خلفاء للخزرج، وقد دعاهم إلى نصرتهم في يوم بعث، فأجابوهم، وفي أيام الردة رجعت عامة أشجع عن دينهم. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديث (٢٩/١).

(٤٤) أسد: هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة، بطن كبير متسع ذو بطون، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طي، وقد تفرقوا من بلاد الحجاز على الأقطار، ولم يبق لهم حي وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطي وبني عقيل الأمراء، كانوا بأرض العراق والجزيرة، وملكوا الحلة وجهاتها. انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) - (١٣٣٢ - ١٤٠٦ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ: خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، (٣٨٢/٢).

(٤٥) معاني القرآن (٥١/٣).

بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا... ﴿٤٦﴾. أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا (٤٧).

وهذا دأب رافضي هدى الله في كل زمان ومكان، أنهم ينتقصون أهل الإيمان مرضاً في العقل، وعمى في القلب.

النص: ١٢/١٢ حدثنا بشر ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ). قال: قد قال ذلك قائلون من الناس، كانوا أعز منهم في الجاهلية، فقالوا: والله لو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه بنو فلان، يختص الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء. تبارك الله وتعالى.

٢٨٢ - ٢٨١/١١

النص رقم: ١٢/١٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ١١/١١.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا (٤٨) وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

الآية: ١٥

النص: ١٣/١٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)، يقول: حملته مشقة، ووضعته مشقة.

٢٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٧/١).
- وابن كثير في تفسيره (١٥٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٩٣/١٦).

(٤٦) سورة الأنعام، الآية (٥٣).

(٤٧) تفسير ابن كثير (١٥٦/٤).

(٤٨) كرهاً: الكره، المشقة، يقال: قمت على كره، أي على مشقة. انظر: لسان العرب، لابن منظور

(مج ٥٨/١٣).

دراسة النص:

قوله: (حَمَلْتُهُ أُمَّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا)، يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً برأ بهما، لما كان منهما إليه حملاً ووليداً وناشئاً، ثم وصف جل ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حملة ووضعه، ونبه على الواجب لها عليه من البر، فقال: (حَمَلْتُهُ أُمَّهُ)، يعني في بطنها كرهاً، يعني مشقة، (وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا)، يقول: ولدته كرهاً يعني مشقة^(٤٩). ويقول ابن كثير: (حَمَلْتُهُ أُمَّهُ كُرْهًا)، أي قاست بسببه في حال حملة مشقة وتعباً من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تتال الحوامل من التعب والمشقة. (وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا)، أي بمشقة أيضاً من الطلق وشدته^(٥٠).

قيل: ليس المراد ابتداء الحمل، فإنه لا يكون مشقة، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾^(٥١)، يريد ابتداء الحمل، فإن ذلك لا يكون مشقة، فالحمل نطفة وعلقة ومضغة، فإذا أثقلت فحينئذٍ (حَمَلْتُهُ أُمَّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا)، يريد شدة الطلق^(٥٢). وقال أيضاً ابن عاشور^(٥٣): إنها حملته في بطنها متعبة من حملة تعباً يجعلها، كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووضعه بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه، وفي ذلك الحمل والوضع فائدة له، وهي فائدة وجوده الذي هو كمال حال الممكن وما ترتب على وجوده من الإيمان والعمل الصالح الذي حصل به حصول النعم الخالدة^(٥٤). وهو قول الزجاج^(٥٥)، وقال بمثله وهبة الزحيلي^(٥٦).

(٤٩) جامع البيان (٢٨٣/١١ - ٢٨٤).

(٥٠) انظر تفسير ابن كثير (١٥٧/٤)، الكشاف (٢٩٤/٤)، وفتح القدير (١٦/٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٦).

(٥١) سورة الأعراف، الآية (١٨٩).

(٥٢) انظر مفاتيح الغيب (١٣/٢٨)، وزاد المسير (١٣٦/٧)، وروح المعاني (١٧/٢٦).

(٥٣) ابن عاشور: هو محمد بن عاشور، ولد سنة ١٢٦٩هـ - ١٨٧٩م، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، رئيس المفتين المالكيين بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين عام ١٩٣٢م شيخاً للإسلام مالكيًا، من مصنفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الإسلامية. انظر: معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية - ، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (٣/٣٦٣).

(٥٤) التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (مج ٢٩/١٢).

(٥٥) معاني القرآن وإعرابه (٤٤٢/٤).

قرأ حمزة^(٥٧) والكسائي^(٥٨) وخلف^(٥٩) (كُرْهاً) بضم الكاف وافقهم عاصم^(٦٠) ويعقوب^(٦١)

وابن ذكوان^(٦٢)(٦٣).

وبنحو الذي قال قتادة في معنى الآية قاله أهل التأويل على اتفاق فيما بينهم. وقد تكررت الوصاية ببر الوالدين في القرآن وحرص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عديدة، فكان البر بالوالدين أجلى مظهراً في هذه الآية منه في غيرها،

(٥٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٣٢/٢٦ - ٣٣).

(٥٧) حمزة الكوفي: حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات التميمي أحد أصحاب القراءات السبع الصحيحة، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ - ٦٩٩م، كان عالماً بالقراءات، بصيراً بالفرائض ومن تصانيفه: كتاب الفرائض، توفي سنة ١٥٦هـ - ٧٧٣م. انظر: تاريخ التراث، لفؤاد سزكين (٣١/١).

(٥٨) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله وهو من أولاد الفرس من العراق أبو الحسن الكسائي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة. انظر: طبقات القراء، (٥٣٥/١).

(٥٩) خلف: هو خلف بن هشام بن تغلب المقرئ البغدادي، ثقة، من العاشرة، مات سنة ٢٩هـ، روى له مسلم وأبو داود. انظر: التقريب (ص ٢٣٤).

(٦٠) عاصم: هو عاصم بن أبي النجود بن بهدلة، أحد أصحاب القراءات السبع الصحيحة، عاش في الكوفة، وكان عالماً بالحديث، وبقراءة القرآن، توفي سنة ١٢٧هـ - ٧٤٥م. انظر: تاريخ التراث لفؤاد سزكين (٢٧/١).

(٦١) يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، ولد بالبصرة سنة ١١٧هـ - ٧٣٥م، وهو الثامن من بين القراء العشر المشهورين، تتلمذ على حمزة والكسائي وكان عالماً بالقراءة، والنحو، توفي بالبصرة سنة ٢٠٥هـ - ٨٢١م. انظر: تاريخ التراث (٣٦/١).

(٦٢) ابن ذكوان: هو عبد الله بن أحمد بن بشر، ويقال بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسن بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر أبو عمرو وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي، الإمام، الأستاذ الشهير، الراوي، الثقة، شيخ الأقرء بالشام، وإمام جامع دمشق، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم، وقرأ على الكسائي، روى القراءة عنه ابنه أحمد، وأحمد بن أنس، وألف كتاب أقسام القرآن وجوابها وما يجب على قارئ القرآن عند حركة لسانه، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي يوم الاثنين لليليتين بقيتا من شوال، وقيل لسبع خلون منه سنة اثنين وأربعين ومائتين، وقد غلط من قال سنة ثلاث وأربعين. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٤٠٤/١ - ٤٠٥).

(٦٣) النشر في القراءات العشر، تأليف الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الفكر العربي، (٢٤٨/٢).

كقوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٦٤). أما هذه الآية دلت على أن حق الأم أعظم كما في الحديث: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك^(٦٥).

النص: ١٤/١٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة والحسن في قوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)، قال: حملته في مشقة، ووضعت في مشقة. ٢٨٤/١١

النص رقم ١٤/١٤ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ١٣/١٣.

النص: ١٥/١٥ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن عمر عن قتادة، (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ)، قال: ثلاثاً وثلاثين.

٢٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرج ابن كثير في تفسيره (١٥٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٩٤/١٦).
- والآلوسي في روح المعاني (١٨/٢٦).

دراسة النص:

(٦٤) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(٦٥) أخرج:

١- البخاري في: (٧٨) كتاب الأدب، (٢) باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟ برقم (٥٩٧١)، (١٣٦/٤)، انظر: صحيح البخاري مع كشف المشكل، للإمام ابن الجوزي، حققه ورتبه وفهرسه الدكتور: مصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة.

٢- ومسلم في: (٤٥) كتاب البر والصلة والأدب، (١) باب بر الوالدين، وأنها أحق به، برقم: (٢٥٤٨)، (١٩٧٤). انظر: صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٦-٢٦١هـ)، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

وقوله: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ)، اختلف أهل التأويل في مبلغ حد ذلك من السنين، فقال بعضهم: هو ثلاث وثلاثون سنة، ذكره ابن عباس، وقتادة. وقال آخرون: هو بلوغ الحلم، ذكره: الشعبي^(٦٦)، وقال ابن كثير: أي قوى وشب وارتجل^(٦٧).
 وقال الآلوسي: غاية لمقدر أي فعاش، أو استمرت حياته حتى إذا اكتهل واستحکم قوته وعقله^(٦٨). وذكر الشوكاني ما قاله الطبري في معنى الآية^(٦٩)، وكذا أئمة التفسير^(٧٠).

فإذا كان الأشد تناهي قوته واستوائه كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حلمه كمال قواه، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض، جعلت كلا الوقتين قريباً أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾^(٧١)، ولا تكاد تقول أنا أعلم إنك تقوم قريباً من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلاً من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذا ذلك في قوله: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ)، لا شك أن نسق الأربعة على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخامس عشرة أو الثمان عشرة^(٧٢).

(٦٦) جامع البيان (١١/٢٨٤ - ٢٨٥).

(٦٧) تفسير ابن كثير (٤/١٥٧).

(٦٨) روح المعاني (٢٦/١٨).

(٦٩) فتح القدير (٥/١٧).

(٧٠) انظر: الكشف (٤/٢٩٤)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٥)، وزاد المسير (٧/١٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/١٩٤).

(٧١) سورة المزمل، الآية (٢٠).

(٧٢) جامع البيان (١١/٢٨٥).

النص: ١٦/١٦ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة. (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، وقد مضى من سيئ عمله.

٢٨٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٦٢٨/٢).
- والقرطبي في تفسيره (١٩٤/١٦).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

سبب نزول قوله تعالى: (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) ذكره الواحدي في كتابه، فقال: أنزلت في أبي بكر الصديق^(٧٣) رضي الله عنه^(٧٤).

ومعنى قوله تعالى: (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، قال الطبري: ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق في بر والديه^(٧٥)، وبه قال القرطبي^(٧٦).

(٧٣) أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أفضل الأمة، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان القرشي، التيمي، هو رأس الصادقين في الأمة، وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول. توفي الصديق رضي الله تعالى عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ٢-٥).

(٧٤) أنزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وذلك أنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في التجارة، فنزلوا منزلاً فيه سدر، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها، ومضى أبو بكر إلى الراهب هناك يسأله عن الدين، فقال له: من الرجل الذي في ظل السدر؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره وحضوره، فلما نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة أسلم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي، (ص ٤٠١-٤٠٢).

(٧٥) جامع البيان (٢٨٥/١١).

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩٤/١٦).

وقال ابن كثير: أي تنهى عقله، وكمال فهمه وحلمه، ويقال: إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين^(٧٧).

وقال الشوكاني: فإن هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد، وقال: لم يبعث الله نبياً قط إلا بعد أربعين سنة^(٧٨). وزاد الرازي فقال:

فهذا يدل على أن توجه الإنسان إلى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله إنما يحصل في هذا الوقت، وهذا تصريح بأن القوة النفسانية العقلية النطقية إنما تبتدىء بالاستكمال من هذا الوقت.

فسبحان من أودع في هذا الكتاب الكريم هذه الأسرار الشريفة المقدسة. ويروى أن عمر بن عبد العزيز لما بلغ أربعين سنة كان يقول: اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك إلى تمام الدعاء^(٧٩)، وكقولهم قال النسفي^(٨٠)^(٨١).

وقرى: حتى إذا استوى وبلغ أشده. وبلوغ الأشد: أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيه قوته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين^(٨٢).

(٧٧) تفسير ابن كثير (١٥٧/٤).

(٧٨) فتح القدير (١٧/٥).

(٧٩) مفاتيح الغيب (١٧/٢٨).

(٨٠) النسفي: هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، كان إماماً كاملاً، عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه، من تصانيفه: مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، والعمدة في أصول الدين، وغيرها، توفي سنة ٧٠١هـ. انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (٣٠٤/١).

(٨١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٣/٣٥٢).

(٨٢) الكشاف (٢٩٤/٤).

وبالرغم من انفراد قتادة بروايته إلا أنه يتفق مع المفسرين في معنى قوله تعالى: (وَبَلَّغْ أَرْبَعِينَ سَنَةً): أي هو استكمال العقل والفهم. ويؤيده حديث ابن

عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أتى عليه الأربعون سنة فلم يغلب خيره شره، فليتهجز إلى النار)^(٨٣).

النص: ١٧/١٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَبَلَّغْ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي)، حتى بلغ: (مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، وقد مضى من سيئ عمله ما مضى.

٢٨٥/١١

النص رقم ١٧/١٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ١٦/١٦.

(٨٣) ضعفه الأزدي، وهو عن رجل من أصحاب سفيان - وهو بارح: أحمد بن بارح الهروي، - ولفظ الأزدي ضعيف جداً، وذكره الخطيب في ذيل المؤلف: فقال: بارح بن أحمد بن بارح أبو النضر الهروي، حدث بالموصل عن عبدالله بن مالك الهروي عن سفيان حديثاً * روى عنه محمد بن بشران بن عبدالملك * ذكره أبو زكريا في طبقات أهل الموصل، وقال: كان يلبس الصوف، ويتزهد، ويحث الناس على الطاعة، مات سنة ثمان وسبعين ومائتين، ولم يكن من أصحاب الحديث، وذكر الأزدي الحديث، وهو من رواية سفيان، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، رفعه "من أتت عليه أربعون سنة فلم يغلب خيره شره فليتهجز إلى النار". انظر: لسان الميزان، للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفي سنة ٨٥٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند سنة ١٣٣٠هـ (٣-٢/٢).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ (٨٤) لَكُمْ أْتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ
الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

الآية: ١٧

النص: ١٨/١٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَتَعِدَانِي أَنْ
أُخْرَجَ): أن أبعث بعد الموت.

٢٨٧/١١

(٨٤) (أف): أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامه ظفر وما يجري مجراهما، ويقال ذلك لكل مستخف
استقذاراً له، ومنه قيل للضجر من استقذار شيء أف فلان. (المفردات في غريب القرآن، ص ١٩).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره، (١٦٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره، (١٩٧/١٦).
- فتح الباري (٥٧٧/٨).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور، (١١/٦) وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

نزلت هذه الآية (وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفٍّ لَكُمْ)، في عبد الرحمن^(١) بن أبي بكر^(٢). وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحتهم ودعائه إلى الله، فلا تزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتواً، وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله، يقول الله جل ثناؤه: (وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ) أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، (أَفٍّ لَكُمْ)، يقول: قدراً لكما ونتاجاً، (أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ)، يقول: أتعدانني أن أخرج من قبوري بعد فنائي وبلائي فيه حياً^(٣). قال مجاهد: نزلت في عبد الله^(٤) بن أبي بكر رضي الله عنهما. وقال السدي: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وقوله: (أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ): أي أبعث^(٥). وقال الحسن: هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث^(٦).

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: شقيق عائشة، تأخر إسلامه قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح، ومات سنة ثلاث وخمسين في طريق مكة فجأة، وقيل بعد ذلك. (انظر تقريب التهذيب، ص ٣٩٦).

(٢) نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما، ويكذبهما ويقول، فأين فلان وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد، فحسن إسلامه. انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي (ص ٢٦٧).

(٣) جامع البيان (٢٨٧/١١).

(٤) عبد الله بن أبي بكر الصديق: هو عبد الله بن عبد الله بن عثمان، وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر، مات قبل أبيه، وأصحاب المغازي ذكروا أنه رمي بسهم فجرح ثم اندمل ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة، وكان قد تزوج عاتكة بنت زيد بن عمر. انظر: الأصابة في تمييز الصحابة، (٢٨٣/٢).

(٥) تفسير ابن كثير (١٥٩/٤).

(٦) الكشف (٢٩٥/٤).

وقيل: هو عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولهذا أخبر عنه بالجمع، وأف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه^(٧). وأضاف الشنقيطي^(٨) قائلاً: إن غاية ما في هذه الآية الكريمة هو إطلاق الذي وإرادة الذين أي إن الذي بمعنى الذين، وإن المراد به العموم، أي إن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث^(٩).

قرأ حفص^(١٠) (أف) بكسر الفاء منونة، وقرأ يعقوب وابن عامر^(١١) وابن كثير^(١٢)

بفتحها من غير تنوين، (أَتَعِدَانِي أَنْ)، فُرأت بإدغام النون الأولى في الثانية، فينطق بنون مشددة مكسورة ويمد طويلاً للساكنين^(١٣).

(٧) انظر: فتح القدير، (١٩/٥)، وزاد المسير، (١٣٨/٧)، وروح المعاني، (٢٠/٢٦ - ٢١)، والبحر المحيط، (٦١/٨ - ٦٢)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٨٣/٨ - ٨٤)، والتبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، المجلد التاسع، ص(٢٧٧).

(٨) محمد مختار الشنقيطي: هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر، ومدرس من علماء شنقيط، ولد بها سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ومن آثاره: أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنهج دراسات آيات الأسماء والصفات، ورحلة خروجه من بلاده إلى المدينة. انظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (١٤٦/٣ - ١٤٧).

(٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، (٣٨٧/٧).

(١٠) حفص: هو حفص بن سليمان بن المغيرة البزار الأسدي الكوفي، ولد سنة ٩٠هـ - ٧٠٩م، وعاش في بغداد، وكان تلميذ عاصم بن بهدلة، توفي سنة ١٨٠هـ - ٧٩٦م. انظر: تاريخ التراث العربي، (٣٣/١).

(١١) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي، أصله من دمشق، ولد سنة ٢١هـ - ٦٤١م، يعد من الجيل الأول من التابعين، وكان من أصحاب القراءات السبع الصحيحة، وأكبرهم سناً، ولي ابن عامر القضاء في دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوفي سنة ١١٨هـ - ٧٣٦م. المصدر السابق، (٢٥/١).

(١٢) ابن كثير: هو عبد الله بن كثير بن عبدالمطلب الداري، أحد أصحاب القراءات السبعة الصحيحة، ولد في مكة سنة ٥٤هـ/٦٦٥هـ، وكان عالماً بالعربية، وولي القضاء بمكة، وتوفي بها سنة ١٢٠هـ/٨٧٣م. انظر: المصدر السابق (٢٦/١).

والقول بأن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر غير صحيح، ويدل عليه

وجوه:

الوجه الأول:

أنه تعالى وصف هذا الذي قال لوالديه أفل لكما أتعدانني بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^(١٤). ولا شك أن عبد الرحمن آمن وحسن إسلامه، وكان من سادات المسلمين، فبطل حمل الآية عليه. فإن قالوا: روي أنه لما دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت قال: (أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ) من القبر، يعني أبعث بعد الموت، (وَقَدْ خَلَّتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي)، يعني الأمم الخالية، فلم أر أحد منهم بُعث، فأين عبد الله بن جدعان^(١٥)؟ وأين فلان وفلان؟ إذا عرفت هذا فنقول قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ). المراد هؤلاء الذين ذكروهم عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله، وهم الذين حق عليهم القول، وبالجملة، فهو عائد إلى المشار إليهم بقوله: (وَقَدْ خَلَّتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي) لا إلى المشار إليه بقوله: (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفٍ لَكُمْ).

الوجه الثاني في إبطال ذلك القول:

(١٣) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، من طريقي الشاطبية والدرية، تأليف: عبد الفتاح القاضي، ملتزم الطبع والنشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، ص (٢٩٣).

(١٤) سورة الأحقاف، الآية (١٨).

(١٥) عبد الله بن جدعان: هو عبد الله بن جدعان التيمي، جد علي بن زيد بن جدعان، قرشي، مشهور، واسم جده عمرو بن كعب بن تيم بن مرة، يجتمع مع أبي بكر الصديق في عمرو بن كعب، ومات قبل الإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (شهدت مأدبة في دار ابن جدعان، وقد مدحه أمية بن أبي الصلات بأبيات مشهورة، ورثاه لما مات، وسألت عنه عائشة نبي الله صلى الله عليه وسلم، وذكرت له ما كان فيه من الجود، فقال: إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (مج ٢/٢٨٨).

ما روي أن مروان^(١٦) لما خاطب عبد الرحمن بن أبي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة^(١٧) ذلك فغضبت، وقالت: والله ما هو به، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه.

الوجه الثالث:

وهو الأقوى: أن يقال إنه تعالى وصف الولد البار بأبويه في الآية المتقدمة، ووصف الولد العاق لأبويه في هذه الآية، وذكر من صفات ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق، وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر، وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيصة، وكلمات واهية، وإذا كان كذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة البتة إلى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين.

هذا ما ذكر في دفع ذلك الدليل^(١٨).

النص: ١٩/١٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة في قوله: (أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ) قال: يعني البعث بعد الموت.

٢٨٧/١١

النص: ٢٠/٢٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثم نعت عبد سوء قال لوالديه فاجراً، فقال: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا...) إلى قوله (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

٢٨٧/١١

النصوص: ١٩/١٩، ٢٠/٢٠: تقدمت دراستهما وتخرجهما في النص: ١٨/١٨. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ (١٩) وَالْإِنْسِ (٢٠) إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

(١٦) مروان بن الحكم: ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الملك أبو عبد الملك القرشي الأموي، يكنى أبا القاسم، وأبا الحكم، ولد بمكة، مات سنة ٦٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (٤٧٦/٣).

(١٧) عائشة رضي الله عنها: أم المؤمنين، بنت الإمام الصديق أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، القرشية، التميمية، المكية، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضه نساء الأمة، أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس، الكنانية، توفت سنة ٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (١٣٥/٢).

(١٨) مفاتيح الغيب، (٢١/٢٨).

الآية: ١٨

النص: ٢١/٢١ حدثنا محمد بن بشار^(٢١)، قال: ثنا معاذ^(٢٢) بن هشام، قال: ثنا أبي^(٢٣)، عن قتادة، عن الحسن، قال: الجن لا يموتون، قال قتادة: فقلت: (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ... الآية).

٢٨٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره، (١٩٨/١٦).
- وابن كثير في تفسيره، (١٥٩/٤).

(١٩) الجن: سمو جنأ لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون، وقد خلقوا من النار في قوله تعالى: (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ)، سورة الرحمن، الآية ١٥. والجان مخلوق قبل الإنسان، وهو عالم ثالث غير عالم الملائكة والبشر، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة، ليسوا بأعراض ولا جراثيم، وأنهم مكفون مأمورون منهيون. انظر: عالم الجن والشياطين، تأليف عمر سليمان الأشقر، دار الجيل، بيروت، دار الكتب السلفية، القاهرة، (ص ٧ - ٩).

(٢٠) الإنسان: مخلوق خلقة المولى سبحانه وتعالى من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فكان ذا طبيعة مزدوجة، جسد وروح، قبضة من طين، ونفخة من روح الله. انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، تأليف جمعة أمين عبد العزيز، راجعه محمد نجيب بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن بخيت المطيعي، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (ص ٢٩٧).

(٢١) محمد بن بشار: محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي، أبو بكر البصري، بNDAR، وإنما قيل له: بNDAR لأنه كان بNDARاً في الحديث، والبNDAR: الحافظ، جمع حديث بلده، صدوق، كثير الحديث، مات في رجب سنة ٢٥٢هـ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني راجعه وقدم له: الأستاذ الدكتور: سهيل زكار، تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (١٣٢/١٦ - ١٣٦).

(٢٢) معاذ بن هشام: هو معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، البصري، وقد سكن اليمن، صدوق ربما وهم، من التاسعة، مات سنة مائتين. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٦٢٣).

(٢٣) أبيه: هشام بن أبي عبد الله، أبو بكر البصري الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رمي بالقدر، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٦٦٥).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حل به عذاب الله على مثل الذي حل بهؤلاء من الأمم الذي مضوا قبلهم من الجن والإنس الذين كذبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم^(٢٤). وقال ابن كثير: أي دخلوا في زمرة أشباههم، وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة^(٢٥). وقال الزمخشري: (في أمم)، نحو قوله: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾^(٢٦). على معنى: آمن بأن وعد الله حق^(٢٧). وذكر الشوكاني قائلاً: أي أولئك القائلون هذه المقالات هم الذين حق عليهم القول، أي وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه وتعالى لإبليس^(٢٨): ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢٩)^(٣٠). وهو قول ابن الجوزي^(٣١).

ثم ذكر القرطبي فقال: يعني الذين أشار إليهم ابن أبي بكر في قوله: أحيوا إلى مشايخ قريش، وهم المعنيون بقوله: (وَقَدْ خَلَّتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي)، فأما ابن أبي بكر عبد

(٢٤) جامع البيان، (١١/٢٨٨).

(٢٥) تفسير ابن كثير، (٤/١٥٩).

(٢٦) سورة الأحقاف، الآية (١٦).

(٢٧) الكشاف، (٤/٢٩٦).

(٢٨) إبليس: إبليس والبلس في لغة العرب من لا خير عنده، وأبلس: يئس وتحير، انظر: عالم الجن والشياطين، (ص ١٢-١٣)، قال ابن عباس: كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل، وكان من سكان الأرض، ومن أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وكان من حي يقال لهم: الجن، وقال أيضاً: كان إبليس من أشرف الملائكة، وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، ثم خالف الأمر، واعترض على الرب عز وجل، وأخطأ في قوله، وابتعد من رحمة ربه، وأنزل من مرتبته، ويقول ابن كثير في ذلك: قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم، لأنه مخلوق من نار وهم من نور، فخانه طبعه في أحوج ما كان إليه، ورجع إلى أصله الناري. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١/٥٥-٥٦).

(٢٩) سورة ص، الآية (٨٥).

(٣٠) فتح القدير، (٥/١٩).

(٣١) زاد المسير، (٧/١٣٩).

الله أو عبد الرحمن فقد أجاب الله فيه دعاء أبيه في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٣٢).
على ما تقدم. ومعنى: (حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ)، أي وجب عليهم العذاب (في أمم)، أي مع
أمم (قَدْ خَلَتْ)، تقدمت ومضت، (مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ)، الكافرين^(٣٣). ولخص
الزجاج معنى الآية بقوله: والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق^(٣٤)، قوله: (إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ)، قرأ ابن السميع^(٣٥)، وأبو عمران^(٣٦): (أَنْتَهُمْ) بفتح الهمزة^(٣٧)، وقرأ عن

(٣٢) سورة الأحقاف، الآية (١٥).

(٣٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٩٨/١٦).

(٣٤) معاني القرآن وإعرابه، (٤٤٤/٤).

(٣٥) ابن السميع: هو محمد بن عبد الرحمن بن السميع بفتح السين، أبو عبد الله اليماني، له اختيار في
القراءة ينسب إليه شذ فيه، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد بن أبي البرهسم، وقيل إنه قرأ على نافع وقرأ أيضاً
على طاوس بن كيسان، قرأ عليه إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف. انظر: غاية النهاية في طبقات
القراء، (١٦١-١٦٢).

(٣٦) أبو عمران: هو أبو عمران الفاسي، وهو موسى بن عيسى بن أبي حاج، العلامة أبو عمران الفاسي
المغربي، المالكي، الأصولي، المقرئ، شيخ القيروان، تفقه على أبي الحسن القابسي، وهو أجل أصحابه،
وأخذ علم الأصول والكلام عن أبي بكر بن الباقلاني، انتهت إليه رئاسة العلم بالقيروان، وتخرج به الأصحاب،
أخذ عنه الناس من أقطار المغرب. كان مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وتوفى بالقيروان في الثالث
عشر من رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة. انظر: طبقات القراء، للذهبي، تحقيق د. أحمد خان، (٥٩٠/٢).
(٣٧) زاد المسير، (١٣٩/٧).

أبي عمرو^(٣٨) كذلك^(٣٩). وقرأ نافع^(٤٠) وابن كثير وابن عامر وعاصم وكذا أبو جعفر^(٤١) (عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بضم الميم وكسر الهاء^(٤٢).

والمراد بالقول: إن أولئك القائلين هذه المقالة هم الذين وجب عليهم العذاب، واستحقوا غضب الله في جملة أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، وهذا يقتضي أن الجن يموتون قرناً بعد قرن كالإنس^(٤٣). وعليه فإن قتادة محق في اعتراضه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾^(٤٤) بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

الآية: ٢٠

النص: ٢٢/٢٢ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ)، قرأ يزيد حتى بلغ: (وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)، تعلمون والله إن أقواماً يسترطون^(٤٥) حسناتهم. استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله.

(٣٨) أبي عمرو بن العلاء: إمام القراء في البصرة، ولد بمكة سنة ٦٨هـ، نشأ بالبصرة، توفى سنة ١٥٤هـ. انظر: طبقات القراء، (٤٤٤/١).

(٣٩) روح المعاني، (٢١/٢٦).

(٤٠) نافع: هو نافع بن عبد الرحمن المدني، ابن أبي نعيم الليثي، أحد أصحاب القراءات السبعة الصحيحة، نشأ بالمدينة، يروى عنه أنه أخذ علم القراءة عن سبعين من التابعين، توفى سنة ١٦٩هـ - ٧٨٥م. انظر: تاريخ التراث، (٣٢/١).

(٤١) أبو جعفر: الإمام أبو جعفر القارئ: هو يزيد بن القعقاع المدني الإمام أحد العشرة، ثقة، وكان رجلاً صالحاً، يقرئ الناس بالمدينة، وتوفى عن نيف وتسعين سنة، رحمه الله تعالى. انظر: طبقات القراء، للذهبي (٤٩/١ - ٥٣).

(٤٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي، الشهير بالبناء، المتوفى سنة (١١١٧هـ)، رواه وصححه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، (ص ١٢٤).

(٤٣) التفسير المنير، (٤٤/٢٦).

(٤٤) (عذاب الهون): الهون والشدة، أصابه هون شديد، أي شدة ومضرة وعوز. والهون: الخزي. انظر: لسان العرب، لابن منظور، (مج ١١٢/١٥ - ١١٣).

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٠٠/١٦).
- وابن كثير في تفسيره (١٦٠/٤).
- وعبد الرازق في تفسيره (٢١٧/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦). وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (عَلَى النَّارِ) يقال لهم: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) فيها: (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ)، يقول: فالיום أيها الكافرون الذين أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا تجزون: أي تتأبون عذاب الهوان، وذلك عذاب النار الذي يهينهم، (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)، يقول: بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الأرض على ربكم، فتأبون أن تخلصوا له العبادة^(٤٦). وقال أبو مجلز: ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا فيقال لهم: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)، وقوله عز وجل: (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)، فجوزوا من جنس عملهم، فكما نعموا أنفسهم واستكبروا عن إتباع الحق جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الإهانة والخزي^(٤٧).

وعن عمر رضي^(٤٨) الله تعالى عنه: لو شئت لدعوت بصلائق^(٤٩)

(٤٥) يسترطون: سَرَطٌ - سَرَطٌ - سَرَطٌ - سَرَطٌ، وتسَرَطٌ واسترَطَ الشيء: ابتلعه، وإنسَرَطَ الشراب في حلقة: سار سيراً سهلاً. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، (ص ٣٣٠)، وفي المثل: لا تكن حُلواً فتسترط، ولا مرأاً فتعقى أي تُرمى من الفم للمرارة. انظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص ٢٩٥).

(٤٦) جامع البيان، (٢٨٨/١١ - ٢٨٩).

(٤٧) تفسير ابن كثير، (١٦٠/٤).

(٤٨) عمر بن الخطاب: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان إليه السفارة في الجاهلية. وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٥١٨/٢ - ٥١٩).

وصناب^(٥٠) وكرaker^(٥١) وأسمنة^(٥٢)، ويكني رأيت الله تعالى نعي على قوم طبيباتهم، فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَبِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)^(٥٣).

وقال الكلبي: المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعاش^(٥٤). ويروى عن عمر رضي الله تعالى عنه، رأى في يد جابر^(٥٥) بن عبد الله رضي الله تعالى عنه درهماً، فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لأهلي لحماً قرموا إليه، فقال: أكلما اشتهيت شيئاً اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هذه الآية: (أَذْهَبْتُمْ طَبِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)^(٥٦)؟ قال الزجاج: أكثر القراءة الفتح في النون والتخيم في النار، وأكثر كلام العرب على إمالة الألف إلى الكسر، في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(٤٩) صلاتق: الصلائق قيل هي الرقاق. وقيل هي: اللحم المشوي النضيج. انظر: لسان العرب، لابن منظور، (مج ٢٧٢/٨).

(٥٠) صناب: الصناب: ضباغ يتخذ من الخردل والزبيب. انظر: القاموس المحيط، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ٢٢/٣/١٩٩٨م، دمشق، (ص ١٠٦).

(٥١) كراكر: كركر عن ذلك أي رجع، وقد كركرته عني كركرة، إذا دفعته ورددته، ومنه حديث عمر: (ما أجهل عن كراكر وأسمنة)، يريد إحضارها للأكل، فإنها من أطيب ما يؤكل من الإبل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (٥٤٤-٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، (٤/١٦٦).

(٥٢) أسمنة: سنام البعير والناقة: أعلى ظهرها، والجمع أسمنة، والسنام خيار ما في البعير. انظر: لسان العرب، (مج ٢٧٦/٧).

(٥٣) الكشاف، (٤/٢٩٧).

(٥٤) فتح القدير، (٥/٢٠).

(٥٥) جابر بن عبد الله: هو ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب، الإمام الكبير، الحافظ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه، من أهل الرضوان، عاش ٩٤ سنة، كان عمره يوم بدر ١٨ سنة، مات سنة ٧٨هـ، اتفق له الشيخان على ٥٨ حديث، انفرد البخاري له بـ ٢٦ حديث، ومسلم بـ ٢٦ حديثاً. انظر: سير أعلام النبلاء، (٣/١٨٩-١٩٤).

(٥٦) روح المعاني، (٢٦/٢٣).

عَلَى النَّارِ)، وبها يقرأ أبو عمرو، (عَلَى النَّارِ) يختار الكسر في الراء، لأن الراء عندهم حرف مكرر، فكأن كسرتة كسرتان^(٥٧).

قرأ ابن كثير: (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة واحدة مطولة، وقرأ ابن عامر: (أَذْهَبْتُمْ) بهمزتين^(٥٨).

وقال ابن العربي^(٥٩): على المرء أن يأكل ما وجد طيباً، وقد كان صلى الله عليه وسلم يشبع إذا وجد ويصبر إذا عدم، فأما اليوم عند استيلاء الحرام فالخلاص عسير، والله يهب الإخلاص، ويعين على الخلاص برحمته^(٦٠).

أوضح المفسرون أعلاه أن الأشياء الطيبة اللذيذة غير منهي عنها، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٦١). ولكن التقشف دأب الصالحين لنلا يشتغل بغير المهم عن الأهم، وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة، وهم يرقعون ثيابهم بالأدم^(٦٢)، ما يجدون لها رقاعاً، فقال: (أنتم اليوم خير أم يوم يغدوا أحدكم في حُلَّة، ويروح في أخرى، ويغدي عليه بجفنة، ويراح بأخرى، ويستتر البيت كما تستر الكعبة؟)، قالوا: نحن يومئذٍ خير، قال: (بل أنتم اليوم خير)^(٦٣). والخلاصة أن الآية للنعي على الكفار الذين يعذبون بالنار، وأن استمتاعهم

(٥٧) معاني القرآن وإعرابه، (٤/٤٤٤).

(٥٨) انظر: حجة القراء، للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (ص ٦٦٥).

(٥٩) أبو بكر بن العربي: أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر المعارفي الأندلسي، المعروف بابن العربي، ولد سنة (٤٦٨هـ) وتوفي سنة (٥٤٣هـ)، القاضي الإمام، المتبحر، خاتمة علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، من كتبه: "أحكام القرآن، وشرح الترمذي، وشرح الموطأ". انظر: تذكرة الحفاظ، (٤/١٢٩٤-١٢٩٨).

(٦٠) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، (٤٦٨-٥٤٣هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الفكر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٤/١٦٩٩).

(٦١) سورة الأعراف، الآية (٣٢).

(٦٢) الأدم: قيل هو من أدم الأرض، وهو لونها، وبه سمي آدم عليه السلام، وقيل هي: باطن الجلد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٣٢).

(٦٣) أخرجه الطبري في تفسيره، (١١/٢٨٨-٢٨٩).

بالطيبات في الدنيا ليحرموا منها في الآخرة، عدلاً من الله وفضلاً ورحمة، وليس في الآية أن كل من أصاب الطيبات المباحات في الدنيا، فإنه لا يكون له منها حظ في الآخرة، والمؤمن يؤدي بإيمانه شكر المنعم، فلا يوبخ بتمتعه بالدنيا، وعلى كل حال كان السلف الصالح يؤثرون التقشف في الدنيا، ليكون ثوابهم في الآخرة أكمل، أما التمتع بزخارف الدنيا المباحة فليس ممنوعاً^(٦٤).

النص: ٢٣/٢٣: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة، قال: (إنما كان طعامنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الأسودين: الماء والتمر، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ولا ندري ماهي).

٢٨٩/١١

النص: ٢٤/٢٤: قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي بردة^(٦٥) بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه^(٦٦) قال: أي بني لو شهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف.

٢٨٩/١١

النصوص: ٢٣/٢٣، ٢٤/٢٤: تقدمت دراستهما وتخريجهما في النص رقم:

٢٢/٢٢.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(٦٧) وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(٦٤) التفسير المنير، (٤٧/٢٦ - ٤٩).

(٦٥) أبي بردة: هو أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عامر بن عبد الله بن قيس، سمع أباه وعلياً، روى عنه الشعبي وأبو اسحق. انظر: الكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق: عبدالرحيم محمد أحمد القشقرى، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المجلي العلمي - إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (١/١٤٩).

(٦٦) أبيه: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن جماهر بن الأشعر، أبو موسى الأشعري، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية، ومناقبه وفضائه كثيرة جداً، مات سنة أربع وأربعين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٠/٤٢٥-٤٢٩).

(٦٧) الأحقاف: جمع الحقف أي الرمل المائل. انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ١٢٦).

الآية: ٢١

النص: ٢٥/٢٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ)، ذكر لنا أن عاداً^(٦٨) كانوا حياً باليمن^(٦٩) أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر^(٧٠).

٢٩١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٦٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٠٣/١٦).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢١٧/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأذكر يا محمد لقومك الرادين عليك ما جئتهم به من الحق هوداً^(٧١) أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوفهم

(٦٨) عاد: من العرب العاربة، البائدة، وهم: بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ويقال لعاد هؤلاء: عاد الأولى، وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو الرمل ما بين عمان إلى الشحر، إلى حضرموت، إلى عدن أبين. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، تأليف: عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٦٨/هـ ١٩٦٨ م (٧٠٠/٢).

(٦٩) اليمن: سميت اليمن لتيامنهم إليها، ويقال أن الناس كثروا بمكة، فلم تحملهم، فالتأمت بنو يمن إلى اليمن، وهي أيمن الأرض، فسميت بذلك، حدودها بين عُمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشجر، حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة وبينونة بين عمان والبحرين، وليست بينونة من اليمن، وقيل: حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين، واليمن تجمع ذلك كله. انظر: معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، (مج ٤٤٧/٥).

(٧٠) الشحر: قيل الشحر: الشط. هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان، قد نسب إليه بعض الرواة، وإليه ينسب العنبر الشحري، لأنه يوجد في سواحلها. انظر: المصدر السابق (مج ٣٢٧/٣).

(٧١) هود عليه السلام: هو هود بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: ابن عوص بن أرم، بن سام بن نوح، كان هود من قبيلة يقال لها الخلود، وكان من أوسطهم نسباً، وأصبحهم وجهاً، وكان في مثل أجسادهم، أبيض، طويل اللحية، فدعا قومه إلى عبادة الله، وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس، فأبوا ذلك، وكذبوه. انظر: قصص الأنبياء، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار، مؤسسة الحلبي وشركاءه للنشر والتوزيع، القاهرة، يطلب من دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، (ص ٤٩ - ٥١).

أن يحل بهم من نعمة الله على كفرهم ما حل بهم إذ كذبوا رسولنا هوداً إليهم، إذ أنذر قومه عاداً بالأحقاف، والأحقاف: جمع حقف، وهو من الرمل لما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وإياه عنى الأعشى^(٧٢):

فبات إلى أرطاة حقف تلقه * خريق شمال يترك الوجه أقتما^(٧٣)**

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف على أقوال:

أولاً: هي جبل بالشام، قاله ابن عباس والضحاك.

ثانياً: هي واد بين عُمان^(٧٤) ومهرة^(٧٥). قاله ابن إسحاق^(٧٦).

(٧٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس، وهو من سعد بن ضبيعة بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير، كان جاهلياً قديماً، وأدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: إنه يحرم الخمر والزنا، فقال: أتمتع منهما سنة، ثم أسلم! فمات قبل ذلك بقرية باليمامة، ويسمى (صناجة العرب)، وكان الأعشى يفر على ملوك فارس، ولذلك كثرت الفارسية في شعره. (انظر الشعر والشعراء، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ١/١٧٨ - ١٧٩).

(٧٣) ورد البيت في ديوان الأعشى والتي مطلعها:

ألم خيال من قتيلة بعدما * وهي حبلها من حبلنا فتصرما**

والتي يمدح فيها إياس بن قبيصة الطائي، (ورويت في مدح قيس بن معد يكرب).

الشرح: الأرطاة: من الأشجار الضخمة، الحقف: ما اعوج وانعطف من الرمل. الخريق: الريح الشديدة الهبوب. أقتم: أغبر، قاتم. انظر: ديوان الأعشى، تحقيق لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني، بإشراف: كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، د.ت، (ص ١٩١)

(٧٤) عُمان: بلد في طرف الشام، وكانت قصبه أرض البلقاء، وفي الترمذي: من عدن إلى عمان البلقاء، والبلقاء بالشام، وقيل إن عمان في مدينة دقيانوس وبالقرب منها الكهف والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم. وعمان ذات قرى ومزارع، وهي معدن الحبوب والأنعام، بها عدة أنهار، وقصر جالوت على جبل يطل عليها. انظر: المصدر السابق، (مج ١٥١/٤).

(٧٥) مهرة: تقع باليمن وهي قبيلة مهرة بنت حيران بن عمرو بن الحاف بن قضاة تنسب إليه الإبل المهرية، وبينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت، وطولها أربع وستون درجة، وعرضه سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة في الإقليم الأول. انظر: معجم البلدان (مج ٢٣٤/٥).

(٧٦) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل ابن كوثن العلامة الحافظ، الإخباري، أبوبكر، وقيل أبو عبد الله القرشي، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/٧).

ثالثاً: هي أرض، قاله مجاهد.

رابعاً: هي رمال مشرفة على البحر بالشحر، قاله قتادة^(١).

وقال ابن زيد: الأحقاف جمع حقف، وهو الجبل من الرمل. وقال عكرمة:
الأحقاف الجبل والغار. وقال علي بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنه: الأحقاف واد
بحضرموت^(٣) يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار^(٤).
واتفق عطاء مع قتادة فيما قال^(٥)، وكذا الزمخشري^(٦)، وما قاله هؤلاء المفسرون
قاله الألويسي^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والقرطبي^(٩)، والرازي^(١٠)، وكذا البغوي^(١١).

(١) جامع البيان (١١/٢٩٠ - ١٩١).

(٢) علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته فاطمة، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهو رابع الخلفاء الراشدين، أول خليفة من بني هاشم، أول من أسلم من الأحداث، كان بجرأ في العلم، قوي الحجة، سليم الاستنباط، كان فصيحاً وخطيباً، وكان ذو عقل ناضج، أحد المبشرين بالجنة، توفي في رمضان سنة ٤٠ هـ مقتولاً بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وعمره ٦٣ سنة. انظر: التفسير والمفسرون، تأليف: د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة: ١٤ شارع الجمهورية، عابدين: القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (١/٨٨).

(٣) حضرموت: تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، وهي ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف؛ وبها قبر هود عليه السلام، وبقيتها بئر برهوت، وبها مدينتان يقال لأحدهما: تريم، وللأخرى: شبام، وعندها قلاع وقرى. انظر: دراسات في تاريخ العرب القديم، تأليف: د. محمد بيومي مهران، الطبعة الثانية: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، المكتبة التاريخية، المملكة العربية السعودية، (ص ٢٣٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٦٠).

(٥) فتح القدير (٥/٢١).

(٦) الكشف (٤/٢٩٨).

(٧) روح المعاني (٢٦/٢٤).

(٨) زاد المسير (٧/١٤٠).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٠٣ - ٢٠٤).

(١٠) مفاتيح الغيب (٢٨/٢٤).

(١١) معالم التنزيل (٧/٢٦٢).

وقال الفراء: أحقاف الرمل، واحدها: حِقْف، والحِقْفُ: الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق^(١).

وقوله: (إِنِّي أَخَافُ) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء^(٢).

وقال الزجاج: أي قد أُنذروا بالعذاب إن عبدوا غير الله فيما تقدم قبل إنذار هود، وعلى لسان هود عليه السلام^(٣).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة^(٤).

النص: ٢٦/٢٦ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (وَأَذْكَرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ)، قال: بلغنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشحر، مشرفين على البحر، وكانوا أهل رمل.

.٢٩١/١١

النص رقم: ٢٦/٢٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٥/٢٥.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا^(٥) مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية: ٢٤.

النص: ٢٧/٢٧ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ...) الآية، وذكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زماناً فلما رأوا العذاب مقبلاً (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) وذكر لنا

(١) معاني القرآن، (٥٤/٣).

(٢) النشر في القراءات العشر، (٣٧٣/٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، (٤٤٥/٤).

(٤) جامع البيان، (٢٩١/١١).

(٥) عارض: العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٢١٣/٣)، أي يخص بالسحاب. انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٣٣٠).

أنهم قالوا: كذب هود، كذب هود، فلما خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فشامه^(١) قال: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ).

.٢٩٣ - ٢٩٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه أحمد في مسنده (١٦٧/١٦).
- والترمذي في سننه (٣٨٢/٥).
- وابن كثير في تفسيره (١٦٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٠٦/١٦).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء (مُسْتَقْبِلِ أَوْدِيَّتِهِمْ)، والعرب تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشياً، ثم يصبح من الغد قد استوى وحبا بعضه إلى بعض عارضاً، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء، حيث نشأ، (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)، ظناً منهم برؤيتهم إياه أن غيثاً قد أتاهم يحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هود يعدنا، وهو الغيث، وقوله: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ)، يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول نبيه هود عليه السلام: ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم^(٢). وعارض: (عَارِضًا مُّسْتَقْبِلِ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا): أي قالوا هذا الذي وعدنا به سحاب فيه الغيث^(٣).

وقال ابن كثير في معنى الآية: أي لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض مطر، ففرحوا واستبشروا به، وكانوا في حاجة إليه، فقال تعالى: بل هو

(١) فشامه: المُشَامَةُ: مُدَانَاةُ الْعَدُوِّ وَالصَّيْرُورَةُ بِحَيْثُ يَرَاكَ وَتَرَاهُ. علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حين برز لعمر بن عبدود: أُخْرِجْ إِلَيْهِ فَأُشَامَهُ قَبْلَ الْلِقَاءِ. انظر: الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (٢٦٣/٢).

(٢) جامع البيان، (٢٩٢/١١ - ٢٩٣).

(٣) لسان العرب، (١٧٤/٧).

العذاب الذي قلت: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١)(٢). وهكذا قال الزمخشري^(٣). وبنفس المعنى عبر الشوكاني، فقال: كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياماً، فساق الله إليهم سحابة سوداء، فخرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له المعتب، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا فأجابهم هود بل هو العذاب، والريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه^(٤).

قال ابن عباس: أول ما رأوا العارض قاموا فمدوا أيديهم، فأول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء والأرض مثل الريش، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام حسوماً^(٥)، ولهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر^(٦). وذهب ابن حيان^(٧) إلى ما قاله المفسرون^(٨)، وكذلك ذهب إلى هذا المعنى وهبة الزحيلي^(٩).

(١) سورة الأحقاف، الآية (٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٦٠).

(٣) الكشاف (٤/٢٩٩).

(٤) انظر فتح القدير (٥/٢٢).

(٥) حسوماً: وهي المتتابعة، ويقال: الحسوم الشؤم، ويقال: سميت حسوماً لأنها حسمت الخير عن أهلها. انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، (مج ٢/٥٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٠٦).

(٧) ابن حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ولد بمطخشارش، مدينة حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة. وله يد طولي في التفسير والحديث، وله من التصانيف: البحر المحيط في التفسير، واتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، مات بالقاهرة في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية. انظر: طبقات المفسرين، للداودي، (٢/٢٨٦-٢٩٠).

(٨) البحر المحيط (٨/٦٤).

(٩) التفسير المنير، (٢٦/٥٣ - ٥٤).

فرح قوم عاد بهذا السحاب المستقبل لأوديتهم، ظانين أنه يحمل لهم المطر الذي يفرحون به، ولكن أنى لهم ذلك وإذ بها ريح ليس فيها مطر خير، وإنما فيها عذاب، فهي تدمر كل شيء ولكن بأمر ربها، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم لتكون عبرة لمن بعدهم، وذلك الجزاء الذي يستحقه كل مجرم^(١).

لم يختلف قتادة مع المفسرين في معنى الآية، ونقول إن مثل هذه العقوبة يعاقب بها المشركون والكفار في كل زمان ومكان، وما أكثر ما يسمى بالكوارث الطبيعية في هذا العصر من البراكين والزلازل والأعاصير المدمرة، ومن هذا ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأته عرف في وجهك الكراهية"، فقال: (يا عائشة ما يؤمّني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا))^(٢).

التاريخ يعيد نفسه! فرياح صرصر هذا العصر تمثل في موجة إعصار مدمرة، سميت بأمواج تسونامي، وقيل هي: موجة ضخمة محيطية تحتوي على سلسلة من الأمواج وقدرها هائلاً من المياه تسببها الزلازل والبراكين، أو حتى بإرتطام الأجرام السماوية كبيرة الحجم بالبحر، وقيل: عندما يتغير انسجام قاع البحر نتيجة التغيرات الطبيعية كالزلازل وخلافه، وحدوث إما تقعر أو تحذب في قعر البحر، ينجم خلاله اضطراب في كمية المياه فوق المنطقة المنكوبة.

وأصل الكلمة ياباني، وتعني: "موجة الميناء"، "ميناء = تسو"، "موجة = نامي"، ففي ٢٦/ديسمبر/٢٠٠٤م ضربت موجة مد عاتية شواطئ كل من إندونيسيا،

(١) القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (ص ١٠٠)

(٢) أخرجه مسلم في الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، برقم (٨٩٩)، (٦١٦-٦١٧) انظر: صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: لبنان، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، حققه: محمد فؤاد عبدالباقي.

والهند، وسيريلانكا، وخلفت كما هائلاً من الدمار، كانت الصورة بحق مهيبة، موجات متتابعة طغت فجأة على مناطق شاسعة مأهولة بكل أشكال الحياة، لتغمرها في لحظات، محيلة إياها إلى بحر هادر، ليس قوامه الماء، أو الكائنات البحرية كما هو معتاد، بل أشلاء ضحايا وحطام بيوت وأطلال مدن، وقرى بائدة، مخلفاً بذلك مأساة إنسانية رهيبة وكارثة مروعة، يصعب أن تُحى من الذاكرة^(١).

لا شك أن هذا التصريف للرياح أمر يدعو للتأمل، سبحانه يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته، ويرسلها أحياناً عذاباً وانتقاماً من القوم الظالمين، والله الأمر من قبل ومن بعد، وندعوه سبحانه أن يقينا شر الرياح ويعطينا خيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ^(٢) بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

الآية: ٢٦

النص: ٢٨/٢٨ حدثنا بشر بن قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ)، أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

٢٩٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٦٢/٤).
- والزمخشري في تفسيره (٣٠٠/٤-٣٠١).

دراسة النص:

(فِيمَا إِنْ): أي في الذي ما مكناكم فيه، وقيل "إن" زائدة^(١).

(١) WWW. Aljazeera.net/KnowledgeGate

(٢) حاق: أحاق به الشيء: يجيق، أي: أحاط به، وحاق بهم العذاب، أي أحاط بهم ونزل. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (١٤٦٦/٤).

يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكنا أيها القوم عاداً الذين أهلكتناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال ، وبسطة الأجسام، وشدة الأبدان^(٢). ومعنى هذه الآية عند ابن كثير هو: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريباً منه، إلا أنهم جحدوا بآيات الله، فأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه^(٣).

أورد هذا القرطبي^(٤) والزمخشري^(٥)، وقال الشوكاني: عاد مكنا في الأرض أفضل مما مكنت فيه هذه الأمة، وكانوا أشد قوة وأكثر أموالاً وأطول أعماراً^(٦). ووافقهم الآلوسي^(٧). وقال الرازي: والمعنى أنا فتحنا عليهم أبواب النعيم وأعطيناهم سمعاً فما استعملوه في سماع الدلائل، وأعطيناهم أبصاراً فما استعملوها في تأمل العبر، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها.

فلا جرم ما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئاً^(٨). وأتبعه ابن الجوزي^(٩). و(حاق) قراءة الإمالة فيه عن حمزة^(١٠).

هذا استخلاص لموعظة المشركين بمثل عاد، ليعلموا أن الذي قدر على إهلاك عاد قادر على إهلاك من هم دونهم في القوة والعدد، وليعلموا أن القوم كانوا

(١) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني المعروف بابن التركماني، تحقيق خالد محمد خميس، إشراف ومراجعة د. أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (١٠٢/٢).

(٢) جامع البيان (٢٩٤/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٦٢/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٨/١٦).

(٥) الكشف (٣٠٠/٤ - ٣٠١).

(٦) فتح القدير (٢٣/٥).

(٧) روح المعاني (٢٧/٢٦ - ٢٨).

(٨) مفاتيح الغيب (٢٥/٢٨).

(٩) زاد المسير (١٤١/٧).

(١٠) إتحاف فضلاء البشر (ص ٣٩٢).

مثلهم مستجمعين قوى العقل والحس، وأنهم أهملوا الانتفاع بقواهم فجددوا بآيات الله واستهزؤوا بها وبوعيده، فحاق بهم ما كانوا يستهزئون به، وقريش يعلمون أن حالهم مثل الحال المحكية عن أولئك فليتهيأوا لما سيحل بهم^(١). كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مِثْلُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

الآية: ٢٩.

النص: ٢٩/٢٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)، قال: (ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوي^(٤))، قال: فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجن، فأيكم يتبعني؟ فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة، فاطرقوا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه، فاتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل رسول الله صلى الله عليه

(١) التحرير والتنوير، (٥١/٢٦ - ٥٢).

(٢) سورة الروم، الآية (٩).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٨).

(٤) نينوي: في مقابلة الموصل، وبينهما دجلة، وهي بين قردي ومارندي من كور الموصل، ونينوي في وقتنا هذا مدينة خراب، فيها قرى ومزارع لأهلها، وإلى أهلها أرسل الله يونس بن متى، وأثار الصور فيها بيينة واضحة، أصنام من حجارة مكتوبة على وجوهها، وظاهر المدينة تل عليه مسجد، وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه الصلاة والسلام. ويأوي إلى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد. انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، (٢١٣/١)، وجن نينوي: هي من ديار بكر لكنها قريبة من الموصل. انظر: روح المعاني، للألوسي، (٣٠/٢٦).

وسلم شعباً يقال لها شعب الحجون. قال: وخط نبي الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطأً ليثبت به، قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النور تمشي في دفوفها؟ وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلا القرآن، فلما رجع نبي الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا نبي الله ما اللغظ الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إلي في قتل كان بينهم، فقضيت بينهم بالحق، وذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزط، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما رأيت للذين قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم من الجن شبيهاً أدنى من هؤلاء).

٢٩٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٦٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢١٠-٢١١/١٦).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢١٨/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره مقرّراً كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجن (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ)، يا محمد، (نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)، ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذي حدث من رجمهم بالشهب^(١). وقد ذكر السيوطي إن سبب نزول هذه الآية هو أن الجن هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

قال تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)، أي بنخلة^(٣)، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٤). قال سفيان: ألبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض، وقال ابن عباس: أنهم

(١) جامع البيان (٢٩٦/١١).

(٢) إن الجن هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أدهم زوبعة، فانزل الله: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) إلى قوله: (ضَلَالٍ مُّبِينٍ). انظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٧٦).

(٣) نخلة: بطن نخل هو المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، وهو مكان من نجد من أرض عطفان، هكذا قاله الجمهور، وقال الحازمي: بطن نخلة قرية بالحجاز، ولا مخالفة بينهما. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، (الجزء الأول من القسم الثاني/٣٨).

(٤) سورة الجن، الآية (١٩).

سبعة من جن نصيبين^(١)(٢)، وقال الزمخشري في معنى قوله: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك لأنهم جماعة، والنفر: دون العشرة، (فَلَمَّا حَضَرُوهُ)، أي: فلما كان بمسمع منهم، (قَالُوا أَنْصِتُوا)، اسكتوا مستمعين، وذلك أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء، ورجموا بالشهب، قالوا: ما هذا إلّا لنبا حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن نصيبين أو نينوي فضربوا حتى بلغوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة، فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقراءته، وذلك عند منصرفه من الطائف^(٣) حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف^(٤)(٥).

أما ابن الجوزي قال: في سبب صرفهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة

أقوال:

أحدها: أنهم صرفوا إليه بسبب ما حدث من رجمهم بالشهب.

والثاني: أنهم صرفوا إليه لينذرهم، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن.

والثالث: أنهم مروا به وهويقرأ، فسمعوا القرآن^(٦).

(١) نصيبين: هي مدينة مشهورة بالجزيرة فيها كثير من العلماء. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، (الجزء الأول من القسم الثاني/١٧٦)، وحن نصيبين: هي من ديار بكر قريبة من الشام. انظر: روح المعاني (٣٠/٢٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/١٦٢)، وفتح القدير، (٥/٢٦ - ٢٧).

(٣) الطائف: بلد معروف على مرحلتين من مكة في جهة المشرق. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للإمام زكريا محي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، (الجزء الأول من القسم الثاني/١٩٢).

(٤) قبيلة ثقيف: بطن من هوازن، من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم: ثقيف، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، وهو بطن متسع، وكانت منازلهم بالطائف، وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة في شرقها وشمالها، وكانت في القديم للعمالقة، ثم نزلتها ثمود قبل وادي القرى، ومن هنا قيل: إن ثقيفاً كانت من بقايا ثمود، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي. انظر: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تأليف أبي العباس أحمد القلقشندي (٧٥٦هـ - ٨٢١هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الناشر دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (ص ١٩٨ - ١٩٩).

(٥) انظر الكشاف، (٤/٣٠٣)، وروح المعاني، (٢٦/٣٠-٣١)، والجامع لأحكام القرآن، (١٦/٢١٠ - ٢١١)، ومفاتيح الغيب، (٢٨/٢٧ - ٢٨).

(٦) زاد المسير، (٧/١٤٢ - ١٤٣).

وقال الزجاج: قال بعضهم لبعض: صه، ومعنى صه: اسكت. وقوله: (فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ): أي فلما تلي عليهم القرآن حتى فرغ منه^(١). واتفق النسفي^(٢) والثعالبي^(٣) مع هؤلاء المفسرين على ما قالوه: قال أبو حيان: في قوله تعالى: (وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)، تفرقوا على البلدان يندرون الجن. قال قتادة: ما أسرع ما عقل القوم^(٤).

قرأ (وَإِذْ صَرَفْنَا) بإدغام الذال في الصاد أبو عمرو^(٥).

إن المقصود من الآية توبيخ مشركي قريش على عدم إيمانهم، فإن الجن سمعوا القرآن، فأمنوا به، وعلموا أنه من عند الله، فما بالكم أيها المشركون، وأمثالكم تعرضون وتصرون على الكفر؟! ودلت هذه القصة على أن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الإنس والجن معاً^(٦). ووقعها أثر قصة هود وقومه لأن أولئك كانوا ذوي شدة وقوة كما حكى عنهم القرآن، والجن توصف بذلك أيضاً كما قال تعالى: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾^(٧)، فناسبت ما قبلها فإن قصة عاد متضمنة ذكر الريح، وهذه متضمنة ذكر الجن وكلاهما من العالم الذي لا يشاهد^(٨). فالجن مخلوق من النار لقول إبليس في الحديث عن آدم^(٩): ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

(١) معاني القرآن وإعرابه، (٤/٤٤٧).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٣/٣٥٩).

(٣) جواهر الحسان في تفسير القرآن، (٤/١٥٧).

(٤) البحر المحيط، (٨/٦٧).

(٥) النشر في القراءات العشر، (٢/٣).

(٦) التفسير المنير، (٦٤/٢٦ - ٦٥).

(٧) سورة النمل، الآية (٣٩).

(٨) روح المعاني، (٣٠/٢٦).

(٩) آدم عليه السلام: هو إن الله تعالى أخبر ملائكته أنه سيخلق بشراً من طين، وأمرهم إذ سواه، ونفخ فيه من روحه أن يقعدوا له ساجدين سجود تكريم بالطبع لا سجود عبادة، لأن الله لا يأمر أحداً أن يتوجه بالعبادة إلى سواه. وبعبارة أخرى كان ذلك احتقلاً بتمام تكوين آدم بشراً سوياً - سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون - متغير - حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً - يصل إذ ضرب - كالفخار نفخ فيه من روحه، فإذا هو إنسان حي من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بإرادته ويدرك، فسجد

وأن هذا الخلق له خصائص غير خصائص البشر منها خلقته من نار، ومنها أن يرى الناس ولا يراه الناس لقوله تعالى عن إبليس - وهو من الجن - ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٢)، وأن له قدرة على الحياة في هذا الكوكب الأرضي - لا ندري أين - لقوله تعالى لآدم وإبليس معاً: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣)، وأنه يملك التأثير في إدراك البشر وهو مأذون في توجيه الضالين منهم - غير عباد الله - ولكننا لا نعرف كيف يوسوس ويوجه وبأي أداة.

لقد كان إذن تدبيراً من الله أن يصرف هؤلاء النفر من الجن إلى استماع القرآن لا مصادفة عابرة، وكان في تقدير الله أن تعرف الجن نبأ الرسالة الأخيرة كما عرفت من قبل رسالة موسى عليه السلام، وأن يؤمن فريق منهم وينجو من النار المعدة لشياطين الجن كما هي معدة لشياطين الإنس. وهذا يتضمن أسس الاعتقاد الكامل، وهو تصديق الوحي والاعتراف بالحق الذي يهدي إليه، والإيمان بالآخرة وما ينتهي إلى المغفرة وما ينتهي إلى العذاب من الأعمال، والإقرار بقوة الله وقدرته على الخلق وولايته وحده للعباد^(٤).

النص: ٣٠/٣٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، عن قتادة في قوله: (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا)، قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا.

.٢٩٩/١١

النص رقم: ٣٠/٣٠ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٢٩/٢٩.

الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، وقال: أنا خير منه خلقتي من نار وخلقته من طين، فطرده الله من الجنة. انظر: قصص الأنبياء - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - لعبدالوهاب النجار، (ص ٢).

(١) سورة ص، الآية (٧٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (٣٦).

(٤) في ظلال القرآن، بقلم: سيد قطب، دار الشروق-القاهرة، الطبعة الشرعية الأولى: ١٩٧٢م، الطبعة الشرعية الثلاثون: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م (مج ٦/٣٢٧٠ - ٣٢٧٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الآية: ٣٠

النص: ٣١/٣١ وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أنه قرأ: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)، فقال: ما أسرع ما عقل القوم، ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوي.

٣٠٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢١٧/١٦).
- والشوكاني في تفسيره (٢٤/٥).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول هؤلاء، الذين صُرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا قَوْمَنَا) من الجن، (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ) كتاب (مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)، يقول: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله. وقوله: (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ)، يقول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه لله رضا، (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)، يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه وهو الإسلام^(١). قال ابن كثير: ولم يذكروا عيسى، لأنه عيسى عليه^(٢) السلام أنزل عليه الإنجيل^(١) فيه مواظ

(١) جامع البيان، (٣٠٠/١١).

(٢) عيسى عليه السلام: إن عيسى عبد من عباد الله، خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات، وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وقال له كن فكان، سبحانه

وترقيقات، وقليل من التحليل والتحرير، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلماذا قالوا: أنزل من بعد موسى^(٢). قال عطاء: كانوا يهوداً، فأسلموا، وقال مقاتل^(٣): لم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبل محمد صلى الله عليه وسلم^(٤)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذلك قالت: من بعد موسى^(٥). وفيه بعد فإن اشتهار أمر عيسى عليه السلام وانتشار أمر دينه أظهر من أن يخفى لا سيما على الجن^(٦). وبمثلهم قال القرطبي^(٧). قال الرازي: وصفوه بوصفين:

الأول: كونه (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ). أي مصدقاً لكتب الأنبياء، والمعنى أن كتب سائر الأنبياء كانت مشتتة على الدعوة إلى التوحيد والنبوة والمعاد والأمر بتطهير الأخلاق، فكذا هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني.

وتعالى، وأمه هي مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن أليود بن أخنر بن صادق بن عيازوز بن الياقيم بن أيبود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشنا بن حزقا بن أحاز بن موثام بن عذريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن أيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها أشياع، والله أعلم. انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير دمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، (٥٦/٢).

(١) الإنجيل: كلمة يونانية معناها البشارة، أما في الاصطلاح، فيطلق على كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه السلام، بيد أن هذا الإنجيل لا وجود له عند النصارى، ولم يذكر أحد من علماء التاريخ أنه رأى نسخة منه، ويبدو أن عيسى عليه السلام لم يكتبه، وإنما كان يبشر به في بني إسرائيل، وقد ورد ذكره في الأناجيل التي ألفت بعد رفع المسيح عليه السلام. انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص ٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (١٧٠/٤).

(٣) مقاتل: مقاتل بن حيان بن دُوَال دُوُر الإمام العالم المحدث، الثقة، أبو بسطام البلخي، توفي في حدود ١٥٠هـ. سير أعلام النبلاء، (٦/٣٤٠-٣٤١).

(٤) فتح القدير، (٢٤/٥).

(٥) الكشف، (٣٠٤/٤).

(٦) روح المعاني، (٣٢/٢٦).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (٢١٧/١٦).

الثاني: قوله: (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)، يفيد أن هذه المطالب التي اشتمل القرآن عليها مطالب حقة صادقة في أنفسها، يعلم كل أحد بصريح عقله كونها كذلك، سواء وردت الكتب الإلهية قبل ذلك بها أو لم ترد^(١).
قرأ ابن كثير (يديه) (يديهي) بوصل الهاء بياء في الوصل^(٢). وقرأ حمزة والكسائي وكذا خلف (موسى)، بالإمالة^(٣).

تحدث أهل العلم عن معنى الآية الكريمة، فوافق قول قتادة مع انفراده بروايته. ويوضح معنى الآية حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحللت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأئماً رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة)^(٤).
قال مجاهد: الأحمر والأسود: الجن والإنس^(٥).

القرآن الكريم والنبراس العظيم هو آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى هو الهدى وهو النور والشفاء، هو البشير والنذير، هو البشير بكل خير والنذير من كل شر، وحيث أن القرآن الكريم بأسلوبه البديع الرائع وأسلوبه الجذاب يأخذ بمجامع القلوب شوقاً وطرباً ورجاءً وإعجاباً وفرحاً واستبشاراً تارةً، وإنذاراً وتقريعاً وخوفاً وإرهاباً تارةً أخرى. فبهذا ومن أجل هذا وغير هذا لما سمعته الجن عرفوه من عند الله حقاً،

(١) انظر مفاتيح الغيب، (٢٨/٢٨)، وزاد المسير، (١٤٣/٧)، والتحرير والتوير، (٦٠/٢٦).

(٢) إتحاف فضلاء البشر، (ص ٣٤).

(٣) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر لابن الجذري، للدكتور محمد محمد سالم محيسن، صححه السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهرية للتراث، ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف، (٣٣٦/٢).

(٤) أخرجه:

١- البخاري في: (٨) كتاب الصلاة. (٥٦) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"، حديث رقم: (٤٣٨)، (٢٢٢/١-٢٢٣).

٢- و مسلم في: (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم: (٥٢١)، (٣٧٠/١-٣٧١).

(٥) التفسير المنير (٦٦/٢٦).

فلم يترددوا ولم يتلعثموا بل آمنوا به وصدقوا، فيا مسلمون ويا عباد الله لا بد من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن، ولا بد من تحكيم القرآن^(١).

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾.

الآية: ٣٥

النص: ٣٢/٣٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) كنا نحدث أن إبراهيم^(٢) كان منهم.

٣٠٣/١١

تخريج النص:

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن، لفضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، شارع عمر بن الخطاب، (ص ٤٥٢).

(٢) إبراهيم عليه السلام: هو إبراهيم بن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابد بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وأمه أميله، وقال الكلبي: اسمها بونا بنت كرينا بن كرتي من بني أرفخشذ بن سام بن نوح، كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان، قالوا: لما كان عمر تارخ خمساً وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران وولد لها ران لوط، وأن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل. عن ابن عباس قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق، في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون، ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل. قالوا: وانطلق تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حران، وكان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام، وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذلك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولاً واتخذة خليلاً في كبره. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٣٩/١ - ١٤٠).

- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٩).
- وأخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٢/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبتة على المضي لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وأمره بالتأسي في العزم بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد^(١).

وقال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح^(٢) وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل، فتكون (من) في قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم^(٣).

وقال مجاهد: أولي العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهم أصحاب الشرائع. وقال أبو العالية: هم نوح وهود وإبراهيم فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم^(٤). وقال الزمخشري: هم نوح صبر على أذى قومه، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار، وذبح ولده،

(١) جامع البيان، (٣٠٢/١١).

(٢) نوح عليه السلام: هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام. كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة. وكان قومه يقال لهم بنو راس. انظر: البداية النهاية لابن كثير (١٠٠/١-١٠١).

(٣) تفسير ابن كثير، (١٧٢/٤).

(٤) فتح القدير، (٢٦/٥).

وإسحاق^(١) على الذبح، ويعقوب^(٢) على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف^(٣) على الجب والسجن، وأيوب^(٤) على الضر، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُذْرِكُونَ﴾^(٥)، قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٦). وداود^(٧) بكى على خطيئته أربعين سنة،

(١) إسحاق عليه السلام: هو إسحاق بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربعة عشر سنة وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة، وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز، وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوايل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه: عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم، والثاني خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه: يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل. انظر: البداية والنهاية، (١٩٣/١-١٩٤).

(٢) يعقوب عليه السلام: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، من رفقة بنت بتوايل، كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولداً ذكراً، وهؤلاء الأولاد ولدوا له وهو في فران أرام يرعى غنم خاله لابان في نظير تزوجه ابنته ليئة وراحيل، وعاد بهما بعد انقضاء الأجل - وبعد أن أخذ من غنم خاله نتاج سنة - إلى أرض كنعان إلا بنيامين، فقد ولد في كنعان. انظر: قصص الأنبياء - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب -، (ص ١٢٠).

(٣) يوسف عليه السلام: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، كان يوسف جميل الصورة، أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته وكان ذلك سبباً في حقد اخوته عليه، وسبباً في محنته التي كانت خيراً وبركة عليه وعلى الأمم القريبة من مصر، وعلى مصر. انظر: قصص الأنبياء - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - (ص ١٢٠).

(٤) أيوب عليه السلام: كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وقال غيره هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب وقيل غير ذلك في نسبه، وأمّه بنت لوط عليه السلام، وقيل: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقى في النار، فلم تحرقه، وقيل امرأته اسمها ليا بنت يعقوب، كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعييد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض خوران. وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه وابتلي في جسدها بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. انظر: البداية والنهاية (٢٢٠-٢٢١).

(٥) سورة الشعراء، الآية (٦١).

(٦) سورة الشعراء، الآية (٦٢).

(٧) داود عليه السلام: هو داود بن إيشا بن عوبر بن سلمون، وينتهي نسبه إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وقد صار إليه الملك بعد أن قتل جالوت، وجمع الله له بين الملك والنبوة.

وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال: إنما معبرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال الله تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(١)، وفي يونس^(٢): ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٣)، فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم^(٤).

وقال الحسن بن الفضل^(٥): ثمانية عشر وهو المذكورون في سورة الأنعام لأنه سبحانه قال بعد ذكرهم: ﴿فَبِهْدَاهُمْ آفْتَدِهِ﴾^(٦)^(٧). وقيل: كل الأنبياء أولو عزم إلا يونس بن متى، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولّى مغاضباً لقومه، فابتلاه الله بثلاث: سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكله، وسلط عليه الحوت فابتلعه^(٨).

وما قاله المفسرون أعلاه ذكره ابن الجوزي^(٩). وقال الرازي: أن كل الرسل أولوا عزم ولم يبعث الله رسولاً إلا كان ذا عزم وحزم، ورأى وكمال وعقل^(١٠). وقال

انظر: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، تأليف: الدكتور/ محمد الطيب النجار، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (ص ٣٣).

(١) سورة طه، الآية (١١٥).

(٢) يونس عليه السلام: هو يونس بن متى بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم. انظر: البداية والنهاية (١/٢٣١-٢٣٢).

(٣) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٤) الكشاف (٤/٣٠٥).

(٥) الحسين بن الفضل: هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي، ٧٩٤م-٨٩٥هـ، مفسر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة ومات بها. انظر: الأعلام، (٢/٢٥٢).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (٩٠).

(٧) روح المعاني (٣٤/٢٦).

(٨) الجامع لأحكام القرآن، (١٦/٢٢٠-٢٢١).

(٩) زاد المسير (٧/١٤٤-١٤٥).

(١٠) مفاتيح الغيب (٣١/٢٨).

ابن عباس: ذوو الحزم، وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر. أما الكلبي فقال: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين^(١).
 زعم بعضهم أن قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) أنها نسخت بأية السيف، ولا يصح له هذا إلا أن يكون المعنى فأصبر عن قتالهم وسياق الآيات يدل على غير ذلك، قال بعض المفسرين: كأنه ضجر من قومه، فأحب أن ينزل العذاب بمن أبي منهم فأمر بالصبر^(٢).

قرأ أبي عمرو (أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ) بالإظهار والإدغام^(٣). وقرأ المطوعي^(٤) (الرُّسُلِ) بإسكان السين^(٥).

المفسرون على خلاف في معنى قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) من هم أولوا العزم من الرسل، إلا أن جلهم أكد أن إبراهيم عليه السلام منهم، وهو ما أورده قتادة. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(٦)، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٧).

(١) معالم التنزيل (مج ٧/٢٧١).

(٢) نواسخ القرآن، لابن الجوزي، (ص ٢٢٨).

(٣) المهدب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر لابن الجذري، (٢/٣٣٦).

(٤) المطوعي: هو الحسن بن سعيد بن جعفر الأستاذ أبو العباس العباداني المطوعي المقرئ المعمر، نزيل أصطخر. ولد في حدود سبعين ومائتين، على ما قال. وكان أحد من عنى بهذا الشأن، وتبحر فيه، ولقى الكبار، وأكثر الترحال في الأقطار، وصار أسند أهل زمانه على ضعف فيه. وجمع صنف وعمر. وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات. وتوفى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وقد جاوز المائة على قوله. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (١/٣٩٧-٣٩٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر، (ص ١٤٢).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (٧).

(٧) سورة الشورى، الآية (١٣).

٣٣/٣٣ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ^(١)) تعلموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى ظهره أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله.

٣٠٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٢٢/١٦).
- وابن أبي شيبه في تفسيره (٣٩/٥).

دراسة النص:

وقوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به، ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين^(٢). وقال ابن كثير: أي لا يهلك على الله إلا هالك، وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم^(٣). وقال الزمخشري: في قوله: (فَهَلْ يُهْلَكُ) إلا الخارجون عن الإيعاظ به، والعمل بموجبه^(٤) وهو ما قاله الشوكاني^(٥)، والألوسي^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، وقال الزجاج: أنه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون^(٨).

(١) الفسق: هو العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق. انظر: لسان العرب،

لابن منظور، (مج ١١/١٨١).

(٢) جامع البيان (٣٠٣/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٢/٤).

(٤) الكشاف (٣٠٥/٤).

(٥) فتح القدير (٢٦/٥).

(٦) روح المعاني (٣٥/٢٦).

(٧) زاد المسير (١٤٥/٧).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٤٤٨/٤).

وقال القاسمي^(١): (فَهْلٌ يُهْلَكُ) أن يعذب الله إذا أنزله بمقتضى العدل والحكمة (إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ) أي الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته^(٢). أي لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى^(٣). الذين لم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل، وأعذر الله لهم، وأنذرهم، فاستمروا على تكذيبهم وكفرهم، نسأل الله العصمة^(٤).

قرأ ابن محيصة^(٥): (فَهْلٌ يُهْلَكُ) بفتح الياء وكسر اللام، وقال أبو الفتح^(٦): أما (يُهْلَكُ) بكسر اللام فواضحة، وهي المعروفة وأما (يُهْلَكُ) بفتح الياء واللام جميعاً فشاذة ومرغوب عنها^(١).

(١) القاسمي: هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (١٣٣٢هـ-١٩١٤م)، عالم ومفسر جليل إمام الشام في عصره. انظر: المعاصرين: ٥٦٠/٢. ومما صدر له بعد وفاته كتاب، محاسن التأويل، تفسير القاسمي. انظر: معجم المؤلفين المعاصرين، في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، لمحمد خير رمضان يوسف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (٥٦٣-٥٦٠/٢).

(٢) تفسير القاسمي المسمى -محاسن التأويل-، تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣هـ-١٣٣٢هـ) - (١٨٦٦م-١٩١٤م)، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر: بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، (٣٨/١٥).

(٣) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (١٤١/٩). وتفسير في نور القرآن والسنة، للدكتور: محمود النبراوي، مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (مج ٤/١٠٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الأوس، المدينة المنورة، دار الصفا للنشر والتوزيع بالزقازيق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (١٩/٥).

(٥) ابن محيصة: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي، مولاهم المكي، قارئ أهل مكة، مع ابن كثير، وحميد الأعرج، وهو في الحديث ثقة، وقد احتج به مسلم وغيره، قال أبو القاسم الهزلي: توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة. وله في الكتب حديث واحد. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (٨٩/١-٩٠).

(٦) عثمان بن جني، أبو الفتح اللغوي: عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها وأحسن منها: التلقين، واللمع، والتعاقب في العربية وغير ذلك وكان

فقول الله سبحانه وتعالى: (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) على معناه أجمع المفسرون وتشابهت أقوالهم فيه، بأنه من عدل الله ورحمته ألا يعذب إلا من خرج من طاعته ولم يعمل بأمره ونهيه. كما قال قتادة: تعلموا ما يهلك على الله إلا هالك ولي الإسلام ظهره، أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله، فكان قوله هذا مؤكداً لما تحمله الآية من معاني.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: (أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هُمْ بِحَسَنَةِ كَتَبَتْ لَهُ وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. وَأَيُّمَا عَبْدٍ هُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ كَانَ يَتَّبِعُهَا وَيَمْحُوهَا اللَّهُ وَلَا يَهْلِكُ إِلَّا هَالِكٌ)^(٢). وهذا دليل على رحمة الله وسعته بخلقه. فهذه الآية إذن أقوى آية في الرجاء.

يقول الشعر، ويجيد نظمه، وأبوه جني كان عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلية، سكن ابن جني بغداد ودرس بها العلم إلى أن مات. وكانت وفاته ببغداد على ما ذكر لي أحمد بن علي بن التوزي في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٣١١/١١ - ٣١٢). ومعجم الأدباء، (٨١/١٢).

(١) المحتسب (٢٦٨/٢).

(٢) أخرجه:

١- البخاري في: كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسئنة. انظر: صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٨٧/٧).

٢- ومسلم في: (١) كتاب الإيمان، (٥٩) باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسئنه لم تكتب. حديث رقم (١٣١)، (١١٧/١-١١٨).

٣- وأحمد بن حنبل في: (١/٢٧٩). انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤٧) سورة محمد مدنية عدد آياتها (٣٨)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

الآية: ٢

النص: ١/٣٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال: أصلح حالهم.

٣٠٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٠/٢).
- وأورده السيوطي، في الدر المنثور (١٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول تعالى ذكره: والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه، (وَأَمَّنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) يقول: وصدقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد، (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) يقول: وأصلح شأنهم ومالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي أمرهم، وقال مجاهد: شأنهم^(٢). وكذا قال القرطبي^(٣). وقال الزمخشري: أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، والنصر والتأييد في الدنيا^(٤). ثم قال الشوكاني: المعنى أنه

(١) جامع البيان (٣٠٤/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٢/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤/١٦).

(٤) الكشاف، (٣٠٨/٤).

عصمهم عن المعاصي في حياتهم وأرشدتهم إلى أعمال الخير، وليس المراد اصلاح حال دنياهم من اعطائهم المال^(١).

تقاربت أقوال المفسرين في معنى قوله: (وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ) أي اصلاح حالهم وشأنهم وأمورهم في الدنيا، وفي الآخرة بالمغفرة والثواب كما قال جل وعلا: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

النص: ٢/٣٥ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ) قال: حالهم.

٣٠٥/١١

النص رقم: ٢/٣٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١/٣٤.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ﴾^(٤) فَشُدُّوا الْوَتَاقَ^(٥) فَإِمَّا مَنًّا^(٦) بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً^(٧) حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ

(١) انظر: فتح القدير (٢٨/٥)، روح المعاني (٣٨/٢٦)، وزاد المسير (١٤٧/٧)، والتحرير والتنوير، (٧٥-٧٤/٢٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/٥).

(٢) سورة الحج، الآية (٥٠).

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٧).

(٤) اثخنتموهم: الإثخان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه. يقال: أثخنه المرض إذا أثقله ووهنه

والمراد به هاهنا المبالغة في قتل الكفار. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٨/١).

(٥) الوثاق: هو في الأصل حبل أو قيد يُشدُّ به الأسير والدابة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٥١/٥).

(٦) مَنًّا: المن: كل ما يمن الله تعالى به مما لا تعب فيه ولا نصب. انظر: مختار الصحاح، للإمام

محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عنى بترتيبه: محمود خاطر، مراجعة لجنة من مركز

تحقيق التراث، بدار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ص ٦٣٦-٦٣٧).

(٧) فداء: المفادة: أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً، والفداء: أن يشتريه، فديته بمالي فداء. وفديته بنفسه ومنه

فكاك الأسير. انظر: لسان العرب، (مج ١١ / ١٤٣).

الآية: ٤

النص: ٣/٣٦ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ثور، عن معمر، عن قتادة، (فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) نسخها قوله: ﴿فَأَمَّا تَتَقَفَّنَهُمْ﴾^(١) فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾^(٢).

٣٠٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩٨/٣).
- ومالك في الموطأ (٧٧٨/٢).
- وابن أبي شيبة تفسيره (٤٩٨/٦).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٠٤/٥).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من أهل الحرب، فأضربوا رقابهم، (حَتَّى إِذَا أَتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ) يقول: حتى إذا غلبتموهم فصاروا في أيديكم أسرى فشدوهم في الوثاق لكيلا يهربوا منكم (فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضاً حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل، واختلف أهل العلم في قوله (حَتَّى إِذَا أَتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) فقال بعضهم: هو منسوخ نسخه قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٣)، وقوله (فَأَمَّا تَتَقَفَّنَهُمْ فِي

(١) تتقفنهم: تفتت الشيء حذقته، وتقفنته إذا ظفرت به. انظر: لسان العرب (مج/٣/٢٨).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٥٧).

(٣) سورة التوبة، الآية (٥).

الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قاله ابن جريج^(١): والسُّدى، وقتادة، وابن عباس، والضحاك. وقال آخرون: هي محكمة^(٢) وليست بمنسوخة، وقالوا: لا يجوز قتل الأسير، وإنما يجوز المن عليه والفداء، قاله: الحسن، وعطاء^(٣). وقول الطبري ذكره عدد من المفسرين^(٤).

وقرأ السلمي^(٥): (فشدوا) بكسر الشين، و (الوثاق) بفتح الواو، وقرأ ابن كثير: (وإما فداء): وإما فدى بالقصر^(٦). مع فتح الفاء^(٧).

وقرأ ابن محيصن (وإما فداء) بغير مد ولا همزة^(٨).

قال ابن العربي: أعلموا وفقكم الله أن هذه الآية من أمهات الآيات ومحكماتها، أمر الله سبحانه فيها بالقتال وبين كيفيته كما بينه في قوله تعالى: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٩)، فإذا تمكن المسلم من عنق الكافر أجهز عليه،

(١) ابن جريج: هو أبو خالد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وهو ثقة من السادسة، أحد الأعلام، حدث عن أبيه ومجاهد، روى عنه السفينان، مات سنة ١٠٠ هـ. انظر: تقريب التهذيب (ص ٤٢٦).

(٢) الآيات المحكمة: هو ما عرف المراد منه أما بالظهور وأما بالتأويل وهو ما وضع معناه. ولا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. وهو أيضاً ما كان معقول المعنى، وهو ما استقل بنفسه. وقيل المحكم ما تأويله تنزيهه. ولا تكرر ألفاظه. والمحكم الفرائض والوعد والوعيد. انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، (٢/٢).

(٣) جامع البيان (١/٣٠٥-٣٠٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١٧٣)، وفتح القدير (٥/٢٩)، والكشاف (٤/٣٠٨-٣٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٢٥-٢٢٠٨)، وروح المعاني (٢٦/٣٩-٤١)، وزاد المسير (٧/١٤٧).

(٥) السلمي: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن عروس أبو عبد الله السلمي الغرناطي، أستاذ ماهر عالم صالح، قرأ على علي بن عبد الله بن ثابت الصامتي، وأبي عمرو، وللسبعة علي يحيى بن خلف وآخرون، وولى خطابة غرناطة وأقرأ وحدث وسار ذكره مع العلم والعمل. ولد سنة سبع وخمسمائة وقيل سنة اثنتي عشرة، وتوفى في نصف رجب سنة تسعين وخمسمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، (٢/٨١).

(٦) البحر المحيط (٨/٧٤-٧٥).

(٧) الكشاف (٤/٣١٠).

(٨) إتحاف فضلاً البشر (ص ٣٩٣).

(٩) سورة الأنفال، الآية (١٢).

وإذا تمكن من ضرب يده التي يدفع بها عن نفسه ويتناول بها قتال غيره فعل ذلك به، فإن لم يتمكن إلا ضرب فرسه التي يتوصل بها إلى مراده فيصير حينئذ راجلاً مثله أو دونه، فإن كان فوقه قصد مساواته، وإن كان مثله قصد حطّه، والمطلوب نفسه، والمال إعلاء كلمة الله تعالى؛ وذلك لأن الله سبحانه لما أمر بالقتال أولاً، وعلم أن ستبلغ إلى الإثخان والغلبة بين سبحانه حكم الغلبة بشد الوثاق، فبتخير حينئذ المسلمون بين المن والفداء، وبه قال الشافعي^(١). وقال أبو حنيفة^(٢): إنما لهم القتل والاسترقاق، وهذه الآية عنده منسوخة. والصحيح إحكامها؛ فإن شروط النسخ معدومة فيها من المعارضة، وتحصيل المتقدم من المتأخر. وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْعُونَ﴾^(٣)، فلا حجة فيه، لأن التشديد قد يكون بالمن والفداء والقتل، فإن طوق المن يُثقل أعناق الرجال، ويذهب بنفاسة نفوسهم، والفداء يجحف بأموالهم، ولم يزل العباس تحت ثقل فداء بدر حتى أدى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

وقوله (حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) رخص الله لهم أن يمنوا على من شاءوا منهم ويأخذوا الفداء منهم إذا أتختمواهم، ثم نسخ ذلك في براءة فقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٥)^(٦).

(١) الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كلاب، الإمام عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، ولد سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (٥/١٠).

(٢) الإمام أبو حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت التميمي الكوفي (٨٠-١٥٠هـ)، أحد الأئمة الأعلام والمجتهدين الكبار، وهو صاحب المذهب الحنفي، من كتبه الفقه الأكبر، والمسند. انظر: تذكرة الحفاظ، (١/١٦٨-١٦٩).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٥٧).

(٤) أحكام القرآن (٤/١٧٠١-١٧٠٢).

(٥) سورة التوبة، الآية (٥).

(٦) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، لقتادة بن دعامة السدوسي، تحقيق: الدكتور: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، (ص ٤٧).

والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفاء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكوراً في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾^(١) الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيراً في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضاً، ويفادي ببعض، ويمن على عض، مثل يوم بدر^(٢) قتل عقبة بن أبي معيط^(٣) وقد أتى به أسيراً وقتل بني قريظة^(٤)، وقد نزلوا على حكم

(١) سورة التوبة، الآية (٥).

(٢) غزوة بدر الكبرى: بعد مصادرة قريش في مكة أملاك المسلمين، المهاجرين إلى المدينة، ويقدر ما كانت قريش تفكر في حماية تجارتها إلى الشام من المسلمين الذين جمعت قدراتهم في المدينة، كان المسلمون يفكرون في قطع الطريق عليها، فكانت معركة بدر الكبرى في ١٧/رمضان/٢هـ، - ١٣/مارس/٦٢٤م. حينما خرج المسلمون لأخذ قافلة لقريش مبتدئين حصاراً اقتصادياً مشروعاً على قريش، ومن أهم نتائج انتصار المسلمين ببدر: قويت شوكة المسلمين حينما دوى انتصارهم في كل نواحي الجزيرة العربية. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، القسم الأول (الجزئين: الأول والثاني)، (ص ٦٠٦-٦٢٦)، وأطلس القرآن، للدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر: بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، ط ١/٢٠٠٠م، إعادة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (ص ٢٠٥).

(٣) عقبة بن أبي معيط: هو عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو من بنو أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وعقبة قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً، وولده الوليد والي الكوفة، سكن الرقة. انظر: جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (ص ١١٤-١١٥).

(٤) بني قريظة: هو اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة، وقريظة والنضير أخوان، من أولاد هارون النبي عليه السلام. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: عزالدين ابن الأثير الجزري، دار صادر: بيروت، (٢٦/٣). وقريظة: من قبائل يهود يثرب مع بني النضير وبني قينقاع، نفاهم النبي صلى الله عليه وسلم وصادر أموالهم. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، للويس معلوف، دار المشرق: بيروت، ط ٣/١٩٩٤م، (ص ٤٣٧).

سعد^(١)، وصاروا في يده سلماً، وهو على فدائهم والمن عليهم قادر، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفي^(٢)، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتاً من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحريهم، إلى أن قبضه إليه صلى الله عليه وسلم دائماً ذلك فيهم، وإنما نكر جل ثناؤه في هذه الآية المن والفداء في الأسارى فخص ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلهم والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكرراً، فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما نكر في هذه الآية من المن والفداء ماله فيهم مع القتل^(٣).

النص: ٤/٣٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا) إلى قوله (وَإِمَّا فِدَاءً) كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم فإذا أسروا منهم أسيراً، فليس لهم إلا أن يفادوه أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله ﴿فَإِمَّا تَنْفِقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾^(٤) أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون.

٣٠٦/١١

النص رقم: ٤/٣٧: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣/٣٦.

(١) سعد بن معاذ: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا عمرو، وأمّه كبشة بنت رافع، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، ورمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات منه سنة خمس من الهجرة. انظر: الاستيعاب، (٢/٦٠٢-٦٠٣-٦٠٤).

(٢) ثمامة بن أثال الحنفي: هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمه بن عتيبة بن ثعلبة بن يربوع بن حنيفة الحنفي، أبو أمامة اليمامي. وذكر أنّ ثمامة ثبت على إسلامه على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء ابن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين. فلما ظفروا اشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم فرأها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة فظنوا أنه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٢٠٣/١).

(٣) جامع البيان (٣٠٧/١١).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٥٧).

النص: ٥/٣٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) حتى لا يكون شرك.

٣٠٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢١/٢).

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى: (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بين لكم، حتى تضع الحرب أثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره^(١). وقال ابن كثير: أي أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل، وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى^(٢): وقال مجاهد: المعنى حتى لا يكون دين غير دين الإسلام وبه قال الحسن والكلبي^(٣)، وقال الشافعي رضي الله عنه: أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون حرب مع المشركين، وذلك إذا لم يبق لهم شوكة، وقيل أوزار الحرب: آلتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع، وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جدها فكأنها تحملها وتسنقل بها، فإذا انقضت فكأنها وضعتها، وقيل أوزارها: آثامها^(٤). وقال مجاهد وابن جبير: هو خروج عيسى عليه السلام^(٥). وبمثله قال الآلوسي^(١)، وابن الجوزي^(٢)، وقال ابن قتيبة: أي يضع أهل الحرب السلاح^(٣).

(١) جامع البيان (٣٠٧/١١).

(٢) تيسير ابن كثير (١٧٣/٤).

(٣) فتح القدير (٢٩/٥).

(٤) الكشف (٣١٠/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٨/١٦).

وقال الرازي: وقت وضع أوزار الحرب متى هو؟ نقول فيه أقوال حاصلها راجع إلى أن ذلك الوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من أحزاب الإسلام وحزب من أحزاب الكفر، وقيل ذلك عند قتال الدجال^(٤)^(٥)، وذكر البغوي فقال: الحرب: يعني هم المحاربون، كالشرب والركب^(٦)، ووافقه على ذلك قتادة^(٧). وقال ابن العربي: قال الحسن وعطاء: في الآية تقديم وتأخير، المعنى فحرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، وليس للإمام أن يقتل الأسير، وقد روي عن الحجاج^(٨) أنه دفع أسيراً إلى عبد الله بن عمر ليقتله فأبى وقال: ليس بهذا أمرنا الله، وقرأ: (حَتَّى إِذَا أَثخنْتُمْهُمْ فَشُدُّوا الوثاقَ)، قلنا: قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله، وليس في تفسير الله للمن والفداء منع من غيره، فقد بين الله في الزنى حكم الجلد، وبين

(١) روح المعاني (٤٢/٢٦).

(٢) زاد المسير (١٤٧/٧-١٤٨).

(٣) تفسير غريب القرآن، لأبن قتيبة (ص ٤٠٩).

(٤) المسيح الدجال: الدجال: سمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالكذب. وقيل لضربه نواحي الأرض وهو أعور عينه اليمنى، كأنها عنبة طافية، ومكتوب بين عينيه كافر، ويظهر على يده آيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه والجذب على من يكذبه. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣-٨٥٢هـ)، وقرأ أصله تصحيحاً وتحققاً: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق، (١٣/٩١-١٠٣).

(٥) مفاتيح الغيب (٤٠/٢٨).

(٦) معالم التنزيل (مج ٢٧٩/٧).

(٧) جامع البيان (٣٠٨/١١).

(٨) الحجاج بن يوسف الثقفي: أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً، وكان ظلوماً، جباراً، خبيثاً، سفاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٤)، وتهذيب التهذيب، (٢١٠/٢).

النبى صلى الله عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فاعتذر بما قال، وربك أعلم^(١).

تعددت أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) إلا أن ما قالوه لا يخرج عن هذا المعنى: أي حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المناوئين له، أي حتى لا يكون شرك.

والجهاد من الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله، وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد^(٢).

النص: ٦/٣٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال: حتى لا يكون شرك.

٣٠٨/١١

النص: ٧/٤٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال: الحرب: من كان يقاتلهم سماهم حرباً.

٣٠٨/١١

النصوص بالأرقام: ٦/٣٩، ٧/٤٠: تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم: ٥/٣٨.

النص: ٨/٤١ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: سعيد، عن قتادة (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) إي والله بجنوده الكثيرة كل خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جنداً.

٣٠٨/١١

(١) أحكام القرآن (٤/١٧٠٣-٤/١٧٠٤).

(٢) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٢٨٦).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٤/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٢٣٠/١٦).

دراسة النص:

قوله: **(ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ)** يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقاً بعد قهرهم، وأسرههم، والمن والفداء **(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)** هو الحق الذي ألزمكم ربكم، ولو يشاء ربكم ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أيها المؤمنون^(١). وزاد ابن كثير قائلاً: أي هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده، ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم^(٢). وقال الزمخشري: قوله: **(لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ)** لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك: من خسف، أو رجفة، أو حاصب^(٣)، أو غرق، أو موت جارف، ولكن أمرهم أن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم^(٤). وقال ابن عباس: لأهلكهم بجند من الملائكة^(٥).

فقول قتادة في معنى الآية الكريمة معبراً عما قاله المفسرون، فقال: والله بجنوده الكثيرة كل خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جنداً، صدق قتادة والله فيما قاله فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ونستشف من هذه الآية بأنها

(١) جامع البيان (٣٠٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٣/٤-١٧٤).

(٣) حاصب: هي الرياح المهلكة بالحصى وغيره. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص ١٢٦).

(٤) الكشاف (٣١٠/٤).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/١٦)، وروح المعاني (٤٢/٢٦)، وزاد المسير (١٤٨/٧).

امتحان للناس واختبار صبرهم على المكاره، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

النص: ٩/٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ)، ذكر لنا أن هذه أنزلت يوم أحد^(٢) ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: أعل هبل! فنادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فنادى المشركون: يوم بيوم إن الحرب سيجال، إن لنا غزى، ولا غزى لكم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الله مولانا ولا مولى لكم. إن القتلى مختلفة، أما قتلنا فأحياء يرزقون، وأما قتلكم ففي النار يعذبون)).

٣٠٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢١/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٢).

(٢) غزوة أحد: كانت يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجرة صلى الله عليه وسلم، قالوا: لما رجع من حضر بديراً من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا: نحن طيبو أنفسٍ إن تجهزوا بريح هذه العير جيشاً إلى محمد، وخرجت قريش من مكة وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه أنزل منهم ثلاثمائة مع ابن أبي فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة فهزموا المشركين، ولكن لحظة واحدة يمكنها أن تحدد مصير المعركة، فعند فقد المباداة يستحيل تحقيق النصر، لقد هزمت قريش، فخالف معظم الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيته، فإنقلب الموقف لمصلحة قريش، وأدركت ثأراً لقتلها في بدر، لكنها لم تستطع استئصال المسلمين ودعوتهم المتنامية، ولا استطاعت فتح طريق تجارتها إلى الشام. انظر: كتاب المغازي، للواقدي محمد بن عمر بن واقد، (المتوفى سنة ٢٠٧هـ)، تحقيق: الدكتور: مارسدن جونس، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، (١/١٩٩)، وأطلس القرآن (أماكن - أقوام - أعلام)، للدكتور: شوقي أبو خليل، (ص ٢١٥).

انفرد قتادة بروايته.

وما ذكره قتادة من أسباب نزول هذه الآية ذكره كذلك السيوطي^(١)، وقال الطبري في معنى الآية: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرة ما بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من الهدى، فجاهدوهم في ذلك (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالاً عليهم كما أضل أعمال الكافرين، وذكر أن هذه الآية عنى بها أهل أحد^(٢). وقال ابن كثير: أي لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها^(٣). وقال الألوسي في معنى قوله (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) أي سيثبت جل شأنه في الدنيا هدايتهم، والمراد الوعد بأن يحفظهم سبحانه ويصونهم عما يورث الضلال وحبط الأعمال^(٤). وعن قتادة: أنها نزلت في يوم أحد^(٥). وبه قال القرطبي^(٦). وقال الرازي: هو أنه تعالى لما قال (فَضْرَبَ الرَّقَابِ) أي اقتلوا والقتل لا يتأتى إلا بالإقدام وخوف أن يقتل المقدم يمنعه من الإقدام، فقال لا تخافوا القتل فإن من يقتل في سبيل الله له من الأجر والثواب ما لا يمنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه^(٧).

قرأ أبو عمرو وحفص: (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بضم القاف^(٨).

وقول المفسرين في معنى الآية قاله البغوي^(٩). وأما وهبة الزحيلي فقال: أي إن المقتولين في سبيل الله لا يضيع الله سبحانه أجرهم، ولن يجعل أعمالهم ضائعة كما تضيع أعمال الكفار^(١٠).

(١) لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٦٨).

(٢) جامع البيان (٣٠٩/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٤/٤).

(٤) روح المعاني (٤٣/٢٦).

(٥) الكشاف (٣١٠/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/١٦).

(٧) مفاتيح الغيب (٤١/٢٨).

(٨) حجة القراءات، لزنجلة (ص ٦٦٦).

(٩) معالم التنزيل (مج ٢٨٠/٧).

(١٠) التفسير المنير (٨٦/٢٦).

في الآية وعد من الله سبحانه وتعالى للشهداء الذين قتلوا في سبيله بالجزاء والثواب العظيم، في مقابل ما جاء عن الذين كفروا فقال: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ)^(١)، ومن الأحاديث التي بينت فضل الشهيد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن للشهيد عند الله ست خصال: أن يغفر له في أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه))^(٢).

النص: ١٠/٤٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) قال: الذين قتلوا يوم أحد.

٣٠٩/١١

النص رقم: ١٠/٤٣: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٩/٤٢.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.

الآية: ٦

(١) سورة محمد، الآية (١).

(٢) أخرجه:

١- الترمذي في: (٢٣) كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٢٥) باب في ثواب الشهيد، حديث رقم (١٦٦٣)، (٤/١٨٧-١٨٨). أنظر: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى بن سورة، (٢٠٩-٢٧٩هـ)، دار الحديث، القاهرة، تحقيق: الشيخ إبراهيم عطوة عوض، د.ط، د.ت.

٢- وابن ماجه في: (٢٤) كتاب الجهاد، (١٦) باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم: (٢٧٩٩)، (٥١١/٢). أنظر: سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (٢٠٧-٢٧٥هـ)، حقق نصوصه ورقم كتبه وابوابه واحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، خرج أحاديثه وفهرسه: دكتور مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣- وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/٢٠٠، ١٣١). أنظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

النص: ١١/٤٤ كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي سعيد الخدري، قال: ((إذا نجى الله المؤمنين من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا، ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة، قال: فما كان المؤمن بأدل بمنزلة في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها)).

٣٠٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٩٤/٥).

- وأحمد في مسنده (١٣/٣).

دراسة النص:

قوله **(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ)** يقول: ويدخلهم الله جنته عرفها يقول: عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك^(١).

وقال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحد^(٢).

وقال مقاتل: إن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله^(٣).

وأما الحسن فقال: وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها^(٤). وقال الألوسي: أن حسناته تكون دليلاً له إلى

(١) جامع البيان (٣٠٩/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٤/٤).

(٣) الكشاف (٣١٠/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٣١/١٦).

منزله فيها، وقيل إنه تعالى رسم على كل منزل اسم صاحبه وهو نوع من التعريف^(١).

وذكر ابن الجوزي أن معنى قوله تعالى: (عَرَّفَهَا لَهُمْ): عرفهم منازلهم فيها وطيبها لهم^(٢). وقال مثل هذا القول ابن حبان^(٣). والسمرقندي^(٤)(٥).
وافق قول قتادة أقوال المفسرين على أن معنى قوله تعالى: (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ): أي عرفهم منازلهم فيها.

النص: ١٢/٤٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال: أي منازلهم فيها.

٣٠٩/١١

النص رقم: ١٢/٤٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١١/٤٤.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

الآية: ٧

النص: ١٣/٤٦ كما حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ) لأنه حق على الله أن يعطي من سأله وينصر من نصره.

(١) روح المعاني (٤٣/٢٦).

(٢) زاد المسير (١٤٨/٧).

(٣) البحر المحيط (٧٦-٧٥/٨).

(٤) السمرقندي: (٨٨٠هـ - ١٤٧٥م): وهو علي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي، مفسر من علماء الحنفية، وتلمذ لعلاء الدين البخاري المتوفى سنة (٨٦٠هـ)، وله كتب منها: تفسير القرآن أربع مجلدات إلى سورة المجادلة، وهو المسمى "بحر العلوم". أنظر: الأعلام، (٣٢/٥).

(٥) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة (٣٧٥هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبدالموجود - الدكتور: زكريا عبدالمجيد النوتي، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (٢٤١/٣).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٤/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٣٢/١٦).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة برأيته. وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تتصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأوليائه^(١). وقال ابن كثير: فإن الجزء من جنس العمل^(٢). وبهذا قال القرطبي^(٣). والزمخشري^(٤). وأضاف الألوسي: إذ هو جل شأنه وعلا المعين الناصر وغيره سبحانه المعان المنصور^(٥). وهذا القول قال به ابن الجوزي^(٦). وقال الرازي: وفي نصرة الله تعالى وجوه: الأول: إن تتصروا دين الله وطريقه. والثاني: إن تتصروا حزب الله وفريقه. والثالث: المراد نصرة الله حقيقة، والمؤمن ينصر الله بخروجه إلى القتال وإقدامه، والله ينصره بتقويته وتثبيت أقدامه، وإرسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه^(٧). وقوله: (يَنصُرْكُمْ): اتفق القراء على إسكان الراء لأنه مجزوم^(٨).

اتفقت أقوال المفسرين على معنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

(١) جامع البيان (٣١٠/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٤/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٦).

(٤) الكشاف (٣١١/٤).

(٥) روح المعاني (٤٣/٢٦).

(٦) زاد المسير (١٤٩/٧).

(٧) مفاتيح الغيب (٤٣ - ٤٢/٢٨).

(٨) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٣٣٧/٢).

ويفهم من الآية أن النصر مشروط بنصرة دين الله تعالى وتطبيق شرعه والتزام أوامره واجتتاب نواهيه، لذا كرر الله تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة قائلاً: إن تنصروا دين الله يصرحكم على الكفار، ويثبت قلوبكم بالأمن والنصر والمعونة في موطن الحرب^(١). وعندها يكون حقاً على الله أن يعطي من سأله وينصر من نصره، وهو ما ذكره قتادة. قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾.

الآية: ٨

النص: ١٤/٤٧ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (فَتَعَسَا لَهُمْ) قال: هي عامة للكفار.

٣١١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٤/٤).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٢٢/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: (فَتَعَسَا لَهُمْ) من قولك: تَعَسْتُ، أي عَثَرْتُ وسقطت^(٣). ويقول الطبري في تفسير قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله، فجحدوا توحيدَه، (فَتَعَسَا لَهُمْ): يقول: فخزياً لهم وشقاء وبلاء^(٤). وقال ابن كثير: عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم^(٥). وقال ابن عباس رضي الله

(١) التفسير المنير (٩٣/٢٦).

(٢) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٣) تفسير غريب القرآن، لأبن قتيبه، (ص ٤١٠).

(٤) جامع البيان (٣١٠/١١).

(٥) تفسير ابن كثير (١٧٤/٤).

عنهما: يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردى في النار^(١). وقال ابن عباس أيضاً وابن جريج: (فَتَعَسَا لَهُمُ): بُعِداً لَهُم، وقال السدى: حزناً لهم، وقال ابن زيد: شقاء لهم، وقال الحسن: شتماً لهم من الله، وقال الضحاك: خيبةً لهم^(٢). وبمثله قال الآلوسي^(٣)، وقال الفراء: كأنه قال: فأتعسهم الله وأضل أعمالهم، لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي^(٤)، واتبعهم البيضاوي^(٥) وقال مثلهم^(٦).
و(التعس) في اللغة الانحطاط والعثور^(٧).

وقال سيد قطب: وذلك عكس النصر وتثبيت الأقدام. فالدعاء بالتعس قضاء من الله سبحانه وتعالى بالتعاسة والخيبة والخذلان وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء^(٨).
اختلف المفسرين في معنى قوله (فَتَعَسَا لَهُمُ) لفظاً وتعبيراً ولكن لم يخرج عن المعنى المراد من الآية، وهو جزاء الله للكافرين بالخبية والخزي والهزيمة في الدنيا، وإبطال أعمالهم في الآخرة، وذلك بسبب كراهيتهم ما أنزل الله من الكتب والشرائع،

(١) الكشاف (٤/٣١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٣٢).

(٣) روح المعاني (٢٦/٤٤).

(٤) معاني القرآن، للفراء (٣/٥٨).

(٥) البيضاوي: (٦١٨٥هـ-١٢٨٦م): وهو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي (ناصر الدين، أبو سعيد)، قاض، عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق والحديث، توفى بتبريز، من مصنفاته الكثيرة: مناهج الوصول إلى علم الأصول، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير. انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (٦/٩٧-٩٨). وطبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (المتوفي سنة ٩٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبه ١٤ شارع الجمهورية بعابدين، ط١/ ربيع الأول ١٣٩٢هـ- أبريل ١٩٧٢م، (١/٢٤٢-٢٤٣).

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - المعروف بتفسير البيضاوي - تأليف: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الجيل: بيروت، د.ط، د.ت، (ص ٦٧٢).

(٧) لسان العرب، لأبن منظور (مج ٢/٢٢٦).

(٨) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٢٨٩).

ولأن أعمالهم كانت في طاعة الشيطان، فيحبط الله ما لهم من أعمال الخيرات. فجزأوهم عسير ومظلم وشاق، وهي عامة للكفار كما قال قتادة. قوله تعالى: ﴿وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

الآية: ١٣

النص: ١٥/٤٨ حدثنا بشر، قال، ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) قال: هي مكة^(١).

٣١٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٣٥/١٦).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٢/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

ذكر السيوطي أسباب نزول قوله تعالى: (وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)^(٢) هو: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاء الغار.

(١) مكة: بيت الله الحرام، وهي في الإقليم الثاني، وسميت بمكة لأنها تمك الجبارين، أي تذهب نخوتهم، ويقال: إنما سميت مكة لازدحام الناس بها. طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدى وعشرون. تحت نقطة السرطان. انظر: معجم البلدان، (١٨١/٥).

(٢) لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاء الغار نظر إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك، فأنزل الله: (وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ) الآية، انظر: لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٦٩).

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشد قوة من قريتك، يقول أهلها أشد بأساً، وأكثر جمعاً، وأعد عديداً من أهل قريتك، وهي مكة. وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها^(١)، وبه قال ابن كثير^(٢)، وقال الزمخشري: وأراد بالقرية أهلها، لذلك قال: (أَهْلَكُنَاهُمْ) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم، ومعنى أخرجوك: كانوا سبب خروجك^(٣)، وقال مثله القرطبي^(٤)، وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجوك منها أهلكناهم (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) فبالأولى من هو أضعف منهم وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي صلى الله عليه وسلم وهي مكة، وقال مقاتل: أي أهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسولهم^(٥)، وقال الرازي: (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) عائد إلى أهل قرية محمد عليه السلام كأنه قال أهلكناهم من تقدم أهل قريتك ولا ناصر لأهل قريتك ينصرهم ويخلصهم مما جرى على الأولين^(٦)، وقال الألويسي: أهل قريته صلى الله عليه وسلم هي مكة المكرمة، والسبب لأنهم عاملوه صلى الله عليه وسلم بما عاملوه فكانوا بذلك سبباً لإخراجه حين أذن الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بالهجرة منها^(٧).

قرأ ابن كثير وأبو جعفر (وَكَايْنٍ) بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة فيكون مداً متصلاً إلا أن ابن كثير يحقق الهمزة وأبو جعفر يسهلها مع المد والقصر^(٨).

وأضاف الفراء قائلاً: التي أخرجك أهلها إلى المدينة^(٩)، وقال القاسمي: قريته مكة^(١).

(١) جامع البيان (٣١٢/١١).

(٢) تفسير ابن كثير، (١٧٥/٤).

(٣) الكشاف (٣١٢/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٥/١٦).

(٥) فتح القدير (٣٤/٥).

(٦) مفاتيح الغيب (٤٦/٢٨).

(٧) روح المعاني (٤٦/٢٦).

(٨) البدور الزاهرة في القراءات العشر المواترة، (ص ٢٩٥).

(٩) معاني القرآن (٥٩/٣).

أجمع المفسرون على أن معنى قوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) هي مكة، وهو ما قاله قتادة. ففي الآية تهديد شديد ووعد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة؟ فإنه رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم^(٢).

النص: ١٦/٤٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة في قوله: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) قال: قريته مكة.

٣١٢/١١

النص رقم: ١٦/٤٩: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٥/٤٨.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ^(٣) وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

الآية: ١٥

النص: ١٧/٥٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) قال: من ماء غير منتن^(٤).

٣١٤/١١

(١) محاسن التأويل (٤٨/١٥)، وأيسر التفاسير، لعامر أحمد الشريف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٩٣م، (ص ٤٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٥/٤).

(٣) آسن: أسن الماء يأسن وأسن يأسن فهو آسن: إذا تغيرت ريحه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤٩/١).

(٤) منتن: نتن وأنتن فهو منتن: والنتن: الرائحة الكريهة. انظر: مختار الصحاح (ص ٦٤٥).

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥/٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح، يقال منه: قد أسن ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأسن أسناً، وكذلك يقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة قد أسن فهو يأسن. وأما إذا أجن^(١) الماء وتغير، فإنه يقال له: أسن فهو يأسن ويأسن أسوناً، وماء أسن^(٢). وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة يعني غير متغير، وقال قتادة والضحاك وعطاء الخراساني غير منتن، والعرب تقول أسن الماء إذا تغير ريحه^(٣)، وهو ما قاله الزمخشري^(٤)، قال اليزيدي^(٥): أجن وأسن يأسن ويأجن أسناً وأجنأ بالكسر فيهما، وأسن الرجل أيضاً يأسن بالكسر لا غير إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك فغشى عليه أو دار رأسه^(٦)، وقال الألويسي: أي

(١) أجن: الآجن: هو الماء المتغير الطعم واللون، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢٦/١).

(٢) جامع البيان (٣١٣/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٦/٤).

(٤) الكشاف (٣١٤/٤).

(٥) اليزيدي: هو أبو محمد يحيى بن المغيرة المقرئ صاحب أبي عمرو بن العلاء البصري وهو مولى لبني عدي بن عبد مناف، وإنما قيل له اليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون، كان عالماً باللغة والنحو وأخبار الناس، وكان قد أخذ علم العربية عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن محمد، واخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام واسحق بن إبراهيم الموصلي. وكان اليزيدي صحيح الرواية ثقة صدوقاً، وألف من الكتب: "كتاب النوادر في اللغة" وألف كتاب المقصور والممدود، وتوفى أبو محمد اليزيدي سنة اثنتين ومائتين في خلافة المأمون بن الرشيد. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، (المتوفى سنة ٥٧٧هـ)، قام بتحقيقه: الدكتور: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الأردن، الزرقاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (ص ٦٩-٧٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/١٦).

غير متغير الطعم والريح لطول مكث ونحوه^(١)، وذهب إلى هذا القول ابن الجوزي^(٢)، ثم قال الزجاج: أَسَنَ الماءُ فهو أَسِنٌ إذا تغيرت رائحته فأعلم الله عزَّ وجلَّ أنَّ أنهار الجنة لا تتغير رائحة مائها، ولا يَأْسِنُ^(٣)، وقال الرازي: المشروب إما أن يشرب لطعمه، وإما أن يشرب لأمر غير عائد إلى الطعم، فالماء يتغير يقال أَسَنَ الماءُ يَأْسِنُ على وزن أمن يأمن فهو آسن^(٤).

وقال قتبية: (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) أي غير متغير الريح والطعم و(الآجن) نحوه^(٥).

وقرأ ابن كثير قوله تعالى: (غَيْرِ آسِنٍ) بغير مد بعد الهمزة^(٦).

فقول قتادة في معنى قوله: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) هو أي من ماء غير منتن، هو ما قاله المفسرون في معنى الآية الكريمة.

وهذه صفة الجنة التي وعدها المتقون، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

الآية: ١٦

النص: ١٨/٥١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) هؤلاء المنافقون^(٧) دخل رجلان رجل

(١) روح المعاني (٤٨/٢٦).

(٢) زاد المسير (١٥٠/٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٩/٥).

(٤) مفاتيح الغيب (٤٧/٢٨-٤٨).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن، (ص ٤١٠)، وأوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن، إعداد محمد كريم راجح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (ص ٤٢٨).

(٦) النشر في القراءات العشر (٣٧٤/٢).

(٧) المنافقون: النفاق: هو إذا كان في القلب فهو الكفر، فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية وقيل: هو الذي يصف الإسلام ولا يعمل به، وهو اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه

ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك.

٣١٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٧/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد (مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) وهو المنافق فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاوناً منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلاً عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) قالوا إعلاماً منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله (مَاذَا قَالَ) لنا محمد (أَنْفًا) ^(١)؟ وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئاً فإذا خرجوا من عنده (قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من الصحابة رضي الله عنهم (مَاذَا قَالَ أَنْفًا) أي الساعة، لا يعقلون ما قال ولا يكثرثون له ^(٢)، وقال الزمخشري: هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يلقون له بالاً تهاوناً منهم، فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة، ماذا قال الساعة؟ على جهة الاستهزاء ^(٣)، وقال القرطبي: كانوا يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين، فيستمعون منه ما يقول، فيعيه المؤمن ولا يعيه الكافر ^(٤)، وقال مثلهم ابن جريج ^(١)، وابن الجوزي قال في معنى الآية: هم المنافقون،

وسلم، لأنهم كانوا يكتُمونه وهم اليوم يظهرونه. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (المتوفى ٦٧١هـ-١٢٧٣هـ)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق، حققه: أحمد عبد العليم البردوني، (٢١٢/٨)، و(١٢٢/١٨).

(١) جامع البيان (٣١٥/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٧/٤).

(٣) الكشاف (٣١٤/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٦).

وفيما يستمعون قولان: أحدهما: أنه سماع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، والثاني: سماع قوله على عموم الأوقات. فأما (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فالمراد بهم: علماء الصحابة^(٢).

أورد السيوطي أسباب نزول قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) ١٠٠٠ الآية، أنه كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

تلاقت أقوال المفسرين في معنى الآية الكريمة، بأنها تعني المنافقين فوصفتهم الآية بأنهم يستمعون ولا ينتفعون، لتهاونهم واستهزائهم، على عكس حال المؤمن المهتدي، فإنه يستمع ويفهم، ويعمل بما يعلم، وصدق قتادة عندما قال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

النص: ١٩/٥٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) قال هم المنافقون. وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع فعامل، وسامع فغافل، وسامع فتارك.

٣١٥/١١

النص رقم: ١٩/٥٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٨/٥١.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾^(٤) فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿﴾.

الآية: ١٨

(١) روح المعاني (٥٠/٢٦).

(٢) زاد المسير (١٥٠/٧).

(٣) كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألو المؤمنين ماذا قال آنفاً، فنزلت (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) الآية. انظر: لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٦٩).

(٤) بغتة: بَغْتَةً أي فاجأه ولقيه بَغْتَةً أي فجأةً والمباغطة المفاجأة. انظر: مختار الصحاح (ص ٥٨).

النص: ٢٠/٥٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ^(١) العباد.

٣١٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٧/٤).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٧/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

القول في تأويل قوله تعالى (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) هو: فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها^(٢)، وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) أي وهم غافلون عنها (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أي أمارات اقترابها فبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقال الحسن البصري: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسمائه صلى الله عليه وسلم أنه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي تُحْشَرُ الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي^(٣)، وقال الزمخشري: إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم، يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ، وقيل: مبعث خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وانشقاق القمر، والدخان، وقال الكلبي: كثرة المال والتجارة وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام^(٤)، وهو ما قاله القرطبي^(٥)، والشوكاني^(٦).

(١) فراغ: الفراغ: الخلاء. انظر: لسان العرب، (مج ١١/١٦٧).

(٢) جامع البيان (٣١٦/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٧/٠٤).

(٤) الكشاف (٣١٥/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٤٠-٢٤١).

(٦) فتح القدير (٣٥/٥).

وقال الألوسي في معنى الآية: هو تعليل لانتظار الساعة لان ظهور أمارات الشيء سبب لانتظاره^(١)، واتفق ابن الجوزي مع الزمخشري في معنى الآية^(٢)، وبين الرازي: أن قوله تعالى: (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) يحتمل وجهين: أحدهما: لبيان غاية عنادهم وتحقيقه هو أن الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق إلا إيمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن أشراتها بانتهى فكان ينبغي أن يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم في لجة الفساد وغاية العناد. وثانيهما: يكون لتسليّة قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) فهم منه تعذيبهم والساعة عند العوام مستبطأة فكأن قائلاً قال متى تكون الساعة؟ فقد جاء أشراتها^(٣).

وقرأ الجعفي^(٤) عن أبي عمرو (بَعْتَةٌ): بفتح الغين وشد التاء^(٥).

قتادة والمفسرين على اتفاق بأن معنى الآية هو أن أشرط الساعة أي أماراتها قد ظهرت ومنها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك فإذا لم يؤمنوا هؤلاء المكذبون الضالون في وقت قريب قبل مجيء الموت والقيامة، فلا ينفعهم إيمان حينئذ بعد انتهاء العمر وزوال الدنيا التي هي دار العمل والتكليف. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى * أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾^(٦)، وقوله جلت عظمتة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٧).

(١) روح المعاني (٥٢/٢٦).

(٢) زاد المسير (١٥١/٧).

(٣) مفاتيح الغيب (٥٣/٢٨).

(٤) الجعفي: هو محمد بن عبد الله بن الحسين القاضي أبو عبد الله الجعفي الكوفي المقرئ الفقيه الحنفي المعروف بالهرواني، قرأ القرآن على محمد بن الحسن بن يونس النحوي صاحب جعفر ابن محمد الوزان، وآخرون، قرأ عليه أبو علي غلام الهزاس، وطائفة. قال الخطيب: كان ثقة، حدث ببغداد، توفي في رجب سنة اثنتين وأربعمائة. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (٤٦٦/١).

(٥) البحر المحيط (٨٠/٨).

(٦) سورة النجم، الآية (٥٦).

(٧) سورة القمر: الآية (١).

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالوسطى والسبابة) (١).

النص: ٢١/٥٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) يقول إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟

٣١٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٧٧/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٢٤١/١٦).

دراسة النص:

وقوله (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) يقول تعالى ذكره: فمن أي وجه لهؤلاء المكذبين آيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم، لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب (٢). وقال ابن كثير: أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك (٣)؟! وقال الزمخشري: يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ (٤). وابن زيد قال: فكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة (٥). وقال قتادة: أنى لهم أن يذكروا ويتوبوا إذا جاءت (٦)؟! وذكر الرازي: فقال: يعني لا تنفعهم الذكرى إذ لا تقبل التوبة

(١) أخرجه البخاري في: (٦٨) كتاب الطلاق، (٢٥) باب اللعان وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ) إلى قوله تعالى: (إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) "سورة النور، الآيات ٦-٩"، حديث رقم: (٥٣٠١)، (٦٨٣/٣). وفي: (٦٥) كتاب تفسير القرآن، (٧٩) سورة والنازعات، حديث رقم: (٤٩٣٦)، (٥٣٥/٣). وفي: (٨١) كتاب الرقاق، (٣٩) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، حديث رقم: (٦٥٠٥)، (٣١٤/٤).

(٢) جامع البيان (٣١٧/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٧/٤).

(٤) الكشاف (٣١٥/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤١/١٦).

(٦) زاد المسير (١٥١/٧).

ولا يحسب الإيمان والمراد فكيف لهم الحال إذا جاءتهم ذكراهم^(١). ويقول الزجاج: المعنى فمن أين لهم نكراهم إذا جاءتهم الساعة^(٢). وذكر ابن قتيبة قائلاً: فكيف لهم منفعة الذكرى إذا جاءت^(٣).

أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) تشابهت في اللفظ والمعنى، أي حين مجيء الساعة لا ينفعهم التذكر والإيمان إذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الإيمان. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾^(٤). فأنى لنا أن نتذكر ونعي ونعقل قبل فوات الأوان.

النص: ٢٢/٥٥ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) قال: أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة.

٣١٧/١١

النص رقم: ٢٢/٥٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢١/٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾^(٥) فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ. ﴿

الآية: ٢٠

النص: ٢٣/٥٦ وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً

(١) مفاتيح الغيب (٥٣/٢٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١١/٥).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص ٤١١).

(٤) سورة الفجر، الآية (٢٣).

(٥) سورة: السورة: المنزلة الرفيعة. وسور المدينة: حائطها المشتمل عليها وسورة القرآن، تشبيهاً بها لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة. انظر: مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين، (ص ٤٤٤-٤٤٥).

وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ) قال: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين.

٣١٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٣/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار (فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وقوله (وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ) وذكر فيها الأمر بقتال المشركين^(١). وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس^(٢). وذكر الزمخشري: كانوا يدعون إلى الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لَوْلَا نُزِلَتْ سُورَةٌ) في معنى الجهاد (فَإِذَا أَنْزِلَتْ) وأمروا فيها بما تمنوا شق عليهم، و(مُحْكَمَةٌ) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهاً إلا وجوب القتال، وقيل لها (محكمة) لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة^(٣). وقال مثله الشوكاني^(٤).

وذهب إلى مثل هذا القول الآلوسي ثم أورد قول ابن جريج في معنى الآية حيث قال: كان المؤمنون يشتاقون إلى كتاب الله تعالى وإلى بيان ما ينزل عليهم فيه^(٥). وقال القرطبي: قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) أي المؤمنون المخلصون (لَوْلَا

(١) جامع البيان (٣١٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

(٣) الكشاف (٣١٦/٤).

(٤) فتح القدير (٣٧/٥).

(٥) روح المعاني (٦٦-٦٧/٢٦).

نُزِلَتْ سُورَةٌ) اشتياًقاً للوحي وحرصاً على الجهاد وثوابه، (فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةً) لا نسخ فيها (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أي فرض فيها الجهاد^(١). وعند ابن الجوزي: فالمعنى: لو أنزلت سورة، شوقاً منهم إلى الزيادة في العلم، ورغبةً في الثواب والأجر بالاستكثار من الفرائض. وفي معنى (محكمة) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يذكر فيها القتال، قاله قتادة. والثاني: أنها التي يذكر فيها الحلال والحرام. والثالث: التي لا منسوخ فيها، حكاهما أبو سليمان الدمشقي^(٢)(٣)، وقيل: (أُولَا نُزِلَتْ سُورَةٌ) المراد منه سورة فيها تكليف يمتحن المؤمن والمنافق، ثم إنه تعالى أنزل سورة فيها القتال فإنه أشق تكليف، وقوله (سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) فيها وجوه: أحدها: سورة لم تنتسخ. ثانيها: سورة فيها ألفاظ أريدت حقانقتها بخلاف قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤). وقوله: ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(٥)، وعلى الوجهين فقوله (مُحْكَمَةٌ) فيها فائدة زائدة من حيث إنهم لا يمكنهم أن يقولوا المراد غير ما يظهر منه أو يقولوا هذه آية قد نسخت فلا نقاتل^(٦).

بيّن الله تعالى حال الكافر والنافق عند نزول الآيات العملية، كآيات الجهاد والصلاة والزكاة ونحوها، فأوضح أن المؤمن كان ينتظر نزولها وإذا تأخر عنه التكليف كان يقول: هلا أمرنا بشيء من العبادة، ليتقرب إلى ربه ويحظى برضاه، وأن المنافق كان إذا نزل شيء من التكاليف البدنية أو المالية شق عليه، ليعلم تباين الفريقين في العلم والعمل، حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل، والمؤمن يعلم

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٣/١٦).

(٢) أبو سليمان الدمشقي: هو عبدالرحمن بن أبي الجون العنيسي الدمشقي، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وعنه إسماعيل بن عياش، وهشام بن عمار، توفي سنة نيف وتسعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٠/١٨٦-١٨٧).

(٣) زاد المسير (١٥٢/٧).

(٤) سورة طه، الآية (٥).

(٥) سورة الزمر، الآية (٥٦).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٥٤/٢٨)، والبحر المحيط (٨١/٨)، وجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٦٦/٤)، ومعاني القرآن (٦٢/٣).

ويحب العمل. لذا كافأ الله المؤمنين بالرضا والمحبة والجنة، وجوزي المنافقون باللعنة والطرده من الرحمة والخير^(١).

هذا ما أكدته قتادة في روايته مع انفراده بها، ووافقه عليه أئمة المفسرين. ونظير الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^(٢).

النص: ٢٤/٥٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) قال: كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة.

٣١٨/١١

النص رقم: ٢٤/٥٧: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٣/٥٦.

النص: ٢٥/٥٨ كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَأُولَى لَهُمْ) قال: هذه وعيد، فأولى لهم، ثم انقطع الكلام فقال (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ).

٣١٩/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله (فَأُولَى لَهُمْ) يقول تعالى ذكره: فأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض. وهو وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين^(١). وقال ابن كثير: أي وكان الأولى بهم أن

(١) التفسير المنير (١١٥/٢٦).

(٢) سورة النساء، الآية (٧٧).

يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة^(٢). وقال الألوسي: تهديد ووعيد. وقال قتادة: العقاب أولى لهم^(٣). وقال به القرطبي^(٤). وقال الزمخشري: (فَأُولَى لَهُمْ) وعيد بمعنى: فويل لهم، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه^(٥). وقال الرازي: دعاء كقول القائل فويل لهم^(٦). ثم قال ابن الجوزي: المعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً بالإجابة^(٧). وقال ابن عاشور: أي أولى لهم من ذلك الخوف الذي دل عليه نظرهم كالمغشي عليه من الموت، أن يطيعوا أمر الله ويقولوا قولاً معروفاً^(٨). والزجاج قال: وعيد وتهديد، المعنى وليهم المكروه^(٩).

وقال الواحدي في تفسيره للآية: أي لو أطاعوا وقالوا لك قولاً حسناً كان ذلك أولى^(١٠).

قرأ حمزة والكسائي (فَأُولَى لَهُمْ) بالإمالة^(١١).

هدد الله المنافقين وأوعدهم وحذرهم بقوله (فَأُولَى لَهُمْ) أي الويل والهلاك لهم، والمراد الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه، أو أحق وأجدر بهم طاعة الله تعالى وقول معروف.

(١) جامع البيان (٣١٨/١١-٣١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

(٣) روح المعاني (٦٧/٢٦-٦٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٣/١٦).

(٥) الكشاف (٣١٦/٤).

(٦) مفاتيح الغيب (٥٤/٢٨).

(٧) زاد المسير (١٥٣/٧).

(٨) التحرير والتنوير (١٠٨/٢٦).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (١٢/٥).

(١٠) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوت عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (مج ٢/١٠٠٣).

(١١) التذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلدون المقرئ الحلبي، (ت ٣٩٩هـ)، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، ط ١: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، (مج ١/ ٢٠٠).

النص: ٢٦/٥٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَأُوْلَى لَهُمْ) قال: وعيد كما تسمعون.

٣١٩/١١

النص رقم: ٢٦/٥٩: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٢٥/٥٨.

قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

الآية: ٢١

النص: ٢٧/٦٠ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) يقول طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

٣٢٠-٣١٩/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وهذه الآية تبين أحوال المنافقين أيضاً كما جاء في الآية التي قبلها. فقوله تعالى: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) وهذا خبر من الله تعالى نكره عن قول هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة، ويذكر فيها القتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله عز وجل لهم (فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ) وفرض القتال فيها عليهم، فشق ذلك عليهم وكرهوه (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) قبل وجوب الفرض عليكم، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشق عليكم^(١). وذكر ابن كثير في تفسيره: معنى قوله (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) أي جد الحال وحضر القتال^(٢). وقال القرطبي: أي طاعة وقول معروف أمثل وأحسن، والمعنى: لهم طاعة وقول معروف

(١) جامع البيان (٣١٩/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

قبل وجوب الفرائض عليهم فإذا أنزلت الفرائض شق عليهم نزولها^(١). وهو ما قاله الزمخشري^(٢). وقال الألويسي: إنهم يقولون ذلك خديعة فإذا عزم الأمر ناقضوا وتعاصوا^(٣).

وقال ابن عباس: قال الله تعالى (فَأُولَى) ثم قال (لَهُمْ) أي: للذين آمنوا منهم (طاعة)، فصارت (أولى) وعيداً لمن كرهها، واستأنف الطاعة ب(لهم)^(٤). وقال الفراء في معانيه: وصف قولهم قبل أن تنزل: سمع وطاعة، قد يقولون: سمع وطاعة، فإذا نزل الأمر كرهوه، فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم، فالطاعة معروفة في كلام العرب إذا قيل لهم: افعلوا كذا وكذا، فنقل عليهم أو لم يثقل قالوا: سمع وطاعة^(٥). وأورد الرازي فقال: معناه (فَلَوْ صَدَقُوا) في إيمانهم واتباعهم الرسول (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ)^(٦).

ومن اللطائف: إذا عزم الأمر، أي جد وفرض القتال^(٧). ومعنى قوله جل ثناؤه: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) أي لو صدقوا في ذلك القول وفي القتال وأطاعوا الله تعالى، وأخلصوا له النية، لكان إظهار الإيمان والطاعة خيراً لهم من المعصية والمخالفة. وهو ما قاله قتادة حيث قال: طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

النص: ٢٨/٦١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة يقول: طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم.

٣٢٠/١١

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١٦).

(٢) الكشاف (٣١٦/٤-٣١٧).

(٣) روح المعاني (٦٨/٢٦).

(٤) زاد المسير (١٥٢/٧).

(٥) معاني القرآن (٦٢/٣).

(٦) مفاتيح الغيب (٥٥/٢٨).

(٧) لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، للإمام القشيري، حققه الدكتور: إبراهيم بسيوني، صدر له: الأستاذ: حسن عباس زكي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، (مج ٥/٤١٢).

النص رقم: ٢٨/٦١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٧/٦٠.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

الآية: ٢٢

النص: ٢٩/٦٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن.

٣٢٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٢٨/٤).
- وابن كثير في تفسيره (١٧٨/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٤/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا أنزلت سورة محكمة، وذكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشي عليه (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) أيها القوم، يقول: فلعلكم أن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به (أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء (وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشنت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم^(١). وقال ابن جريج: فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام^(٢). وقال مثله الشوكاني^(١). وقال الرازي: لا يقع منكم إلا الفساد في الأرض^(٢).

(١) جامع البيان (٣٢٠/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٥/١٦).

قرأ نافع (عَسَيْتُمْ) بكسر السين^(٣). وقرأ يعقوب (وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ) بفتح التاء والطاء وسكون القاف^(٤).

والصواب ما ذكره ابن كثير في تفسيره بأن معنى قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ) هو نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، لإستدلاله بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن عز وجل فقال مه، فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى، قال: فذاك لك، قال ابو هريرة رضي الله عنه أقرءوا إن شئتم) (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ)^(٥)(٦).

النص: ٣٠/٦٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ) قال: فعلوا.

٣٢٠/١١

(١) فتح القدير (٣٦/٥).

(٢) مفاتيح الغيب (٥٥/٢٨).

(٣) التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، عنى بتصحيحه: أوتوبرنزل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ص ٨١).

(٤) المبسوط في القراءات العشر، لأبي أحمد ابن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م، (ص ٣٤٤).

(٥) أخرجه:

١- البخاري في: (٧٨) كتاب الأدب، (١٣) باب من وصل وصله الله، حديث رقم (٥٩٨٧)، (١٤١/٤). وفي: (٩٧) كتاب التوحيد، (٣٥) باب قول تعالى: "يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ"، (سورة الفتح: آية ١٥)، حديث رقم: (٧٥٠٢)، (٤/٤٤٤-٦٤٥).

٢- ومسلم في: (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب، (٦) باب "صلة الرحم"، وتحريم قطيعتها، حديث رقم: (٢٥٥٤)، (٤/١٩٨٠-١٩٨١).

(٦) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

النص رقم: ٣٠/٦٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٩/٦٢.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

الآية: ٢٤

النص: ٣١/٦٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) إذا والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه ولكنهم أخذوا بالمتشابهة^(١) فهلكوا عند ذلك.

٣٢١/١١

تخريج النص:

- أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٨٠/٤).

- وأحمد في مسنده (٣٣٠/٢).

دراسة النص:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في أي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبير^(٢). وهو ما ذهب إليه قتادة، إذ أن المنافقين إذا تدبروا القرآن الكريم وعقلوه لوجدوا فيه زاجراً عن معصية الله تعالى.

(١) السور المتشابهة: أصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني، واختلفوا فيه، فقيل: هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضاً، وقيل: هو المنسوخ غير المعمول به. وقيل: القصص والأمثال. وقيل: ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه. وقيل: فواتح السور. وقيل: ما لا يُدري إلا بالتأويل. انظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (٦٩/٢ - ٧٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٢١/١١)، تفسير ابن كثير (١٧٩/٤ - ١٨٠)، والكشاف (٣١٧/٤ - ٣١٨)، وفتح القدير (٣٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٦ - ٢٤٧)، وزاد المسير (١٥٤/٧).

ولو تدبروا القرآن أفضى بهم إلى العرفان، وأراحهم من ظلمة التحير، فالكفار قلوبهم مقفلة، فلا الكفر الذي فيها يخرج، ولا الإيمان الذي هم يدعون إليه يدخل في قلوبهم^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾.

الآية: ٢٥

النص: ٣٢/٦٥ كما حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) هم أعداء الله أهل الكتاب، يعرفون بعث محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به.

٣٢٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٨٠/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد به قتادة.

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) يقول الله عز وجل إن الذين رجعوا القهقري على أعقابهم كفاراً بالله من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة، ثم آثروا الضلال على الهدى عناداً لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم، وقال ابن عباس والضحاك: هم أهل النفاق^(٢). وهذا القول قال به الزجاج^(٣). وقال الرازي: إشارة إلى أهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في

(١) لطائف الإشارات (مج ٤١٣/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٢٢/١١)، تفسير ابن كثير (١٨٠/٤)، والكشاف (٣١٨/٤)، فتح القدير

(٣٧/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/١٦)، وزاد المسير (١٥٤/٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١٣/٥).

التوراة بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه وارتدوا، أو إلى كل من ظهرت له الدلائل وسمعتها ولم يؤمن، وهم جماعة منعهم حب الرئاسة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يعلمون أنه الحق^(١).

اختلف قتادة مع المفسرين في معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) ٠٠ لكن هذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا، أشبه منها بصفة أهل الكتاب، وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت بقليلهم (لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ)^(٢) ولو كانت من صفة أهل الكتاب، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدوا من أجل قليلهم ما قالوا^(٣).

النص: ٣٣/٦٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) أنهم يجدونه مكتوباً عندهم.

٣٢٢/١١

النص رقم: ٣٣/٦٦: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٢/٦٥.

النص: ٣٤/٦٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ^(٤) لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) يقول: زين لهم.

٣٢٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

(١) مفاتيح الغيب (٥٨/٢٨)، وروح المعاني (٧٤/٢٦).

(٢) سورة محمد: الآية (٢٦).

(٣) جامع البيان (٣٢٢/١١).

(٤) سول لهم: التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه للإنسان ليفعله أو يخوله. انظر: النهاية في

غريب الحديث والأثر، (٤٢٥/٢). وسولت له نفسه كذا: زينته له. سول له الشيطان: أغواه. انظر:

لسان العرب (مج ٣٥٠/١١).

قوله: (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى^(١). وهو ما قاله ابن قتبية^(٢). وقال الحسن: أي زين لهم خطاياهم^(٣). وقيل: أعطاهم سؤلهم، وقال أبو علي الفارسي^(٤): بمعنى ولاهم من السؤل وهو الاسترخاء والتدلي^(٥).

والذي يطلع فجر قلبه، ويتلألأ نور التوحيد فيه، ثم قبل متوع نهار إيمانه إنكسفت شمس يومه، وغابت نجوم عقله ٠٠٠ فحدث عن ظلماته ولا حرج^(٦). ترى الباحثة أن أقوال المفسرين متفقة مع قول قتادة في معنى قوله (سَوَّلَ لَهُمْ): وهو زين لهم.

النص: ٣٤/٦٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سَوَّلَ لَهُمْ) يقول: زين لهم.

٣٢٢/١١

النص رقم: ٣٥/٦٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٤/٦٧.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

(١) انظر: جامع البيان (٣٢٢/١١)، وتفسير ابن كثير (١٨٠/٤)، والكشاف (٣١٨/٤)، وفتح القدير، (٣٧/٥)، وروح المعاني (٧٥-٧٤/٢٦)، وزاد المسير (١٥٤/٧).

(٢) تفسير غريب القرآن، (ص ٤١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/١٦).

(٤) أبو علي الفارسي: هو الحسن بن أحمد عبد الغفار بن محمد بن سليمان، الإمام أبو علي الفارسي، المشهور، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج، وابن السراج، وطوف بلاد الشام، وبرع من طلبته جماعة كابن جني، وكان متهماً بالاعتزال، ومن تصانيفه: الحجة، التذكرة، أبيات الإعراب، توفي ببغداد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (٤٩٦-٤٩٧).

(٥) البحر المحيط، (٨٣/٨).

(٦) لطائف الإشارات (مج ٤١٣/٥).

الآية: ٢٦

النص: ٣٦/٦٩ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) فهؤلاء المنافقون.

٣٢٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٤/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: أَمَلَى اللَّهُ لِهَؤُلاءِ الْمُنَافِقِينَ وَاَتْرَكَهُمْ، وَالشَّيْطَانَ سَؤْلَ لَهُمْ، فَلَمْ يُوَفِّقَهُم لِلْهُدَى مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ (قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) مِنَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الشَّرْكِ بِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) الَّذِي هُوَ خِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١). وقال ابن كثير: أي ما لؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرهم خلاف ما يبطنون^(٢). وقيل في معنى الآية: هم المنافقون، وقيل أنه قول المنافقين لقريظة والنضير^(٣): لئن أخرجتم لنخرجن معكم. وقيل (بَعْضِ الْأَمْرِ): التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بلا إله إلا الله، أو ترك القتال معه، وقيل: هو قول أحد الفريقين للمشركين: سنطيعكم في التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعودة عن الجهاد معه^(٤).

(١) جامع البيان (٣٢٣/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٨/٤).

(٣) بني النضير: هم جماعة من اليهود سكنوا حصناً قريباً من المدينة فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: عزالدين بن الأثير بن الجزري، (٣١٤/٣).

(٤) انظر: الكشاف (٣١٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٦)، فتح القدير (٣٧/٥)، وروح المعاني، (٧٥/٢٦).

وقال ابن الجوزي: وفي الكارهين قولان:

القول الأول: أنهم المنافقون، فعلى هذا في معنى قوله: (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ)

ثلاثة أقوال: **أحدها:** في القعود عن نصرته محمد صلى الله عليه وسلم، قاله

السدي. **والثاني:** في الميل إليكم والمظاهرة على محمد صلى الله عليه وسلم.

والثالث: في الارتداد بعد الإيمان، حكاهما الماوردي^(١).

القول الثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه قولان: أحدهما: في أن

لا يصدّقوا شيئاً من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله الضحاك.

والثاني: في كتم ما علموه من نبوته، قاله ابن جريج^(٢).

فما ذكره المفسرون يؤيد قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا

أَعْمَالَكُمْ﴾.

الآية: ٣٣

النص: ٣٧/٧٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) ٠٠٠ الآية، من استطاع

منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيئ فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير

ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

(١) الماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب الإمام الجليل القدر الرفيع المقدار والشأن أبو الحسن المعروف

بالماوردي صاحب الحاوي والإقناع في الفقه وأدب الدين والدنيا والتفسير ودلائل النبوة والأحكام

السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك، روي عن الحسن بن علي الحنبلي، ومحمد بن عدي

المقري وآخرين، روي عنه أبو بكر الخطيب وجماعة آخرهم أبو العز بن كادش. وتفقه بالبصرة على

الصيمري ثم رحل إلى الشيخ أبي حامد الاسفرايني ببغداد، وكان إماماً جليلاً رفيع الشأن قال الشيخ أبو

إسحق درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب وكان حافظاً للمذهب.

قال الخطيب: كان ثقة مات في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من

الغد في مقبرة باب حرب قال: وكان قد بلغ ستاً وثمانين سنة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لشيخ

الإسلام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، (٣/٣٠٣-٣٠٤). ووفيات الأعيان (٣/٢٨٢).

(٢) زاد المسير (٧/١٥٤).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٨٢/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

أن سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

ومعنى الآية: يقول تعالى ذكره: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) في أمرهما ونهيهما (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم، فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح^(٢). واختلف المفسرون في مُبْطِلُهَا على أقوال:

أحدها: أي حسناتكم بالمعاصي، قاله الحسن.

الثاني: بالكبائر، قاله الزهري^(٣).

الثالث: بالرياء والسمعة، قاله ابن جريج.

الرابع: بالمن، قاله مقاتل^(٤).

(١) أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) فخافوا أن يبطل الذنب العمل. انظر: لِيَابِ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، (ص ٢٦٩).

(٢) جمع البيان (٣٢٦/١١).

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام العلم، حافظ زمانه، توفي سنة ١٢٤هـ في رمضان. انظر: سير أعلام النبلاء، (٣٢٥/٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤/١٦-٢٥٥)، وزاد المسير (١٥٦/٧)، والبحر المحيط (٨٥/٨)، ومفاتيح الغيب (٦٢/٢٨-٦٣)، والكشاف (٣٢٠/٤-٣٢١)، وتفسير أبي السعود، (١٠١/٨).

ويقول وهبة الزحيلي في معنى الآية: يا أيها المؤمنون بالله ورسوله: أطيعوا أوامر الله، وأوامر الرسول فيما بلغكم من الشرائع في القرآن والسنة، ولا تضيعوا ثواب أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم بالرياء والسمعة والنفاق، ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ومخالفة أوامر الله ورسوله^(١).

قال الإمام الجصاص^(٢) في معنى قوله: (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) يحتج به في أن كل من دخل في قربة لا يجوز له الخروج منها قبل إتمامها لما فيه من إبطال عمله نحو الصلاة والصوم والحج وغيره^(٣).

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى. ويرجحه قول قتادة رحمه الله: حيث قال: من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيئ فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها. أسأل الله تعالى أن يعطيني وإياكم حسن الخاتمة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

الآية: ٣٥

النص: ٣٨/٧١ حدثني أحمد بن (١) المقدم، قال: ثنا المعتمر^(٢)، قال: سمعت أبي يحدثني، عن قتادة، في قوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ) قال: أي لا تكونوا أولى الطائفتين تصرع^(٣).

(١) التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، الدكتور: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، د.ط، ١٤١٦هـ، (ص ٥١١).

(٢) الجصاص: هو أحمد بن علي أبوبكر الرازي الحنفي، (المتوفى سنة ٣٧٠هـ)، صنف: "أحكام القرآن" شرح الجامع الكبير" وكان مشهوراً بالزهد، وله من المصنفات، شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، وشرح مختصر الطحاوي. انظر: تاريخ بغداد، (٣١٤/٤)، وتذكرة الحفاظ (٩٥٩/٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧١/٢).

(٣) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الدارابي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ص ٣٩٣).

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٥٥/١٦-٢٥٦).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: فَإِنْ تَضَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ عَنْ جِهَادِ الْمَشْرِكِينَ وَتَجَبَّنَا عَنْ قِتَالِهِمْ (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

واختلفوا في معنى قوله: (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) فقال بعضهم معناه: وأنتم أولى بالله منهم قاله: قتادة، وبعضهم قال: أنتم الغالبون الأعز منهم، قاله مجاهد، وابن زيد^(٤). وبه قال ابن كثير إلا إنه أضاف وقال: أي في حال علوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك^(٥).

(١) أحمد بن المقدم: هو أبو الأشعث العجلي، بصري، صدوق، صاحب حديث، طعن أبو داود في مروءته، من العاشرة، مات سنة ثلاث وخمسين، وله بضع وتسعون. انظر: تقريب التهذيب (ص ١٠٧).

(٢) المعتمر: هو معتمر بن سليمان التيمي، أبو محمد البصري، يلقب الطفيل، ثقة، من كبار التاسعة، مات سنة سبع وثمانين، وقد جاوز الثمانين. انظر: المصدر السابق، (ص ٦٢٧).

(٣) تصرع: التصريح: التفريق. انظر: لسان العرب (مج ٨/٢١٢).

(٤) جامع البيان (٣٢٦-٣٢٧).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٨١/٤)، الكشاف، (٣٢١/٤).

وقال أبو بكر: فيه الدلالة على امتناع جواز طلب الصلح من المشركين وهو بيان لما أكد فرضه من قتال مشركي العرب حتى يسلموا وقتال أهل الكتاب ومشركي العجم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية والصلح على غير إعطاء الجزية خارج عن مقتضى الآيات الموجبة لما وصفنا فأكد النهي عن الصلح بالنص عليه في هذه الآية وفيه الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة صلحاً وإنما فتحها عنوة لأن الله قد نهاه عن الصلح في هذه الآية وأخبر أن المسلمين هم الأعلون الغالبون ومتى دخلها صلحاً برضاهم فهم متساوون إذ كان حكم ما يقع بتراضي الفريقين فهما متساويان فيه ليس أحدهما بأولى بان يكون غالباً على صاحبه من الآخر (١).

وقال الشوكاني: (فَلَا تَهْنُؤُوا) أي لا تضعفوا عن القتال، والوهن الضعف (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء منكم، فإن ذلك لا يكون إلا عند الضعف، (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) أي وانتم الغالبون بالسيف والحجة، قال الكلبى: أي آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات (٢).

ينهى الله تعالى عبادة المؤمنين أن يضعفوا عن قتال أعدائهم من الكافرين ويدعوا الكافرين إلى الصلح والمهادنة وهم أقوىاء قادرون (٣).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي: (السَّلْمِ) بفتح السين (٤).

اتفق المفسرون في فهم الآية والقصد منها، والتي تدعو إلى عدم الضعف والموادعة للأعداء عند الحرب، لأن المسلمين هم الأعلون اعتقاداً وتصوراً للحياة، وارتباطاً وصلة بالعلي الأعلى، ومنهجاً وهدفاً وغايةً، وقوةً ومكاناً ونصرةً، فمعكم

(١) أحكام القرآن، للجصاص، (ص ٣٩٣).

(٢) انظر: فتح القدير (٣٩/٥-٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٥/١٦-٢٥٦)، وزاد المسير (١٥٦/٧-١٥٧).

(٣) أيسر التقاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (مج ٩١/٥).

(٤) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: دكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، (ص ٦٠١).

القوة الكبرى (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) ٠٠٠ فليستم وحدكم، إنكم في صحبة العلي الجبار وهو لكم نصير يدافع عنكم، فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون، وكل ما تفعلون لا يضيع منه شيء عليكم (وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ) فعلام يهن ويضعف ويدعوا إلى السلم^(١).

والناظر اليوم للمسلمين يرثي لحالهم وما وصلوا إليه من الضعف والهزيمة والذل أمام أعداء الله تعالى. والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

النص: ٣٩/٧٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتهما ودعتها إلى المودعة، وأنتم أولى بالله منهم والله أعلم.

٣٢٧/١١

النص رقم: ٣٩/٧٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٨/٧١.

النص: ٤٠/٧٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أي لن يظلمكم أعمالكم.

٣٢٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً فأخذت له مالاً غصباً^(٣). ويقول ابن كثير في معنى الآية: أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً والله أعلم^(٤). وقال الزمخشري: شبه إضاعة عمل العامل

(١) في ظلال القرآن (مج ٣٣٠٢/٦).

(٢) سورة المنافقون، الآية (٨).

(٣) جامع البيان (٣٢٧/١١).

(٤) تفسير ابن كثير (١٨١/٤).

وتعطيل ثوابه بوتر الواتر، من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً، وهو من فصيح الكلام، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ((من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله))^(١) أي أفرد عنهما قتلاً ونهباً^(٢). وقال بمثلهم مجاهد^(٣). وهو ما ذهب إليه قتادة.

النص: ٤١/٧٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

٣٢٨/١١

النص رقم: ٤١/٧٤: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٠/٧٣.

قوله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

الآية: ٣٨

النص: ٤٢/٧٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول: أن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوماً غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم.

(١) أخرجه:

١- البخاري في: (٩) كتاب مواقيت الصلاة، (١٤) باب إثم من فاتته العصر، حديث رقم: (٥٥٢)، (٢٦٦/١).

٢- ومسلم في: (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٣٥) باب التغليظ في تقويت صلاة العصر، حديث رقم: (٦٢٦)، (٤٣٦/١).

٣- والنسائي في: كتاب الصلاة، باب صلاة العصر في السفر، (١/٢٣٧-٢٣٩). انظر: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: الكشف (٤/٣٢١)، وفتح القدير (٥/٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٥٦)، وزاد المسير، (٧/١٥٧).

(٣) تفسير الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق: الدكتور: محمد عبد السلام محمد علي، مراجعة د. محمد رشاد محمد صالح، طبع في المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، البحرين، (ص ٤٥٦).

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٣/٥).
- والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٤٩٨/٢).
- والقرطبي في تفسيره (٢٥٨/١٦).

دراسة النص:

وقوله تعالى ذكره: **(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ)** يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم فترتدوا راجعين عنه **(يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ)** يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدقون به، ويعملون بشرائعه **(ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)** يقول: ثم لا يبخلون بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به^(١).

وفي هؤلاء القوم ثمانية أقوال:

أحدها: أنهم العجم، قاله الحسن، وفي الحديث عن أبي هريرة^(٢) رضي الله عنه

(١) جامع البيان (٣٢٩/١١).

(٢) أبو هريرة رضي الله عنه: اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها، عبد الرحمن بن صخر، وقيل ابن غنم، وقيل عبد شمس، وقيل عبد الله، وقيل سكين، وقيل عامر، وقيل ابن غنم، وقيل عمرو، وقيل سعيد، ويقال كان في الجاهلية اسمه عبد شمس، أبو الأسد، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا هريرة، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، إبراهيم بن إسماعيل، وأنس بن مالك، كان إسلامه في أول سنة سبع عام خيبر، مات سنة ٥٩ وله ٧٨ سنة. وقيل مات سنة ٥٧هـ، له في مسنده خمس ألف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٧٨/٢).

قال: لما نزلت (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) كان سلمان^(١) إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على منكب سلمان، فقال: ((هذا وقومه، والذي نفسي بيده! لو أن الدين معلق بالثريا لتناوله رجال من فارس))^{(٢)(٣)}.

الثاني: فارس والروم^(٤)، قاله: عكرمة.

الثالث: من يشاء من جميع الناس، قاله مجاهد.

الرابع: يأتي بخلق جديد غيركم، وهو معنى قول قتادة.

الخامس: كندة^(١) والنخع^(٢)، قاله: ابن السائب^(٣).

(١) سلمان الفارسي: يكنى أبا عبد الله من أهل مدينة أصبهان، ويقال من رامهر مز أسلم في السنة الأولى من الهجرة، وأول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وإنما منعه عن حضور ما قبل ذلك أنه كان مسترقاً لقوم من اليهود وكاتبهم، وأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته وعتق، ولم يزل بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق فخرج معهم، وحضر فتح المدائن ونزلها حتى مات بها. وقبره الآن ظاهر معروف بقرب ايوان كسرى عليه بناء. وقيل بأن سلمان توفي في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، إلا أنه أنبأنا عبد الباقي بن قانع: أن سلمان توفي بالمدائن سنة ست وثلاثين، فعلى هذا القول كانت وفاته في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والله أعلم. انظر: تاريخ بغداد (١/١٦٣-١٧١).

(٢) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق، سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح عليه السلام، طولها ثلاث وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة، وقصبتها الآن شيراز. انظر: معجم البلدان (٤/٢٢٦).

(٣) أخرجه مسلم في: (٤٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، (٥٩) باب فضل فارس، حديث رقم: (٢٥٤٦)، (٤/١٩٧٢-١٩٧٣).

(٤) الروم: جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم فقال قوم: إنهم من ولد روم بن سماح بن هريمان بن علقان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقال آخرون: إنهم من ولد روميل بن الأصفر بن اليعز بن العيص بن إسحاق. حدودها من جهة الشرق والشمال الترك والخزر ورُس، وهم الروس، ومن الجنوب الشام والإسكندرية، ومن الغرب البحر والأندلس. انظر: معجم البلدان (٣/٩٧-٩٨).

السادس: أهل اليمن، قاله: عبد الرحمن بن جبير^(٤)، وشريح^(٥) بن عبيد.

السابع: الأنصار^(٦)، قاله: مقاتل.

الثامن: أنهم الملائكة، قاله: ابن عباس. وقد قيل: إن تولى أهل مكة استبدل الله بهم أهل المدينة، وهذا معنى ما ذكرنا عن مقاتل^(٧).

(١) كندة: قبيلة من كهلان، وكندة هذا أبوهم، واسمه ثور، وإنما سمي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته، وكندة هذا هو ابن أخي: قصي، وجذام، ولخم، وعاملة وبلاد كندة باليمن، وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن ومنهم: أمرؤ القيس، ابن عابس الكندي الصحابي. انظر: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، (ص: ٤٠٩).

(٢) النخع: النخع بنو عمرو بطن من مذحج، من القحطانية: وهم بنو النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج (وهو مالك) بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. نزلوا الكوفة، وانتشر ذكركم، ووفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آخر الوفود، في نصف المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن واشتركوا في وقعة صفين سنة ٣٧هـ. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٣/١١٧٦).

(٣) ابن السائب: هو عبدالله بن علي بن السائب بن عبيد المطلبي، مستور، من الثالثة. انظر: تقريب التهذيب (ص ٣٧٢).

(٤) عبد الرحمن بن جبير: عبد الرحمن بن جبير، ابن نغير، الحضرمي، الحمصي، ثقة، من الرابعة، مات سنة ثمان عشرة. انظر: تقريب التهذيب (ص ٣٩٧).

(٥) شريح بن عبيد: شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي، الحمصي، ثقة، من الثالثة، وكان يرسل كثيراً، مات بعد المائة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٣١٦).

(٦) الأنصار: هم جماعة من أهل المدينة من الصحابة من أولاد الأوس والخزرج، قيل لهم الأنصار لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم كثرة على اختلاف بطونهم وأفخاذها فمنهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وغيرهما. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، (١/٨٩-٩٠).

(٧) انظر: زاد المسير (٧/١٥٧-١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٥٨)، والكشاف (٤/٣٢٢)، وروح المعاني (٢٦/٨٢)، ومفاتيح الغيب (٢٨/٦٥-٦٦)، وفتح القدير (٥/٤١).

ومن لطائف هذه السورة: يستبدل قوماً غيركم يكونون أشد منكم طاعة، وأصدق منكم وفاءً، فهو قادر على خلق أمثالكم ثم لا يكونون أمثالكم في العصيان والإعراض وترك الشكر والوفاء... بل سيكونون خيراً منكم^(١).

إن تفسير قوله تعالى (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) قد أجمع عليه أئمة التفسير. وفي الآية معجزة غيبية، فقد أخبرت عن غيب، ووقع كما أخبرت به، فقد تولى العرب عن حمل الإسلام أو ضعفوا، فقيض الله لهذا الإسلام من يحمله، فلا يكاد لواء الإسلام يميل حتى يرفعه شعب حتى عصرنا هذا^(٢).

النص: ٤٣/٧٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) قال: إن تولوا عن طاعة الله.

٣٢٩/١١

النص رقم: ٤٣/٧٦: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٢/٧٥.

(١) لطائف الإشارات، للقشيري (مج ٥/٤١٦).

(٢) الأساس في التفسير، لسعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (مج ٩/٥٣٣٢).

(٤٨) سورة الفتح مدنية عدد آياتها (٢٩)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

الآية: ١

النص: ١/٧٧ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن قتادة، قوله: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) قال: قضينا لك قضاء مبيناً.

٣٣٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٣٠/٤).
- والترمذي في سننه (٣٨٥/٥).
- والحاكم في المستدرک على الصحيحين (١٤٣/٢).

دراسة النص:

قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، يقول انس^(١) رضي الله عنه: لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا، فنحن بين الحزن والكآبة، أنزل الله عز وجل: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها^(٢). يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا): أي حكماً لك يا محمد

(١) أنس بن مالك: هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الإمام أبو حمزة الأنصاري النجاري المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله صحبة طويلة وحديث كثير وملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر إلى أن مات ثم أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي وطائفة وعمر دهاً وكان آخر الصحابة موتاً، روي عنه الحسن والزهري وقاتدة وثابت البناني وغيرهم، مات في سنة ثلاث وتسعين قاله حميد الطويل وابن علية، وقال قتادة والهيثم بن عدي وأبو عبيدة: مات سنة إحدى وتسعين. أنظر: تذكرة الحفاظ، (٤٤/١-٤٥)، وتهذيب التهذيب (٣٢٩/١-٣٣١).

(٢) أسباب النزول، للواحي، (ص ٣٢٣).

حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر لتشكر ربك، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم^(٣). وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: أنه كان يوم الحديبية، قاله الأكثرون، قال الشعبي: هو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدى محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية. قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهدى بالحديبية وحلق رأسه، وقال ابن قتيبة: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) أي: قضينا لك قضاءً عظيماً، وكذا قاله قتادة. القول الثاني: أن هذا الفتح فتح مكة رواه مسروق عن عائشة، وبه قال السدي. والثالث: أنه فتح خيبر^(٤) قاله مجاهد. والرابع: أنه القضاء له بالإسلام، قاله مقاتل^(٥).

ومن لطائف الآية: هديناك إلى شرائع الإسلام، ويسرنا لك أمور الدين^(٦).

أختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) على عدة أقوال إلا أن المعنى العام الذي تدور عليه السورة هو بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح الأعظم وانتشار الإسلام والقضاء على الكفر وهذا ما عناه قتادة.

النص: ٢/٧٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) والفتح: القضاء.

٣٣٢/١١

(٣) جامع البيان (٣٣١/١١).

(٤) غزوة خيبر: كانت في محرم، سنة ٧ هـ، سببها: العداوة المستمرة التي أعلنها اليهود في خيبر، وإتصالهم بغطفان يحرضونهم على المسلمين، والحلف المعقود برئاسة خيبر، والذي أراد مدهامة المدينة المنورة. وهدفها: القضاء على تأمر اليهود وحلفهم المبرم ضد المسلمين، وإنهاء تأليبهم القبائل ضد المسلمين. فتح المسلمون حصون خيبر: النّظاة (ناعم والصعب وقلة)، والشق (أبى والبريء)، والكتيبة (القموص والوطيح والسلام)، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرض لأهل خيبر بشرط ما يخرج منها. أنظر: أطلس السيرة النبوية، للدكتور: شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ربيع الثاني، ١٤٢٣ هـ، حزيران (يونيو)، ٢٠٠٢ م، (ص ١٥٦).

(٥) زاد المسير (١٥٩/٧-١٦١)، والرازي (٦٧/٢٨)، البحر المحيط (٨٩/٨)، تفسير ابن كثير (١٨٣/٤)، الكشف (٣٢٣/٤-٣٢٤)، والتفسير المنير (١٥٠/٢٦)، وتفسير المراغي (مج ٨٢-٨٣)، وتفسير البيضاوي، (ص ٦٧٦).

(٦) لطائف الإشارات (مج ٤١٧/٥).

النص رقم: ٢/٧٨: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ١/٧٧.

قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾.

الآيتان: ٢-٣

النص: ٣/٧٩ حدثنا أحمد بن المقدم، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أنس بن مالك قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا، قال: فنحن بين الحزن والكآبة قال: فأنزل الله عز وجل: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)، أو كما شاء الله، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد أنزلت علي آية أحب إلي من الدنيا جميعاً)).

٣٣٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٢٥).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

ذكر السيوطي سبب نزول قوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)^(٧). يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) إنما هو خبر من الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام عن جزاءه له على شكره له، على النعمة التي أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح، لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها، وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر إلى الوقت الذي قال: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

(٧) أخرج الشيخان والترمذي عن أنس قال: أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا فنزلت: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) حتى بلغ: (فَوَرًا عَظِيمًا). أنظر: لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٧٠).

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وأما الفتح الذي وعد الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة على شكره إياه عليه فإنه فيما ذكر الهدنة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش بالحديبية^(٨).

وأضاف ابن كثير فقال: غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أطاع الله وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)^(٩). وكذا قال مقاتل: ما تقدم في الجاهلية وما بعدها^(١٠)، وقال مثل قوله: مجاهد، وسفيان الثوري والواحدي^(١١). وقال الرازي: إن الفتح لم يجعله سبباً للمغفرة وحدها، بل هو سبب لاجتماع الأمور المذكورة وهي: المغفرة، وإتمام النعمة والهداية والنصرة^(١٢). وقال عطاء الخراساني: (مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ): يعني ذنب أبويك آدم وحواء^(١٣) ببركتك (وَمَا تَأَخَّرَ): ذنوب أمتك بدعوتك^(١٤).

وافق قول قتادة أقوال المفسرين.

وكان لهذا الصلح هذه الآثار المباركة، مع أن كل الصحابة لم يكونوا متحمسين له، ولم يكونوا مرتاحين حين عقده، بدليل أن أحداً منهم لم يخلق عندما أمر رسول الله

(٨) جامع البيان (١١/٣٣١-٣٣٢).

(٩) تفسير ابن كثير (٤/١٨٤).

(١٠) الكشاف (٤/٣٢٤-٣٢٥).

(١١) تفسير المراغي (مج ٩/٨٣).

(١٢) مفاتيح الغيب (٢٨/٦٨)، والبحر المحيط (٨/٩٠)، وزاد المسير (٧/١٦١).

(١٣) حواء: حكى السدي عن ابن عباس بن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشي، ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعده، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه، ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي. وعن ابن عباس: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر، وهو نائم ولأم مكانه لهماً. ومصدق هذا في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (سورة النساء، الآية ١)، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً". انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١/٧٤).

(١٤) معالم التنزيل (مج ٧/٢٩٨).

صلى الله عليه وسلم بالتحلل حتى أبوبكر، وفي ذلك درس كبير لهذه الأمة في أن رعاية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فوق كل رعاية، وأن العمل الذي يقصد فيه وجه الله وطاعته يجعل الله فيه من الآثار المباركة ما لا تخطر على بال، مهما ظن الناس، أن في هذا العمل انكساراً أو انحساراً أو تراجعاً أو ذلاً، كما نظر عمر رضي الله عنه إلى المعاهدة على أنها إعطاء الدنيا في دين الله عز وجل، وفي تسمية الله المعاهدة فتحاً درس كبير للمسلمين في أن الفتح ليس فقط في العمل العسكري، بل قد يكون في العمل السياسي، حتى الذي ظاهره تراجع أو ذله^(١٥).

النص: ٤/٨٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) مرجعه من الحديبية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض)) مقرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ١٠٠ إلى قوله (فَوْزًا عَظِيمًا).

٣٣٣/١١

النص رقم: ٤/٨٠ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣/٧٩.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

الآية: ٨

النص: ٥/٨١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يقول: شاهداً على أمته أنه قد بلغهم ومبشراً بالجنة لمن أطاع الله، ونذيراً من النار.

٣٣٧/١١

تخريج النص:

(١٥) الأساس في التفسير، لسعيد حوى، (مج ٩/٥٣٤٩ - ٥٣٥٠).

- أخرجه أحمد في مسنده (١٨٢/٩).
- والبيهقي في السنن الكبرى (٤٥/٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (شَاهِدًا) على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، (ومبشراً) لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيم ونذيراً لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك^(١٦). وقال ابن كثير: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) أي على الخلق (وَمُبَشِّرًا) أي للمؤمنين (وَنَذِيرًا) أي للكافرين^(١٧). وقال الرازي: (شَاهِدًا) على أمتك بما يفعلون كما قال تعالى (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(١٨) (وَمُبَشِّرًا) لمن قبل شهادته (وَنَذِيرًا) لمن رد شهادته^(١٩).

دلت الآية على أن مهام النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث: أ/الشهادة على الخلق وعلى أمته بالبلاغ. ب/وتبشير من أطاعه بالجنة. ج/وانذار من عصاه بالنار. وهذا ما ذكره المفسرون رغم اختلاف التعابير، فوافق قول قتادة أقوالهم.

قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

الآية: ٩

النص: ٦/٨٢ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَيُعَزِّرُوهُ) ينصروه (وَيُوَقِّرُوهُ) أمر الله بتسويده وتفخيمه.

٣٣٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٦) جامع البيان (٣٣٧/١١).

(١٧) تفسير ابن كثير (١٨٥/٤).

(١٨) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(١٩) مفاتيح الغيب (٧٤/٢٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/١٦)، التفسير المنير (١٦٢/٦)، وتفسير أبي

السعود (١٠٦/٨).

دراسة النص:

وقوله: (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ): اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تجلّوه وتعظموه قاله: ابن عباس، والضحاك. وقال آخرون: معنى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ): وينصروه، ومعنى (وَيُقِرُّوهُ): ويفخموه قاله: قتادة، وعكرمة. وقال آخرون: معنى ذلك: ويعظموه قاله: ابن زيد.

وأما قوله: (وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) يقول: وتصلوا له يعني لله بالغدوات والعشيات. والهاء في قوله: (وَتُسَبِّحُوهُ) من ذكر الله وحده دون الرسول. وقد ذكر أن ذلك في بعض القراءات: (ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً)^(٢٠). ثم اختلف القراء في قراءة قوله (لِئْتُمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ) فقراءتكم ذلك عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء بالتاء (لِئْتُمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ). وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء (لِئْتُمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَيُسَبِّحُوهُ). والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيحتان المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب^(٢١).

وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة. أعني لتؤمنوا وما بعده بياء الغيبة، وعن ابن مسعود وابن جبير كذلك إلا أنهما قرءا (ويسبحوا الله) بالاسم الجليل مكان الضمير^(٢٢).

وذكر هؤلاء المفسرون قول ابن عباس في معنى هذه الآية حيث قال: (وتسبحوا الله بكرة وأصيلاً): صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر.

نجد أن هذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها، إن الغاية من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم هو الوصول إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى

(٢٠) جامع البيان (٣٣٧/١١-٣٣٨)، وتفسير ابن كثير (١٨٥/٤)، وزاد المسير (١٦٣/٧)، والكشاف

(٣٢٦/٤)، روح المعاني (٩٦/٢٦).

(٢١) جامع البيان (٣٣٧/١١).

(٢٢) روح المعاني (٩٦/٢٦).

الله عليه وسلم، ونصرة دين الله ورسوله، وتعظيم الله وإجلاله، وتسبيحه بالقول وتنزيهه من كل قبيح على الدوام، أو في أول النهار وآخره، أو فعل الصلاة التي فيها التسبيح^(٢٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ^(٢٤) فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

الآية: ١٠

النص: ٧/٨٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ) وهم الذين بايعوا يوم الحديبية.

٣٣٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٣٨/٦).
- وابن كثير في تفسيره (١٨٥/٤).

دراسة النص:

القول في تأويل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره انبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية^(٢٥) من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو،

(٢٣) التفسير المنير (١٦٤/٢٦).

(٢٤) نكت: النكت: نقض العهد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٤/٥).

(٢٥) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة معتمراً، لا يريد حرباً، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له، ثم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً علمت بمسيره فخرجوا يعاهدون الله لا يدخلها عليهم أبداً. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش، في طريق على ثنية المدار مهبط الحديبية من أسفل مكة. وفي هذا الموقع بعثت قريش برسولها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكلموه

ولا يولوهم الأدبار (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك. (٢٦) وقال ابن كثير: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) كقوله جل وعلا (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم (٢٧). وقال الزمخشري: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أكدته تأكيداً على طريق التخييل يريد أن يد رسول الله تعلق أيدي المبايعين: وهي يد الله، والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام أي أن عقد الميثاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٢٨).

وقال سلمة بن الأكوع (٢٩): بايعنا على الموت (٣٠). وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة (٣١).

وقال ابن عمر وجابر رضي الله تعالى عنهم: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) على أن لا يفروا من قریش (٣٢). وقال المراغي (٣٣): المراد بيعة الرضوان بالحديبية، وقد بايعه جماعة من الصحابة منهم معقل بن يسار (٣٤) (٣٥).

وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت؟. بعد ذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قریش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ولكن حين بلغه أن عثمان قد قتل قال: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، سنة ست في ذي القعدة. أنظر: السيرة النبوية، لابن هشام (القسم الثاني / ٣٠٨-٣١٥).

(٢٦) جامع البيان (٣٣٨/١١).

(٢٧) تفسير ابن كثير (١٨٥/٤).

(٢٨) الكشاف (٣٢٦/٤)، وفتح القدير (٤٧/٥-٤٨).

(٢٩) سلمة بن الأكوع: هو سلمة بن عمرو بن الأكوع، شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات: في أول الناس، وفي أوسطهم، وفي آخرهم، وبايعه يومئذ على الموت، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن طلحة بن عبيد الله وأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان، عمر بن الخطاب، روى عنه ابنه إياس بن سلمة بن الأكوع، وزيد بن أسلم وآخرون، وكان يسكن الرّيدة، وكان شجاعاً رامياً محسناً خيراً، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة. أنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٧/٤٤٩-٤٥٠).

(٣٠) البحر المحيط (٩١/٨).

(٣١) معالم التنزيل (مج٣٠٠/٧).

(٣٢) روح المعاني (٩٦/٢٦).

وقوله تعالى: (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا): أي الجنة، أتفق في معناه المفسرون. أعلاه.

أن معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ) أي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كانوا نموذجاً حقاً للمبايعين الصادقين لذلك أثابهم الله عز وجل في الدنيا بالفتح القريب، وأنزل السكينة والمغانم والهداية إلى الصراط المستقيم. فما أحوجنا نحن اليوم إلى هذه المعاني والقيم حتى نتمكن من الانتصار على أهل الشرك والنفاق.

النص: ٨/٨٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وهي الجنة.

٣٣٩/١١

النص رقم: ٨/٨٤: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧/٨٣.

قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُئِينَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٣٦).

الآية: ١٢

(٣٣) المراغي: هو أحمد مصطفى المراغي، (ت ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م)، من أعلام الأزهر، من بلدة مراغة بمصر، صدر له قبل وفاته بثلاثة أعوام: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، وتفسير المراغي في (١٠) مج. أنظر: معجم المؤلفين المعاصرين (١/٩٣-٩٤).

(٣٤) معقل بن يسار: (٠٠٠-٠٠٠هـ-٠٠٠ نحو ٦٨٥م): هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صحابي، أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان، وسكن البصرة، وتوفي بها. أنظر: الأعلام (٧/٢٧١).

(٣٥) تفسير المراغي (مج ٩/٩١).

(٣٦) بوراً: فاسدين: انظر: العُمدة في غريب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (٣٥٥-٤٣٧هـ)، شرح وتعليق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (ص ٢٧٦).

النص: ٩/٨٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) ... قوله: (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال: ظنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك، وأنهم سيهلكون فذلك الذي خلفهم عن نبي الله صلى الله عليه وسلم.

٣٤١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٦٩/١٦).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره إليهم بقولهم: (شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا) ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظناً منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبداً باستئصال العدو إياهم وزين ذلك في قلوبكم، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم حتى حسن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته (وَوَظَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم. وقوله: (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) يقول: وكنتم قوماً هلكى لا يصلحون لشيء من الخير قاله: مجاهد وابن زيد، ومنه قول أبي الدرداء^(٣٧): فأصبح ما جمعوا بوراً أي ذاهباً قد صار باطلاً لا

(٣٧) أبي الدرداء: عويمر بن زيد رضي الله عنه، ويقال عويمر بن عبد الله ويقال ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، الإمام الرياني، وكان يقال: هو حكيم هذه الأمة قيل أن إسلامه تأخر إلى يوم بدر ثم شهد أحداً وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، وحفظ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضيههم، مات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين. أنظر: تذكرة الحفاظ، (٢٤/١-٢٥)، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تأليف: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة: ١٤ شارع الجمهورية بعابدين: القاهرة، (ص ١٢).

شيء منه^(٣٨). وافق الطبري في تفسيره ابن كثير^(٣٩)، وابن الجوزي^(٤٠). وقال الزمخشري مثل قولهم إلا أنه أضاف فقال: والبور: من بار، كالهالك: من هلك، بناء ومعنى، ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعود، والمعنى: وكنتم قوماً فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم^(٤١). وبه قال الشوكاني^(٤٢).

قول قتادة وافق أقوال أئمة المفسرين.

(٣٨) جامع البيان (١١/٣٤٠-٣٤١).

(٣٩) تفسير ابن كثير (٤/١٨٩).

(٤٠) زاد المسير (٧/١٦٤).

(٤١) الكشاف (٤/٣٢٨)، ومعالم التنزيل (مج٧/٣٠١)، والبحر المحيط (٨/٩٣)، ومفاتيح

الغيب (٢٨/٧٧-٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٦٩)، والتبيان في تفسير القرآن (مج٩/٣٢٢).

(٤٢) فتح القدير (٥/٤٧).

النص: ١٠/٨٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال: فاسدين.

٣٤١/١١

النص رقم: ١٠/٨٦: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٩/٨٥.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فُلَنْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

الآية: ١٥

النص: ١١/٨٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ...) الآية، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية.

٣٤٣-٣٤٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٨٩/٤-١٩٠).
- والقرطبي في تفسيره (٢٧١/١٦).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٢٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سيقول يا محمد المخلفون في أهلهم عن صحبتك إذا سرت معتمراً تريد بيت الله الحرام: إذا انطلقت أنت ومن صحبتك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنمة (لتأخذوها) وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ٠٠٠ يقول: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضاً من

غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً وافقه مجاهد وقتادة^(١).

وتطرق هؤلاء المفسرون وغيرهم^(٢) على ما قاله ابن زيد وهو ان قوله تعالى: (فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا)^(٣) نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، فقالوا إن قول ابن زيد فيه نظر لأن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك^(٤) وعني به الذين تخلّفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم ولا خلاف في أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضاً، فكيف يكون الأمر على ما وصفنا معنياً بقول الله (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يعتمر فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بينا^(٥).

(١) جامع البيان (٣٤٢/١١)، ابن كثير (١٨٩/٤-١٩٠)، وزاد المسير (١٦٥/٧)، والكشاف (٣٢٩/٤)، ومعالن التنزيل (مج ٣٠٢/٧)، والبحر المحيط (٩٣/٨-٩٤)، ومفاتيح الغيب (٧٨/٢٨-٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧١/١٦).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ص ٦٧٨-٦٧٩)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، (١٠٨/٨).

(٣) سورة التوبة (٨٣).

(٤) غزوة تبوك: كانت في رجب سنة تسع حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسرة الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم. أنظر: السيرة النبوية، لأبن هشام، (القسم الثاني، ص ٥١٥-٥١٦).

(٥) جامع البيان (٣٤٣/١١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الآية: ١٦

النص: ١٢/٨٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: قال الحسن، في قوله (سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال: هم فارس والروم.

٣٤٥-٣٤٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٩٠/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ) يا محمد (لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) عن المسير معك (سَتُدْعُونَ إِلَى) قتال (قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ) في القتال (شَدِيدٍ)، واختلف أهل التأويل في هؤلاء الذين أخبر الله عز وجل عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يدعون إلى قتالهم فقال بعضهم: هم أهل فارس، قاله ابن عباس، وعبد الرحمن بن أبي ليلي^(١)، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد. وقال آخرون: هم هوازن^(٢) بحنين، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. وقال آخرون: بل هم

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلي: الإمام أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه، روي عن عثمان وعلي وابن مسعود وأبي ذر وطائفة، مولده في أثناء خلافة عمر بالمدينة، عن أبي حصين أن الحجاج استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلي على القضاء ثم عزله ثم ضربه ليسب علياً رضي الله عنه، ثم أنه خرج مع ابن الأشعث، وغرق رحمه الله سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين. أنظر تذكرة الحفاظ (٥٨/١).

(٢) قبيلة هوازن: بطن من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم بنو هوازن بن منصور، كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن، ومن أديتهم: حنين، غزا الرسول صلى الله عليه وسلم هوازن بوادي حنين لست خلون من شوال بعد فتح مكة، وارتدوا سنة ١١هـ عن الإسلام فيمن ارتد من العرب. أنظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣/١٢٣١-١٢٣٢).

بنو حنيفة^(١): قاله الزهري، وسعيد بن جبير، وعكرمة. وقال آخرون: لم تأت هذه الآية بعد: قاله أبي هريرة رضي الله عنه. وقال آخرون: هم الروم: قاله كعب^(٢)، ووافقه ابن كثير^(٣)، والزمخشري^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، وابن حيان^(٦)، والرازي^(٧).

وزاد ابن كثير في هذه الآية وقال: حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة))^(٨).

قال سفيان هم الترك^(٩).

(١) بنو حنيفة: حي من بكر بن وائل، من العدنانية. وهم: بنو حنيفة بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. وكانت منازل بني حنيفة اليمامة. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ص ٢٣٨).

(٢) جامع البيان (١١/٣٤٤-٣٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٩٠).

(٤) الكشاف (٤/٣٢٩-٣٣٠).

(٥) زاد المسير (٧/١٦٥-١٦٦).

(٦) البحر المحيط (٨/٩٤).

(٧) مفاتيح الغيب (٢٨/٨٠).

(٨) أخرجه أحمد بن حنبل في (٣/٣١). انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٩) الترك: من قبائل محافظة حلب، أصلها من نجد، قدمت إلى المنطقة السورية في القرن السادس عشر للميلاد، بقيادة ثلاثة أخوة، تركي، دلباش، وخابور، وبالاسم الأول سميت هذه القبيلة، وهم بدو. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (١/١١٨)، ويبيعون الكلاً، وإن بلدهم شديد البرد، وهم نزول في خيام، وأكثر أهلها عبدة نيران على مذهب المجوس، وهي كثيرة الأهل والزحام والأسواق والتجارات. انظر: معجم البلدان (٢/٢٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى (سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال هم البارزون يعني الأكراد^(١)(٢).

والقول بأنهم قوم بني حنيفة ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم بتوسع منهم الزمخشري^(٣)، والنسفي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والمراغي^(٦)، وأبي السعود^(٧)، في معنى قوله تعالى: (أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) هم بني حنيفة قوم مسيلمة^(٨) وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية، وعند الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب، وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته.

(١) الأكراد: هي طائفة معروفة، ينسب إليها كثير من العلماء. أنظر: اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: عزالدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى - بغداد، (٩٢/٣)، والكرد: شعب يسكن هضبة فسيحة في أسيا الوسطى، وبلادهم موزعة بين تركيا، وإيران، والعراق، وغيرها. أنظر: المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، دار الدعوة مؤسسة ثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، (٧٨٢/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٩٠/٤).

(٣) الكشف (٣٢٩/٤ - ٣٣٠).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٣/٣٨٠ - ٣٨١).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص ٦٧٩).

(٦) تفسير المراغي (مج ٩/٩٩).

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٩/٨).

(٨) مسيلمة الكذاب: خرج باليمامة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأدعى النبوة وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وبقي مسيلمة حتى قتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أنظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ص ٢٣٩)، وهو مسيلمة الكذاب بن ثمامة، ابن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبدالحارث بن عدي بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة. انظر: جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، بمصر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، (ص ٣١٠).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجده في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عنى بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد^(١).

النص: ١٣/٨٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة (سَدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال: قال الحسن: دعوا إلى فارس والروم.

٣٤٥/١١

النص: ١٤/٩٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ) قال: هي هوازن وغطفان يوم حنين.

٣٤٥/١١

النصوص: ١٣/٨٩-١٤/٩٠ تقدمت دراستهم وتخرجهم في النص رقم: ١٢/٨٨.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الآية: ١٧

النص: ١٥/٩١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ) قال: هذا كله في الجهاد.

٣٤٦-٣٤٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه البيهقي في سننه (٢٧٤/٧).

(١) جامع البيان (٣٤٦/١١).

- والقرطبي في تفسيره (٢٧٣/١٦-٢٧٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها (١). وقال ابن كثير: ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر، وعارض كالمرض الذي يطرأ أليماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ (٢). وقال مثله الزمخشري (٣)، والبغوي (٤)، والقرطبي (٥)، وزاد الألويسي: أي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة، وليس في نفي ذلك عنهم نهي لهم عن الغزو، بل قالوا: إن أجرهم مضاعف في الغزو، وقد غزا ابن أم مكتوم (٦) وكان أعمى رضي الله تعالى عنه وحضر في بعض

(١) جامع البيان (٣٤٦/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٩٠/٤).

(٣) الكشاف (٣٣٠/٤).

(٤) معالم التنزيل (مج ٣٠٣/٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٦-٢٧٤).

(٦) ابن أم مكتوم: هو عبد الله بن أم مكتوم، من بني عامر بن لؤي وأم مكتوم، اسمها عاتكة، مخزومية، قدم المدينة بعد بدر وقد ذهب بصره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته، ويؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أوقاته، قال عليه السلام ((إن بلال يؤذن بليل فكلوا وأشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم)). وفيه نزل (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) (عبس: ١) وكلما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله: ((مرحباً بمن عاتبني فيه ربي))، وشهد ابن أم مكتوم القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ثم رجع إلى المدينة فمات بها. أنظر: الأنساب، تأليف: الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (المتوفى، سنة ٥٦٢هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (٢٠١/١).

حروب القادسية، وكان يمسك الراية^(١). قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: (الْأَعْمَى)، بالإمالة^(٢). وقرأ نافع وابن عامر (ندخله) و(نعذبه) بالنون فيهما والباقون بالياء^(٣).

وقال ابن حيان: فلو حضر المسلمون فالغرض متوجه بحسب الوسع في الغزو^(٤). وذكر الرازي قائلاً: اقتضت الآية على الأصناف الثلاثة، لأن العذر إما أن يكون بإخلال في عضو أو باختلال في القوة، وإخلال العضو فإما أن يكون بسبب اختلال في العضو الذي به الوصول إلى العدو، أو الذي تتم به فائدة الحصول في المعرفة والوصول والأول هو الرجل، والثاني هو العين، لأن بالرجل يحصل الإنتقال، وبالعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب^(٥).

وقال ابن العربي في معنى الآية: نفى لوجوب الجهاد عليهم^(٦).

تلاقت أقوال أهل العلم مع قول قتادة في معنى قوله الكريم: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ) أي عذر أهل العذر من الناس عن الجهاد.

النص: ١٦/٩٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: ثم عذر أهل العذر من الناس، فقال: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ).

٣٤٧/١١

النص رقم: ١٦/٩٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٥/٩١.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

(١) روح المعاني (١٠٥/٢٦).

(٢) التذكرة في القراءات الثمان (٢٠٠/١).

(٣) التيسير في القراءات السبع (ص ٢٠١).

(٤) البحر المحيط (٩٥/٨).

(٥) أنظر: مفاتيح الغيب (٨٢-٨١/٢٨).

(٦) أحكام القرآن، لأبن العربي (١٤٠٣/٣).

الآية: ١٨

النص: ١٧/٩٣ حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: "الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فجعلت لهم مغنم خيبر، كانوا يومئذ خمس عشرة مئة، وبايعوا على أن لا يفروا عنه".

٣٤٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

النص: ١٨/٩٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ): أي الصبر والوقار.

٣٥٠/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- النص:** ١٩/٩٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)، وهي خيبر.

٣٥٠/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

ذكر السيوطي أسباب نزول الآية الكريمة قائلاً: أخرج ابن (١) أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن أبي حاتم: الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ولد سنة أربعين. وقال أبو يعلى الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بجرأ، في العلوم ومعرفة الرجال، صنّف في الفقه واختلاف

وسلم: يا أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) الآية^(١). وعن تفسير الآية قال الطبري: لقد رضى الله يا محمد عن المؤمنين (إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) يعني بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله بالحديبية، حين بايعوه على مناخزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة^(٢). واختلف أهل التأويل في عددهم على عدة أقوال:

أحدها: ألف وأربع مائة قاله: جابر، وسعيد بن المسيب وفي الحديث عن جابر قال: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة. قال مثله ابن كثير^(٣).

ثانياً: كان عدتهم ألفاً وخمس مائة وخمسة وعشرين: قاله ابن عباس، وقتادة، وفي الحديث عن ابن عباس: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمس مائة وخمسة وعشرين.

ثالثاً: كانوا ألفاً وثلاث مائة: قاله عبد الله بن أبي^(٤) أوفى: (كانوا يوم الشجرة ألفاً وثلاث مائة، وكانت اسلم يومئذ من المهاجرين)^(٥). وأضاف الرازي فقال: أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي كان معها علم الله

الصحابة والتابعين، وكتابه في التفسير عدة مجلدات، مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاث مائة. أنظر: تذكرة الحفاظ (٣/٨٢٩-٨٣١).

(١) لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٧٠-٢٧١).

(٢) جامع البيان (١١/٣٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٩٠-١٩١).

(٤) عبد الله بن أبي أوفى: هو علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرأ، مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. أنظر: تقريب التهذيب، (ص ٣٥٢).

(٥) انظر: جامع البيان (١١/٣٤٧-٣٥٠)، والكشاف (٤/٣٣٠-٣٣١)، وزاد المسير (٧/١٦٧).

بصدقهم، وهذا توفيق لا يتأتى إلا لمن هداه الله تعالى إلى معاني كتابه الكريم^(١).

قوله تعالى: (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) أي من الصدق والإخلاص في مبايعتهم وروى نحو ذلك عن قتادة وابن جريج وعن الفراء، وقال مقاتل في معنى قوله: (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ): فعلم الله ما في قلوبهم من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه صلى الله عليه وسلم على الموت فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا^(٢). وهو قول ابن حيان ثم زاد في معنى قوله تعالى: (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا): أي فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة قاله قتادة، وابن أبي ليلى. ولقد اتسع نطاق الإسلام وفتح المسلمون فتوحاً لا تحصى وغنموا مغنم لا تُعد وذلك في شرق البلاد وغربها حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان في عصرنا هذا^(٣).

نرى وقع تلك المبايعة وأنها لم تكن عن خوف منه عليه الصلاة والسلام لذا استوجبت رضا الله تعالى الذي لا يعادله شيء، ويكفي فيما ترتب على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"^(٤) وقد قال عليه الصلاة والسلام ذلك عند حفصة^(٥) فقالت: بلى يا رسول الله

(١) مفاتيح الغيب (٨٣/٢٨).

(٢) أنظر: روح المعاني (٢٦١-٢٦٢)، ومعالم التنزيل (مج ٣٠٦/٧).

(٣) البحر المحيط (٩٦/٨-٩٧).

(٤) أخرجه:

١- مسلم في: (٤٤) كتاب فضائل الصحابة، (٣٧) باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، رضي الله عنهم، حديث رقم: (٢٤٩٦)، (٤/١٩٤٢).

٢- والترمذي في: (٥٠) كتاب المناقب، (٥٨) باب في فضل من بايع تحت الشجرة، حديث رقم: (٣٨٦٠)، (٥/٦٩٥)، (٥/٦٩٥).

(٥) حفصة: هي حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، كانت حفصة من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، فلما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه، فلم يرجع إليه، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث من الهجرة، توفيت حفصة في جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

فانتهرها فقالت: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ^(١) فقال عليه الصلاة والسلام قد قال الله تعالى: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) ^(٢). وقيل أن الناس كانوا يأتونها فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فأمر بقطعها خشية الفتنة بها لقرب الجاهلية وعبادة غير الله تعالى فيهم ^(٣).

بهذا جازى الله سبحانه وتعالى أهل بيعة الرضوان وكم نحن اليوم نتعاهد ونتعاقد ولا نفي بعهودنا وعقودنا، ولا نُحْطَى بأحد الجزاءين.
وافق قتادة المفسرون على ما ذكره في معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

الآية: ٢٠

النص: ٢٠/٩٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) وهي خيبر.

٣٥١/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٧/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

القرطبي، (ت ٤٦٣)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، قدم له: الدكتور: محمد عبد المنعم، والدكتور جمعة طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (٣٧٢-٣٧٣)، وانظر: العبر في خبر من غير، (٣٦/١).

(١) سورة مريم (٧١).

(٢) سورة مريم (٧٢).

(٣) روح المعاني (١٠٧/٢٦).

قوله: (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) اختلف أهل التأويل في التي عجلت لهم فقال جماعة: غنائم خيبر والمؤخر سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعة قاله: مجاهد، وقتادة. وقال آخرون: بل عنى بذلك الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش قاله: ابن عباس^(١).

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد وقتادة، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغام الكثيرة من مغام خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها^(٢).

قوله تعالى: (وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ).

النص: ٢١/٩٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ) عن بيوتهم، وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا إلى الحديبية وإلى خيبر، وكانت خيبر في ذلك الوجه.

٣٥٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٧/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ) يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: وكف الله أيدي المشركين عنكم، ثم اختلف أهل التأويل في الذين كفت أيديهم عنهم من هم؟ فقال بعضهم: هم اليهود كف الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاله قتادة. وقال آخرون: بل عنى بذلك

(١) انظر: جامع البيان (٣٥١/١١)، وزاد المسير (١٦٧/٧)، والبحر المحيط (٩٧/٨)، وتفسير ابن كثير (١٩١/٤)،

الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/١٦).

(٢) جامع البيان (٣٥١/١١).

أيدي قريش إذ حبسهم الله عنهم، فلم يقدرُوا له على مكروه^(١). أو يقال: كف أيدي
الناس من أهل الحديبية^(٢).

(١) انظر: جامع البيان (٣٥٢/١١)، وابن كثير (١٩١/٤)، والكشاف (٣٣٢/٤)، زاد المسير (١٦٧/٧-١٦٨).
(٢) لطائف الإشارات (مج٥/٤٢٧).

والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) (١) فعلم بذلك أن الكف الذي ذكره الله تعالى في قوله: (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) غير الكف الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) (٢).

النص: ٢٢/٩٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) قال: كف أيدي الناس عن عيالهم بالمدينة.

٣٥٢/١١

النص رقم: ٢٢/٩٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢١/٩٧.

قوله تعالى: (وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).

النص: ٢٣/٩٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول: وذلك آية للمؤمنين، كف أيدي الناس عن عيالهم (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) يقول: ويسددكم أيها المؤمنون طريقاً وأضحاً لا أعوجاج فيه، فيبينه لكم، وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم، فنتوكلوا عليه في جميعها، ليحوظكم حياطته أياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسكم وأهلكم وأموالكم فقد رأيتم أثر فعل الله بكم، إذ وثقتم في مسيركم هذا.

٣٥٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٢٧).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٧٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) سورة الفتح، الآية (٢٤).

(٢) جامع البيان (٣٥٢/١١).

وقوله: **(وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)** يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياتهم في مشهدهم ومغيبهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهلهم ما كانوا مقيمين على طاعته^(١). وقال الرازي: لتتفعمكم في الظاهر وتنفعمكم في الباطن حيث يزداد يقينكم^(٢). وزاد ابن كثير وقال: **(وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)** أي يعتبرون بذلك فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم^(٣). وقال الزمخشري: قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامة وعنواناً لفتح مكة **(وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)** ويزيدكم بصيرة ويقيناً^(٤). وافقه ابن حيان^(٥)، وكذلك ابن الجوزي^(٦)، والقاسمي^(٧).

حقاً أن معنى قوله تعالى: **(وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)** هو يسددكم أيها المؤمنون طريقاً واضحاً لا اعوجاج فيه، فبينه لكم، وهو أن تتقوا في أموركم كلها بربكم، فتتوكلوا عليه في جميعها، ليحوظكم حياتته إياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسكم وأهلكم وأموالكم، فقد رأيتم أثر فعل الله بكم، إذ وثقتم في مسيركم هذا.

بهذه المعاني الجميلة الواضحة حوى قتادة كل ما ضمّنه المفسرون من أقوال

في معنى الآية.

(١) جامع البيان (٣٥٢/١١).

(٢) مفاتيح الغيب (٨٣/٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (١٩١/٤).

(٤) الكشف (٣٣٢/٤).

(٥) البحر المحيط (٩٧/٨).

(٦) زاد المسير (١٦٨/٧).

(٧) محاسن التأويل (٨٦-٨٧/١٥).

قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

الآية: ٢١

النص: ٢٤/١٠٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: سعيدي، عن قتادة قوله: (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) قال: حدث عن الحسن، قال: هي فارس والروم.

٣٥٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٩٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٧٩/١٦).
- وابن أبي شيبة في تفسيره (٥٤٣/٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا على فتحها، قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم^(١). وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة على أقوال:

أحدها: أنها ما فتح للمسلمين بعد ذلك. روى سمّاك الحنفي^(٢) عن ابن عباس: (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) قال: ما فتح لكم من هذه الفتوح، وبه قال: مجاهد.

والثاني: إنها خيبر، رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال ابن زيد.

والثالث: فارس والروم، روى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الحسن، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

والرابع: مكة، ذكره قتادة، وابن قتيبة^(١).

(١) جامع البيان (٣٥٢/١١-٣٥٣).

(٢) سمّاك الحنفي: هو سمّاك بن الوليد الحنفي، أبو زميل، سكن الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمرو، وعنه: ابنه زميل، وابن ابنه عبدربه بن بارق وغيرهم. قال أحمد وابن معين والعجلي: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق، لا بأس به. انظر: تهذيب التهذيب (٢٣٥/٤).

وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، إنه محيط بقره لم يقدرُوا عليها، وكان معلوماً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خبير لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشاً ولا سرية، علم أن المعنى بقوله: (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) غيرها، فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم، وكان الله على كل ما يشاء من الأشياء ذا قدرة لا يتعذر عليه شيء أرادته^(٢).

النص: ٢٥/١٠١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) كنا نحدث أنها مكة.

٣٥٤/١١

النص رقم: ٢٥/١٠١ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٤/١٠٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

الآية: ٢٢

النص: ٢٦/١٠٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ) يعني كفار قريش قال الله: (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)، ينصرهم من الله.

٣٥٤/١١

(١) انظر: زاد المسير (١٦٨/٧)، وتفسير ابن كثير (١٩١/٤-١٩٢)، ومفاتيح الغيب (٨٤/٢٨)، والبحر المحيط (٩٧/٨)، وجامع البيان (٣٥٣/١١-٣٥٤)، ومفحومات الأقران في مبهمات القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، (ص ١٨٨).

(٢) جامع البيان (٣٥٤/١١).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٩٢/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَنْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله أيها المؤمنون بمكة (لَوَلَّوْا الْأَنْبَارَ) يقول: لانهمزوا عنكم، فولوكم أعجازكم (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) يقول: ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم ولياً يواليهم على حربكم، ولا نصيراً ينصرهم، لأن الله تعالى ذكره معكم ولن يغلب حزب الله ناصره^(١). وقال ابن كثير في معنى الآية: يقول عز وجل مبشراً لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم^(٢) المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين^(٣). وأضاف الرازي وقال: سواء قاتلوا أولم يقاتلوا لا ينصرون، والغلبة واقعة للمسلمين^(٤)، وقال ابن حيان: أم هم اليهود^(٥). وذكر الزمخشري: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة ولم يصلحوا^(٦). وأتبعهم ابن الجوزي وقال: لو قاتلوكم يوم الحديبية (لَوَلَّوْا الْأَنْبَارَ) لما في قلوبهم من الرعب (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) لأن الله قد خذلهم^(٧). ووافق القرطبي هؤلاء المفسرين على ما قالوه^(٨).

(١) جامع البيان (٣٥٤/١١).

(٢) ناجزهم: المناجزة: المبارزة والمقاتلة. أنظر: لسان العرب (مج ١٤/١٩٨).

(٣) تفسير ابن كثير (١٩٢/٤).

(٤) مفاتيح الغيب (٨٤/٢٨).

(٥) البحر المحيط (٩٧/٨).

(٦) الكشاف (٣٣٢/٤).

(٧) زاد المسير (١٦٨/٧).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٠/١٦).

والمعنى على هذا أن ما قاله أئمة المفسرين في معنى الآية وافق قول قتادة بأنه تعالى وعد المؤمنين الصادقين بالنصر على أعدائهم، وهي سنة ثابتة مستمرة إلى قيام الساعة.

وما تقابل الكفر والإيمان في مواطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

الآية: ٢٤

النص: ٢٧/١٠٣ وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) ١٠٠ الآية، قال بطن مكة الحديبية يقال له رهم اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً، فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((هل لكم علي عهد؟ هل لكم علي نمة)) قالوا: لا، فأرسلهم، فأنزل الله في ذلك القرآن (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) ١٠٠ إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

٣٥٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧٩/٢).
- ومسلم في صحيحه (١٤٣٥/٣).

دراسة النص:

أورد الواحدي في كتابه، "أسباب نزول القرآن" سبب نزول قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ...) الآية: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التتعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير (١٩٢/٤).

وأصحابه، فأخذهم أسراء، فاستحياهم وأنزل الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)^(١). وعن معنى الآية يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم، والذين بايعوا بيعة الرضوان: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) يعني أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يلتمسون غرتهم ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين: وهو الذي كف أيدي هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم^(٢). وفي قوله (بِبَطْنِ مَكَّةَ) ثلاثة أقوال: أحدها: إنه يوم الفتح، وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً. والثاني: الحديبية، لما روي أن عكرمة بن أبي جهل^(٣) خرج في خمسمائة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وقيل إن الحرب كان بالحجارة. الثالث: التنعيم، حكاه أبو سليمان الدمشقي. قاله ابن الجوزي^(٤)، والزمخشري^(٥)، والرازي^(٦)، وابن كثير^(٧). إلا إنهم اتفقوا مع الطبري في معنى الآية والمعنى على هذا إن الله تبارك وتعالى امتن على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلهم عند المسجد الحرام بل صان كلاً من الفريقين وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين وعافية في الدنيا والآخرة^(٨).

(١) أسباب نزول القرآن (ص ٤٠٥).

(٢) جامع البيان (١١/٣٥٥).

(٣) عكرمة بن أبي جهل: هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وكان فارساً مشهوراً، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات هوازن، عام الفتح. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٧٠/٤-٧١).

(٤) زاد المسير (٧/١٦٩).

(٥) الكشاف (٤/٣٣٢-٣٣٣).

(٦) مفاتيح الغيب (٢٨/٨٥).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/١٩٢-١٩٣).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/١٩٢).

قوله تعالى: ﴿هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الآية: ٢٥

النص: ٢٨/١٠٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا): أي محبوساً (أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ) وأقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية، صدهم المشركون، فصالحهم نبي الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من أهلها، فنحروا الهدى وحلقوا وقصروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه، فأنزل الله (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)^(١).

٣٥٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٨٩/١٦).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٧/٢).

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: (هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ): أي هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدوكم أيها المؤمنون عن دخول المسجد الحرام، وصدوا الهدى معكوفاً: يقول:

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٤).

محبوساً عن أن يبلغ محله وقوله (أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ) أن يبلغ محل نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حل نحره^(١)، وقال ابن كثير: وكان الهدي سبعين بدنة^(٢). وقال الألويسي: وقد رووا أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل منها ومصلاه في الحرم والنحر قد وقع فيما هو حرم^(٣). وبه قال الزمخشري^(٤). وأضاف الجصاص في هذه الآية وقال: وقوله تعالى: (وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ): يحتج به من يجيز ذبح هدي الإحصار في غير الحرم لإخباره بكونه محبوساً عن بلوغ محله ولو كان قد بلغ الحرم وذبح فيه لما كان محبوساً عن بلوغ المحل، وليس هذا كما ظنوا لأنه قد كان ممنوعاً بدياً عن بلوغ المحل ثم لما وقع الصلح زال المنع فبلغ محله وذبح في الحرم وذلك لأنه إذا حصل المنع في أدنى وقت فجائز أن يقال قد منع كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾^(٥). وإنما منع في وقت وأطلق في وقت آخر وفي الآية دلالة على أن المحل هو الحرم لأنه قال: (وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ) فلو كان محله غير الحرم لما كان معكوفاً عن بلوغه فوجب أن يكون المحل في قوله (وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ)^(٦) هو الحرم^(٧).

اتفق قتادة مع المفسرين فيما حملته الآية (٢٥) من معاني عظيمة، فهي دروس وعبر نستلهمها ونجعلها نوراً نستضاء به في هذا الزمان المفتقد لروح الدين إلا من رحم ربي.

(١) جامع البيان (١١/٣٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٩٣).

(٣) روح المعاني (٢٦/١١٣).

(٤) الكشاف (٤/٣٣٣).

(٥) سورة يوسف، الآية (٦٣).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٩٦).

(٧) أحكام القرآن، للجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ص ٣٩٤).

قوله تعالى: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْنَتِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ^(١) بَغَيْرِ عِلْمٍ).

النص: ٢٩/١٠٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ) ٠٠٠ حتى بلغ (بَغَيْرِ عِلْمٍ) هذا حين رد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم فتصيبكم منهم معرة بغير علم.

٣٦٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٧٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

ومعنى قوله تعالى: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْنَتِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ): أي ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون عنكم فلا تستطيعون من أجل ذلك الخروج فتقتلوهم، قاله الطبري^(٢). وقال الزجاج في معنى قوله: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ) نصرناكم عليهم، ولكن الذي منع عن ذلك كراهة وطء المؤمنين بالمكروه والقتل^(٣). وفي معنى قوله تعالى: (فِتْنَتِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) فيها ثلاثة أقوال: أحدها: إثم، قاله ابن زيد. والثاني: غرم الدية، قاله ابن إسحاق، والثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله ابن السائب والطبري، ذهب إلى هذا القول: البغوي^(٤)، وابن الجوزي^(٥) والقاسمي^(٦).

(١) معرة: المعرة: الأذى. أنظر: لسان العرب، (مج ١٤/٩٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٦٢/١١)، وزاد المسير (١٧٠/٧)، والبحر المحيط (٩٨/٨)، ومفاتيح الغيب، (٨٦/٢٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢٧/٥).

(٤) معالم التنزيل (مج ٧/٣٢٠).

(٥) زاد المسير (١٧٠/٧).

(٦) محاسن التأويل (٩٢/١٥).

وقيل: كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفين الأماكن، فلما صدّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وعكفوا الهدي أن يبلغ مَحَلَّهُ، قال الله سبحانه: لولا أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفونهم فتطئونهم لو دخلتموها، أي تقتلونهم ليدخلهم الله في رحمته لو فعلتم فتصيبكم من قتلهم بغير علم معرّة، أي يعيبكم المشركون بذلك ويقولون: قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا وتلزمكم الديات^(١).

عن أبي جمعة جنيد بن سُبُع^(٢) قال: قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة وفيما نزلت: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ)^(٣).

قوله تعالى: (لَوْ تَرَىٰ لَوْ لَعَدَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

النص: ٣٠/١٠٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (لَوْ تَرَىٰ لَوْ) ١٠٠ الآية، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

٣٦٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٧٦/٦)، وعزاه إلى ابن جرير.

دراسة النص:

معنى قوله (لَوْ تَرَىٰ لَوْ): أي تميزوا من المشركين^(٤). وهو ما قاله الطبري حيث قال: لو تميز الذين كفروا في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء

(١) تأويل مشكل القرآن، لأبن قتيبة، شرحه ونشره: السيد: أحمد صقر، المكتبة العلمية، محمد سلطان

المنكاني، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (ص ٣٦٧).

(٢) أبي جمعة، جنيد بن سُبُع: هو أبو جمعة الأنصاري، أو الكنايني، اسمه حبيب بن سباع، ويقال جنيد، بضم الجيم والموحدة بينهما نون ساكنة، ابن سيع، صحابي، سكن الشام، ثم مصر، ومات بعد السبعين. أنظر: تقريب التهذيب، (ص ٧٢٨).

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٧١).

(٤) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، (ص ٣٦٨).

المؤمنات، الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول: لقتلنا من بقى فيها بالسيف، أو لأهلكتناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل^(١). وهكذا يكشف الله للجماعة المختارة الفريدة السعيدة عن جانب من حكمته المغيبة وراء تقديره وتدبيره^(٢).

وقرأ ابن أبي عبة (لَوْ تَرَيَلُوا) (لو تزايلوا) على وزن تفاعلوا^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾^(٤) حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

الآية: ٢٦

النص: ٣١/١٠٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) وهي: شهادة أن لا إله إلا الله.

٣٦٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٦/٥).
- والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥٠٠/٢).
- وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٢٩/٢).

دراسة النص:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى): ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب و(وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا): وكان رسول الله صلى

(١) انظر: جامع البيان (٣٦٣/١١)، وفتح القدير (٥٢/٥)، وزاد المسير (١٧١/٧)، وتفسير ابن كثير

(٤/١٩٤)، والكشاف (٤/٣٣٥)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/٢٧).

(٢) في ظلال القرآن (مج٦/٣٣٢٩).

(٣) روح المعاني (١١٦/٢٦).

(٤) الحمية: هي الأنفة الناتجة من غضب شديد. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، (ص ١٣٧).

الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين^(١). وفي قوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) اختلف المفسرون على خمسة أقوال: أحدها: (لا إله إلا الله) قاله ابن عباس، ومجاهد، سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي.

الثاني: (لا إله إلا الله والله أكبر) قاله ابن عمر، وعلي بن أبي طالب.

الثالث: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) قاله عطاء بن أبي رباح.

الرابع: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) قاله عطاء الخرساني.

الخامس: (بسم الله الرحمن الرحيم): قاله الزهري^(٢).

وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة وأجدر بها وأهلاً لها من دون الكفار، إذ هم أهل الخير والصلاح والعقيدة الصحيحة، على نقيض الكفار ذوي العقيدة الفاسدة. وكان الله وما يزال عليماً بمن يستحق الخير، ممن يستحق الشر^(٣).

النص: ٣٢/١٠٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) وكان المسلمون أحق بها، وكانوا أهلها: أي التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله.

٣٦٦/١١

النص رقم: ٣٢/١٠٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٣١/١٠٧.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

(١) جامع البيان (٣٦٤-٣٦٦).

(٢) انظر: زاد المسير (١٧١/٧)، وجامع البيان (٣٦٤-٣٦٦)، وتفسير ابن كثير (١٩٤/٤)، والكشاف (٣٣٥/٤)، ومفاتيح الغيب (٨٩/٢٨)، ومعالم التنزيل (مج ٣٢١-٣٢٢).

(٣) التفسير المنير (١٩٥/٢٦).

الآية: ٢٧

النص: ٣٣/١٠٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت، فصدق الله رؤياه، فقال: (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ...) حتى بلغ (لا تَخَافُونَ).

٣٦٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٦٢/٦).

- وابن أبي شيبة في تفسيره (٣٨٤/٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمداً رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمين، لا يخافون أهل الشرك، مقصراً بعضهم رأسه، ومحلقاً بعضهم^(١). وبه قال ابن كثير^(٢)، وقال الرازي في قوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ): فيه إشارة إلى امتناع الكذب في الرؤيا لأنه لما كان رسولاً بالحق فلا يرى في منامه الباطل^(٣)، وأتبعه الزمخشري وقال: صدقه فيما أرى، وفي ذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض^(٤)، وقيل: الصدق يكون بالقول ويكون بالفعل وما في الآية صدق بالفعل وهو التحقيق أي حقق سبحانه رؤيته^(٥)، وقال القرطبي في معنى قوله: (مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) والتحليق والتقصير جميعاً للرجال، ولذلك غلب المذكر على المؤنث. والحلق أفضل، وليس للنساء إلا التقصير^(٦).

(١) جامع البيان (٣٦٧/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٠١/٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٩٠/٢٨).

(٤) الكشف (٣٣٦/٤).

(٥) روح المعاني (١٢٠/٢٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/١٦-٢٩١).

وقال البغوي في قوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) أخبر أن الرؤيا التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق^(١)، وقال مثله وهبه الزحيلي^(٢)، وأبي السعود^(٣).
و(الرُّؤْيَا): قرأ الأصبهاني^(٤)، وأبو عمرو بخلف عنه بإبدال الهمزة في الحالين، وأبو جعفر بالإبدال مع الإدغام^(٥). وأبدل همزه مطلقاً السوسي^(٦)(٧).
والله تعالى تأكيداً لتصديق رؤيا رسوله صلى الله عليه وسلم، أبان أنه صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء، فأرسله رسول الهدى، ورسول الدين الحق، دين الإسلام، ليعليه على كل الأديان، وكفى بالله شاهد عدل وحق لنبيه صلى

(١) معالم التنزيل (مج ٧/٣٢٢).

(٢) التفسير المنير (٢٠١/٢٦).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١٣/٨).

(٤) الأصبهاني: هو محمد بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن شبيب الإمام أبو بكر الأصبهاني، المقرئ، شيخ القراء في زمانه، ارتحل فقرأ لورش على عامر المرسي وآخرون، قرأ عليه طائفة منهم: هبة الله بن جعفر، وآخرون، لقد بالغ أبو عمرو الداني في تعظيم هذا الأصبهاني: وقال: هو إمام عصره في قراءة ورش، لم ينزعه في ذلك أحد من نظرائه، مات الأصبهاني ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين. انظر: طبقات القراء للذهبي، (١/٢٧٨-٢٧٩).

(٥) انظر: المهذب في القراءات العشر، وتوجيهها من طريق طيبة النشر لابن الجزري، تأليف الدكتور: محمد محمد محمد سالم محيسن، المكتبة الأزهرية للتراث، ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف، هذبه وصححه وعلق عليه: الأستاذ/ الشيخ السادات السيد منصور أحمد ٢٠٠٢م، د. ط، (٢/٣٤٣).

(٦) السوسي: هو صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الإمام أبو شعيب الرستبي، الرقي السوسي المقرئ. قرأ القرآن على يحيى اليزيدي، وسمع بالكوفة من عبدالله بن نمير وطائفة، وبمكة من سفيان بن عيينة، قرأ عليه ابنه أبو معصوم وآخرون، قال أبو حاتم: صدوق، توفي أبو شعيب في أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب التسعين. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (١/٢٢٢-٢٢٣).

(٧) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، تأليف: عبدالفتاح بن عبدالغني القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، (ص ٢٩٨).

الله عليه وسلم على صحة نبوته بالمعجزات، وعلى أنه رسول من عند الله، وعلى إظهار دينه على جميع الأديان^(١).

النص: ٣٤/١١٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) قال: أرى في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام، وأنهم آمنون محلقي رؤوسهم ومقصرين.

٣٦٧/١١

النص رقم: ٣٤/١١٠: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٣/١٠٩.

قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية: ٢٩

النص: ٣٥/١١١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) يقول: تراهم ركعاً أحياناً لله في صلاتهم سجداً أحياناً (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضاً، فضلاً من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته (وَرِضْوَانًا) يقول: وأن يرضى عنهم ربهم.

٣٦٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٤).

(١) التفسير المنير (٢٠٣/٢٦).

- والقرطبي في تفسيره (٢٩٣/١٦).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٢٨/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه، أشداء على الكفار، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم^(١). قال ابن كثير: هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً برأ بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن، وقوله سبحانه وتعالى: (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢)(٣).

وعن الحسن رضي الله عنه: بلغ من تشددهم على الكفار: أنهم يتحرزون من ثيابهم أن تلتزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف: فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة، وكف الأذى، والمعونة، والاحتمالات^(٤).

(١) جامع البيان (٣٦٩/١١).

(٢) سورة التوبة، الآية (٧٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٠٤/٤).

(٤) الكشاف (٣٣٧/٤)، وفتح القدير (٥٤/٥).

اتفقت أقوال المفسرين في معنى الآية، والتي هي دليل وبرهان على أن هذه الأمة معظمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى أن نفتي آثارهم ونكون مثلما قال عنهم المولى عز وجل، وفي الحديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر^(١).

قوله تعالى: (سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ).

النص: ٣٦/١١٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول: علامتهم أو أعلمتهم الصلاة.

٣٧٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٢٩/٤).
- وابن أبي شيبة في تفسيره (٢١٦/٧).
- وابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٤).

دراسة النص:

قوله تعالى: (سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول: علامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم، ثم اختلف أهل التأويل في السیما الذي عناه الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يعرفون بها لما كان من سجودهم له في الدنيا، قاله: ابن عباس، ومقاتل بن حيان. وقال آخرون: بل ذلك سیما الإسلام وسمته وخشوعه، وعن ذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا، قاله: مجاهد، وقاله آخرون: ذلك أثر يكون في وجوه المصلين، مثل أثر السَّهَر، الذي يظهر في الوجه مثل الكلف والتهيج والصفرة، ووجهوا التأويل في ذلك إلى

(١) أخرجه:

١- البخاري في: (٧٨) كتاب الأدب، (٢٧) باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٦٠١١)، (١٤٨/٤).
٢- ومسلم في: (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب، (١٧) باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، (١٩٩٩-٢٠٠٠).

أنه سيما في الدنيا، قاله: الحسن، وقال آخرون: ذلك آثار ترى في الوجه من ثرى الأرض، أو ندى الطهور، قاله: سعيد بن جبير، وعكرمة^(١).

(سِيْمَاهُمْ): قرأه بالإمالة حمزة والكسائي^(٢).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وأثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود^(٣).

قوله تعالى: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)^(٤).

النص: ٣٧/١١٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ): أي هذا المثل في التوراة (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

٣٧٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) انظر: جامع البيان (٣٧٠/١١-٣٧١)، وتفسير ابن كثير (٢٠٤/٤)، وزاد المسير (١٧٣/٧)-

(١٧٤)، وفتح القدير (٥٤/٥)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢٩/٥).

(٢) التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، (٢٠٦/١).

(٣) جامع البيان (٣٧٢/١١).

(٤) شطأه: شطأ الزرع وأشطأ: أخرج الشطء وذلك إذا أفرخ وخرج من أصوله فروع على شاطئيه أي جانبيه، والشطء: فروع الزرع وسنابله، وشاطئ الوادي: شطه وجانبه. انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (ص ٢٦٨).

وقوله: **(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ)** يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم في التوراة.

وقوله: **(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)** يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرخ فهو يشطيء إشطاءً، وإنما مثلهم بالزرع المشطيء، لأنهم أبتدءوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي. وقال آخرون: هذان المثان في التوراة والإنجيل مثلهم قاله مجاهد^(١). وقال الفراء: شطئه: السنبل تنبت الحبة عشراً وسبعاً وثمانياً^(٢).

قرأ ابن كثير وابن عامر (شطئه) مفتوحة الطاء والهمزة، وقرأ الباقر (شطئه) ساكنة الطاء. وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة^(٣).

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة، غير مثلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله **(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ)** وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل، وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله **(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)** حتى يكون ذلك خبراً عن أن ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجئ الكلام بغير واو في قوله **(كَزَرْعٍ)** دليل بين على صحة ما قلنا، وأن قولهم **(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ)** خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها^(٤).

(١) انظر: جامع البيان (٣٧٢/١١-٣٧٣)، وزاد المسير (١٧٤/٧)، وتفسير ابن كثير (٢٠٤/٤)، وفتح القدير (٥٤/٥)، والكشاف (٣٣٨-٣٣٩/٤)، وروح المعاني (١٢٦/٢٦).

(٢) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٤١٣).

(٣) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (ص ٦٠٤).

(٤) جامع البيان (٣٧٣/١١).

النص: ٣٨/١١٤ حدثنا ابن أبي الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ).

٣٧٣-٣٧٢/١١

النص: ٣٩/١١٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهري (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قالوا: أخرج نباته.

٣٧٤/١١

النصوص بالأرقام: ٣٨/١١٤-٣٩/١١٥ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم: ٣٧/١١٣.

قوله تعالى: (فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ).

النص: ٤٠/١١٦ حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهري (فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) يقول: فتلاحق.

٣٧٥/١١

تخريج النص:

- أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٨/٢).

دراسة النص:

معنى قوله: (فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ)، أي أزر الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض، (عَلَى سُوقِهِ) جمع ساق^(١). وفسرها الطبري قائلاً: وقوله (فَأَزْرَهُ) يقول: فقواه: أي قوى الزرع شطأه وأعانه، وهو من المؤازرة التي بمعنى المعاونة (فَأَسْتَغْلَظَ) يقول: فغلظ الزرع (فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) والسوق: جمع ساق، وساق الزرع والشجر: حاملته^(٢). وقال ابن كثير: (فَأَزْرَهُ) أي شده (فَأَسْتَغْلَظَ) أي شب وطل (فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ) أي فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزره

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢٩/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٧٤/١١)، فتح القدير (٥٤/٥-٥٥)، وروح المعاني (١٢٦/٢٦-١٢٧).

وأيدوه ونصروه فهم معه كاشطء مع الزرع^(١). وقال الزمخشري: قيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر^(٢)، وأتبعهم عكرمة وقال: (أَخْرَجَ شَطَأَهُ) بأبي بكر (فَأَزْرَهُ) بعمر (فَأَسْتَغْلَظَ) بعثمان (فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) بعلي رضوان الله عليهم، وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقية في الزيادة إلى أن قوي واستحكم^(٣).

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك. وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"^(٤)(٥).

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٤/٤).

(٢) الكشف (٣٣٩/٤).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٣/٣٨٩).

(٤) أخرجه مسلم في: (٤٤) كتاب فضائل الصحابة، (٥٤) باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم،

حديث بالأرقام: (٢٥٤٠-٢٥٤١)، (١٩٦٧-١٩٦٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٠٤-٢٠٥).

(٤٩) سورة الحجرات مدنية عدد آياتها (١٨)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

الآية: ١

النص: ١/١١٧ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا قال: فكره الله عز وجل ذلك، وقدم فيه. ٣٧٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرازق في تفسيره (٢٣٠/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...) هو: أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد^(١)، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس^(٢)، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافاً فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى:

(١) القعقاع بن معبد: (٠٠٠ - بعد ٨هـ = ٠٠٠ بعد ٦٢٩م): القعقاع بن معبد بن زرارة الدارمي التميمي: من سادات العرب، يقال له (تيار الفرات) لسخائه، وأدرك الإسلام فوجد على النبي صلى الله عليه وسلم مع رؤساء تميم، ولما كان يوم حنين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه بالخبر. انظر: الأعلام (١٠٩/٤).

(٢) الأقرع بن حابس: هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي الدارمي، أحد المؤلفات لقلبهم، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف، والأقرع بن حابس هو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مدحي زين وذمي شين، وقد روى أن قائل ذلك شاعر كان لهم غير الأقرع بن حابس، والله أعلم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٣/١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى قوله سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ)^(٣).

ويعني تعالى ذكره بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يا أيها الذين أقرؤا بوحداية الله، وبنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله^(٤).

وقال العوفي: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه صلى الله عليه وسلم^(٥)، ومجاهد: لا تفتاتوا^(٦) على الله شيئاً حتى يقصه على لسان رسوله^(٧)، وكذا قال الشوكاني في معنى قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ولا تعجلوا به^(٨)، وهذا القول قال به أيضاً ابن الجوزي^(٩)، والرازي^(١٠)، ثم ذكر القرطبي قائلاً: (لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ) أصل في ترك التعرض لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وإيجاب اتباعه والإقتداء به^(١١)، وما قاله الشوكاني وابن الجوزي والرازي قال به أبو حيان^(١٢)، ووهبه الزحيلي^(١٣)، وابن عاشور^(١٤).

(٣) أسباب نزول القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (ص ٤٠٦)، أخرجه البخاري في تفسير سورة الحجرات: (١٧١/٦).

(٤) جامع البيان (٣٧٧/١١).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٠٥/٤).

(٦) لا تفتاتوا: إفتأت برأيه: استبد. انظر: المنجد في اللغة والأدب/ (ص ٥٦٦).

(٧) الكشاف (٣٤١/٤).

(٨) فتح القدير (٥٩/٥).

(٩) واد المسير (١٧٧/٧).

(١٠) مفاتيح الغيب (٩٦-٩٥/٢٨).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١٦).

(١٢) البحر المحيط (١٠٥/٨).

(١٣) التفسير المنير (٢١٨/٢٦-٢١٩).

(١٤) التحرير والتنوير (٢١٨/٢٥).

هذه آداب أدب الله تعالى عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، وفي حديث معاذ^(١٥) رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن ((بم تحكم))؟ قال: بكتاب الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((فإن لم تجد))؟ قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم ((فإن لم تجد))؟ قال رضي الله عنه أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٦)، فالغرض منه أنه أخذ رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله^(١٧).

وبنحو هذا التوجيه جاء قول قتادة ومن معه من أهل العلم موافقاً لهذه المعاني.

النص: ٢/١١٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) قال: إن أناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا.

٣٧٨/١١

النص رقم: ٢/١١٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١/١١٧.

(١٥) معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس: العالم الرباني أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وهو ابن ثمان عشرة سنة أو دونها، وشهد بدرًا والمشاهد وكان من نجباء الصحابة وفقهائهم رضي الله عنه، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ، استشهد معاذ في الطاعون بالأردن في سنة ثمان عشرة وله خمس وثلاثون سنة تقريباً رضي الله عنه. انظر: تذكرة الحفاظ، (١٩/١-٢١).

(١٦) أخرجه أبو داود في: (١٨). كتاب الأقضية، (١١) باب اجتهاد الرأي في القضاء حديث رقم: (٣٥٩٢)، (١٩-١٨/٤)، انظر: سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ٢٠٢-٢٧٥هـ، اعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث طباعة ونشر، وتوزيع: حمص سوريا، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

(١٧) تفسير ابن كثير (٤/٢٠٥).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

الآية: ٢

النص: ٣/١١٩ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله، ونهاهم عن ذلك.

٣٧٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٠٨/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣١/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

لما نزلت هذه الآية: (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) قال ثابت^(١٨) بن قيس: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا من أهل النار، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو من أهل الجنة^(١٩)، يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجهموه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) يقول: ولا تتادوه كما ينادي بعضكم بعضاً: يا محمد، يا محمد، يا نبي

(١٨) ثابت بن قيس: هو ثابت بن قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً والمشاهد بعدها، ويقال: إنه جرح يوم أحد اثنتي عشرة جراحة، وعاش إلى خلافة معاوية، واستعمله علي ابن أبي طالب على المدائن. انظر: تاريخ بغداد، (١٧٥/١).

(١٩) أسباب نزول القرآن، للواحي (ص ٤٠٧).

الله، يا نبي الله، يا رسول الله^(٢٠)، وقال مثل هذا القول ابن كثير^(٢١)، والزمخشري ولكنه أضاف فقال: وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر: ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء^(٢٢)، وقرأ ابن مسعود (لا ترفعوا بأصواتكم) بتشديد (تَرْفَعُوا) وزيادة الباء^(٢٣)، ووافقه ابن الجوزي^(٢٤)، والرازي^(٢٥)، وأبن حيان^(٢٦).

والمعنى على هذا أن الهدف من هذين الواجبين تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته^(٢٧).

وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يُعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تُلُفْظِه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(٢٨)، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه، والله أعلم^(٢٩).

فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ، وهو ما عناه قتادة في تفسيره للآية.

(٢٠) جامع البيان (٣٧٨/١١).

(٢١) تفسير ابن كثير (٣٧٨/١١).

(٢٢) الكشاف (٣٤٣/٤).

(٢٣) روح المعاني (١٣٤/٢٦).

(٢٤) زاد المسير (١٧٨/٧).

(٢٥) مفاتيح الغيب (٩٨-٩٧/٢٨).

(٢٦) البحر المحيط (١٠٦/٨).

(٢٧) التفسير المنير (٢٢٢/٢٦).

(٢٨) سورة الأعراف، الآية (٢٠٤).

(٢٩) أحكام القرآن، لابن العربي (١٧١٤-١٧١٥/٤).

النص: ٤/١٢٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: كانوا يرفعون، ويجهرون عند النبي صلى الله عليه وسلم، فوعظوا، ونهوا عن ذلك.

٣٧٩/١١

النص رقم: ٤/١٢٠: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣/١١٩.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية: ٣

النص: ٥/١٢١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحب.

٣٨١/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٧٨/٣).

- وابن أبي شيبه في تفسيره (٩٢/٧).

دراسة النص:

عن أبي بكر، قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ) قال أبو بكر: فأليت على نفسي أن لا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار^(٣٠).

يقول تعالى ذكره: إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله، واصل الغض:

الكف في لين ومنه غض البصر كما قال جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ *** فلا كعباً بلغت ولا كلاباً (٣١)

(٣٠) أسباب نزول القرآن، للواحدي (ص ٤٠٨).

(٣١) ورد البيت في ديوانه، (ص ٩٨)، من قصيدة بعنوان: ألقى اللوم والعتاب مطلعها:

وقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانها إياها، فاصطفاها وأخلصها للتقوى^(٣٢)، وقال الزمخشري: أنهم صبر على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها^(٣٣)، وأضاف الاخفش^(٣٤): اختصها للتقوى^(٣٥)، وقال ابن عباس: (امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) طهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى^(٣٦).

إنه الترغيب العميق، بعد التحذير المخيف، بها يربي الله قلوب عباده المختارين، ويعدها للأمر العظيم الذي نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور^(٣٧).

أَقْلَى اللُّومِ عَادِلٌ وَالْعِتَابَا * * * وقولي: إِنْ أَصَبْتُمْ، لَقَدْ أَصَابَا.

إِلَى أَنْ قَالَ:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ * * * فَلَكَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابَا
أَتَعْدَلُ دِمْنَةَ خَبْتِثٍ وَقَلْتِ * * * إِلَى فَرَعَيْنِ قَدْ كَثُرَا وَطَابَا

والتي كانت تسمى الدامغة لأنَّ جريراً دمع بها الراعي، أي أصاب دمغه.

شرحها: الدمنة: نمير، والفرعان: كعب وكلاب. هذه القصيدة من أشهر قصائده الهجائية المعروفة (بالدامغة) لأنها دمغت خصمه وقضت عليه، هجا جرير فيها راعي الإبل وقومه بني نمير على أثر مشاحنة بينه وبين الراعي وابنه جندل. انظر: ديوان جرير شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى، د.ت، (ص: ٩٨).

(٣٢) انظر: جامع البيان (٣٨٠/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٠٧/٤)، وزاد المسير (١٧٨/٧)، ومفاتيح لغيب (٩٩/٢٨)، والبحر المحيط، (١٠٦/٨).

(٣٣) الكشف (٣٤٦/٤).

(٣٤) الأخفش: هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الاخفش الأوسط، وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين، كان مولى بني مجاشع بن دارم من أهل بلخ، سكن البصرة، وكان، أجلع لا تتطبق شفتاه على لسانه، قرأ النحو على سيبويه، وكان أسنَّ منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان معتزلياً حدث عن الكلبي والنخعي، وهشام بن عروة، وروى عنه أبو حاتم السجستاني، ودخل بغداد وأقام بها مدة، وروى وصنف بها، صنف الأوساط في النحو، معاني القرآن، المقاييس في النحو، الاشتقاق، ومات سنة عشر - وقيل: سنة خمس عشرة، وقيل إحدى وعشرين - ومائتين. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (٥٩١-٥٩٠/١).

(٣٥) انظر: فتح القدير (٥٩/٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٣/٣٩٢)، والتحرير والتنوير (٢٢٣/٢٥).

(٣٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١٦-٣٠٩).

(٣٧) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٤٠).

وعلى هذا كان قول قتادة والمفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

الآية: ٤

النص: ٦/١٢٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فناداه من وراء الحجر فقال: يا محمد إن مدحي زين، وإن شتمي شين، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ويحك ذلك الله، فأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).

٣٨٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٤/٤).

- والترمذي في سننه (٣٨٧/٥).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك، والحجرات: جمع حجرة، والثلاث: حُجر، ثم تجمع الحجر فيقال: حُجرات وحُجرات، وقد تجمع بعض العرب الحجر: حُجرات بفتح الجيم، وقوله (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) يقول: أكثرهم جهال بدين الله واللازم لهم من حَقِّك وتعظيمك^(٣٨)، وقول قتادة أورده السيوطي في كتابه^(٣٩)، وذكر مثله ابن كثير^(٤٠)، والزمخشري^(٤١)، والرازي^(٤٢)، وكذا ابن الجوزي أضاف فقال: وإنما نادوا من وراء الحجرات، لأنهم لم يعلموا في أي الحُجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤٣)، وهذه المعاني ذكرها أيضاً القرطبي^(٤٤)، وابن عاشور^(٤٥)،

(٣٨) جامع البيان (٣٨١/١١).

(٣٩) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي (ص ٢٧٤).

(٤٠) تفسير ابن كثير (٢٠٨/٤).

(٤١) الكشاف، (٣٤٧/٤-٣٤٩).

(٤٢) مفاتيح الغيب (١٠٠/٢٨-١٠١).

(٤٣) زاد المسير (١٧٩/٧).

والقاسمي^(٤٦)، إن معنى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ۝١٠٠) بينت أن المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت وإساءة الأدب والله قد أمر بتوقيير رسوله وتعظيمه^(٤٧).

تأمل كيف ابتدأ الله هذه السورة بأن تكون الأمور التي تنسب إلى الله ورسوله متقدمة على أي شيء، ثم أردف ذلك النهي من رفع الصوت والجهر، كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم، دلالة على عظيم موقعه عند الله، ثم جئ على عقب ذلك بما هو أطم: من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس قدراً لينبه على فظاعة من أجروا إليه وجسروا عليه لأن من رفع الله قدره على أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جله المهاجرين والأنصار بأخي السرار، كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغاً، ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب، كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى، أنه قال: ما دقت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه^(٤٨).

فالآية تأديب لهم وتعليمهم محاسن الأخلاق وإزالة لعوائد الجاهلية الذميمة.

النص: ٧/١٢٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) ١٠٠ الآية، ذكر لنا أن رجلاً جعل ينادي يا نبي الله يا محمد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما شأنك؟ فقال: والله إن حمده لزين وإن ذمة لشين، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ذاكم الله فأدبر الرجل، وذكر لنا أن الرجل كان شاعراً.

٣٨٢/١١

النص رقم: ٧/١٢٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٦/١٢٢.

(٤٤) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠-٣٠٩/١٦).

(٤٥) التحرير والتنوير (٢٢٤-٢٢٧).

(٤٦) محاسن التأويل (١١١/١٥).

(٤٧) البحر المحيط (١٠٨/٨).

(٤٨) الكشاف (٣٤٩/٤).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُضْحِكُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

الآية: ٦

النص: ٨/١٢٤ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) ٠٠٠ حتى بلغ (بِجَهَالَةٍ) وهو ابن أبي معيط الوليد^(٤٩) بن عقبة،
بعثه نبي الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً إلى بني المصطلق^(٥٠)، فلما أبصروه أقبلوا نحوه
فهابهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث نبي
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد^(٥١)، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً،
فبعث عيونهم، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم
فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم،
فأخبره الخبر، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون فكان نبي الله يقول: التبيين من الله، والعجلة
من الشيطان.

٣٨٤/١١

(٤٩) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن نكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف، هو أخو عثمان بن عفان لأمه وأمهما أروى بنت كريض بن ربيعة بن حبيب، وكناية الوليد أبو وهب، أسلم
يوم الفتح هو وأخوه خالد بن عقبة، ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله عز وجل (إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
بِنَبَأٍ) [الحجرات: ٦] أنها نزلت في الوليد بن عقبة، سكن المدينة، ونزل الكوفة وبنى بها داراً، ومات بالرقعة في
خلافة علي رضي الله عنه. انظر: الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، (ت: ٧٦٤هـ)،
تحقيق واعتناء: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (٢٧/٢٧٦-٢٧٨).

(٥٠) بني المصطلق: بطن من خزاعة، من الأزدي، من القحطانية، وهم بنو المصطلق، واسمه جزيمة بن سعد بن عمرو
بن عامر بن لحي. انظر: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب (ص ٧٢).

(٥١) خالد بن الوليد: هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أبو سليمان،
وقيل أبو الوليد، أمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان
خالد أحد أشرف قريش في الجاهلية، كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني
قريظة. ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنة- هو اليد الذي تُمسك به الدابة أي
زمامها- الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب، وكان يقال له سيف الله، وتوفى خالد بن الوليد بحمص
ودفن في قرية على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١١/٢-١٤).

تخريج النص:

- أخرجه مسلم في صحيحه (٨/١).
- وأحمد في مسنده (٢٧٩/٤).
- والبيهقي في سننه (٥٤/٩).

دراسة النص:

قول قتادة في أسباب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) ١٠٠ الآية، ذكر مثله الواحدي في كتابه، أسباب نزول القرآن^(٥٢)، ويقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) عن قوم (فَتَبَيَّنُوا) وقوله (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) يقول: فتبينوا لئلا تصيبوا قوماً براء مما قذفوا به بجنابة بجهالة منكم^(٥٣). وقال ابن أبي ليلي والضحاك ومقاتل بن حيان وقتادة: أنها نزلت في الوليد بن عقبة^(٥٤)، وزاد الرازي وقال: أي فاسق جاءكم بأي نبأ فالتثبت فيه واجب^(٥٥)، وقال مثلهم الزمخشري^(٥٦)، والشوكاني^(٥٧)، وابن الجوزي^(٥٨)، والقرطبي^(٥٩)، وقيل هذه الآية ترد على من قال أن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحه لأن الله تعالى أمر بالتبين قبل القبول^(٦٠).

قرأ حمزة والكسائي (فتبينوا) (فتثبتوا) بالتاء والتاء من "التثبت" والباقون بالياء والنون^(٦١).

(٥٢) أسباب نزول القرآن (ص ٤١٢-٤١٣).

(٥٣) جامع البيان (١١/٣٨٣-٣٨٥).

(٥٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٠٨-٢١٠).

(٥٥) مفاتيح الغيب (٢٨/١٠٢-١٠٥).

(٥٦) الكشف (٤/٣٥٠-٣٥١).

(٥٧) فتح القدير (٥/٦٠).

(٥٨) زاد المسير (٧/١٨٠).

(٥٩) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣١١-٣١٢).

(٦٠) البحر المحيط (٨/١٠٩-١١٠).

(٦١) التيسير في القراءات السبع، (ص ٩٧)، وكتاب التبصرة في القراءات السبع، للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي (المتوفي ٤٣٧هـ-١٠٤٥م)،

أجمع المفسرون بأن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ...) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، يأمر الله تبارك وتعالى فيها المؤمنين بالثبوت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين^(٦٢)، وهكذا الإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي ويضع الضمانات والحوجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها، حتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء^(٦٣).

النص: ٩/١٢٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) فذكر نحوه.

٣٨٤/١١

النص رقم: ٩/١٢٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٨/١٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ^(٦٤) وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

الآية: ٧

النص: ١٠/١٢٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) حتى بلغ (لَعَنِتُّمْ) هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم، لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتم، فأنتم والله أسخف رأياً، وأطيش عقولاً، أتهم

تحقيق الدكتور: محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية: محمد علي بلدنك، بيندي بازار، بومباي، ٣ الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، (ص ٤٨٠).

(٦٢) تفسير ابن كثير (٢٠٨/٤).

(٦٣) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٤١).

(٦٤) لعنتم: العنت: هو الضرر والفساد. انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٤١٦).

رجل رأيه، وانتصح كتاب الله، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به، وانتهى إليه وإن ما سوى كتاب الله تغرير^(٦٥).

٣٨٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٨/٥).
- والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٥٠٢/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: وأعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله (أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، وقوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في الأمور بأرائكم فيطيعكم (لَعَنِتُّمْ) يقول: لنا لكم، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور^(٦٦)، وقال مقاتل: لأثمت^(٦٧)، وأردف ابن الجوزي قائلاً: أن المسلمين لما سمعوا أن أولئك القوم قد كفروا قالوا: ابعث إليهم يا رسول الله واغزهم واقتلهم^(٦٨)، وبنفس المعنى قال الزمخشري إلا أنه عبر بهذا القول وهو: أي إن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد^(٦٩)، وقال ابن عاشور: المقصود تعليم المسلمين باتباع ما شرع لهم رسول الله

(٦٥) تغرير: والتغريير، حمل النفس على العرر، وقد عرر بنفسه تغرييراً وتغره كما يقال: حلل تحليلاً وتعليةً، وعلل تعليةً وتعليةً، قال الأصمعي: يقال: غارت الناقة، أي نفرت. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٧٦٩/٢).

(٦٦) انظر: جامع البيان (٣٨٥/١١)، وتفسير ابن كثير (٢١٠/٤)، ومفاتيح الغيب (١٠٥/٢٨).

(٦٧) البحر المحيط (١١٠/٨).

(٦٨) زاد المسير (١٨٠/٧).

(٦٩) الكشاف (٣٥٢/٤).

صلى الله عليه وسلم من الأحكام ولو كانت غير موافقة لرغباتهم^(٧٠)، وما ذكره المفسرون في معنى الآية ذكره الطوسي^(٧١) كذلك^(٧٢).

وفي الآية دليل على صحة قول أهل الحق في القدر، وتخصيص المؤمنين بألطف لا يشترك فيها الكفار، ولولا أنه يوفر الدواعي للطاعات لحصل التفريط والتقصير في العبادات^(٧٣).

وأشبه الأقوال بالصواب هو: أن معنى قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) هذا توبيخ لمن يكذب الرسول عليه الصلاة والسلام ووعيد بالنصيحة ولا يصدر ذلك إلا ممن هو شاك في الرسالة لأن الله تعالى لا يترك نبيه صلى الله عليه وسلم يعتمد على خبر الفاسق بل بين له ذلك، وأمرهم بأن يعلموا أن الذي هو بين ظهرانيكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخبروه بما لا يصح فإنه رسول الله يطلعه على ذلك^(٧٤)، وأنتم والله اسخف رأياً وأطيش عقولاً كما قال قتادة، وبهذه المعاني فسر قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) واتفقت عليه أقوال المفسرين.

النص: ١١/١٢٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال معمر، تلا قتادة، (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) قال: فأنتم أسخف رأياً وأطيش أحلاماً، فاتهم رجل رؤية وانتصح كتاب الله.

(٧٠) التحرير والتنوير (٢٣٤/٢٥).

(٧١) الطوسي: هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، قدم بغداد، وتلقه أولاً للشافعي، ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية ولزمه وبرع، وعمل التفسير -التبيان في تفسير القرآن- وأملى أحاديث ونوادير في مجلدين، عامتها عن شيخه المفيد، روى عن هلال الحفار وطائفة، روى عنه ابنه أبو علي، كان يسكن بالكرخ ببغداد، محلة الرافضة، ثم تحول إلى الكوفة، وأقام بالمشهد يفقههم، ومات في المحرم سنة ستين وأربع ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء، (٣٣٥-٣٣٤/١٨).

(٧٢) التبيان في تفسير القرآن (مج ٩/٣٤٤-٣٤٥).

(٧٣) لطائف الإشارات (مج ٦/٨).

(٧٤) البحر المحيط (١١٠/٨).

النص رقم: ١١/١٢٧ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم ١٠/١٢٦.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ (٧٥) إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ (٧٦) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

الآية: ٩

النص: ١٢/١٢٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) ٠٠٠ الآية، ذكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة، لكثرة عشيرته وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعا، وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف، فأمر الله أن تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله، كتاب الله، وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم.

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠/١).
- والبيهقي في سننه (١٧٢/٨).
- وابن أبي شيبة في تفسيره (٥٤٩/٧).

دراسة النص:

قول قتادة في أسباب نزول قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...) الآية أورده السيوطي في كتابه (٧٧).

(٧٥) بغت: والبغي هو: الكبر والظلم والفساد، وبغى عليه: ظلم وعدا عن الحق واستطال فهو باغ. انظر: البرهان في غريب القرآن، جامعة ومؤلفه: حسن بن صالح بن عمر الحبشي، الناشر: مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م، (ص ٣٦).

(٧٦) تفيء: ترجع. انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٤١٦).

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى) يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله وتعدت ما جعل الله عدلاً بين خلقه وأجابت الأخرى (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) يقول: فقاتلوا التي تعدي وتأبى الإجابة إلى حكم الله (حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه^(٧٨)، وقال الرازي: هذا دليل على أن المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمناً لأن الباغي جعله من إحدى الطائفتين وسماهما مؤمنين^(٧٩)، وقال الحسن وقتادة والسدي (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما^(٨٠).

وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس^(٨١) والخزرج^(٨٢)(٨٣).

الآية قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك، تحت النزوات والاندفاعات تأتي تعقياً على تبين خبر الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء

(٧٧) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٧٦-٢٧٧).

(٧٨) انظر: جامع البيان (٣٨٦-٣٨٧)، وتفسير ابن كثير (٢١١/٤)، والكشاف (٣٥٤-٣٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣١٥-٣١٦).

(٧٩) مفاتيح الغيب (١١٠/٢٨).

(٨٠) فتح القدير (٦٣/٥).

(٨١) الأوس: بطن عظيم من الأزد، من القحطانية، وهم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء، وهم أهل عز ومنعة، كانت منازلهم بيثرب (المدينة)، كان الموطن الأصلي للأوس بلاد اليمن، فهاجروا إلى يثرب، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية دامت عشر سنين، وقد نشبت حروب طويلة بين الأوس والخزرج في الجاهلية. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٥٠/١).

(٨٢) الخزرج: بطن من مزقياء، من الأزد، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: الخزرج. وهو بنو الخزرج الأكبر بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء. والخزرج هؤلاء هم المراد بالخزرج عند الإطلاق، وهم أحد قبيلي الأنصار، إخوة الأوس ويقال لكليها: بنو قبيلة، وكان للخزرج هذا من الولد: عمرو، وعوف، وجشم، وكعب، والحارث، وكان لهم ملك يثرب قبل الإسلام، مع إخوتهم الأوس، نزلوها عند خروج الأزد من اليمن. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص ٥٢-٥٣).

(٨٣) زاد المسير (١٨١/٧).

الحمية والحماسة قبل التثبيت والاستيقان، فهو يمثل قاعدة عامة محكّمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق^(٨٤)، وقاتادة مع انفراده بروايته لم يختلف مع المفسرين في معنى الآية.

وكم نحن في حوجة لما جاءت به هذه الآية الكريمة بل لا بد لنا أن نرفعه شعاراً في كل مكان.

النص: ١٣/١٢٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، أن قوماً من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي فأنزل الله فيهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال قتادة: كان رجلان بينهما حق، فتدارءا فيه، فقال احدهما: لآخذنه عنوة، لكثرة عشيرته، وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.

٣٨٩-٣٨٨/١١

النص رقم: ١٣/١٢٩: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٢/١٢٨.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الآية: ١١

النص: ١٤/١٣٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول: ولا يطعن بعضكم على بعض.

٣٩١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٣٢٧/١٦).

- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٢/٢).

دراسة النص:

(٨٤) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٤٣).

معنى قوله تعالى: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) لا يعيب بعضكم بعضاً^(٨٥)، وفي تفسيره يقول تعالى ذكره، ولا يغتب بعضكم بعضاً أيها المؤمنون، ولا يطعن بعضكم على بعض، وقال: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) فجعل اللامز أخاه لامزاً نفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمرهم، وطلب صلاحهم، ومحبتهم الخير، ولذلك روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر))^(٨٦).

وهذا نظير قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾^(٨٧)، بمعنى: ولا يقتل بعضكم بعضاً^(٨٨).

النص: ١٥/١٣١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. ٣٩١/١١

النص رقم: ١٥/١٣١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٤/١٣٠.

قوله تعالى: (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ)

النص: ١٦/١٣٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ) يقول للرجل: لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق، ذاك منافق، نهى الله المسلم عن ذلك وقدّم فيه.

٣٩٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٨/٥).

- وأحمد في مسنده (٦٩/٤).

(٨٥) معاني القرآن، للفراء (٧٢/٣).

(٨٦) سبق تخريجه في سورة الفتح، ص (٢٤١).

(٨٧) سورة النساء: الآية (٢٩).

(٨٨) انظر: جامع البيان (٣٩٠/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/١٦)، وزاد المسير (١٨٣/٧)، وروح المعاني

(١٥٣/٢٦)، ومفاتيح الغيب (١١٤/٢٨)، وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام علاء

الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، (المتوفي سنة ٧٢٥هـ)، وبهامشه التفسير المسمى

بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبدالله أحمد بن محمود النسفي، (المتوفي سنة ٧١٠هـ)، دار الفكر، د.ط،

د.ت، (١٦٩/٤).

- وابن كثير في تفسيره (٢١٣/٤).

دراسة النص:

أورد السيوطي سبب نزول قوله تعالى (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ) فقال: كانت الألقاب في الجاهلية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ)^(٨٩). وفي معناه يقول الطبري: وقوله (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ) يقول: ولا تداعوا بالألقاب، والنبز واللقب بمعنى واحد، يجمع النبز: أنبازاً، واللقب: ألقاباً، واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنايز بها في هذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقب، قاله: أبو جبير بن الضحاك^(٩٠)، وقال آخرون بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق، يا زاني، ذكره: عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وقال آخرون: بل ذلك تسمية الرجل بالرجل بالكفر بعد الإسلام، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة، ذكره: ابن عباس، والحسن^(٩١).

قرأ البيزي^(٩٢) (وَلَا تَنَابَرُوا) بتشديد التاء في حال الوصل^(٩٣). والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنايزوا بالألقاب، والتنايز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة،

(٨٩) لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٧٧).

(٩٠) أبو جبير بن الضحاك: أبو جبير بن الضحاك الأنصاري، المدني، صحابي وقيل لا صحبة له. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٧٢٧).

(٩١) انظر: جامع البيان (٣٩١/١١-٣٩٢)، وزاد المسير (١٨٣/٧)، وروح المعاني (١٥٤/٢٦-١٥٥)، وتفسير ابن كثير (٢١٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٨/١٦)، وتفسير المؤمنين، أعده: عبد الودود يوسف، دار الرشيد، دمشق، حلبوني، راجعه: الدكتور: مصطفى الخن، طبع بموافقة الافتاء ووزارة الأعلام السورية، رقم ٥٥٧٦، تاريخ: ١٠/٨/١٩٧٥م، ورقم: ٥٦٤٥ تاريخ ٦/٩/١٩٧٥م، (ص ٤١٢).

(٩٢) البيزي: هو أبو الحسن أحمد بن محمد البيزي المقرئ، مؤذن المسجد الحرام وشيخ الاقراء، ولد سنة سبعين ومائة، وقرأ على عكرمة بن سليمان وأبي الأخریط، وقرأ عليه جماعة، وكان لين الحديث حجة في القرآن، قال الذهبي في المغنى أحمد بن محمد بن عبد الله البيزي مقرئ مكة ثقة في القراءة، توفي سنة خمسين ومائتين. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٢٠/٢). وطبقات القراء، للذهبي (٢٠٣/١-٢٠٧).

(٩٣) التيسير في القراءات السبع (ص ٨٣).

وعم الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها، وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضاً^(٩٤).

النص: ١٧/١٣٣ حدثنا ابن عبد الاعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (ولا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) يقول: لا يقولن لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق.

٣٩٢/١١

النص رقم: ١٧/١٣٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٦/١٣٢.
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

الآية: ١٢

النص: ١٨/١٣٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا) هل تدرون ما التجسس أو التجسس؟ هو أن تتبع، أو تتبغي عيب أخيك لتطلع على سره.

٣٩٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥٣/٥).

دراسة النص:

يقول جل ثناؤه: (وَلَا تَجَسَّسُوا) ولا يتبع بعضكم عورة بعض، وقوله (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) يقول: ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه، وقوله (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) أي يحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتاً، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه فكذلك

(٩٤) جامع البيان (٣٩٢/١١-٣٩٣).

لا تحبوا أن تغتابوه في حياته^(٩٥). وقال الأوزاعي^(٩٦): التجسس البحث عن الشيء، وقوله (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) نهى عن الغيبة قاله مسروق وقتادة وأبو إسحاق ومعاوية بن قرّة^(٩٧)(٩٨).

وقال مجاهد في معنى قوله: (وَلَا تَجَسَّسُوا) خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله، وقال ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس^(٩٩)، ووافقهم في معنى الآية الرازي^(١٠٠)، وأضاف يحيى بن أبي كثير^(١٠١) وقال: التجسس بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم^(١٠٢)، قال أبوزيد السهيلي^(١٠٣): ضرب المثل بأكل اللحم لأن اللحم ستر على العظم

(٩٥) جامع البيان (١١/٣٩٤-٣٩٦).

(٩٦) الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، (ولد سنة ٨٨هـ، توفى سنة ١٥٧هـ)، إمام أهل الشام في الحديث. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٣٤٧)، وتهذيب التهذيب، (٦/٢١٦)، وتهذيب الكمال (٣٠٧/١٧).

(٩٧) معاوية بن قرّة: هو البسام بالنهار، البكاء في الأسفار، أبو إياس معاوية بن قرّة، أسند معاوية بن قرّة عن عدة من الصحابة. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي النعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (المتوفى سنة ٤٣٠هـ)، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (٢/٢٩٨-٣٠١).

(٩٨) تفسير ابن كثير (٤/٢١٣).

(٩٩) الكشف (٤/٣٦٣).

(١٠٠) مفاتيح الغيب (٢٨/١١٥-١١٦).

(١٠١) يحيى بن أبي كثير: هو يحيى بن أبي كثير الطائي، مولاهم، أبو نصر اليمامي واسم أبي كثير صالح بن المتوكل، وكان مولى لطي، قال علي بن المدني ما أعلم أحداً بعد الزهري أعلم بحديث أهل المدينة من يحيى بن أبي كثير وقال العجلي: ثقة، كان يعد من أصحاب الحديث، مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقال غيره: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٢٠/١٩٦-٢٠٠).

(١٠٢) زد المسير (٧/١٨٥).

(١٠٣) أبو زيد السهيلي: هو عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨-٥٨٠هـ-١١١٤-١١٨٥م)، هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبش بن سعدون بن رضوان بن فتوح الإمام أبو زيد وأبو القاسم السهيلي الخثمي الأندلسي المالقي المالكي الحافظ، كان عالماً بالعربية، واللغة والقراءات، بارعاً في ذلك جامعاً بين الرواية والدراية نوحياً متقدماً، أديباً، عالماً بالتفسير، وصناعة الحديث، حافظاً للرجال والأنساب، وأوسع المعرفة، غزير العلم، نبهاً ذكياً، كف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، توفى بمراكش في ليلة الخميس خامس عشر من شوال. انظر: طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، (١/٢٦٦-٢٦٧).

والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر^(١٠٤)، واتبعهم البغوي^(١٠٥)، وقال القرطبي: الظن في الآية هو التهمة^(١٠٦)، ومن لطائف قوله (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا): لا تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق^(١٠٧).

نجد أن معنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...)(الآية، أجمع على تفسيره أهل العلم، وأخلص إلى أن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام يهdy القرآن مجتمع له أدب رفيع ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا"^(١٠٨).

أما في هذا الزمان أقول كما قال الحسن: كنا في زمان الظن بالناس حرام، وأنت اليوم في زمان أعمل وأسكت، وظن بالناس ما شئت^(١٠٩).

النص: ١٩/١٣٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: (كنا نحدث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه، وتعيبه بما فيه، وإن كذبت عليه فذلك البهتان).

٣٩٦/١١

النص رقم: ١٩/١٣٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٨/١٣٤.

(١٠٤) البحر المحيط (١١٤/٨-١١٥).

(١٠٥) معالم التنزيل (مج٧/٣٤٤-٣٤٦).

(١٠٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٣١/١٦).

(١٠٧) لطائف الإشارات (مج٦/١١).

(١٠٨) أخرجه:

١- البخاري في: (٧٨) كتاب الأدب، (٥٨) باب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا) [الحجرات: ١٢]، حديث رقم: (٦٠٦٦)، (١٦٥/٤).

٢- ومسلم في (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب، (٩) باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتجاجش، ونحوها، حديث رقم: (٢٥٦٣)، (١٩٨٥/٤).

(١٠٩) الكشاف (٣٦٢/٤).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

الآية: ١٣

النص: ٢٠/١٣٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) قال: الشعوب النسب البعيد والقبايل كقوله فلان من بني فلان، وفلان من بني فلان.

٣٩٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٣/٢).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) يقول: جعلنا بعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً، وذلك إذا قيل للرجل من العرب: من أي شعب أنت؟ قال: أنا من مضر^(١١٠)، أو من ربيعة^(١١١)، وأما أهل المناسبة

(١١٠) مضر: وهي القبيلة المعروفة التي ينسب إليها قريش، وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أخو ربيعة بن نزار، وهما القبيلتان العظيمتان اللتان يقال فيهما: أكثر من ربيعة ومضر. انظر: الأنساب، (٢٠٤/٥).

(١١١) ربيعة: هي تنسب إلى ربيعة بن نزار، وهو شعب واسع فيه قبائل عظام وبطون وأفخاذ استغنى بالنسب إليها عن النسب إلى ربيعة، وينسب إليه بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. انظر: المصدر السابق، (٤٧/٣).

القريبة أهل القبائل، وهم كتميم^(١١٢) من مضر وبكر من ربيعة، وأقرب القبائل الأفخاذ، وهما كشيبيان^(١١٣) من بكر ودارم^(١١٤) من تميم^(١١٥).

وقال مجاهد: في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من قبيلة كذا وكذا^(١١٦)، وقال مثله قتادة^(١١٧)، وقال الرازي: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) فيه وجهان: أحدهما (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) متفرقة لا يدري من يجمعكم كالعجم، وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبني إسرائيل. وثانيهما: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) داخلين في قبائل فإن القبيلة تحتها الشعوب، وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الأفخاذ وتحت الأفخاذ الفصائل، وتحت لفصائل الأقارب^(١١٨)، وقال ابن حيان في تفسير الآية: الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل^(١١٩)، وذكر أبو سليمان الدمشقي فقال: وقد قيل إن القبائل هي الأصول، والشعوب هي البطون التي تنتسب منها^(١٢٠)، بل وأضاف الواحدي وقال: سمو شعباً لتشعبهم واجتماعهم

(١١٢) تميم: هي قبيلة من العدنانية، تنتسب إلى تميم بن مرّ بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة، ثم تفرقوا في الحواضر ولم تبق منهم باقية. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (١/٢٢٦).

(١١٣) شيبيان: هي شيبيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، قبيلة كبيرة من بكر بن وائل ينسب إليه خلق كثير من الصحابة والتابعين والأمراء والفرسان والعلماء في كل فن. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، (٢/٢١٩).

(١١٤) دارم: هذه النسبة إلى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناه بن تميم، بطن كبير من تميم ينسب إليه خلق كثير من العلماء والشعراء والفرسان. انظر: المصدر السابق: (١/٤٨٤).

(١١٥) جامع البيان (١١/٣٩٧).

(١١٦) تفسير ابن كثير (٤/٢١٧).

(١١٧) جامع البيان (١١/٣٩٨).

(١١٨) مفاتيح الغيب (٢٨/١١٨).

(١١٩) البحر المحيط (٨/١١٦).

(١٢٠) زاد المسير (٧/١٨٦).

كشعب أغصان الشجرة^(١٢١)، وقال مجاهد: الشعوب البعيد من النسب، والقبائل دون ذلك^(١٢٢)، وقال الزمخشري: سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها^(١٢٣)، وكذا قال ابن عاشور^(١٢٤)، وقرأ الأعمش^(١٢٥) (لِتَعَارَفُوا) (لِتَتَعَارَفُوا) بتاءين على الأصل، ومجاهد، وابن كثير في رواية، وابن محيصن بإدغم التاء في التاء، وابن عباس^(١٢٦).

رغم اختلاف تعابير المفسرين إلا أن أنسب ما قيل في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) الآية هو تفسير قتادة إذ إن معنى الشعوب: هو مجمع القبائل التي ترجع إلى جد واحد من أمة مخصوصة، أي النسب البعيد كما ذكر قتادة، ونلاحظ أنه يوافق الترتيب القرآني (شُعُوبًا وَقَبَائِلَ).

النص: ٢١/١٣٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) قال: هو النسب البعيد، قال: والقبائل: كما تسمعه يقال: فلان من بني فلان.

٣٩٨/١١

النص رقم: ٢١/١٣٧: تقدمت وتخرجه في النص رقم: ٢٠/١٣٦.

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١٢١) فتح القدير (٦٧/٥).

(١٢٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٤/١٦).

(١٢٣) الكشاف (٣٦٥/٤).

(١٢٤) التحرير والتنوير (٢٥٩/٢٥).

(١٢٥) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش، ولد بالكوفة، روى عن أنس ومجاهد، روى عنه أبو إسحاق السبيعي، مولده في سنة إحدى وستين، وتوفى في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة، عن سبع وثمانين سنة. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (١/٨٤-٨٧).

(١٢٦) روح المعاني (١٦٢/٢٦).

(١٢٧) لا يليتكم: يلقاكم. انظر: العمدة في غريب القرآن، (ص ٢٧٨).

الآية: ١٤

النص: ٢٢/١٣٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أنزلت في حي من أحياء الأعراب إمتنوا بإسلامهم على نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أسلمنا، ولم نقاتلك، كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله: لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم.

٤٠٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/١)
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٣/٢).

دراسة النص:

إن هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات وأغلو أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بالأتقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمينون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية^(١٢٨).

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا فقال بعضهم: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لأن القوم كانوا صدقوا بألسنتهم ولم يصدقوا قولهم بفعلهم: قاله: الزهري، ابن زيد، وإبراهيم النخعي^(١٢٩)، وقال آخرون: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقول ذلك لهم، لأنهم أرادوا

(١٢٨) أسباب نزول القرآن، للواحي (ص ٤١٩).

(١٢٩) إبراهيم النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي، المتوفى سنة ٩٥هـ، تابعي، كان من فقهاء العراق، فقيه أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً، فقيهاً متوقياً قليل

أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين، قاله: ابن عباس، وقال آخرون: قيل لهم ذلك لأنهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم لم تؤمنوا، ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل قاله: قتادة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقوله (لَا يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ) أي يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم^(١٣٠).

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري، وهو أن الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقراراً منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنة دون تغيير قولهم بذلك بأن يقولوا آمنة بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحق^(١٣١). نستفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه^(١٣٢).

النص: ٢٣/١٣٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال: لم تعم هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ولكنها في طوائف من الأعراب.

٤٠١/١١

النص رقم: ٢٣/١٣٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٢/١٣٨.

التكلف، ومات وهو مختف من الحجاج، سنة ست وتسعين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٤٨/١-٤٥١).

(١٣٠) انظر: جامع البيان (٣٩٩/١١-٤٠٢)، وابن كثير (٢١٩/٤)، وزاد المسير (١٨٧/٧)، والرازي

(١٢٠/٢٨)، والزمخشري (٣٦٦/٤)، وفتح القدير (٦٨٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١٦)،

والتفسير المنير (٢٦٩/٢٦-٢٧٠)، ومعاني القرآن، للفراء (٧٣/٣-٧٤).

(١٣١) جامع البيان (٤٠١/١١).

(١٣٢) تفسير ابن كثير (٢١٩/٤).

قوله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الآية: ١٧

النص: ٢٤/١٤٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لا تَمُنُوا) أنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) لهم (لا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ).

٤٠٣/١١-٤٠٤

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢١٩/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٣٥٠/١٦).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٥/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يمن عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا (قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) يقول: بل الله يمن عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله، فإن الله هو الذي من عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا علي بإسلامكم^(١٣٣).

وزاد ابن كثير فقال: يقول الله تعالى رداً عليهم (قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ) فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم والله المنة عليكم فيه أي في دعواكم ذلك^(١٣٤)، وأضاف الشوكاني في معنى الآية وقال: فإن الإسلام هو المنّة التي لا يطلب موليتها ثواباً لمن أنعم بها عليه^(١٣٥)، وقال الرازي: يقرر ذلك ويبين أن إسلامهم لم يكن لله^(١٣٦)، وقال السيوطي في سبب نزول قوله تعالى: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله صلى الله عليه

(١٣٣) جامع البيان (٤٠٣/١١).

(١٣٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢١٩/٤)، والكشاف (٣٦٨-٣٦٩/٤)، وزاد المسير (١٨٧/٧).

(١٣٥) فتح القدير (٦٨/٥).

(١٣٦) انظر: مفاتيح الغيب (١٢٣/٢٨)، والبحر المحييط (١١٧/٨)، وتفسير المراغي (مج ٩/١٤٥-١٤٦)،

والتيان في تفسير القرآن (مج ٩/٣٥٥)، والتفسير الواضح، للدكتور: محمد محمود حجازي، مطبعة الاستغلال الكبرى،

٨ ش نجيب الريحاني بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م (٦٦/٢٦-٦٧).

وسلم سنة تسع وفيهم طليحة بن خويلد^(١٣٧)، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبدك ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) الآية^(١٣٨).

ما قاله المفسرون في معنى الآية يعبر بحق وصدق عن قوله الكريم (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ١٠٠ وأن قتادة لم يخالفهم بل قال مثل قولهم.

(١٣٧) طليحة بن خويلد: هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسي، كان من أشجع العرب، وكان يعد بألف فارس فلما رجعوا تنبأ طليحة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور الأسدي ليقاتله فيمن أطاعه ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظم أمر طليحة، وكان يزعم أنه يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي، فأرسل إليه أبوبكر رضي الله عنه خالد بن الوليد، فقاتله بنواحي سميراء وبراختة، سميراء: بطريق مكة، وبزاختة: ماء لطي بأرض نجد، وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً، وله في قتال الفرس في القادسية بلاء حسن. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٤٧٧/٢).

(١٣٨) لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٧٩).

(٥٠) سورة (ق) مكية عدد آياتها (٤٥)

قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾.

الآية: ١

النص: ١/١٤١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (ق) قال: اسم من أسماء القرآن.

٤٠٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٣/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١١٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول جل ثناؤه في معنى قوله: (ق): أي حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى: (ص-ون-والم-وحم-وطس) قاله مجاهد^(١). وقال ابن جرير الطبري: اختلف الناس في قوله: (ق) على أقوال: أحدهما: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، قاله ابن عباس. والثاني: هو اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والثالث: اسم الجبل المحيط بالأرض^(٢).

وزاد القرطبي وقال: افتتح أسماء الله تعالى قدير وقاهر وقريب وقاض وقابض^(٣). وكذا ذكر البغوي هذه الأقوال وأضاف فقال: معناه: قضي الأمر، أو قضي ما هو كائن^(٤). وبمثلهم قال الشوكاني ثم جاء بقول أبوبكر الوراق^(٥) الذي قال: معناه: قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما^(٦). واتبعهم الألويسي وقال مثلهم^(٧).

(١) تفسير ابن كثير (٢٢١/٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٤٠٥/١١)، وزاد المسير (١٨٩/٧)، ومفاتيح الغيب (١٢٦/٢٨ - ١٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/١٧).

(٤) معالم التنزيل (مج٧/٣٥٥).

قرأ الجمهور (قاف) بسكون الفاء ويكسرهما الحسن وبالضم ابن السميعة والحسن أيضاً^(٨).

اختلفت ألفاظ المفسرين بالبيان عن معنى قوله تعالى: (ق) إلا أن ما قالوه لم يخرج عن محتوى الآية الكريمة، والحق أنه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.

الآية: ٤

النص: ٢/١٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) يقول: ما تأكل الأرض منهم.

٤٠٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٢/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٤/١٧).

دراسة النص:

وقوله: (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم^(٩)، وكذا قاله مجاهد، وقاتدة، والضحاك^(١٠)، وابن عباس^(١١)، وأضاف السدي وقال: النقص هنا الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومن يبقى، لأن من مات دفن فكأن الأرض تنقص من الناس^(١٢)، وقال الرازي: في معنى قوله تعالى: (قَدْ عَلِمْنَا

(٥) أبو بكر الوراق: (...-٢٤٩هـ/...-٨٦٣م): محمد بن عبدالله الوراق (أبو بكر) فاضل، له أخلاق النبي. انظر: معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، (٤٦١/٣).

(٦) فتح القدير (٧١/٥).

(٧) روح المعاني (١٧٢-١٧١/٢٦).

(٨) البحر المحيط (١٢٠/٨).

(٩) جامع البيان (٤٠٧/١١).

(١٠) تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤).

(١١) روح المعاني (١٧٣/٢٦).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/١٧)، وفتح القدير (٧٢/٥)، وزاد المسير (١٩٠/٧)، والكشاف (٣٧١/٤).

مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ): يعني لا تخفى علينا أجزاءهم بسبب تشتتها في تخوم الأرضين (١٣).
وبمثلهم قال البيضاوي (١٤).

تشابهت أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) أي ما تأكل الأرض منهم بعد الموت وهو ما ذكره قتادة.
هنا إشارة إلى قدرة الله تعالى على البعث، كما أماتهم يحييهم كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥).

النص: ٣/١٤٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عم معمر، عن قتادة (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) قال: يعني الموت، يقول من يموت منهم، أو قال: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا.

٤٠٧/١١

النص رقم: ٣/١٤٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢/١٤٢.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ (١٦).

الآية: ٥

النص: ٤/١٤٤ كالذي حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) أي كذبوا بالقرآن (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ) يقول: فهم في أمر مختلط عليهم ملتبس، لا يعرفون حقه من باطله، يقال قد مرج أمر الناس إذا اختلط وأهمل.

٤٠٧/١١ - ٤٠٨

تخريج النص:

(١٣) مفاتيح الغيب (١٣١/٢٨).

(١٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص ٦٨٦).

(١٥) سورة البقرة، الآية (٢٨).

(١٦) أمر مريح: أي مختلط ملتبس. يقال مرج أمر الناس أي اختلط. ومرج الخاتم في يدي.

انظر: غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي، (المتوفى

٢٣٧هـ)، حققه: محمد سليم الحاج، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

(ص ٣٤٥).

- أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٦/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) وهو القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) من الله، واختلفت عبارات أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ) على أقوال: أحدها: المريح: هو الشيء المنكر قاله: ابن عباس.

الثاني: في أمر مختلف قاله: ابن عباس.

الثالث: في أمر ضلالة.

الرابع: في أمر ملتبس قاله: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة.

الخامس: بل هو المختلط قاله: ابن زيد^(١٧).

وقال ان الجوزي: أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مرة ساحر، ومرة شاعر، ومرة معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم^(١٨)، وبه قال الزمخشري^(١٩)، والرازي^(٢٠)، والشوكاني^(٢١)، وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم^(٢٢). وقول قتادة ذكره الجصاص في كتابه^(٢٣).

هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل، وإذا كان كذلك كان منكرًا، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلاله، لأن الهدى بين لا لبس فيه^(٢٤).

النص: ٥/١٤٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ) ملتبس عليهم أمره.

٤٠٨/١١

(١٧) انظر: جامع البيان (٤٠٧/١١-٤٠٨)، تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/١٧).

(١٨) زاد المسير (١٩٠/٧).

(١٩) الكشاف (٣٧١/٤).

(٢٠) مفاتيح الغيب (١٣٣/٢٨).

(٢١) فتح القدير (٧٢/٥).

(٢٢) معالم التنزيل (مج٧/٣٥٦)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج٣/٤٠٤).

(٢٣) أحكام القرآن (٤٠٩/٣).

(٢٤) جامع البيان (٤٠٩/١١).

النص رقم: ٥/١٤٥: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٤/١٤٤.

قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٢٥).

الآية: ٧

النص: ٦/١٤٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) والرواسي الجبال (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أي من كل زوج حسن. ٤٠٩/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١١٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول: وجعلنا فيها جبالا ثوابت رست في الأرض (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن وهو البهيج^(٢٦).

وافق قتادة المفسرين في معنى قوله تعالى: (وَالأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أي جعل فيها الجبال وانبت فيها من كل زوج حسن، وهنا دعوة إلى النظر والتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿تَنْبَصْرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

الآية: ٨

(٢٥) بهيج: البهجة: حُسُّ اللون وظهور السرور. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٦٣).

(٢٦) انظر: جامع البيان (٤٠٩/١١)، تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٦/١٧)، والكشاف (٣٧٢/٤)، ومفاتيح الغيب (١٣٥/٢٨)، وروح المعاني (١٧٦/٢٦)، وزاد المسير (١٩١/٧)، وفتح القدير (٧٢/٥)، والبحر المحيط (١٢١/٨)، وفي ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٥٩).

النص: ٧/١٤٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (تَبْصِرَةً) نعمة من الله يبصرها العباد (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) أي مقبل بقلبه إلى الله.

٤١٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٠/١١).
- وابن كثير في تفسيره (٢٢٢/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١١٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (تَبْصِرَةً) يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس يبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: وتذكيراً من الله، وتنبهياً على وحدانيته (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته^(٢٧)، وقال ابن كثير: أي ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب خائف وجل رجع إلى الله عز وجل^(٢٨). وأما الرازي في معنى الآية قال: أي هو التفكير والتذكر والنظر في الدلائل^(٢٩)، وكذلك قال النسفي مثل قولهم ولكن عبر عن معنى الآية بهذا فقال: لنبصر به ونذكر كل (عَبْدٍ مُنِيبٍ) راجع إلى ربه^(٣٠). وقوله: (تَبْصِرَةً) أي قدرنا الأرض وألقينا فيها الرواسي وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة لأجل أن نبصر عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا^(٣١).

(٢٧) جامع البيان (٤٠٩/١١).

(٢٨) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤)، والكشاف (٣٧٢/٤)، وزاد المسير (١٩١/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٦/١٧).

(٢٩) مفاتيح الغيب (١٣٥/٢٨)، وفتح القدير (٧٢/٥).

(٣٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤٠٤/٣).

(٣١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦٤٥/٧).

وهناك لطيفة للآية تقول: علامة ودلالة لكل من أناب إلينا، ورجع من شهود أفعالنا إلى رؤية صفاتنا، ومن شهود صفاتنا إلى شهود حقنا وذاتنا^(٣٢). وهذا القول أجمع عليه أهل التفسير ووافقهم قتادة في المعنى رغم انفراده في التعبير عنهم.

وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث وإيقاظ لهم عن سنة الغفلة.

النص: ٨/١٤٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى) قال: تبصرة من الله.

٤١٠/١١

النص رقم: ٨/١٤٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رق: ٧/١٤٧.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾. الآية: ٩

النص: ٩/١٤٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) هذا البر والشعير.

٤١٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٦/٢-٢٣٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١١٧/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً مباركاً، فأنبتنا به بساتين أشجاراً، وحب الزرع المحصود من البر والشعير، وسائر أنواع الحبوب^(٣٣)، وبمثله قال الضحاك^(٣٤)،

(٣٢) لطائف الإشارات (مج/١٧/٦).

(٣٣) جامع البيان (٤١٠/١١).

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٧).

والشوكاني^(٣٥)، وقال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أي هو الزرع الذي يراد ادخاره^(٣٦)، وقال الزمخشري: وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما^(٣٧). وبه قال الألويسي^(٣٨)، وعند ابن الجوزي: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أي أراد حب النبت الحصيد^(٣٩). يرى أغلب المفسرين أن معنى قوله: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) هو البر والشعير وهو ما ذكره قتادة، ونسبة قليلة من المفسرين ترى أنه حب الحصيد عامةً.

النص: ١٠/١٥٠ حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) قال: هو البر والشعير.

٤١٠/١١

النص رقم: ١٠/١٥٠: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٩/١٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾.

الآية: ١٠

النص: ١١/١٥١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) قال: بسوقها طولها.

٤١١/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٤/٤).

دراسة النص:

قوله تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) يقول: وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طولاً، والباسق: هو الطويل، يقال للجبل الطويل: جبل باسق^(٤٠)، وقال مثل هذا القول ابن عباس،

(٣٥) فتح القدير (٧٢/٥).

(٣٦) تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤).

(٣٧) الكشاف (٣٧٢/٤).

(٣٨) روح المعاني (١٧٦/٢٦).

(٣٩) زاد المسير (١٩١/٧).

(٤٠) جامع البيان (٤١٠/١١).

ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي^(٤١)، وقال عبد الله^(٤٢) بن شداد: بسوقها استقامتها في الطول^(٤٣).

وذكر الزمخشري معنى قوله: (بَاسِقَاتٍ) أي طوالاً في السماء^(٤٤).

وعن معنى قوله (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) يقول الفراء: طوال، يقال: قد بسق طولاً، فهن طوال النخل^(٤٥).

اتفق قتادة مع المفسرين على أن معنى قوله تعالى (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) يعني طولها، وهذا يؤكد كمال القدرة والاختيار^(٤٦).

النص: ١٢/١٥٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) قال: يعني طولها.

٤١١/١١

النص رقم: ١٢/١٥٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١١/١٥١.

(٤١) تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤)، وروح المعاني (١٧٦/٢٦).

(٤٢) عبد الله بن شداد: هو عبد الله بن شداد المدني، أبو الحسن الأعرج، روي عن أبي عذرة، وعنه حماد بن سلمة والثوري، ذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن الجنيدي عن ابن معين: شيخ واسطي ليس به بأس.

انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (٢٥٢/٥).

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٧).

(٤٤) الكشاف (٣٧٢/٤).

(٤٥) معاني القرآن (٧٦/٣).

(٤٦) مفاتيح الغيب (١٣٦/٢٨).

قوله تعالى: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾.

النص: ١٣/١٥٣ حدنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول: بعضه على بعض.

٤١١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٧/١٧).
- والزمخشري في تفسيره (٣٧٢/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٧/٢).

دراسة النص:

معنى قوله: (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) أي منضود: بعضه فوق بعض وذلك قبل أن يتفتح. فإذا انشق جف الطَّلعة وتفرَّق: فليس بنضيد^(١).

قوله تعالى: (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفْرِيُّ^(٢)، نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض متراكب^(٣)، وقال القرطبي: الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل ونضيد: أي متراكب قد نُضِدَ بعضه على بعض^(٤)، ووافق الطبري والقرطبي على هذا التفسير الشوكاني^(٥)، وابن كثير^(٦)، والآلوسي^(٧)، والزمخشري^(٨)، والرازي^(٩)، وزاد أبو حيان وقال: نضيد أي منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع وتراكمه أي كثرة ما فيه من الثمر وأول ظهور

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤١٨).

(٢) الكُفْرِيُّ: هو وعاء طلع النخل، وقشره الأعلى. انظر: لسان العرب (مج ١٣/٨٧).

(٣) جامع البيان (٤١١/١١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٧).

(٥) فتح القدير (٧٣/٥).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤).

(٧) روح المعاني (١٧٦/٢٦).

(٨) الكشاف (٣٧٢/٤).

(٩) مفاتيح الغيب (١٣٦/٢٨).

التمر في الكفري هو أبيض ينضد كحب الرمان فما دام ملتصقاً ببعضه ببعض فهو نضيد فإذا خرج من الكفري تفرّق فليس بنضيد^(١).

ويقال إنما يسمى نضيداً ما كان في الغلاف^(٢).

أجمع المفسرون على معنى قوله تعالى: (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ).

النص: ١٤/١٥٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) ينضد بعضه على بعض.

٤١١/١١

النص رقم: ١٤/١٥٤: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٣/١٥٣.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ (٣) وَتَمُودُ (٤) * وَعَادٌ

(١) انظر: البحر المحيط (١٢٢/٨)، وزاد المسير (١٩١/٧).

(٢) بحر العلوم (٢٦٩/٣-٢٧٠).

(٣) الرس: قيل هو واد. واصل الرس: الأثر الموجود في الشيء. يقال سمعت رساً من خبز، ورس الحديث في نفسي ووجد رساً من حُمى. ورُسّ الميت: دفن وجعل أثراً بعد عين. انظر: مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين، (ص ٣٥٨-٣٥٩)، وروى ابن جرير قال: قال ابن عباس: أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود، وذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه: أنّ أصحاب الرس كانوا بحضور، فبعث الله إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وولده من الرس، فنزل الأحقاف. وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها، وفشوا مع ذلك في الأرض كلها، حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، دمشق وبنى مدينتها، سماها جيرون، وهي أرم ذات العماد. وليس أعمدة الحجة في موضع أكثر منها بدمشق، فبعث الله هود بن عبد الله بن رياح بن خالد بن الحلود بن عاد إلى عاد، يعني أولاد عاد بالأحقاف فكذبوه، فأهلكهم الله عزّ وجلّ. انظر: قصص القرآن، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م، (١٨٩/١-١٩٠).

(٤) ثمود: هي القبيلة التي منها صالح عليه السلام، سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن أرم بن سام، وقيل: ثمود بن عاد بن عوص بن أرم كانت مساكنهم بالجرجر وموقعها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة، انظر: قصص الأنبياء، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، تأليف: عبد الوهاب النجار، (ص ٥٨).

وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (١) وَقَوْمٌ تَبِعَ كُلَّ كَذِّبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدُ *.

الآيات: ١٢، ١٣، ١٤

النص: ١٥/١٥٥ حدثني يونس^(٢)، قال: أخبرنا ابن وهب^(٣)، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث^(٤)، عن سعيد بن أبي هلال^(٥)، عن عمرو^(٦) بن عبد الله، عن قتادة أنه قال: إن أصحاب الأيكة، والأيكة: الشجر الملتف وأصحاب الرس كانتا أمتين، فبعث الله إليهم

(١) أصحاب الأيكة: هم أهل مدين كانوا عرباً يسكنون أرض معان، من أطراف الشام، وكانوا يكفرون بالله، ويشركون به، إذ عبدوا الأيكة، هي غيضة تنبت الشجر، فبعث الله فيهم شعبياً رسولاً. انظر: المصدر السابق، (ص ١٢٣).

(٢) يونس: هو يونس بن أبي الفرات القرشي، مولاهم، ويقال: المعولي أبو الفرات البصري الإسكافي، روى عن: الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وقاتدة بن دعامة، وأبي حمزة جار شعبة، روى عنه محمد بن بكر البرساني، وهشام الدستوائي، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: أرجو أن يكون ثقة، صالح الحديث، وقال النسائي: أبو الفرات يونس بن أبي الفرات ثقة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٥٥٤-٥٥٥).

(٣) ابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، الفهري، أبو محمد المصري الفقيه، مولى بن يزيد بن زمانة مولى يزيد بن أنيس أبي عبدالرحمن الفهري روى عن: أسامة بن زيد بن أسلم، وحيوة بن شريح، وعمرو بن الحارث المصري وآخرون، روى عنه: إبراهيم بن المنذر الخزامي، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وخلق، قال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: ثقة، ولد في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومئة، وتوفي يوم الأحد لأربع إن بقين من شعبان سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٠/٦١٩-٦٢٤).

(٤) عمرو بن الحارث: هو عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري، أبو أمامة المصري، مدني الأصل، مولى قيس بن سعد بن عبادة، كان قارئاً، فقيهاً مفتياً، روى عن: زيد بن أسلم، وقاتدة بن دعامة وآخرون، روي عنه: أسامة بن زيد الليثي، وبكر بن مضر وآخرون. كان يحيى بن معين يوثقه جداً. ولد سنة تسعين ومات سنة سبع وأربعين ومائة وقيل: سبع أو ثمان وأربعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (١٤/١٩٠-١٩٣).

(٥) سعيد بن أبي هلال: هو سعيد بن أبي هلال الليثي، مولاهم أبو العلا المصري، قيل مدني الأصل من السادسة، مات بعد الثلاثين قيل قبلها، وقيل قبل الخمسين بسنة. انظر: تهذيب الكمال، (ص ٢٨٨).

(٦) عمرو بن عبد الله: هو عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال علي، ويقال ابن أبي شعيرة أبو إسحاق السبيعي، الكوفي والسبيعي من همدان، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان قاله شريك عنه، روى عن زيد بن أرقم، والبداء بن عازب، وآخرون، وعنه ابنه يونس وابن ابنه إسرائيل بن يونس وابن ابنه الآخر يوسف بن إسحاق وقاتدة وسليمان التيمي، قال بن معين والنسائي ثقة، مات سنة ست وعشرين ومائة، وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان، وقيل مات سنة تسع وعشرين وهو ابن، ٩٦ سنة. انظر: تهذيب الكمال، (٨/٦٣-٦٥).

نبياً واحداً شعيباً وعذبهم الله بعدايبين (وَتَمُودُ * وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وهم قوم شعيب، وقد مضى خبرهم قبل (وَقَوْمُ ثُبَّعٍ).

٤١٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥٠٤/٢).
- وابن كثير في تفسيره (٢٢٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٨/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٧/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى: (كَذَّبَتْ) قبل هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم من قومه (قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) وأنهم قوم رسوا نبيهم في بئر، وكان قوم تبع أهل أوثان يعبدونها^(١)، وقال القرطبي: أي كما كذب هؤلاء فكذلك كذب أولئك فحل بهم العقاب^(٢)، وقال ابن كثير: يقول تعالى متهدداً لكفار قريش بما أحله بأشباههم كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس، (وَتَمُودُ * وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ) وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وهم قوم شعيب عليه السلام (وَقَوْمُ ثُبَّعٍ)^(٣) وهذا المعنى أورده الزمخشري^(٤)، وقال الألوسي: (وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هو البئر التي لم تبن وأصحابه قيل هم ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام (وَتَمُودُ * وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ) أريد هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده (وَإِخْوَانُ لُوطٍ) قيل: كانوا من أصهاره عليه السلام، (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ)

(١) جامع البيان (٤١٢/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٧).

(٣) تفسير لابن كثير (٢٢٣/٤).

(٤) الكشاف (٣٧٢/٤).

قيل: هم قوم بعث إليهم شعيب عليه الصلاة والسلام كانوا يسكنون أكمة وهي الغيطة^(١) فسموا بها (وَقَوْمٌ تَبِعَ) الحميري^(٢) وكان مؤمناً وقومه كفرة ولذا لم يذم هو وذم قومه^(٣).

وبنحو الذي قاله قتادة في معنى الآيات قاله أهل التأويل بتشابه فيما بينهم، وإنما وصف ربنا جل ثناءه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيباً منه بذلك مشركي قريش وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أنه محلّ بهم من العذاب مثل الذي أحلّ بهم^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

الآية: ١٥

النص: ١٦/١٥٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) أي شك، والخلق الجديد: البعث بعد الموت. فصار الناس فيه رجلين: مكذب ومصّدق.

٤١٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٧/٢).

دراسة النص:

وهذا تقرّيع من الله لمشركي قريش يقول لهم جل ثناؤه: أفعيننا بابتداع الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئاً فنعيها بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب،

(١) الغيطة: الغيط: هو البستان. انظر: المنجد في اللغة والأعلام (ص ٥٦٤).

(٢) تبع الحميري: هو حسان بن أسعد أبي كرب الحميري، من أعظم من تبايعه اليمن في الجاهلية، ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب وأنه سار بجيش عرمرم، حتى انتهى إلى سمرقند غازياً، امتلك الشام وأخذ منها كهنة وأخباراً وعاد إلى اليمن فمر بمكة وكسا الكعبة، ولما بلغ اليمن صارح أهلها بكراهيته للأوثان، ثار عليه جماعة من قومه فقتلوه. انظر: الأعلام، (١٧٥/٢).

(٣) انظر: روح المعاني (١٧٧/٢٦)، وفتح القدير (٧٣/٥)، ومفاتيح الغيب، (١٣٩-١٣٨/٢٨).

(٤) جامع البيان (٤١٣-٤١٤).

وبعد فنائهم؟ يقول: ليس يعيينا ذلك، بل نحن عليه قادرون^(١)، وعبر ابن كثير في معنى الآية وقال: أن. ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه^(٢)، وقال القرطبي: يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه (بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) أي في حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم مكذب^(٣)، وقال ابن الجوزي (بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ) أي: في شك (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو البعث، وهذا تقدير لهم لأنهم اعترفوا أنه الخالق وأنكروا البعث^(٤)، وقد نحى إلى هذا المعنى النسفي وزاد فقال: قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة^(٥).

قول قتادة جاء موافقاً لأقوال أئمة التفسير بأن قوله تعالى: (أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) أي هم في شك من أمر البعث بعد الموت، وهذه الآية بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٦).

النص: ١٧/١٥٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال: البعث من بعد الموت.

٤١٥/١١

النص رقم: ١٧/١٥٧: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٦/١٥٦.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٧).

الآية: ١٧، ١٨

(١) جامع البيان (١١/٤١٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٢٣)، والكشاف (٤/٣٧٢-٣٧٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٧/١٩٢)، وفتح القدير (٥/٧٣)، والبحر المحييط (٨/١٢٣)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٣٩).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٣/٤٠٦).

(٦) سورة الإسراء، الآية (٥١).

(٧) الرقيب: هو الحافظ. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٢٠١).

(٨) العتيد: المهياً والحاضر، انظر: البرهان في غريب القرآن، المؤلف: حسن بن صالح بن عمر الحبشي، (ص ٢٧٥)، وهو مُعتدٌ أعمال العباد. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٣٢١).

النص: ١٨/١٥٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)، حتى بلغ، (عَتِيدٌ) قال الحسن وقاتادة (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) إي ما يتكلم به من شيء إلا كتب عليه، وكان عكرمة يقول: إنما ذلك في الخير والشر يكتبان عليه.

٤١٧-٤١٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٤/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١١/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملكان وهما المتلقيان (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)، وقوله (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) أي ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به، إلا عند ما يلفظ به من قول رقيب عتيد، يعني حافظ يحفظه، عتيد مُعَدٌّ^(١)، وقال ابن الجوزي: في قوله (إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ) أي: يأخذان ذلك ويثبتانه (عَنِ الْيَمِينِ) كاتب الحسنات (وَعَنِ الشِّمَالِ) كاتب السيئات، (مَا يَلْفِظُ) يعني الإنسان أي: ما يتكلم من كلام فيلفظه (إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ) أي: حافظ، وهو الملك الموكل به، إما صاحب اليمين، وإما صاحب الشمال (عَتِيدٌ)^(٢)، وقال الأحنف بن قيس^(٣): صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فإن استغفر الله تعالى نهاه

(١) جامع البيان (١١/٤١٥-٤١٦).

(٢) زاد المسير (٧/١٩٣).

(٣) الأحنف بن قيس: هو أبو بحر المعروف بالأحنف بن قيس التميمي السعدي، كان من سادات التابعين، يضرب بجلمه المثل، فعن الحسن: قال: ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف، أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم قومه بإشارته ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووفد على عمر، وله رواية عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، توفي سنة اثنتين وسبعين. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١/٧٨).

أن يكتبها وإن أبى كتبها^(١)، وقال مجاهد: يكتب على الإنسان كل شيء حتى الأنين في مرضه^(٢)، بل ذكر الزمخشري وقال: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به^(٣)، ووافق المفسرين على معنى الآية الرازي^(٤)، وقال (عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) ولم يقل (عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد). ذكر أحدهما واستغنى كما قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾^(٥)، فاستغنى بالواحد عن الجمع كما قال: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾^(٦)^(٧).

وهكذا كانت أقوال أهل العلم مفسرة لمعنى قوله تعالى: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) في تشابه وتوافق بينهما، وأتبعهم قتادة وقال مثلهم.

وهذه الآية تحتاج لوقفه وتأمل منّا، إذ يجعل الله تعالى لكل واحد منّا ملكان يكتبان كل ما نقوم به، ثم يوم القيامة تكون معنا شاهدة علينا وصدق قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

الآية: ٢١

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٧).

(٣) الكشاف (٣٧٥/٤).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٤٠/٢٨-١٤١).

(٥) سورة غافر، الآية (٦٧).

(٦) سورة النساء، الآية (٤).

(٧) معاني القرآن، للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبدالأمير

محمد أمين الورد، عالم الكتب: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٦٩٦/٢).

(٨) سورة الإسراء، الآيات (١٣-١٤).

النص: ١٩/١٥٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) قال: سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

٤١٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٥/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٤/١٧).
- والشوكاني في تفسيره (٧٦/٥).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر^(١)، واختلف في السائق والشهيد على أقوال: الأول: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم الأيدي والأرجل قاله: ابن عباس. والثاني: السائق الملك والشهيد العمل، قاله أبو هريرة. والثالث: المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها، قاله: الحسن وقاتادة. والرابع: السائق قرينها من الشيطان. والخامس: السائق والشهيد ملكان قاله: مجاهد^(٢). وذكر ابن حبان هذه الأقوال وزاد وقال: والظاهر أن قوله سائق وشهيد أسماء جنس فالسائق ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من يشهد^(٣).

اختلفت آراء المفسرين وتباينت حول معنى قوله: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) إلا أن أكثرهم قال: إن معنى (سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) سائق ملك يسوقها إلى حسابها والشهيد: شاهد يشهد عليها بعملها، وهذا المعنى هو الذي ذكره قتادة، ويؤيده

(١) جامع البيان، (٤١٨/١١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٧)، وزاد المسير (١٩٤/٧)، والكشاف (٣٧٦/٤)، وروح المعاني (١٨٣/٢٦)، ومفاتيح الغيب (١٤٢/٢٨)، وتفسير ابن كثير (٢٢٥/٤)، وفتح القدير (٧٦/٥).

(٣) البحر المحيط (١٢٤/٨).

حديث عثمان بن عفان^(١) رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) سائق: ملك يسوقها إلى أمر الله، وشهيد: يشهد عليها بعملها.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

الآية: ٢٢

النص: ٢٠/١٦٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) قال: عاين الآخرة.

٤٢١/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

قوله تعالى: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) يقول: فجلينا ذلك لك وأظهرناه لعينيك، حتى رأيتَه وعايينته، فذالت الغفلة عنك. واختلفوا في المقول ذلك له فقال بعضهم: المقول ذلك له هو الكافر قاله: ابن عباس، ومجاهد، وسفيان، وقال آخرون: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم قاله: ابن زيد، وقال آخرون: هو

(١) عثمان بن عفان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين، أبو عبد الله وأبو عمر، ولد بعد الفيل بست سنين، أسلم قديماً، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عثمان، وماتت عنده أيام بدر فزوجه بعدها أختها أم كلثوم فذلك كان يلقب ذا النورين، قتل على رأس إحدى عشر سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من خلافته، فيكون ذلك في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٤٦٢/٢-٤٦٣).

جميع الخلق من الجن والإنس: قاله: الحسين بن عبد الله بن عبيد^(١) الله عن عبد الله بن عباس^(٢)، والقرطبي قال في معنى قوله تعالى: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي عماك، وفيه أربعة أوجه: الأول: إذ كان في بطن أمه فولد قاله: السدي. الثاني: إذا كان في القبر فنشر قاله: ابن عباس. والثالث: وقت العرض في القيامة قاله: مجاهد. والرابع: أنه نزول الوحي وتحمل الرسالة قاله: ابن زيد^(٣). وأضاف الألويسي في معنى قوله: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) قال: الغطاء الحجاب المغطى لأمر المعاد، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات^(٤)، وأتبعه الزمخشري وقال: فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديداً لتيقظه^(٥)، وهنالك أقوال لمفسرين تطابقت مع ما ذكر^(٦).

وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطاباً من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الذي بعثه به، فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية، فنفذ بصره بالإيمان وتبينه حتى تقدر ذلك عنده فصار حاد البصر به^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

الآية: ٢٣

(١) الحسين بن عبد الله بن عبيد الله: هو الحسين بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، روى عن عكرمة مولى ابن عباس وغيرهم، روى عنه سفيان الثوري، وسليمان بن بلال وآخرون، قال أبو حاتم: ضعيف، وهو أحب إلى من حسين بن قيس، يكتب حديثه ولا يحتج، توفي سنة أربعين أو إحدى وأربعين ومائة. انظر: تهيب الكمال في أسماء الرجال، (٤/٤٦٩-٤٧٠).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/٤٢٠-٤٢١)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٢٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥).

(٤) روح المعاني (٢٦/١٨٤).

(٥) الكشاف (٤/٣٧٦-٣٧٧).

(٦) انظر: زاد المسير (٧/١٩٥)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٤٢)، ومعالم التنزيل (مج٧/٣٦٠).

(٧) جامع البيان (١١/٤٢٠-٤٢١).

النص: ٢١/١٦١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) الملك.

٤٢١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٥/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٦/١٧).

دراسة النص:

وقوله: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) يقول تعالى: مخبراً عن قول قرين هذا الإنسان عند موافاته ربه به، رب هذا ما لدي عتيد، يقول: هذا الذي هو عندي معد محفوظ^(١)، وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته^(٢)، وقال الحسن وقاتدة والضحاك: أي قال الملك الموكل به هذا ما عندي من كتاب عملك عتيد حاضر قد هيأته^(٣)، وقال الزمخشري في معنى الآية: أن ملكاً يسوقه وآخر يشهد عليه^(٤)، وقال الحسن: هو كاتب سيئاته يقول مشيراً إلى ما في صحيفته أي هذا مكتوب عندي عتيد مهياً للعرض^(٥)، وذكر مقاتل: إنه هو ملكه الذي كان يكتب عمله السيئ في دار الدنيا^(٦)، وقوله: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله (نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)^(٧)، ومعنى قوله: (هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) أي هذا الإنسان حاضر لدى أعتدته

(١) جامع البيان (٤٢١/١١-٤٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٢٥/٤).

(٣) فتح القدير (٧٦/٥).

(٤) الكشاف (٣٧٧/٤).

(٥) روح المعاني (١٨٥/٢٦).

(٦) انظر: زاد المسير (١٩٦/٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/١٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٢/٢٨).

(٧) سورة الزخرف، الآية (٣٦).

ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدى حاضر^(١).

وأضاف البيضاوي وقال: هو الملك الموكل عليه^(٢).

أجمع قتادة والمفسرون على أن معنى قوله تعالى: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) هو الملك.

قوله تعالى: ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

الآية: ٢٥

النص: ٢٢/١٦٢ وقوله (مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ)^(٣) كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضوع: هو الزكاة المفروضة، حدثنا بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

٤٢٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذ

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله (مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ) كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضوع: هو الزكاة المفروضة^(٤)، وبه قال القرطبي^(٥)، وابن كثير^(٦)، والزمخشري^(٧)، وقال

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن جزئ الكلبى الغرناطى الأندلسى، (٧٤١-٧٩٢هـ)، دار الفكر، (٤/٦٤-٦٥).

(٢) أنوار التنزيل وأسرر التأويل (ص ٦٨٧).

(٣) المنع: يقال في ضد العطية: يقال: رجل مانع ومانع أي بخيل، مجمع البيان الحديث: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، (ص ٨٢١).

(٤) جامع البيان (٤٢٢/١١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٦).

(٧) الكشاف (٤/٣٧٧).

الشوكاني، لا يبذل خيراً^(١)، واتبعهم ابن الجوزي وقال في معنى قوله تعالى: (مَنَعَ لِخَيْرٍ) ثلاثة أقوال: أحدها: الزكاة المفروضة قاله: قتادة. والثاني: أنه الإسلام، يمنع الناس من الدخول فيه قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنه عام في كل خير من قول أو فعل، حكاه الماوردي^(٢)، ويقال: يمنع الناس من الخير والإحسان ويسئ القول فيهما حتى يُزهدَ الناس فيهما. ويقال: هو الذي قيل فيه: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٣) (٤).

والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله، أو لآدمي في ماله، والخير في هذا الموضع هو المال^(٥).

وقوله: (مُعْتَدٍ مُرِيْبٍ)

النص: ٢٣/١٦٣ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره.

٤٢٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

(١) فتح القدير (٧٦/٥).

(٢) زاد المسير (١٩٦-١٩٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٣/٢٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤٠٨/٣).

(٣) سورة الماعون، الآية (٧).

(٤) لطائف الإشارات (مج ٢٠/٦).

(٥) جامع البيان (٤٢٢/١١).

وقوله: (مُعْتَدٍ) يقول: معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق، وبيده بالسطوة والبطش ظلماً^(١)، وقال الرازي إن في معنى قوله تعالى: (مُعْتَدٍ) وجهان: أحدهما: بمعنى مناع الزكاة وتعدى ذلك حتى أخذ الحرام أيضاً بالربا والسرقة، كما كان عادة المشركين. وثانيهما: بمعنى منع الإيمان حتى تعده وأهان من آمن وآذاه، وأعان من كفر وآواه^(٢). وقال الشوكاني: ظالم لا يقر بتوحيد الله^(٣).

انفرد قتادة بروايته وما قاله المفسرون في معنى الآية كان قريب المعنى من قوله.

النص: ٢٤/١٦٤ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (مُرِيْبٍ) أي شاك.

٤٢٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

قوله تعالى: (مُرِيْبٍ) يعني، شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء^(٤). وبه قال الحسن وقاتدة^(٥). وقال الرازي: (مُرِيْبٍ) إشارة إلى حاله بالنسبة إلى اليوم الآخر يريب فيه ويرتاب، ولا يظن أن الساعة قائمة^(٦)، وعبر ابن الجوزي وقال: أي شاك

(١) جامع البيان (٤٢٣/١١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٤٣/٢٨)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦/٤).

(٣) انظر: فتح القدير (٧٦/٥)، والكشاف (٣٧٧/٤)، وزاد المسير (١٩٧/٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧).

(٤) جامع البيان (٤٢٣/١١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (١٤٣/٢٨)، والبحر المحييط (١٢٦/٨).

في الحق، من قولهم: أراب الرجل: إذا صار ذا ريب^(١)، وأضاف الماوردي أنه: المتهم^(٢).

والمعنى على هذا أن قوله تعالى: (مُرِيبٌ) أي شاك وهو ما اتفقت عليه أقوال المفسرين.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

الآيتان: ٢٦-٢٧

النص: ٢٥/١٦٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) هو المشرك (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) قال: قرينه الشيطان. ٤٢٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٦/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٨/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى نكره: الذي أشرك بالله فعبد معه معبوداً آخر من خلقه (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) يقول: فألقياه في عذاب جهنم الشديد، (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) قال قرين هذا الإنسان الكافر المناع للخير، وهو شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا، ووافقه ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك^(٣).

(١) انظر: زاد المسير (١٩٧/٧)، والكشاف (٣٧٧/٤)، وفتح القدير (٧٦/٥)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦/٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي، تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (٣٦٤-٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان (٣٥١/٥).

(٣) انظر: جامع البيان (٤٢٣/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦/٤)، وفتح القدير (٧٧/٥)، والكشاف (٣٧٧/٤-٣٧٨)، ومفاتيح الغيب (١٤٤/٢٨).

وذكر ابن الجوزي قول آخر فقال: أنه لملك الذي كان يكتب السيئات^(١)،
 واتفق البغوي مع المفسرين إن معنى قرينه: هو الشيطان الذي قيص لهذا الكافر^(٢).
 والصواب ما ذكره قتادة والمفسرون على أن معنى قوله تعالى: (قَالَ قَرِينُهُ
 رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) أن القرين: هو الشيطان، وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر عن قول
 قرين الكافر له يوم القيامة إعلماً منه عباده، تبرء بعضهم من بعض يوم القيامة^(٣)،
 كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ
 الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

النص: ٢٦/١٦٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة،
 (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) قال: قرينه: الشيطان.

٤٢٣/١١

النص رقم: ٢٦/١٦٦: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٥/١٦٥.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

الآية: ٣٠

النص: ٢٧/١٦٧ حدثنا أحمد بن المقدم، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت
 أبي يحدث عن قتادة، عن أنس، قال: (ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى
 يضع الله عليها قدمه فتقول: قد قد، وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقاً،
 فيسكنه فضول الجنة).

٤٢٦/١١

(١) زاد المسير (١٩٧/٧).

(٢) معالم التنزيل (مج ٣٦١/٧).

(٣) جامع البيان (٤٢٤/١١).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٢٢).

تخريج النص:

- أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢٦/١١).

دراسة النص:

وقوله: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ) وذلك يوم القيامة، وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة: (هَلْ امْتَلَأْتِ)؟ لما سبق من وعده إياها بأنه يملؤها من الجنة والناس أجمعين، وأما قوله (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معناه: ما من مزيد قالوا: بعد أن يضع قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول قط قط من تضايقها، قالت حينئذ: هل من مزيد، أي ما من مزيد، لشدة امتلائها، وتضايق بعضها إلى بعض، قاله: ابن عباس، مجاهد، وقال آخرون: بمعنى: زندي، أي الاستزادة، قاله: أنس، وابن زيد^(١)، وأضاف الرازي: وقال: جهنم مملأها الله ثم تطلب زيادة تضييقاً للمكان عليهم وزيادة في التعذيب^(٢).

قد قيل أنها تقول: (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) أي ليس في محتمل للزيادة والصحيح أنها تقول: (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) على سبيل الطلب أي هل من زيادة تزداد في، والمزيد ما يزيده الله فيها من الجن والإنس، فإذا قالت حسبي حسبي كانت قد اكتفت بما القى فيها، ولم تقل بعد ذلك هل من مزيد، بل تمتلئ بما فيها لانزواء بعضها إلى بعض، فإن الله يضييقها على من فيها لسعتها، فإنه قد وعدا ليملائها من الجنة والناس أجمعين، وهي واسعة فلا تمتلئ حتى يضييقها على من فيها، قال: وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً فيدخلهم الجنة، فبين أن الجنة لا يضييقها سبحانه بل ينشئ لها خلقاً فيدخلهم الجنة لأن الله يدخل الجنة من لم يعمل خيراً لأن ذلك من باب الإحسان وأما العذاب بالنار فلا يكون إلا لمن عصى فلا يعذب أحداً بغير ذنب والله أعلم^(٣).

(١) انظر: جامع البيان (٤٢٥-٤٢٦)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦-٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن

(١٧/١٨-١٩)، وزاد المسير (٧/١٩٨)، والكشاف (٤/٣٧٩)، وفتح القدير (٥/٧٧).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨/١٥٠).

(٣) كتاب دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتقديم وتحقيق: دكتور محمد السيد

الجليند، مؤسسة علوم القرآن: دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (٤/٥٢٦).

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة هل من شيء أزداده؟ وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث به أنس، ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم تقول هل من مزيد)) دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي، لأن قوله ((لا تزال)) دليل على اتصال قول بعد قول^(١).

النص: ٢٨/١٦٨ حدنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قد، قد، بعزتك وكرمك! ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة)).

٤٢٧/١١

النص: ٢٩/١٦٩ قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي^(٢)، قال: ثنا المعتمد، عن أبيه قال: ثنا قتادة، عن أنس، قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد، فذكر نحوه غير أنه قال: أو كما قال.

٤٢٧/١١

النصوص: ٢٨/١٦٨-٢٩/١٦٩ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم

٢٧/١٦٧.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

الآية: ٣١

النص: ٣٠/١٧٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: وأدنيت (غَيْرَ بَعِيدٍ).

(١) جامع البيان (١١/٤٢٦-٤٢٧).

(٢) عمرو بن عاصم الكلابي: هو عمرو بن عاصم بن عبيد الله الكلابي القيسي، أبو عثمان البصري، صدوق، في حفظه شيء من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٤٩٢).

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٣٩/٣).

دراسة النص:

معنى قوله (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ): قربت^(١). ولما فرغ سبحانه وتعالى من بيان حال الكافرين شرع في بيان حال المؤمنين لذا يقول الطبري بشأن تفسير قوله: (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) أي وأدנית الجنة وقربت للذين اتقوا ربهم، فخافوا عقوبته بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه^(٢). وبهذا قال: أبو مالك^(٣)، والسدي، وقتادة^(٤)، وقال ابن الجوزي: قربت للمتقين وجعلت عن يمين العرش حيث يراها أهل الموقف^(٥).

وأيضاً أضاف القرطبي في معنى الآية حيث قال: هذا قبل الدخول في الدنيا، أي قربت من قلوبهم حين قيل لهم اجتنبوا المعاصي^(٦). وقال ابن حيان: مكاناً غير بعيد وهو تأكيد لأزلفت وهذا إشارة للثواب^(٧)، والبغوي يقول: ينظرون إليها قبل أن يدخلوها^(٨)، فالجنة تقرب وتزلف، فلا يكلفون مشقة السير إليها، بل هي التي تجيء^(٩)، ويقال: بل تقرب الجنة بأن يسهل على المتقين حشرهم إليها ٠٠٠ وهم خواص الخواص^(١٠).

(١) غريب القرآن وتفسيره، للبيدي، حققه: محمد سليم الحاج، (ص ٣٤٦).

(٢) جامع البيان (٤٢٧/١١).

(٣) أبو مالك: هو أبو مالك الغفاري، عزوان، تابعي، كوفي، ثقة، من الثالثة، روى عن ابن عباس التفسير، روى عنه السدي الكبير. انظر: تهذيب التهذيب (٢٤٥/٨).

(٤) انظر: فسير ابن كثير (٢٢٨/٤)، وفتح القدير (٧٧/٥)، والكشاف (٣٨٠/٤)، ومفاتيح الغيب (١٥١-١٥٠/٢٨).

(٥) زاد المسير (١٩٨/٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٧).

(٧) البحر المحيط (١٢٧/٨).

(٨) معالم التنزيل (مج٧/٤٦٢).

(٩) في ظلال القرآن (مج٦/٣٣٦٥).

(١٠) لطائف الإشارات (مج٦/٢٢).

نحى قتادة في قوله المفسرين بأن معنى قوله تعالى: (وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ): أي أدنيت وقربت من المؤمنين المتقين.

وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ ^(١) حَفِيظٍ﴾.

الآية: ٣٢

النص: ٣١/١٧١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ) قال: ثنا مهران^(٢)، عن خارجه^(٣)، عن عيسى^(٤) الحنابط، عن الشعبي، قال: هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها (حَفِيظٍ): أي مطيع لله كثير الصلاة.

٤٢٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٨/٤).
 - وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
- دراسة النص:

وقوله (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ) يقول: قال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون أن تدخلوها وتسكنوها، وقوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه، وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم: هو المسبح قاله ابن

(١) أواب: الأواب هو التائب الكثير الرجوع إلى ربه. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص ٥٠).

(٢) مهران: مسلم بن المثني، ويقال ابن مهران بن المثني، الكوفي، المؤذن، ويقال اسمه مهران، ثقة، من الرابعة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٦١٧).

(٣) خارجه: هو خارجه بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد المدني، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة مائة، وقيل قبلها. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٢٢٤).

(٤) عيسى الحنابط: عيسى بن أبي عيسى الحنابط، الغفاري، أبو موسى المدني، أصله من الكوفة، واسم أبيه ميسرة، ويقال فيه الخياط، كان قد عالج الصنائع الثلاث، وهو متروك، من السادسة، مات سنة إحدى وخمسين، وقيل قبل ذلك. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٥١١).

عباس ومجاهد، وقال بعضهم: هو التائب قاله: قتادة، والحكم بن^(١) عتيبه، ومجاهد، وابن زيد. وقوله (حَفِيزٌ) اختلف أهل التأويل أيضاً في تأويله، فقال بعضهم: حفظ ذنوبه حتى تاب منها قاله ابن عباس، وقال آخرون: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه قاله قتادة^(٢).

ومن ثم استخلص الرازي هذه المعاني فقال: والأواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أي يكون كثير الأوب شديد الحفظ، وهو أن الأواب هو الذي رجع عن متابعة هواه في الإقبال على ما سواه، والحفيظ هو الذي إذا أدركه بأشرف قواه لا يتركه فيكمل بها تقواه ويكون هذا تفسيراً للمتقي^(٣)، وقال عبيد بن عمير^(٤): الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل^(٥). واتفق الشوكاني مع الطبري في معنى الآية^(٦)، وكذا القرطبي^(٧)، والثعالبي^(٨).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأواب بأنه حفيظ، ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع، فالواجب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: هو حفيظ لكل ما قربه إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار^(٩).

(١) الحكم بن عتيبة: الحافظ الفقيه أبو عمر الكندي مولا هم الكوفي، حدث عن أبي جحيفة السوائي، والقاضي شريح وعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد ابن جبير وخلق، وعنه مسعر والأوزاعي وأبو عوانة وآخرون، وقال ابن عيينة: ما كان بالكوفة مثل الحكم وحماد، وقال العجلي: ثقة، ثبت، فقيه صاحب سنة وأتباع، مات في سنة خمس عشرة ومائة، وقيل بل توفي سنة أربع عشرة ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ (١/١١٧).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/٤٢٧-٤٢٨)، وزاد المسير (٧/١٩٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢٨/١٥٢)، والكشاف (٤/٣٨٠).

(٤) عبيد بن عمير: هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، روي عن عمر وأبي ذر وعلي وعائشة وعدة، وعنه عطاء وأبن أبي مليكة وعمرو بن دينار وعبد العزيز بن رفيع وطائفة، وكان عالماً واعظاً كبير القدر مات مع ابن عمر، بل قبله سنة أربع وسبعين رحمه الله تعالى. انظر: تذكرة الحفاظ (١/٥٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٨).

(٦) فتح القدير (٥/٧٨).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٠).

(٨) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/٢٠٠-٢٠١).

(٩) جامع البيان (١١/٤٢٨).

النص: ٣٢/١٧٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حَفِظِ) قال: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.

٤٢٨/١١

النص رقم: ٣٢/١٧٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣١/١٧١.

قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانََ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾.

الآية: ٣٣

النص: ٣٣/١٧٣ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ): أي منيب^(١) إلى ربه مقبل.

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
دراسة النص:

وقوله: (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه^(٢). وقال ابوبكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفاً لحرمة وموالياً له، متواضعاً لجلاله تاركاً لهوى نفسه^(٣)، وعبر النسفي عن معنى قوله: (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) أي راجع إلى الله بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة^(٤). وهو قول ابن عاشور^(٥).

(١) منيب: قالوا مجيب مخبت. انظر: غريب القرآن وتفسيره، (ص ٣٤٥).

(٢) جامع البيان (٤٢٩/١١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٧)، وتفسير ابن كثير (٢٢٨/٤)، وفتح القدير، (٧٨/٥)،

والكشاف (٣٨٠/٤)، ومفاتيح الغيب (١٥٤/٢٨)، وزاد المسير (١٩٩/٧).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤١٠/٣).

(٥) التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٥).

ونجد أن معنى قوله تعالى (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) لا خلاف فيه بين المفسرين، وهؤلاء هم أهل الجنة يجيئون يوم القيامة بقلب سليم منيبين إلى ربهم مقبلين عليه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

الآية: ٣٤

النص: ٣٤/١٧٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) قال: سلموا من عذاب الله، وسلّم عليهم.

٤٢٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٩/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يعني تعالى ذكره بقوله (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهم والغضب والعذاب، وما كنتم تلقونه في الدنيا من المكاه^(٢).

وقال القرطبي: بسلام من الله وملائكته عليهم^(٣)، وقال بمثل قول الطبري والقرطبي ابن الجوزي^(٤)، والرازي^(٥)، والزمخشري^(١)، وابن كثير^(٢)، والشوكاني^(٣)، وكذا وهبة الزحيلي^(٤).

(١) سورة الشعراء، الآية (٨٨-٨٩).

(٢) جامع البيان (٤٢٩/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٧).

(٤) زاد المسير (١٩٩/٧).

(٥) مفاتيح الغيب (١٥٥/٢٨).

قول قتادة في معنى قوله: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ): سلموا من عذاب الله وسلم الله وملائكته عليهم، هو قول المفسرين، ويدل عليه قوله تعالى: (إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا)^(٥).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

النص: ٣٥/١٧٥ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) خلدوا والله، فلا يموتون، وأقاموا فلا يظعنون^(٦)، ونعموا فلا يبأسون. ٤٢٩/١١

خريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) يقول: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخال الجنة من أدخله، هو يوم دخول الناس الجنة، ماكتين فيها إلى غير نهاية^(٧)، أي زمان الإقامة الدائمة قاله الرازي^(٨)، وزاد ابن كثير: ولا يبغون عنها حولا^(٩)،

(١) الكشاف (٣٨٠/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٢٨/٤).

(٣) فتح القدير (٧٨/٥).

(٤) التفسير المنير (٣٠٨/٢٦).

(٥) سورة الواقعة، الآية (٢٦).

(٦) يظعنون: ظعن يظعن ظعناً، ظعوناً، سار وارتحل من مكان إلى مكان.

انظر: الموسوعة القرآنية الميسرة، المعجم القرآني، تصنيف: إبراهيم الأبياري، الناشر: مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٢١٣/٣).

(٧) جامع البيان (٤٢٩/١١).

(٨) انظر: مفاتيح الغيب (١٥٥/٢٨)، وفتح القدير (٧٨/٥).

(٩) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٨/٤)، والكشاف (٣٨٠/٤)، وزاد المسير (١٩٩/٧).

وذكر ابن حيان فقال: وهو معادل لقوله في الكفار ذلك يوم الوعيد^(١)، أي لا خروج منه^(٢).

وافق قتادة المفسرين في معنى الآية، وهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾^(٤).

الآية: ٣٦

النص: ٣٦ / ١٧٦ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) حتى بلغ (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قد حاص الفجرة فوجدوا أمر الله مُتَّبِعًا.

٤٣٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٩/٤).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٩/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٦)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) يقول تعالى ذكره: وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش (هُمْ أَشَدُّ) من قريش الذين كذبوا محمداً (بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) يقول: فخرقوا البلاد فساروا فيها، قال امرؤ القيس^(١):

(١) انظر: البحر المحيط (١٢٨/٨)، والتفسير المنير (٣٠٨/٢٦)، والتحرير والتنوير (٣٢١/٢٥).

(٢) بحر العلوم (٢٧٣/٣).

(٣) سورة الزمر، الآية (٧٣).

(٤) محيص: محص الشيء خلصه من العيب، محص الله المؤمن: طهره من الذنوب وتبعاتها. انظر:

الموسوعة القرآنية الميسرة، المعجم القرآني، (٣١٣/٣).

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى *** رَضِيْتُ مِنَ الْغَيْمَةِ بِالْإِيَابِ^(٢)

وقوله: (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) فهل كان لهم بتتقبهم في البلاد من معدل عن الموت، ومنجى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا^(٣)، وقوله تعالى: (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) يقرأ بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد: أنه دل بذلك على مداومة الفعل وتكراره، والحجة لمن خفف: أنه أراد المرة الواحدة، وأصله: التطواف في البلاد^(٤). وقال مجاهد: ضربوا وطافوا (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ): والمحيص مصدر حاص عنه يَحِصُّ حَيْصًا وَحُيُوصًا وَمَحِيصًا وَمَحَاصًا وَحَيْصَانًا، أي ما عنه محيص أي مَحِيدٌ وَمَهْرَبٌ^(٥)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أثروا فيها، (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ): أي هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره^(٦)، وقال ابن حيان: الضمير في نقبوا يعود لقريش أي فنقبوا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا محيصاً حتى يؤملوه لأنفسهم^(٧)، وقيل: بعد أن أنذرهم بما بين أيديهم من اليوم العظيم، أنذرهم بما يعجل

(١) امرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى، قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القُرُوح يعني امرؤ القيس.

انظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦، (١٠٥/١)، شاعر يمانى الأصل، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر وعنه أخذ الشعر. انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣٢٠/٢).

(٢) ورد البيت في ديونه، (ص ٨١)، من قصيدة مطلعها:

أرانا موضعين لأمر غيب * ونُسخر بالطعام وبالشراب.

الشرح: موضعين: سائرين مسرعين، ونسخر: نلهي ونخدع، ونقطع إيابنا بالأمانى.

انظر: الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، (١٤٥/١).

(٣) انظر: جامع البيان (١١/٤٣١-٤٣٢)، معاني القرآن (٣/٧٩-٨٠).

(٤) الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق وشرح: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (ص ٣٣٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٢-٢٣).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٩)، والكشاف (٤/٣٨١)، وزاد المسير (٧/١٩٩-٢٠٠)، وفتح القدير (٥/٧٩-٨٠)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٥٦-١٥٧).

(٧) البحر المحيط (٨/١٢٩).

لهم من في الدنيا من ضروب العذاب، سنة الله فيمن تقدمهم من المكذبين ممن ساروا في البلاد طويلاً وعرضاً وكانوا ذوي قوة وأيد، ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً^(١).

إن هذه الآية إنذار لأهل مكة أنهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب مفراً.

تعددت أقوال المفسرين في معنى الآية بعضهم تشابهوا في المعنى والبعض جاءوا بصيغ أخرى إلا أن المعنى واحد، واتفق معهم قتادة فيما قالوه.

النص: ٣٧/١٧٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قوله: (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قال: حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مدركاً.

٤٣٢/١١

النص رقم: ٣٧/١٧٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٦/١٧٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

الآية: ٣٧

النص: ٣٨/١٧٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) أي من هذه الأمة، يعني بذلك القلب: القلب الحي.

٤٣٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٣/١٧).

- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٣٩/٢).

دراسة النص:

(١) تفسير المراغي (مج ٩/١٦٨).

إن قوله تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) معناه: أي فهم وعقل^(١)، وتفسيرها: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكتنا من قبل قريش (الذكري) يتذكَّر بها (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) يعني: لمن كان له عقل من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم^(٢)، وقال مجاهد (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) أي عقل^(٣)، وبه قال ابن عباس^(٤)، ويقول الزمخشري: أي قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له^(٥)، وقال الزجاج: أي من صرف قلبه إلى التفهم^(٦)، وقال الشوكاني: المراد القلب نفسه، لأنه إذا كان سليماً أدرك الحقائق وفكر كما ينبغي^(٧)، وقال البغوي: أي له قلب حاضر مع الله^(٨)، وقال يحيى^(٩) بن معاذ: القلب قلبان، قلب محتشٍ بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من الأمور الآخرة لم يدر ما يصنع، وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة^(١٠)، واتفق ابن عاشور مع ابن عباس ومجاهد في إن القلب هو: العقل وإدراك الأشياء على ما هي عليه^(١١).

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤١٩).

(٢) جامع البيان (٤٣٢/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤).

(٤) زاد المسير (٢٠٠/٧).

(٥) انظر: الكشاف (٣٨١/٤)، ومفاتيح الغيب (١٥٧/٢٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٤٨/٥).

(٧) فتح القدير (٨٠/٥).

(٨) معالم التنزيل (مج٣٦٤/٧).

(٩) يحيى بن معاذ: هو يحيى بن معاذ الرازي الزاهد حكيم زمانه، وواعظ عصره، توفي في جمادي الأولى بنيسابور، وقد روى عن إسحق بن سليمان الرازي وغيره، وقال السلمي في طبقات الأولياء: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ تكلم في علم الرجال فأحسن الكلام فيه، وأقام يحيى ببليخ مدة ثم خرج إلى نيسابور ومات بها في سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١٣٨/٢).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (٢٣/١٧).

(١١) التحرير والتنوير (٣٢٤/٢٥).

اختلف المفسرين في معنى الآية إلا أن قول قتادة كان هو الأقرب للمعنى
بدليل قوله تعالى ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(١) أي لمن كان له حياة ونفس مميزة، فعبر
عن النفس الحية بالقلب، لأنه وطنها ومعدن حياتها^(٢).

النص: ٣٩/١٧٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة
(لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) قال: من كان له قلب من هذه الأمة.

٤٣٣/١١

النص رقم: ٣٩/١٧٩: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٨/١٧٨.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

النص: ٤٠/١٨٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَوْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يعني بذلك أهل الكتاب وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب
الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم.

٤٣٣/١١ - ٤٣٤

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٩/٢).

دراسة النص:

وقوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه
القرون التي أهلكتها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم،
وعصوا رسله (وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول: وهو متفهم لما يخبر به عنهم شاهد له بقلبه، غير
غافل عنه ولا ساه^(٣)، ويقول ابن قتيبة في معناه: استمع كتاب الله: وهو شاهد القلب
والفهم^(٤)، وقال الحسن: الآية في اليهود والنصارى خاصة^(٥).

(١) سورة يس، الآية (٧٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣/١٧).

(٣) جامع البيان (٤٣٣/١١).

(٤) تفسير غريب القرآن، (ص ٤١٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٣/١٧).

وقال محمد بن كعب وأبو صالح^(١): إنها في أهل القرآن خاصة^(٢)، ونحو ذلك قال الرازي ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣)، أي المنذر الذي تعجبتم منه شهيد^(٤)، وقال الضحاك: العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب^(٥)، وقال الألويسي: وجوز أن يكون من الشهادة وصفاً للمؤمن لأنه شاهد على صحة المنزل وكونه حياً من الله تعالى من قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٦)، واتفق ابن حيان مع الحسن وقتادة في معنى الآية^(٨)، وقال النسفي في معنى الآية (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) أصغى إلى المواعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بفطنته^(٩)، ثم قال الفراء: أو ألقى سمعه إلى كتاب الله وهو شهيد، أي شاهد ليس بغائب^(١٠).

وبنحو الذي قاله قتادة قال أهل التأويل على اختلاف في ذلك منهم، وفيما ذكر من قصة هؤلاء الأمم، وما ذكر في هذه الآية وما قبلها من الآداب والمواعظ تذكرة وموعظة وعبرة لمن يعتبر بها^(١١).

إذا ألقى سمعه وشهد بقلب غير غائب، وأما المشركون من أهل الكتاب ليسوا بذلك فشيئتهم تكذيب الرسل، فقتادة محق فيما قاله، والمولى عز وجل يعبر عن ذلك

(١) أبو صالح: هو عبد الله بن صالح بن مسلم الجهني، كاتب الليث صدوق كثير الغلط في كتابه، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين وله خمس وثمانون سنة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٣٦٥).

(٢) فتح القدير (٨٠/٥).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٤) مفاتيح الغيب، (١٥٨/٢٨).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤)، وزاد المسير (٢٠٠/٧).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٧) انظر: روح المعاني (١٩٢/٢٦)، والكشاف (٣٨٢/٤).

(٨) البحر المحيط (١٢٩/٨).

(٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (جل ٣/٤١٠).

(١٠) معاني القرآن، للفراء، (٨٠/٣).

(١١) التفسير المنير (٣١٤/٢٦).

بقوله: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)^(١).

النص: ٤١/١٨١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوباً.

٤٣٤/١١

النص رقم: ٤١/١٨١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٠/١٨٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٢).

الآية: ٣٨

النص: ٤٢/١٨٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) ١٠٠٠ الآية، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفري على الله، وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة.

٤٣٤-٤٣٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٣٩).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١٣٠)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

(١) سورة البقرة، الآية (٨٩).

(٢) لغوب: اللغوب هو: شدة الإعياء أو الفتور الذي يرهق الإنسان، كالقلق أو الإرهاق النفسي. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص ٤٧٦).

إن سبب نزول قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) ١٠٠ الآية ذكره السيوطي فقال: أن اليهود أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ* فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)^(١).

قال الطبري: ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق في ستة أيام، وما مسنا من إعياء، وافقه سفيان، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك^(٢)، وقال ابن كثير: فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى بطريق الأولى والأخرى^(٣)، واتفق الكلبي مع قتادة في قوله^(٤)، وقال الرازي: المراد من الآية الرد على اليهود، حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) رداً عليهم^(٥).

(١) لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٧٩-٢٨٠).

(٢) جامع البيان (٤٣٤/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٤/١٧)، وفتح القدير (٨٠/٥).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (١٥٨/٢٨)، الكشاف (٣٨٢/٤)، وزاد المسير (٢٠٠/٧)، والتفسير المنير

(٣١٣/٢٦)، وفي ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٦).

اتفقت أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) بأنه جاء رداً على منكريه من اليهود والنصارى في أمر قدرته على الخلق والبعث، كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وكما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾^(٣).

وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

النص: ٤٣/١٨٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: (مِنْ لُغُوبٍ) قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ).

٤٣٥/١١

النص رقم: ٤٣/١٨٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٢/١٨٢.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

الآية: ٣٩

النص: ٤٤/١٨٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) لصلاة الفجر، وقبل غروبها: العصر.

٤٣٥/١١

تخريج النص:

(١) سورة الأحقاف، الآية (٣٣).

(٢) سورة غافر، الآية (٥٧).

(٣) سورة النازعات، الآية (٢٧).

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٤/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود وما يفترون على الله، فإن الله لهم بالمرصاد (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) يقول: وصلِّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب^(١)، وبهذا قال أبو صالح^(٢)، وابن كثير^(٣)، وابن زيد^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، وزاد الزمخشري فقال: (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) الظهر والعصر^(٦)، واتفق الألويسي مع الذين قالوا: هما وقتا الفجر والعصر^(٧)، وقال الرازي وقوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يحتمل وجوها: أحدهما: أن يكون الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرِزْقًا مِنَ اللَّيْلِ﴾^(٨)، (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) إشارة إلى طرفي النهار^(٩)، وقال الشوكاني: إي نزه الله عما يليق بجنابه العالي وقت الفجر ووقت العصر^(١٠)، وقال أبوبكر فإن حمل معنى الآية على الوجوب كان قوله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) على صلاة الفجر (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) على صلاة الظهر والعصر وكذلك روي عن الحسن (ومن الليل فسبحه) صلاة العتمة والمغرب، وعبر عن الصلاة بالتسبيح لأن التسبيح تنزيه لله تعالى عما يليق به والصلاة تشتمل على قراءة القرآن وأذكار، وهي تنزيه لله تعالى^(١١).

(١) جامع البيان (٤٣٥/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤/١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤).

(٤) البحر المحيط (١٢٩/٨).

(٥) زاد المسير (٢٠٠/٧).

(٦) الكشاف (٣٨٣/٤).

(٧) روح المعاني (١٩٣/٢٦)، ومعاني القرآن وإعراجه، للزجاج (٤٩/٥).

(٨) سورة هود، الآية ١١٤.

(٩) مفاتيح الغيب (١٥٩/٢٨).

(١٠) انظر: فتح القدير (٨٠/٥)، والتفسير المنير (٣١٥/٢٦).

(١١) أحكام القرآن، للجصاص، (ص ٤١٠).

والصواب ما ذكره قتادة والمفسرون الذين اتفقوا على أن معنى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) لصلاة الفجر، وقبل غروبها: العصر، وذلك لاستدلالهم بحديث جرير بن عبد الله^(١) رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)^(٢)).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾.

الآية: ٤٠

النص: ٤٥/١٨٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) قال: ركعتان بعد المغرب.

٤٣٧/١١

(١) جرير بن عبد الله: هو جرير بن عبد الله بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن شليل بن خزيمة بن يشكر بن علي بن مالك بن زيد بن قسر بن عبقر وقيل: هو جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم وجرير يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله، أسلم في السنة التي توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان منها، وكان سيداً في قومه. وبسط له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً ليجلس عليه وقت مبايعته له. ووجهه إلى الخصة طاغية دوس فهدمها ودعا له حين بعثه إليها، وشهد جرير مع المسلمين يوم المدائن، ولما مضت الكوفة نزلها فمكث بها إلى خلافة عثمان، ثم بدت الفتنة فانتقل إلى قرقيسيا فسكنها إلى أن مات ودفن بها سنة إحدى وخمسين. انظر: تاريخ بغداد، (١/١٨٧-١٨٨).

(٢) أخرجه:

١- البخاري في: (٩) كتاب مواقيت الصلاة، (١٦) باب فضل صلاة العصر، حديث رقم: (٥٥٤)،

(٢٦٧-٢٦٨)، وأخرجه أيضاً في (٩٧) كتاب التوحيد، (٢٤) باب قول الله تعالى (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) [القيامة: ٢٣، ٢٢] حديث رقم (٧٤٣٤)، (٤/٦٢٢).

٢- وأبو داود في: (٣٤) كتاب السنة، (٢٠) باب في الرؤية، حديث رقم، (٤٧٢٩)، (٥/٩٧-٩٨).

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٦/٤).
- والترمذي في سننه (٣٩٢/٥).

دراسة النص:

قوله (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) في معناه يقول الفراء: وأدبار السجود: الركعتان بعد المغرب^(١)، وقيل سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود على أقوال:

أحدها: عنى به الصلاة، قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب قاله: مجاهد، والحسن بن علي رضي الله عنه، وأبي هريرة، والشعبي، وابن عباس، وعطاء، وقتادة.

والثاني: عنى به: التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها، قاله: ابن عباس، ومجاهد.

والثالث: هي النوافل في أدبار المكتوبات قاله: ابن زيد^(٢)، ويقول الواحدي: قوله: (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) أي: الركعتين بعد المغرب^(٣).

وقال ابن العربي: فيه قولان: أحدهما: أنه النوافل. والثاني: أنه ذكر الله بعد الصلاة، وهو الأقوى في النظر^(١).

(١) معاني القرآن، للفراء، (٨٠/٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٤٣٦/١١-٤٣٨)، وتفسير ابن كثير (٢٣٠/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٦-٢٥/١٧)، وفتح القدير (٨٠/٥-٨١)، وزاد المسير (٢٠١/٧)، والكشاف (٣٨٣/٤)، والتحرير والتوير (٣٢٨/٢٥).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مج ٢/١٠٢٥).

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من اجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عم أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معني به دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل^(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس ((ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود))^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

الآية: ٤١

النص: ٤٦/١٨٦ حدثني علي^(٤) بن سهل، قال: ثنا الوليد^(٥) بن مسلم، عن سعيد بن بشر^(٦)، عن قتادة، عن كعب^(١)، قال: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال: ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (١٧٢٨/٤).

(٢) جامع البيان (٤٣٨/١١).

(٣) أخرجه الترمذي في: (٤٨) كتاب تفسير القرآن، (٥٣) باب (ومن سورة الطور)، حديث رقم: (٣٢٧٥) (٣٩٢/٥-٣٩٣/٥).

(٤) علي بن سهل: هو علي بن سهل بن قادم، ويقال ابن موسى الحرشي، أبو الحسن الرملي، نسائي الأصل، روى عن الوليد بن مسلم، وزيد بن أبي الزرقاء وغيرهم، وعنه أبو داود والنسائي، وابن جرير وآخرون، وقال أبو حاتم: صدوق مات سنة إحدى وستين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (٣٢٩/٧).

(٥) الوليد بن مسلم: هو الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية، وقيل مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ذكره محمد بن سعد في الطبقة السادسة، وقال: كان ثقة، كثير الحديث، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، (٤٥٥/١٩-٤٦٤).

(٦) سعيد بن بشر: هو سعيد بن بشر الأزدي، ويقال: النصراني مولاهم أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو سلمة الشامي، أصله من البصرة، ويقال من واسط وقيل أنه من أهل دمشق حمله أبوه إلى البصرة فسمع بها ثم رحل إلى دمشق، روى عن: أبان بن تغلب، وقتادة، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عنه: إسحاق بن الربيع القاضي وآخرون، وقال أبو زرعة الدمشقي، ذاك صدوق

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٤٠/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٢/٦)، وعزاه إلى الواسطي.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة يوم ينادى بها منادينا من موضع قريب وذكر أنه ينادي بها من صخرة بين المقدس، وافقه قتادة^(٢)، وقول قتادة قاله: كعب الأحبار^(٣)، وابن قتيبة^(٤)، وقال القرطبي: أي استمع النداء والصوت أو الصيحة وهي صيحة القيامة، وهي النفخة الثانية، والمنادي جبريل، وقيل: إسرافيل، وقيل: المكان القريب صخرة بيت المقدس^(٥)، وبمثله قاله الزمخشري وأضاف فقال (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية^(٦)، وقال الرازي (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) إشارة إلى أن الصوت لا يخفى على أحد بل يستوي في استماعه كل أحد، إذ ليس المراد من المكان القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى أقرب،

اللسان، مات سنة ثمان وستين ومائة وقيل سنة تسع وستين ومائة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٣٧/٧-١٤١).

(١) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن أبي بكر وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفى في خلافة عثمان وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً وله شيء في صحيح البخاري وغيره. انظر: اذكره الحفاظ (٥٢/١).

(٢) جامع البيان (٤٣٨/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٠/٤).

(٤) تفسير غريب القرآن، (ص ٤١٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٧)، وزاد المسير (٢٠١/٧)، وفتح القدير (٨١/٥).

(٦) الكشف (٣٨٣/٤).

وهذا كما قال في هذه السورة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^(١) وليس ذلك بالمكان^(٢)، ويتفق مع الطبري وبقية المفسرين فيما قالوه ابن حيان^(٣).

اتفق جُلّ المفسرين على معنى الآية، بأن قوله (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) هو ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي للاجتماع لفصل القضاء، فذلك قول قتادة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخْ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤)، وقال أيضاً جل ثناؤه ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٥).

فعلينا أن نعمل الصالحات، ونستعد ليوم الميعاد.

النص: ٤٧/١٨٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، نا سعيد، عن قتادة، (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) قال: كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض.

٤٣٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٤٠/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٢/٦)، وعزاه إلى الواسطي.

دراسة النص:

ذكر الطبري في تفسيره وقال: أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس، وقال حدنا أن كعباً قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً^(٦)، وقال

(١) سورة ق، الآية (١٦).

(٢) مفاتيح الغيب (١٦٢/٢٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٣٠/٨)، والتفسير المنير (٣١٦-٣١٧/٢٦)، وبحر العلوم (٢٧٤/٣).

(٤) سورة الزمر، الآية (٦٨).

(٥) سورة الزمر، الآية (٦٨).

(٦) جامع البيان (٤٣٨-٤٣٩/١١).

القرطبي: إنها وسط الأرض وأقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً^(١)، وقال الفراء في قوله (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) يقال إن جبريل عليه السلام يأتي بيت المقدس فينادي بالحشر، فذلك قوله (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ)^(٢). اجتمعت أقوال المفسرين على أن معنى قوله جل وعلا (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أي ينادي من بيت المقدس، وهي أوسط الأرض، كما قال قتادة.

نجد أن هذه الآية هي غاية في التهويل والتخيم والتهديد لأهل التحدي وأعدائهم وسلالاتهم وأشياهم في كل عصر.

النص: ٤٨/١٨٨ حدنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال: بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس.

٤٣٩/١١

النص رقم: ٤٨/١٨٨ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٤٧/١٨٧.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

الآية: ٤٥

النص: ٤٩/١٨٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) فإن الله عز وجل كره الجبرية^(٣)، ونهى عنها، وقدم فيها.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٧)، وفتح القدير (٨١/٥)، وزاد المسير (٢٠١/٧)، والكشاف

(٢/٤)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤١٢/٣)، وفي ظلال القرآن (مج ٣٣٦٧/٦).

(٢) معاني القرآن، للفراء، (٨١/٣).

(٣) الجبرية: أي الجبار: وهو القاهر المتعاضم الذي يجبر غيره على ما لا يريد، والجبار اسم من أسماء الله الحسنى بمعنى انه سبحانه وتعالى هو الذي يجبر أمور عباده أي يصلحها، وهو الذي يقهر

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٨/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

ذكر ابن عباس سبب نزول قوله تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) فقال: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت (فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)^(١) يقول تعالى ذكره: نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله وتكذيبهم بآياته (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) يقول: وما أنت عليهم بمسلط (فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) فذكر يا محمد بهذا القرآن من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصاني وخالف أمري^(٢)، وقال القرطبي (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أي من تكذيبك وشتمك (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أي بمسلط تجبرهم على الإسلام والجبار من الجبرية والتسلط إذ لا يقال جبار بمعنى مجبر، كما لا يقال خرّاج بمعنى مخرج، فتكون الآية منسوخة بالأمر بالقتال^(٣)، وقال مجاهد وقتادة والضحاك (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أي لا تتجبر عليهم، وقوله (فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) أي بلغ أنت رسالة ربك وإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده^(٤)، وفي معنى قوله: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) قال الألوسي: أريد التحلّم عنهم وترك الغلظة عليهم^(٥)، وقال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنما

الجبابة ويخضعهم لإرادته. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص ٩٥).

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٨٠).

(٢) جامع البيان، (١١/٤٣٩-٤٤٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٣١)، وفتح القدير (٥/٨١).

(٥) انظر: روح المعاني (٢٦/١٩٥)، الكشف (٤/٣٨٤)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٦٤-١٦٥).

بعثت مذكراً^(١)، وقال بمثلهم ابن حبان^(٢)، وعدد من المفسرين^(٣)، حكى ابن الجوزي دعوى النسخ عليها بقوله (وقال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام، وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم، قالوا: ونسخ هذا بآية السيف)^(٤).

يؤيد قتادة المفسرين في معنى الآية فكان تفسيره موافقاً لما قالوه، هذا كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٥)، وكقوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٦)، وقوله جل جلاله ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٧).

فالآية هي تذكير بالقرآن، ومتابعة تبليغ الرسالة ودعوة الله، لمن يخاف عقاب الله ويخشى وعيده، كان قتادة يقول: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك يا بارّ يا رحيم^(٨).

ونحن نقول معه ذلك إلى الممات.

(١) زاد المسير (٢٠٢/٧).

(٢) البحر المحيط (١٣١/٨).

(٣) معالم التنزيل (مج ٣٦٧/٧)، والتفسير المنير (٣١٨/٢٦)، والتحرير والتنوير (٣٣٣/٢٥)، ومجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي (٢٢٣/٩).

(٤) النسخ في القرآن الكريم، للدكتور مصطفى زيد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (٢/ ٧٧٠)، والمصطفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (ص ٥٤).

(٥) سورة الحجر: الآيات (٩٧-٩٩).

(٦) سورة آل عمران، الآية (٢٠).

(٧) سورة الغاشية، الآيتان (٢١-٢٢).

(٨) التفسير المنير (٣١٩/٢٦).

(٥١) سورة الذاريات مكية عدد آياتها (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾.

الآية ١

النص ١/١٩٠: حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أن رجلاً سال علياً عن الذاريات، فقال: هي الرياح.

٤٤٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٧/٤).
- والترمذي في سننه (١٩١/٥).
- والقرطبي في تفسيره (٣٠/١٧).

دراسة النص:

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾: الرياح: يقال: ذرت الريح التراب، تذروه ذروراً^(١). يقول الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾: والرياح تذرو التراب ذروراً. يقال: ذرت الريح التراب وأذرت^(٢). وبمثله قال ابن كثير^(٣) إلا أنه عبر فقال: أقسم سبحانه بالرياح التي تذري التراب^(٤)، وذكر الرازي وقال: إن في معنى الآية أقوال منها:

الأول: هي الرياح تذرو التراب وغيره، كما قال تعالى: ﴿تَذُرُّهُ الرِّيحُ﴾^(٥).

الثاني: هي الكواكب من ذرا يذرو إذا أسرع.

الثالث: هي الملائكة.

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٢٠).

(٢) جامع البيان (٤٤١/١).

(٣) ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٤) فتح القدير (٨٠/٥).

(٥) سورة الكهف، الآية (٤٥).

الرابع: رب الذاريات^(١)، وهكذا يقول القرطبي^(٢): وابن الجوزي^(٣)، وفي الرياح معتبر من شدتها حيناً ولينها حيناً، وكونها مرة رحمة، ومرة عذاباً إلى غير ذلك^(٤)، ووافقهم البغوي^(٥)، وابن حيان^(٦)، ومجاهد^(٧)، والثعالبي^(٨)، وقال الفراء: **(وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا)**: هي الرياح^(٩)، وقال الزمخشري مثلهم^(١٠).

قول قتادة في معنى قوله تعالى: **(وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا)** يوافق قول المفسرين بأن معناه: هي الرياح، رغم أن بعضهم جاء بأكثر من معنى، إلا أنهم يصوبون ما قاله عليّ رضي الله عنه، والوجه في القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة في هبوبها تارة وسكونها أخرى، وذلك يقتضي قاهراً لها، ولكل شيء سواها^(١١). ومنه قوله تعالى: **(فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ)**^(١٢).

النص: ٢/١٩١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن رجلاً سأل علياً فذكر نحوه.

٤٤٣/١١

النص رقم ٢/١٩١ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم ١/١٩٠.

قوله تعالى: **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)**.

(١) مفاتيح الغيب (١٦٨/٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٧).

(٣) زاد المسير (٢٠٤/٧).

(٤) المحور الوجيز (٢/١٤).

(٥) معالم التنزيل (مج٣٧١/٧).

(٦) البحر المحيط (١٣٣/٨).

(٧) التبيان في تفسير القرآن (مج٣٧٨/٩).

(٨) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٠٤/٤).

(٩) معاني القرآن (٨٢/٣).

(١٠) الكشاف (٣٨٥/٤).

(١١) التبيان في تفسير القرآن، للطوسي (مج٣٧٩/٩).

(١٢) سورة الكهف، الآية (٤٥).

الآية: ٥-٦

النص: ٣/١٩٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)، وذلك يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم. ٤٤٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٣٠/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢).

دراسة النص:

قال ابن قتيبة: (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يعني: الجزاء بالأعمال والقصاص، ومنه يقال: دننته بما صنع^(١). وقوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) يقول تعالى ذكره: إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة وبعث الموتى من قبورهم لصادق، يقول: لكائن حق يقين، (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يقول: وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب، والله مجاز عباده بإعمالهم^(٢)، وبه يقول القرطبي^(٣)، وابن الجوزي، إلا أنه قال إن في معنى قوله: (وَإِنَّ الدِّينَ) قولان: أحدهما: الحساب. والثاني: الجزاء^(٤)، وبمثلهم قال ابن كثير^(٥)، وقال الرازي: إن معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) أي أن الحساب يستوفى والعقاب يوفى^(٦)، وذكر مثلهم ابن عطية^(٧)، وابن عاشور^(٨)، وقال أبي السعود: جواب للقسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام بها رمز إلى شهادتها لتحقق مضمون الجملة المقسم عليها، من حيث إنها

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٢٠).

(٢) جامع البيان (٤٤٤/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٧).

(٤) زاد المسير (٢٠٤-٢٠٥/٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٦) مفاتيح الغيب (١٦٩/٢٨).

(٧) المحرر الوجيز (٤/١٤).

(٨) التحرير والتنوير (٣٣٩-٣٤٠/٢٧).

أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة، فمن قدر عليها فهو قادر على البحث الموعود^(١).

قد وعد الله الناس إنه مجازيهم بالإحسان إحساناً، مجازيهم بالسوء سوءاً، وأنه إذا أمهلهم الحساب في الأرض فليس بمهمل حسابهم في الآخرة، فالحساب لا بد منه هناك!^(٢)، وصدق الله عز وجل حينما قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٣)، وقال أيضاً جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٤)، وهو ما أكد عليه المفسرون في معنى الآية.

النص: ٤/١٩٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَأَنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)، قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

٤٤٤/١١

النص رقم ٤/١٩٣ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣/١٩٢.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾.

النص: ٥/١٩٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)، أي ذات الخلق الحسن.

٤٤٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٣١/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٦/٨).

(٢) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٣٧٥).

(٣) سورة ق، الآية (٤٥).

(٤) سورة الفاتحة، الآية (٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: السماء ذات الخلق الحسن، وعنى بقوله: (ذَاتِ الْحُبُكِ): ذات الطرائق، وتكسير كل شيء: حُبْلُهُ، وهو جمع حباك وحببكة، يقال: لتكسير الشعرة الجعدة: حُبْك، وللرملة إذا مرت بها الريح الساكنة، والماء القائم، والدرع من الحديد: لها حُبْك^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن حبيب وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي^(٢) والربيع بن أنس^(٣)، وسعيد بن جبيرة^(٤)، وعلق الألوسي عن قول الحسن في معنى: (ذَاتِ الْحُبُكِ)، قال: حبكها نجومها. والظاهر أن إطلاق الحبك على النجوم مجاز، لأنها تزين السماء، كما يزين الثوب الموشى حبكة وطرائق وشبهه فكانه قيل: ذات النجوم التي هي كالحبك، أي الطرائق في التزيين^(٥)، وقال ابن الإعرابي^(٦): كل شيء أحكمته وأحسنه عمله فقد حبكته واحتبكته^(٧). وقال الضحاك: ذات الطرائق: يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح حُبْك ونحوه^(٨)، وقال مجاهد: البنيان المتقن^(٩)، ومثل هذا

(١) جامع البيان (١١/٤٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٢).

(٣) الربيع بن أنس: هو الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، صدوق، من الخامسة، روى عن أنس بن مالك، وأبي العالية، وعنه: الأعمش، وابن المبارك، مات سنة ٤٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/٢٣٨)، وتقريب التهذيب (ص ٢٤٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٢).

(٥) روح المعاني (٤/٢٧).

(٦) ابن الأعرابي: هو الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي، صاحب التصانيف، سمع الحسن بن محمد الزعفراني، وأبا داود السجستاني وخلقا كثيرا، عمل لهم معجماً، روى عن ابن المقرئ وابن مندة وخلانق، وكان ثقة، ثبتا عارفا عابدا ربانيا كبير القدر بعيد الصيت، مولد ابن الأعرابي سنة ست وأربعين ومائتين، ومات في ذي القعدة سنة أربعين وثلاث مائة، رحمه الله تعالى. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٨٥٢).

(٧) فتح القدير (٥/٨٠).

(٨) القرطبي (١٧/٣١).

(٩) زاد المسير (٧/٢٠٥).

القول قاله الرازي^(١)، وقال ابن زيد: الحُبْك: الشدّة، حُبكت: شُدَّت وقرأ: (سَبْعًا شِدَادًا)^(٢)(٣).

اختلف المفسرون في معنى الآية، إلا أنّ كل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها من حسنهما مرتفعة شفاقة، صفيقة، شديدة البناء، متسعة الإرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موضحة الشمس والقمر والكواكب الزهرات^(٤)، وهو ما أورده قتادة.

فتدبر ولا تغفل.

أثبت العلم بما لا يقبل الشك أنّ السماء في معناها العلمي الواقعي هي كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها، ابتداء من الغلاف الجوي الذي يرتفع بنحو ثلاثمائة كيلو فوق سطح الأرض، وكأنه بحر من الهواء حول الكرة الأرضية ثم إنه بعد هذا الغلاف الجوي يوجد فراغ كوني يسبح فيه ملايين الأجرام السماوية في أعماقه السحيقة، وهي تتجاذب فيما بينها، وتتحرك في تماسك واتزان في طبقة بعد طبقة، وكأنها البناء المحكم، أو كأنها السقف المبني فوق الأرض، حقا قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)^(٥).

النص: ٦/١٩٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: (ذَاتِ الْحُبُكِ)، قال: ذات الخلق الحسن.

٤٤٦/١١

النص رقم: ٦/١٩٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٥/١٩٤.

(١) مفاتيح الغيب (١٧٠/٢٨).

(٢) سورة النبأ، الآية (١٤).

(٣) المحرر الوجيز (٦-٥/١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٥) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام - القرآن الكريم - تأليف: محمد كامل عبدالصمد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الخامسة، رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م، الطبعة السادسة: ذو القعدة: ١٤٢٤هـ - يناير ٢٠٠٤م، (ص ٥٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾.

الآية: ٨

النص: ٧/١٩٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)، قال: مصدق بهذا القرآن ومكذب.

٤٤٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٣٣/٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢).

دراسة النص:

وقوله: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)، يقول: إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن، فمن مصدق به ومكذب^(١)، وقال القرطبي: اختلافهم قولهم ساحر، بل شاعر، بل افتراه، بل هو مجنون، بل هو كاهن، بل هو أساطير الأولين^(٢)، بل قال الرازي: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) أي متناقض، أما في الحشر: فلأنكم تقولون لا حشر، ولا حياة بعد الموت، ثم تقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت، فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموني^(٣)؟ وقال ابن كثير: أي إنكم المشركون المكذبون للرسول لفي قول مختلف مضطرب، لا يلتئم ولا يجتمع^(٤). وقال الضحاك: قول الكفرة لا يكون مستويا^(٥). وأيضاً قال البغوي: (إِنَّكُمْ)، أي يا أهل مكة (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)، في القرآن، وفي محمد صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) جامع البيان (٤٤٦/٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٣/١٧).

(٣) مفاتيح الغيب (١٧٠/٢٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٥) الكشاف (٣٨٧/٤).

(٦) معالم التنزيل (مج٧/٣٧٢).

وهو قول ابن الجوزي^(١)، وقال ابن عاشور: القول المختلف: المتناقض الذي يخالف بعضه بعضاً، فيقتضي بعضه إبطال بعض^(٢).

واتفق الواحدي مع البغوي وابن الجوزي فيما قالوه في معنى الآية^(٣)، ويقول سيد قطب في معنى الآية: أنهم يعيشون في أوهم وظنون في أمر الآخرة^(٤)، وقال الفراء: القول المختلف: تكذيب بعضهم بالقرآن وبمحمد، وإيمان بعضهم^(٥).

دارت أقوال المفسرين في معنى الآية الكريمة، فكانت جميع أقوالهم في القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك أقوالهم في دين الإشراك الذي اضطرب واختلف فيه المشركون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾^(٧)، وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٨).
فما قالوه كان مستوفياً لمعنى الآية، فاتبعهم قتادة وقال بمثلهم.

قوله تعالى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.

الآية ٩

النص: ٨/١٩٧ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن (يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ)، قال: يُصْرَفُ عَنْهُ مِنْ صُرْفٍ.

٤٤٧/١١

تخريج النص:

(١) زاد المسير (٢٠٥/٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٤١/٢٦).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مج٢/١٠٢٧).

(٤) في ظلال القرآن (مج٦/٣٣٧٦).

(٥) معاني القرآن (٨٣/٣).

(٦) سورة الفرقان، الآية (٥).

(٧) سورة فصلت، الآية (٥).

(٨) سورة الزمر، الآية (٣).

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٥١٧/٤).
- وابن كثير في تفسيره (٢٣٢/٤).
- تفسير القرطبي (٣٣/٧).

دراسة النص:

(يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ): أي يصرف عنه ويحرمه من حُرمة، يعني: القرآن^(١). ووافقه قتادة وابن زيد^(٢). وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: يضل عنه من ضل^(٣)، وقال مجاهد: يؤفن عنه من أفن، والأفن فساد العقل^(٤)، وقال الزمخشري: الضمير للقرآن، أو للرسول صلى الله عليه وسلم، أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم^(٥). أما القرطبي قال: يصرف عن الإيمان من أراحه بقولهم هو سحر وكهانة وأساطير الأولين^(٦)، وبمثله قال ابن الجوزي^(٧) والرازي^(٨)، وذكر ابن عطية في تفسيره معنى قوله تعالى: (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) فقال: يصرف من الكفار عن كتاب الله تعالى من صرف ممن غلبت شقاوته^(٩)، ويؤفك: أي يصرف عن الإيمان بالله ورسوله عنه، أي عن ذلك القول المختلف أي بسببه من أفك من سبقت له الشقاوة في الأزل، فحرم الهدى وأفك عنه^(١٠). ووافقه على هذا القول السمرقندي^(١١).

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٢٠).

(٢) جامع البيان (٤٤٧/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٤) فتح القدير (٨١/٥).

(٥) الكشاف (٣٨٧/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٣/١٧).

(٧) زاد المسير (٢٠٥/٧).

(٨) مفاتيح الغيب (١٧٠/٢٨).

(٩) المحرر الوجيز (٨/١٤).

(١٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٦٦٤/٧).

(١١) بحر العلوم (٢٧٦/٣).

ويقول المراغي: يصرف من صرف عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به^(١)، وقال الطوسي: وإنما قيل: (يُؤْفَكُ) عن الحق، لأنه يمكن فيه ذلك من غيره ولا يمكن من نفسه، لأنَّ الحق يدعو إلى نفسه، ولا يصرف عنها إلى خلافه^(٢).

وقال الفراء: يريد يُصرف عن الإيمان من صرف كما قال تعالى: ﴿أَجِئْنَا لِنَأْفِكَنَّا عَنْ آلِهَتِنَا﴾^(٣)، يقول: لتصرفنا وتصدنا^(٤).

والذي عليه أكثر المفسرين في قوله جل وعلا: (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ)، هو يصرف عنه من صرف يعني: كتاب الله، وهو ما ذكره قتادة. هذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾^(٥).

النص: ٩/١٩٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) فالمأفوك عنه يوم يعني كتاب الله.

٤٤٧/١١

دراسة النص:

النص رقم: ٩/١٩٨ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٨/١٩٧.
قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾^(٦).

الآية ١٠

النص: ١٠/١٩٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ): أهل الظنون.

(١) تفسير المراغي (مج ٩/٣٨٠-٣٨١).

(٢) التبيان في تفسير القرآن (مج ٩/٣٨٠-٣٨١).

(٣) سورة الأحقاف، الآية (٢٢).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١/١٢٣).

(٥) سورة الصافات، الآيات (١٦١-١٦٣).

(٦) خرص: الخرص حررُ الثمرة، والخرص المحروز كالنقض للمنقوض، وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال: خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفاً. انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٤٦).

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٧/٤).
- وابن كثير في تفسيره (٢٣٢/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: لعن المتكهنون الذين يتخرسون الكذب والباطل فيتظنونوه. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾، فقال بعضهم: عني به المرتابون، قاله ابن عباس، وقال آخرون في ذلك بالذي قلنا فيه، قاله مجاهد وقتادة وابن زيد^(١)، وقال مجاهد: الكذابون، قال: وهي مثل التي في عبس: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٢)، وبه قال الألوسي^(٤) والزمخشري^(٥)، والشوكاني^(٦)، وقول الطبري، وافقه عليه ابن الجوزي^(٧)، وقال الحسن: هم الذين يقولون لسنا نبعث^(٨)، لعن الكذابون الذين قالوا: محمد صلى الله عليه وسلم مجنون، شاعر، كذاب، ساحر، خرصوا ما لا علم لهم به^(٩). واتفق معه ابن عطية^(١٠) والثعالبي^(١١) وسعيد حوى^(١٢).

(١) جامع البيان (١١/٤٤٧-٤٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٤).

(٣) سورة عبس، الآية (١٧).

(٤) روح المعاني (٦/٢٧).

(٥) الكشاف (٤/٣٨٨).

(٦) فتح القدير (٥/٨١).

(٧) زاد المسير (٧/٢٠٥).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٣).

(٩) معنى القرآن (٣/٨٣).

(١٠) المحرر الوجيز (٩/١٤).

(١١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/٢٠٥).

(١٢) سعيد حوى (١٣٥٤-١٤٠٩هـ) (١٩٣٥-١٩٨٩م): أبرز الدعاة الإسلاميين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، اسمه سعيد بن محمد بن ديب حوى، ولد في حماة، وعاصر في شبابه أفكار الاشتراكيين والقوميين والإخوان، وانضم إلى الإخوان عام ١٣٧٢هـ وهو في الصف الأول الثانوي، دخل الجامعة في عام ١٣٧٦هـ منتسبا إلى كلية الشريعة، وكان قد كلف بوضع مناهج تربوية وتعليمية لجماعة الإخوان، مما جعل حياته تكريسا للدعوة والتأليف، ومن مؤلفاته: الأساس في التفسير، المجلد ١١، والأساس في السنة وفقهها. انظر: تكملة معجم المؤلفين،

اختلاف المفسرين في معنى الآية الجلييلة لم يخرج عن المعنى المقصود التي تحدثت عنه الآية، وهو أهل الظنون الذين يتظنون الكذب والباطل ويرتابون، وهو ما أكدته قتادة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾.

الآية: ١١

النص: ١١/٢٠٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ)، يقول: في غمرةٍ وشبهة.

٤٤٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٧/٤).

دراسة النص:

قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ) يقول تعالى: ذكره: الذين هم في غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمادون، وعن الحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ساهون، قد لهوا عنه^(٢). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في الكفر والشك غافلون لاهون^(٣). وبمثله قال الزمخشري^(٤)، والشوكاني^(٥)، وقال الألوسي: في

وفيات (١٣٩٧-١٤١٥هـ) (١٩٧٧-١٩٩٥م)، لمحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (ص ٢١٠-٢١١).

(١) الأساس في التفسير (مج ١٠/٥٥٠٩).

(٢) جامع البيان (١١/٤٤٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٣).

(٤) الكشاف (٤/٣٨٨).

(٥) فتح القدير (٥/٨١).

جهل عظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء لما فيه والمراد بالسهو مطلق الغفلة^(١).
وبهذا قال القرطبي^(٢).

وقال ابن الجوزي: أي في عمى وجهالة بأمر الآخرة (سَاهُونَ)، أي غافلون^(٣).
وقال الرازي: يفيد أنهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه، فلم يرجعوا عنه^(٤).
بنحو الذي قاله قتادة في ذلك مع انفراده بروايته قال أقل التأويل وأن اختلفت
ألفاظهم في البيان عنه.

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

الآية ١٤

النص: ١٢/٢٠١ حدثنا بشر، ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ):
ذوقوا عذابكم (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ).

٤٥٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٣٥/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢).

دراسة النص:

يعني تعالى ذكره بقوله: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ)، يقال لهم: ذوقوا فتنتكم، ويعني بقوله
(فِتْنَتَكُمْ): عذابكم وحريقكم. واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: بالذي قلنا
فيه قاله: مجاهد، والضحاك، وقال آخرون: ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم، قاله ابن عباس،
والضحاك^(٥). ووافقه على هذا القول ابن كثير^(٦)، والآلوسي^(٧)، وقال الزمخشري: أي

(١) روح المعاني (٦/٢٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٧).

(٣) زاد المسير (٢٠٥/٧).

(٤) مفاتيح الغيب (١٧١/٢٨).

(٥) جامع البيان (٤٥٠/١١-٤٥١).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٣٣/٤).

(٧) روح المعاني (٧/٢٧).

هذا العذاب هو (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)، ويجوز أن يكون هذا بدلا من فنتنكم، أي ذوقوا هذا العذاب^(١)، وكذا قال القرطبي^(٢). وقال ابن الجوزي بمثلهم، ولكنه أضاف في معنى قوله: (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)، يعني: الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا^(٣). وقال هذا الطبري^(٤)، وكذلك ابن عطية^(٥)^(٦).

ما أشار إليه المفسرون في معنى الآية متفقون عليه.

وهؤلاء المكذبون وبخهم القرآن في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(٧).

النص: ١٣/٢٠٢ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول: يوم يعذبون، فيقول: ذوقوا عذابكم.

٤٥١/١١

النص رقم: ١٣/٢٠٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٢/٢٠١.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

الآية ١٧

النص: ١٤/٢٠٣ حدثنا ابن بشار، وابن المثنى^(٨)، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد^(٩) وابن أبي عدي^(١٠)، عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس بن مالك (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ

(١) الكشاف (٣٨٨/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٥/١٧).

(٣) زاد المسير (٢٠٦/٧).

(٤) جامع البيان (٤٥١/١١).

(٥) ابن عطية: هو أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي القرناطي القاضي، ولد سنة (٤٨١هـ)، ومن تصانيفه: "المحرر الوجيز" وألف كذلك برنامجا فيه مرويات وأسماء شيوخه، توفي سنة (٥٤٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢٦٠/١).

(٦) المحرر الوجيز (١١/١٤).

(٧) سورة البروج، الآية (١٠).

(٨) ابن المثنى: هو محمد بن المثنى بن عبيد العنزي، أبو موسى البصري، المعروف بالزَّيْن، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة، ثبت، من العاشرة، وكان هو وبندار فرسي رهان، وماتا في سنة واحدة. انظر: تقريب التهذيب (ص ٥٨٩).

(٩) يحيى بن سعيد: هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري الأحوط الحافظ، يقال: مولى بني تميم، ويقال: ليس لأحد عليه ولاء. روى عن أبان بن صمعة، وسعيد بن عروبة، وآخرون، روى عنه: أبو موسى محمد بن المثنى، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، قال أبو زرعة: يحيى القطان من الثقات، الحافظ، وقال أبو حاتم: ثقة، حافظ، ولد سنة

مَا يَهْجَعُونَ) قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين، ما بين المغرب والعشاء.

٤٥٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٤/١).
- وأبو داؤد في سننه (٣٥/٢).

دراسة النص:

(يَهْجَعُونَ): أي ينامون^(٢).

اختلف أهل التأويل قوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) قال بعضهم: معناه كانوا قليلاً من الليل لا يهجعون، وقالوا: (ما) بمعنى الجحد، قاله أنس بن مالك، وأبي العالية، وقتادة، وقال آخرون: بل معنى ذلك كانوا قليلاً من الليل يهجعون، ووجهها (ما) إلى أنها صلة، قال: قتادة، والحسن، والأحنف ابن قيس. وقال آخرون: كانوا يصلون العتمة، وعلى هذا التأويل (ما) في معنى الجحد قاله: قتادة، وقال آخرون: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلاً من الناس مستأنف بقوله: (مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) فالواجب أن تكون (ما) على هذا التأويل بمعنى الجحد، قاله الضحاك^(٣)، وقال الحسن البصري: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر، وقال مجاهد: قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة^(٤)، وذكر مثلهم الألويسي^(٥)، والشوكاني^(٦)، وقال الزمخشري: لأنَّ

عشرين ومائة في أولها، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، (٩١/٢٠-١٠٠).

(١) ابن أبي عدي: هو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، وقد ينسب لجدّه، وقيل: هو إبراهيم، أبو عمرو البصري، ثقة، من التاسعة، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٥٤٣).

(٢) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٢١).

(٣) جامع البيان (٤٥٢/١١-٤٥٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٣٣/٤).

(٥) روح المعاني (٨/٢٧).

(٦) فتح القدير (٨١/٥-٨٢).

الليل وقت السبات والراحة وزيادة (مَا) المؤكدة لذلك: وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجين، فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم^(١)، قال عطاء: وهذا لما أمروا بقيام الليل، وقيل: ليست (مَا) صلة بل الوقف عند قوله: (قَلِيلًا) ثم يبتدئ (مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) و(مَا) للنفي وهو نفي النوم عنهم البتة، وقال يعقوب الحضرمي أنه قال: اختلفوا في تفسير هذه الآية قال بعضهم: (كَانُوا قَلِيلًا) معناه كان عددهم يسيراً ثم ابتداءً فقال: (مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) على معنى من الليل يهجعون، قال ابن الأنباري^(٢): وهذا فاسد لأنَّ الآية إنّما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم^(٣). وقال بقولهم ابن الجوزي^(٤)، والرازي^(٥)، وقال الربيع بن خُثَيْم^(٦): المعنى كانوا يصيبون من الليل حظاً^(٧)، وذكر الفراء، بأن: (مَا) صلة لا موضع لها، أي: كانوا يهجعون قليلاً من الليل^(٨). وقال بقولهم ابن عاشور ثم قال: وذلك اقتداء بأمر الله تعالى: لنبيه محمد صلى الله عليه

(١) الكشف (٣٨٩/٤).

(٢) ابن الأنباري: الحافظ العلامة شيخ الأدب، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي، سمع أب العباس الكريمي، وإسماعيل القاضي وأحمد بن الهيثم البزار وطبقتهم، صنف التصانيف الكثيرة، ويروى بأسانيده، ويميل من حفظه، وكان من أفراد الدهر في سعة الحفظ مع الصدق، والدين، صنف في القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء، حدث عنه أبو عمرو بن حيوية والدارقطني، وآخرون، مات ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وله سبع وخمسون سنة. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢-٨٤٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٧).

(٤) زاد المسير (٢٠٦/٧).

(٥) مفاتيح الغيب (١٧٣/٢٨-١٧٤).

(٦) الربيع بن خُثَيْم: الإمام القدوة أبو يزيد، الثوري الكوفي، روى عن ابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وطائفة، وعن عمرو بن ميمون الأودي، وعنه الشعبي والنخعي، وهلال بن يساف وبكر بن ماعز وآخرون، وكان قديم الوفاة، قال ابن معين: لا يسئل عنه مثله، وقال الشعبي: كان من معادن الصدق، قيل: مات في خلافة يزيد بن معاوية. انظر: تذكرة الحفاظ (١/٥٧-٥٨).

(٧) المحرر الوجيز (١٢/١٤).

(٨) معاني القرآن (٨٤/٣).

وسلم بقوله: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾^(١)(٢).
وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)
قول من قال: كانوا قليلا من الليل هجوعهم، لأنَّ الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك
مدحا لهم، وأتى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم
منه، ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم، مع أنَّ الذي
اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل^(٣).

النص: ١٥/٢٠٤ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة
(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)، قال: كان لهم قليل من الليل ما يهجعون، كانوا
يصلونه.

٤٥٢/١١

النص: ١٦/٢٠٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان
الحسن يقول: لا ينامون منه إلا قليلا.

٤٥٣/١١

النصوص رقم: ١٥/٢٠٤ - ١٦/٢٠٥ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص
١٤/٢٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

الآية ١٩

النص: ١٧/٢٠٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَفِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)، هذان فقيدا أهل الإسلام، سائل يسأل في كَفِّهِ،
وفقير متعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم.

(١) سورة المزمل، الآيات (٢-٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٤٩/٢٦).

(٣) جامع البيان (٤٥٥/١١).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٥/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٣٨/١٧).

دراسة النص:

وفي قوله: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)، يقول تعالى ذكره: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفته حق لسائلهم المحتاج إلى ما في أيديهم، والمحروم وبنحو الذي قلنا في معنى السائل، قال أهل التأويل: وهم في معنى المحروم مختلفون، فمن قائل: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن المسيب وقتادة، ومن قائل: هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً، قاله قتادة والزهري، وقال: هو الذي لا سهم له في الغنيمة، قاله إبراهيم النخعي، وقائل: هو الذي لا ينمي له مال، قاله عكرمة، وقائل: هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه، قاله ابن زيد والشعبي^(١). ومثل هذا القول قاله القرطبي، ومن بينها قال هذا القول: إنهم إن وجبت نفقتهم بالفقر من ذوي الأنساب؛ لأنه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره^(٢).

وأتبعهم ابن الجوزي^(٣)، وابن حيان، ولكنه قال: وكل هذه الأقوال على سبيل التمثيل لا التعيين، ويجمعها أنه الذي لا مال له، لحرمان أصابه^(٤).

والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة، لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك

(١) انظر: جامع البيان (١١/٤٥٦-١٥٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٣٤-٢٣٥)، والكشاف (٤/٣٨٩-

٣٩٠)، وروح المعاني (٩/٢٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٨-٣٩).

(٣) زاد الكسير (٧/٢٠٧).

(٤) البحر المحيط (٨/١٣٦).

أولى بالصواب من أن تعم كما قال جل ثناؤه: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ)^(١).

وفي قوله تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الحق هاهنا:
النصيب، وفيه قولان:

القول الأول: إنه ما يصلون به رحماً، أو يقرون به ضعفاً، أو يحملون به كلاً أو
يغنون به محروماً، وليس بالزكاة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.
القول الثاني: إنه الزكاة، قال قتادة وابن سيرين، وقد زعم قوم: أن هذه الآية اقتضت
وجوب إعطاء السائل والمحروم فذلك منسوخ بالزكاة، والظاهر أنها حث على
التطوع، ولا يتوجه نسخ^(٢).

النص: ١٨/٢٠٧ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن
قتادة في قوله: (لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)، قال: السائل الذي يسأل بكفه، والمحروم:
المتعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم.

٤٥٨/١١

النص رقم: ١٨/٢٠٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٧/٢٠٦.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾

الآية: ٢٠

النص: ١٩/٢٠٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة
في قوله: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)، قال: يقول: معتبر لمن اعتبر.

(١) جامع البيان (٤٥٩/١١).

(٢) نواسخ القرآن، لابن الجوزي، (ص ٢٣٠-٢٣١).

६०१/११

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٥/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٣٩/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٤/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: وفي الأرض عبر وعظمت لأهل اليقين، بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها^(١)، وقال ابن كثير: أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والفقار، والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه^(٢).

وقال الشوكاني: خص الموقنين بالله، لأنهم الذين يعترفون بذلك، ويتدبرون فيه، فينتفعون به^(٣). وصلاً لهذا قال الزمخشري: فهم ناظرون بعيون باصرة، وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها، فازدادوا إيماناً مع إيمانهم، وإيقاناً مع إيقانهم^(٤)، ومثل هذا القول قاله الألويسي^(٥)، والقرطبي^(٦)، وقال الرازي: فإن من يكون له في الأرض الآيات العجيبة يكون له القدرة التامة، فيخشى ويتقي، ومن له في نفس الناس حكم بالغة، ونعم سابقة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته، وإذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر، فيستغفر على التقصير^(٧)، وقال ابن الجوزي: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ) أي كالجبال

(١) جامع البيان (٤٥٩/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٣٥/٤).

(٣) فتح القدير (٨٢/٥).

(٤) الكشف (٣٩٠/٤).

(٥) روح المعاني (٩/٢٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٧-٤٠).

(٧) مفاتيح الغيب (١٧٨/٢٨).

والأنهار والأشجار والثمار، وغير ذلك (لِلْمُوقِنِينَ) بالله عز وجل الذين يعرفونه بصنعه^(١)، وذكر الفراء فقال: فأيات الأرض جبالها، واختلاف نباتها وأنهاها، والخلق الذين فيها^(٢)، وبه قال ابن عطية^(٣)، وعدد من المفسرين^(٤).

قرأ قتادة: (آية) على الإفراد^(٥).

ما قاله قتادة في معنى الآية رغم انفراده بالرواية قاله المفسرون بأن في الأرض عبر وعظات تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى من الجبال والبحار والأشجار والأنهار والثمار، وكذلك المعادن والدواب مختلفة الصور والأشكال، إلى غير ذلك من بدائع صنعه، وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(٦). وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٨).

النص: ٢٠/٢٠٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ) إذا سار في أرض الله رأى عبراً وآيات عظماً.

٤٥٩/١١

(١) زاد المسير (٢٠٧/٧).

(٢) معاني القرآن (٨٤/٣).

(٣) المحرر الوجيز (١٦/١٤).

(٤) التبيان في تفسير القرآن (مج ٣٨٤-٣٨٥)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٦٩/١٣)، والأساس في التفسير (مج ٥١٠/١٠).

(٥) البحر المحيط (١٣٦/٨).

(٦) سورة ق، الآيتان (٧-٨).

(٧) سورة النبأ، الآيات (٦-١٢).

(٨) سورة الجاثية، الآية (٥).

النص رقم : ٢٠/٢٠٩ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ١٩/٢٠٨.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾

الآية: ٢٦

النص: ٢١/٢١٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)، قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه السلام البقر.

٤٦٣/١١

تخرج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٥/٤).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) يقول: عدل إلى أهله ورجع، وكان الفراء يقول: الروغ وإن كان على هذا المعنى، فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفياً ذهابه أو مجيئه، وقال: ألا ترى إنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا، فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ، وقوله: (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)، يقول: فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيئاً^(١)، وقال ابن قتيبة: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ)، أي عدل إليهم في خفية^(٢)، وقال ابن كثير: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) أي: انسل خفية في سرعة، (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)، أي: من خيار ماله^(٣)، وقال الزمخشري: من أدب المضيف أن يخفي أمره، وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف، حذراً من أن يكفه ويعذره^(٤)، أما الآلوسي فقال في معنى قوله: (فَجَاءَ بِعِجْلٍ)، وهو ولد البقرة، كأنه

(١) جامع البيان (٤٦٣/١١).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص ٤٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٥/٤).

(٤) الكشاف (٣٩٢/٤).

سمي بذلك لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثوراً (سَمِين) ممتلئ الجسد بالشحم واللحم^(١).

وقرأ (فَجَاءَ) بالإمالة لابن ذكوان وحمزة، وخلف العائر، وهشام بخلف عنه^(٢). وما قاله المفسرون في معنى الآية قاله وهبة الزحيلي كذلك^(٣).

وهكذا نجد أئمة التفسير اتفقت أقوالهم في معنى قوله تعالى: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)، بأن إبراهيم عليه السلام كان جواداً كريماً، فأتى بأفضل ماله، وهو عجل سمين مشوي، ومن المعروف إن العجل هو ولد البقرة، معنى ذلك أن جُل ماله كان البقر، وهو ما أثبتته قتادة منفرداً بروايته.

فالآية تحدثت عن آداب الضيافة، لأنَّ الضيافة من آداب الدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾^(٥) فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ.

الآية: ٢٩

النص: ٢٢/٢١١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ): أي أقبلت في رنة^(٦).

٤٦٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٤).

(١) انظر: روح المعاني (١٢/٢٧)، و الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٧)، و المحرر الوجيز (٢٤/١٤)، وزاد المسير (٢٠٩/٧)، ومجمع البيان في تفسير القرآن (٢٣٤/٩).

(٢) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٣٥٠/٢).

(٣) التفسير المنير (٢٧-٢٦).

(٤) سورة هود، الآية (٦٩).

(٥) صَرَّةٍ: معناها: صيحة. انظر: غريب القرآن وتفسيره، (ص ٣٤٨).

(٦) الرِّئَة: الصوت، يقال: رَنَّت المرأة ترن بالكسر رَنِيناً وأرَنَّت أيضاً: صاحت. انظر: مختار الصحاح (ص ٢٥٩).

- والقرطبي في تفسيره (٤٦/١٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٤/٢).

دراسة النص:

قوله: (فَأَقْبَلْتُ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ) يعني: سارة، وليس ذلك إقبال نقله من موضع إلى موضع، ولا تحوّل من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى: أخذ في شتمي، وقوله: (فِي صَرَّةٍ) يعني: في صيحة^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وعكرمة، وأبو صالح والضحاك، وزيد بن أسلم^(٢)، والثوري والسدي: أي في صرخة عظيمة ورنّة، وهي قولها: (يا ويلتا)^(٣)، أي: فجاءت صارة، وقال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم، لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء، وقال عكرمة: رنتها^(٤)، وبه قال الآلوسي^(٥)، وقال القرطبي: أي في صيحة وضجة، وقيل: أقبلت في صرة، أي جماعة من النساء، تسمع كلام الملائكة^(٦)، وقال به ابن الجوزي^(٧)، وقال الفراء: في صيحة، ولم تقبل من موضع إلى موضع، إنّما هو كقولك: أقبل يشتمني، أخذ في شتمي، فذكروا أن الصيحة أوّه، وقال بعضهم: كانت يا ويلتا^(٨)، وأضاف الرازي: كما جرت عادة النساء حيث يسمعن شيئاً من أحوالهنّ يصحن صيحة معتادة لهنّ عند الاستحياء أو التعجب^(٩)، وأتبعهم ابن حيان وقال مثلهم^(١٠)، وقال ابن قتيبة: (فَأَقْبَلْتُ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ) أي في صيحة، كقولك: أقبل يصيح، وأقبل يتكلم^(١١).

(١) جامع البيان (٤٦٣/١١).

(٢) زيد بن أسلم: هو زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله وأبو أسامة، المدني، ثقة، عالم، وكان يرسل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست وثلاثين. انظر: تقريب التهذيب (ص ٢٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤).

(٤) الكشف (٣٩٢/٤).

(٥) روح المعاني (١٣/٢٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٤٦/١٧).

(٧) زاد المسير (٢١٠/٧).

(٨) معاني القرآن (٨٧/٣).

(٩) مفاتيح الغيب (١٨٥-١٨٤/٢٨).

(١٠) البحر المحيط (١٤٠-١٣٩/٨).

(١١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٢١).

اختلف قتادة في لفظه مع المفسرين في معنى قوله جل وعلا: (فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ) فقال في صرة: في رنة، وهي تعني الصوت، أي الصيحة، وهو ما تلفظ به المفسرون، عليه فهم متفقون في المعنى.

النص: ٢٣/٢١٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (صَرَّةٍ) قال: أقبلت ترن.

٤٦٤/١١

النص رقم: ٢٣/٢١٢ تقدمت دراسته ولخريجه في النص رقم ٢٢/٢١١.

دراسة مرويات الإمام قتادة للجزء السابع والعشرين

وتشتمل على:

- ◀ سورة الذاريات من الآية (٣٦)
- ◀ سورة الطور.
- ◀ سورة النجم.
- ◀ سورة القمر.
- ◀ سورة الرحمن.
- ◀ سورة الواقعة.
- ◀ سورة الحديد.

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

الآية: ٣٦

النص: ٢٤/٢١٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال: لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله.

٤٦٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٤).
- والشوكاني في فتح القدير (٨٦/٥).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: فما وجدنا في تلك القرية التي أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط^(١)، تحدث ابن كثير وقال: بأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم، ولا ينعكس فاتفاق الاسمان هنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال^(٢)، ومثل هذا القول قاله الشوكاني^(٣)، وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر، وقيل: هم لوط وابنتاه^(٤)، هذا القول، قاله مجاهد^(٥)، والقرطبي^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، وكذا ابن عطية^(٨)، وقال الثعالبي: في تقديم الإيمان كأنه يقول: نفذ أمرنا بإخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملاً

(١) جامع البيان (٤٦٧/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤).

(٣) فتح القدير (٨٦/٥).

(٤) الكشاف (٣٩٣/٤).

(٥) روح المعاني (١٤/٢٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٤٨/١٧-٤٩).

(٧) زاد المسير (٢١٠/٧).

(٨) المحرر الوجيز (٢٩/١٤).

بالبطاعات، بل التصديق بالله فقط^(١)، ويقول النسفي: أي غير أهل بيت، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد، لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا^(٢). هكذا نجد أن قول قتادة شمل ما قاله المفسرون في معنى الآية الكريمة. ونحو الآية قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٣).

وفي الآية إيماء إلى أن الكفر متى غلب، والفسق إذا انتشر لا تتفع معه عبادة المؤمنين، أما إذا كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة، وفيهم شذمة يسيرة يسرقون ويفجرون، فإن الله لا يأخذ الكثرة الصالحة بذنب العدد القليل من الفاجرين^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

الآية: ٣٨

النص: ٢٥/٢١٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: بعذر مبين.

٤٦٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٤٩/١٧).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته. يقول تعالى ذكره: وفي موسى بن عمران إذ أرسلناه إلى فرعون بحجة تبين لمن رآه أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه^(٥)، وقال ابن كثير:

(١) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٠/٤).

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤١٩/٣)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩٤/٥).

(٣) سورة العنكبوت الآية (٣٢).

(٤) تفسير المراغي (٥/٢٧).

(٥) جامع البيان (٤٦٧/١١).

أي بدليل باهر وحجة قاطعة^(١)، وقال الشوكاني: أي جعلنا في موسى آية، والسلطان المبين الحجة الظاهرة الواضحة، وهي العصا وما معها من الآيات^(٢)، قال الرازي في معنى الآية: فيه وجوب:

الأول: أن يكون المراد ذلك في إبراهيم، وفي موسى لأن من ذكر إبراهيم يعلم ذلك.

الثاني: لقومك في لوط وقومه عبره وفي موسى وفرعون.

الثالث: أن يكون هناك معنى قوله تعالى تفكروا في إبراهيم ولوط وقومهما، وفي موسى وفرعون، والكل قريب بعضه من بعض^(٣)، وقال ابن عطية مثل هذا القول^(٤)، وقال الخازن^(٥): (وَفِي مُوسَى) أي تركنا في إرسال موسى آية وعبرة (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) أي بحجة ظاهرة^(٦)، وبهذه المعاني قال السمرقندي^(٧).

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (مُوسَى) بالإمالة، وبالفتح والتقليل للأزرق، وأبي عمرو^(٨).

فما قاله قتادة في معنى قوله الكريم (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) أي بعذر مبين، يعني أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون بحجة

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤).

(٢) انظر: فتح القدير (٨٧/٥)، وروح المعاني (١٥/٢٧)، والكشاف (٣٩٣/٤)، وزاد المسير (٢١١/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٧).

(٣) مفاتيح الغيب (١٨٩/٢٨).

(٤) المحرر الوجيز (٣١-٣٠/١٤).

(٥) الخازن (٦٧٨-٧٤١هـ = ١٢٨٠-١٣٤١): هو علي بن محمد بن إبراهيم الشحي، علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميانية فيها، وتوفى بطلب، له تصانيف منها: (لباب التأويل في معاني التنزيل) في التفسير، يعرف بتفسير الخازن. انظر: الأعلام (٥/٥).

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٨٤/٤).

(٧) انظر: بحر العلوم (٢٧٩/٣)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (مج ٤/٢٦).

(٨) المذهب في القراءات العشر وتوجيهها (٥٥/١).

واضحة لكي يعتذر عن تكبره وجبروته، وافترائه على المولى عز وجل، وحتى يعلم أن لهذا الكون إله واحد فرد صمد، هو الله سبحانه وتعالى.

وبنفس المعنى عبّر المفسرون في معنى الآية.

قد تلاحظ أن الله تعالى جمع كثيراً بين إبراهيم وموسى عليهما السلام في كتابه العزيز إذ قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾^(١)، وقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنِهِ﴾^(٣) وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ

الآية: ٣٩

النص: ٢٦/٢١٥ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنِهِ) غلب عدو الله على قومه.

٤٦٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٤٩/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٤٤/٢).

دراسة النص:

قوله تعالى: (فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنِهِ) يقول فادبر فرعون كما أرسلنا إليه موسى بقومه من جنده وأصحابه^(٤)، وقال ابن كثير: أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً، وقال مجاهد: تعزز بأصحابه^(٥)، وقال الزمخشري

(١) سورة النجم، الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) سورة الأعلى، الآية (١٩).

(٣) ركن: ركن الشيء: جانبه الذي يسكن إليه، ويستعار للقوة. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٢٠٣).

(٤) جامع البيان (٤٦٧/١١).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤).

(فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) أَعْرَضَ، وَقِيلَ: فَتَوَلَّى بِمَا كَانَ يَتَّقَى بِهِ مِنْ جُنُودِهِ وَمَلِكِهِ^(١)، وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ: التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضُ^(٢)، وَالْأَلُوسِيُّ قَالَ: أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: تَوَلَّى بِقُوْتِهِ وَسُلْطَانِهِ^(٣)، وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٤)، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: (فَتَوَلَّى) مَعْنَاهُ: أَعْرَضَ وَأَدْبَرَ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ(بِرُكْنِهِ) سُلْطَانُهُ وَجُنْدُهُ، وَشِدَّةُ أَمْرِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَرْكُنُ فِرْعَوْنُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَنْدُ فِي شِدَائِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: بِقَوْمِهِ^(٥)، وَبِمَثَلِهِ قَالَ الْبَغَوِيُّ^(٦)، وَالْقُرْطُبِيُّ^(٧)، وَابْنُ قَتَيْبَةَ قَالَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ)، وَ(بِجَانِبِهِ) سِوَاهُ؛ أَيُّ أَعْرَضَ^(٨).

قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي (فَتَوَلَّى) بِالْإِمَالَةِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَوَرِشٌ^(٩)، مَا كَانَ مِنْهَا رَأْسَ آيَةٍ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ بِالْفَتْحِ^(١٠)، وَقَرِئَ (بِرُكْنِهِ) بِضَمِّ الْكَافِ^(١١).
وَهَكَذَا كَانَ أَقْوَالُ الْمَفْسَرِينَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ)، وَمِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلُ قَتَادَةَ وَهُوَ: غَلَبَ عَدُوَّ اللَّهِ عَلَى قَوْمِهِ، أَيُّ تَوَلَّى بِقَوْمِهِ عَلَى أَنْ الرُّكْنَ بِمَعْنَى الْقَوْمِ،

(١) الكشاف (٣٩٣/٤).

(٢) فتح القدير (٨٧/٥).

(٣) روح المعاني (١٥/٢٧).

(٤) زاد المسير (٢١١/٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣١/١٤)، والتيسير في أحاديث التفسير، من إملاء سماحة الشيخ محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٩٣/٦).

(٦) معالم التنزيل (مج ٣٧٨/٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٧).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص ٤٢٢).

(٩) ورش: هو عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان، مولى آل الزبير بن العوام، يقال أصله من أفريقيا، يكنى أبا سعيد، شيخ القراء بمصر، أرخ الأهوازي مولده في سنة عشر ومائة، جود القرآن عدة ختمات على نافع في حدود سنة خمس وخمسين ومائة، قيل إن نافعاً لقبه بورش، لشدة بياضه، والورش: لبن مصنوع، انتهت إليه رياضة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. انظر: طبقات القراء، للذهبي (١٧١/١-١٧٣).

(١٠) التذكرة في القراءات الثمان (مج ١/١٩٥).

(١١) الكشاف (٣٩٣/٤).

لأنه يركن إليهم ويتقوى بهم، فقله قال به المفسرون. ويوضحه قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، وكذلك قوله: ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُ الْجُذُودَ فَبَدَّلْنَا فِي الْيَمِّ^(٣) وَهُوَ مُلِيمٌ^(٤)﴾.

الآية: ٤٠

النص: ٢٧/٢١٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ)، أي ملِيم في نعمة الله.

٤٦٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٥٣/٣).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف، (فَبَدَّلْنَا فِي الْيَمِّ) يقول: فألقيناهم في البحر، ففرقناهم فيه، (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول: وفرعون ملِيم، والمليم: هو الذي قد أتى ما يلام عليه من الفعل^(٥).

وقال ابن كثير في قوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي وهو ملوم، كافر، جاحد، فاجر، معاند^(٦)، وقال الشوكاني: أي آت بما يلام عليه حين ادعى الربوبية، وكفر بالله وطغى في عصيانه^(٧)، وقال مثله الزمخشري، وزاد فقال: كيف صف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون، في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ﴾

(١) سورة الحج الآية (٩).

(٢) سورة فصلت، الآية (٥١)، وسورة الإسراء الآية (٨٣).

(٣) اليم: البحر. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، للويس مخلوف (ص ٩٢٦).

(٤) ملِيم: معناها: أتى ما يلام عليه. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٧).

(٥) جامع البيان (٤٦٨/١١).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤).

(٧) فتح القدير (٨٨/٥).

الْحُوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ^(١). قلت: موجبات اللوم مختلف، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة، ألا ترى إلى قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾^(٢)، و ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٣)، لأنَّ الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة^(٤)، وقال القرطبي: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ)، لكفرهم وتوليهم عن الإيمان، (فَنَبَذْنَاهُمْ) أي: طرحناهم، (فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ)، يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه^(٥).

ومثله قال ابن حيان^(٦)، ثم قال المراغي: أي فألقينا فرعون وجنوده في البحر، وهو آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان^(٧)، وقال الفراء، أتى باللائمة وقد ألام^(٨)، (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي مذنب، يقال: ألام الرجل إذا أتى بذنب يلام عليه^(٩)، وعبر السمرقندي عن معنى الآية وقال: يعني يلوم نفسه ويلومه الناس^(١٠).
قرأ قالون^(١١)، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر (وهو) بإسكانها^(١٢).

(١) سورة الصافات، الآية (١٤٢).

(٢) سورة هود، الآية (٥٩).

(٣) سورة طه الآية (١٢١).

(٤) الكشاف (٣٩٣/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٧).

(٦) البحر المحيط (١٤٠/٨).

(٧) تفسير المراغي (مج ٧/٩).

(٨) معاني القرآن (٨٧/٣).

(٩) تفسير غريب القرآن (ص ٤٢٢).

(١٠) بحر العلوم (٢٧٩/٣).

(١١) قالون: هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي، ويقال: المري، مولى بني زهرة، أبو موسى الملقب قالون، قارئ المدينة ونحوها، يقال إنه ربيب نافع، وقد اختص به كثيراً، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، فإن قالون بلغة الرومية: جيّد، ولد سنة عشرين ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسين، وقال ابن أبي حاتم: كان أصم، يقرأ القرآن، ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة، قال الداني: توفى قبل سنة عشرين ومائتين، وقال الأهوازي وغيره: سنة خمس ومائتين، وقال الذهبي: هذا غلط، وأثبت وفاته سنة عشرين. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/٦١٥-٦١٦).

(١٢) إتحاف فضلاء البشر (ص ١٣٢).

أورد القرآن في هذه الآية الجلييلة ما أوقعه الله عزَّ وجلَّ من جزاء وعقاب بفرعون وجنوده، على ما أتى به من ذنب في عباد الله وفي نعمة الله تعالى وهو قول قتادة في تفسير الآية.

النص: ٢٨/٢١٧ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال: ملِيم في عباد الله.

٤٦٨/١١

النص رقم: ٢٨/٢١٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٧/٢١٦.

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾^(١).

الآية: ٤١

النص: ٢٩/٢١٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ) إن من الريح عقيماً وعذاباً حين ترسل لا تلقح شيئاً، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب، وينزل بها الغيث.

٤٦٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٩١/٥).
- وابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٥٠/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: (وَفِي عَادٍ) أيضاً، وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ) يعني بالريح العقيم: التي لا تلقح الشجر^(٢)، وقال الضحاك

(١) الريح: معروف، وهي فيما قيل: الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد، فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن رحمة. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٢٠٦).

(٢) جامع البيان (٤٦٨/١١).

وقتادة: أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً^(١)، وقال الشوكاني: في قوله (وَفِي عَادٍ) أي وتركنا في قصة عاد آية (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) وهي التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً، إنّما هي ريح الإهلاك والعذاب^(٢)، وقال الألوسي: سميت عقيماً لأنها أهلكتهم، وقطعت دابرتهم، فشبّه إهلاكهم وقطع دابرتهم بعقم النساء وعدم حملهنّ لما فيه من إذهاب النسل، وقال علي كرم الله تعالى وجهه: إنها النكباء، وقال ابن المسيب: إنها الجنوب^(٣). وقال ابن عباس: إنها الدبور^(٤)، وقال مثلهم ابن عطية^(٥)، وأما عبيد بن عمير قال: مسكنها الأرض الرابعة وما فتح على عاد منها إلاّ كقدر منخر الثور^(٦).

ذكر الرازي قائلاً: أي ليست من اللوائح لأنها كانت تكسر وتقلع فكيف كانت تلقح^(٧)، وقال الطبرسي: هي التي عقت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان^(٨)، وزيادة على هذا قيل فهي لا تدع شيئاً تمر عليه وقدّر الله إهلاكه إلاّ جعلته كالشيء البالي الذي لا خير فيه^(٩).

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وكذا أبو جعفر (عَلَيْهِمُ الرِّيحُ) بضم الميم وكسر الهاء، وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء وكسر الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمهما^(١٠).

تطابقت أقوال المفسرين في معنى قوله تبارك وتعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) وهو: إن من الريح عقيماً وعذاباً حين ترسل لا تلقح شيئاً، أي لا خير

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤).

(٢) فتح القدير (٨٨/٥).

(٣) روح المعاني (١٥/٢٧-١٦).

(٤) الكشاف (٣٩٤/٤).

(٥) المحرر الوجيز (٣٢/١٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٧).

(٧) مفاتيح الغيب (١٩٠/٢٨).

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن (مج٩/٢٣٧).

(٩) التفسير الواضح (٩١/٢٧).

(١٠) إتحاف فضلاء البشر (ص١٢٤).

فيها ولا بركة، ولكن هنالك ريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب، وينزل بها الغيث، وهو قول قتادة في معنى الآية.

ففي قصة عاد آية لكل ذي لب، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(١)، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور"^(٢).

إن الرياح نعمة ونقمة إلهية، فقد تثير سحاباً ممطراً وقد تكون ريحاً صرصراً قاصفاً مرعباً يهلك الحرث والنسل، كما في الأعاصير الإستوائية التي تسمى النكباء، وما قد يصاحبها من طوفان، وكما في الأعاصير ذات الخرطوم (التورنادو) وما يصاحبها من دمار شامل ورعد وبرق حارق، وسبحان الله أرسل الرياح لتثير السحاب وجعل السحاب الثقيل دليلاً على المطر، والمطر دليلاً على الماء، والماء دليلاً على الحياة، والحياة دليلاً على البداية والنهاية. سبحان الله يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته ويرسلها أحياناً عذاباً وانتقاماً من القوم الظالمين؛ ليصبحوا في ديارهم جاثمين، والله الأمر من قبل ومن بعد، وندعوه سبحانه أن يقينا شر الرياح ويعطينا خيرها. والرياح هي روح الحياة على الأرض فهي الهواء الذي نتنفسه وهي حاملات السحب، وناقلات الصوت، وبدونها ينقلب الكوكب إلى عالم ميت. ولقد قسم علماء الفيزياء الجوية -حديثاً- الرياح إلى أنواع مختلفة حسب سرعتها ولقد خص القرآن كل نوع منها بوصف إلهي في إعجاز علمي رائع كما يلي:

(١) سورة الحاقة، الآيات (٦-٨).

(٢) أخرجه:

١- البخاري في: (١٥) كتاب الاستسقاء، (٢٦) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالصبا)، حديث رقم: (١٠٣٥)، (٤٤٨/١). وفي (٥٩) كتاب بدء الخلق، (٥) باب ما جاء في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) "سورة الفرقان الآية ٤٨". حديث رقم: (٣٢٠٥)، (٥٩٤/٢).

٢- وأحمد بن حنبل في (١/٢٢٣، ٢٢٨).

(١) الرياح الساكنة: وهي الرياح التي لا تؤثر حتى على دخان المصانع. وذلك لأن سرعة الريح الساكنة صفر. كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١).

(٢) الرياح الطيبة: وسرعتها تتراوح بين ١,٦ إلى ٤٠ كم/ساعة وتتدرج بذلك إلى رياح هادئة إلى خفيفة إلى منعشة إلى معتدلة. يسمى نسيماً يحرك أوراق الشجر. كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا...﴾ (٢).

(٣) الرياح الشديدة: وسرعتها بين ٤٠ إلى ٥٠ كم/ساعة حيث تهتز فيها فروع الشجر الكبيرة ويسمع لها صفير وكأنه نذير. كما في قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣).

(٤) الرياح الحاصبة: سرعتها تصل إلى ٨٠ كم/ساعة وهي عاصفة تثير الرماح والحصى وتهز الأشجار بأكملها. كما في قولها تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٤).

(٥) الصرصر: تصل سرعتها إلى ٩٠ كم/ساعة فتصبح شديدة العصف تكسر المداخن والأشجار وتكون شديدة البرودة وعالية الصوت. كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٥).

(٦) القاصفة: وهي تصل سرعتها إلى ١٠٠ كم/ساعة. تقلع الشجر من جذوره وتهشم النوافذ وتغرق السفن كما في التهديد الإلهي بريح قاصف أشدّ ضراوة من الحاصب، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

(١) سورة الشورى، الآية (٣٣).

(٢) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٣) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٦٨).

(٥) سورة فصلت، الآية (١٦).

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١﴾.

(٧) **الصرصر العاتية:** وهي الرياح العاصفة المتعدية والذوبعة الهوجاء المتجاوزة لكل الحدود وتصل سرعتها إلى ٢٠ كم/ساعة. تتلف مساحات واسعة من المباني وتقتل البشر. كما حدث في هلاك قوم عاد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٢).

(٨) **الأعاصير:** وتعتبر من الظواهر الطبيعية الأكثر خطورة ورعباً. ويمكن أن يمتد أثرها على مساحات واسعة. وقد تستمر من بضعة أيام إلى عدة أسابيع وتنتج قوتها التدميرية من ثلاثة عوامل: أ/ الرياح العاصفة التي يمكن أن تصل سرعتها إلى ٥٠٠ كم/ساعة. ب/ الأمطار الغزيرة المرافقة للرياح. ج/ الأمواج البحرية الزاحفة على شواطئ البحار والمحيطات. كما في قوله تعالى: ﴿... فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ...﴾ (٣) (٤).

ومثال لذلك ما حصل في أمريكا ما يسمى بإعصار كاترينا، أو جندي الله كاترينا، هذا الإعصار المدمر الذي حاصر ساحل الخليج الأمريكي وعصف بمدينة نيوأورليانز برياح سرعتها ٢٥٧ كم/ساعة ودمر المنتجعات والأراضي في ولاية مسيسيبي بسيول جارفة وهائلة ورياح هادرة تسحق كل من في طريقها وتدمر النوافذ في الفنادق العالية وتمزق صالة لوزيانا العملاقة وتحاصر الآلاف في أسطح المباني في نيوأورليانز بعدما تقطعت بهم السبل، بسبب المياه الجارفة والرياح العاتية،

(١) سورة الإسراء، الآيتان (٦٨-٦٩).

(٢) سورة الحاقة، الآيات (٦-٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٦٦).

(٤) انظر: موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء - المعارف الكونية بين العلم والقرآن، القسم الأول، إعداد: نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر، إشراف الدكتور: منصور محمد حسب النبي، عني بنشره: مركز عباد الرحمن لبيان علوم القرآن، المملكة العربية السعودية، جدة، ودار الفكر العربي، طباعة - نشر - توزيع، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ص ٣٣٢-٣٤٠).

وتتوقف جميع خطوط الكهرباء، وتتوقف خدمة الهاتف وتدمر عشرات المباني والمئات من المباني معرضة لخطر الانهيار، وتفيد آخر الإحصائيات الأولية إلى مقتل المئات وهؤلاء من الذين تم العثور عليهم وما زال الكثير مفقود في أطراف المدينة. سبحانك ربي أمريكا التي طغت وتجبرت وأخذت تنتشر الرعب والدمار في بلاد المسلمين مغترتاً بقوتها وسطوتها تأتيها لحظات... الرياح القاصفة فتقصفهم والمياه فتغمرهم! إن ما نشاهده من هذه الآيات الكونية لهي آية من آيات الله، تجعل المؤمن متصلاً بالله خوفاً من نعمته وسخطه، وهذه النذر والآيات لم تستطع أمريكا بقوتها وتقدمها العلمي والتكنولوجي أن تقف أمام قوة الجبار سبحانه وتعالى، والذي يسير الكون سبحانه كيف ما شاء، والتي قدرته سبحانه أعظم من كل شيء، وما هي إلا كُن فيكون، فهل من معتبر؟^(١).

النص: ٣٠/٢١٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس مثله.

٤٦٩/١١

النص: ٣١/٢٢٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (الرَّيْحُ الْعَقِيمُ) قال: الريح التي لا تثبت.

٤٦٩/١١

النصوص بالأرقام: ٣٠/٢١٩، ٣١/٢٢٠ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص رقم ٢٩/٢١٨.

(١) انظر: صحيفة بشائر - عدد خاص "كاترينا. نشرة إخبارية نصف شهرية شاملة تعتي بشؤون العالم الإسلامي، يتم جمعها بدقة وعناية من وكالات الأنباء العالمية والمواقع الإخبارية، والصحف المحلية والعالمية، تصدر عن المركز العربي الأفريقي، الأثنين غرة شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٥/سبتمبر ٢٠٠٥م، العدد رقم (٣٧) السنة الأولى (ص ١).

قوله تعالى: ﴿مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾^(١).

الآية: ٤٢

النص: ٣٢/٢٢١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (كَالرَّمِيمِ)، رميم الشجر.

٤٧٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٣٩١/٥).
- وابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٥٠/١٧).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ) والرميم في كلام العرب: ما يبس من نبات الأرض وديس^(٢)، وقال ابن كثير (مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ): أي مما تقسده الرياح (إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ) أي كالشيء الهالك البالي^(٣)، أي ما تذر من شيء مرت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا جعلته كالشيء الهالك البالي، وقال السدي وأبو العالية: إنه التراب المدقوق^(٤). وقال الزمخشري: الرميم: كل ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات، أو غير ذلك^(٥)، وقال مثله الألويسي، ثم أضاف عليه فقال: والشيء هنا عام مخصوص، أي من شيء أراد الله تعالى تدميره وإهلاكه من ناس، أو ديار، أو شجر، أو غير ذلك، وقيل أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَمْرُ بِالنَّاسِ

(١) الرميم: الرَّم: إصلاح الشيء البالي، والرِّمَّة: تختص بالعظم البالي، والرِّمَّة تختص بالحبل البالي، والرم: الفتات من الخشب والتبن. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٢٠٣).

(٢) جامع البيان (٤٦٩/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤).

(٤) فتح القدير (٨٨/٥).

(٥) الكشاف (٣٩٤/٤).

فيهم الرجل من عاد فتنزعه من بينهم، وتهلكه^(١)، وقال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي، وقاله مجاهد^(٢)، وقال الفراء: والرميم: نبات الأرض، إذا يبس ودبس، فهو رميم^(٣)، وذكر في معنى قوله: (أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرَّمِيمِ) أي: الرماد المنقوت، ومن سلب عقولهم اعتقدوها ريح المطر^(٤)، ثم ذكر أيضاً: أي ما تترك هذه الريح شيئاً مرت عليه مقصوداً وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم إلا جعلته مثل التراب أو مثل الشيء الهالك^(٥).

قرأ أبو عمرو ويعقوب: (العقيم / ما تذر) بإدغام الميم في الميم، بخلاف عنهما^(٦).

اجتمعت أقوال المفسرين في معنى الآية، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٧).

النص: ٣٣/٢٢٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: (إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرَّمِيمِ) قال: كرميم الشجر.

٤٧٠/١١

النص رقم: ٣٣/٢٢٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٢/٢٢١.

(١) روح المعاني (١٦/٢٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٧).

(٣) معاني القرآن (٨٨/٣).

(٤) تفسير القرآن المسمى: تبصير الرحمن وتيسير المنان، للإمام علي بن أحمد بن إبراهيم المهامي (المتوفي سنة ٨٣٥هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م (٢/٢٩٨).

(٥) التفسير المنير لمعالم التنزيل، المفسر عن وجوه محاسن التأويل المسمى: مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، تأليف: الشيخ محمد نوي الجاوي، (٢/٣٢٥).

(٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ٣٠٣).

(٧) سورة الأحقاف، الآيتان (٢٤-٢٥).

النص: ٣٣/٢٢٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرَّمِيمِ) قال: كريم الشجر.

٤٧٠/١١

النص رقم: ٣٣/٢٢٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٢/٢٢١.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾

الآية: ٤٥

النص: ٣٤/٢٢٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: قال: سعيد، عن قتادة، قوله: (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) يقول: ما استطاع القوم نهوضاً لعقوبة الله تبارك وتعالى.

٤٧١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٥٢/١٧).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله ولا قدروا على نهوض به^(١)، وقال ابن كثير: أي من هرب ولا نهوض^(٢)، وقال الشوكاني: أي لم يقدروا على القيام، يعني لم ينهضوا من تلك الصرعة^(٣)، وأضاف الزمخشري وقال: قيل: هو من قولهم: ما يقوم به إذا عجز عن دفعه^(٤).

وقال ابن عباس: أي ذهب أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب^(٥)، وقال ابن عطية: أي: كما تقول: فلان له بكذا وكذا قيام أي: استصلاح وانتهاض^(٦)، وذكر الفراء:

(١) جامع البيان (٤٧١/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤).

(٣) فتح القدير (٨٨/٥).

(٤) الكشاف، (٣٩٤/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥٢/١٧).

(٦) المحرر الوجيز (٣٥/١٤).

فما قاموا لها^(٧)، وقال الرازي: في قوله تعالى: (فَمَا اسْتَبَاحُوا): فإن الاستطاعة دون القدرة، لأن في الاستطاعة دلالة الطلب، وهو ينبئ عن عدم القدرة والاستقلال، فمن استطاع شيئاً كان دون من يقدر عليه^(٨).

قال المراغي: أي فما استطاعوا هرباً ولم يجدوا مفرأً ولا نصيراً يرفع عنهم عذاب الله^(٩).

اخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية الجليلة عاقبة الكفار المكذبين والطغاة الظالمين من عذاب الله، فلم يتمكنوا من النهوض فضلاً عن الهرب والفرار، كقوله تعالى: (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)^(١٠).

اخبر بها تعالى للعظة والعبرة، حتى يثوب الناس إلى رشدهم ويؤمنوا بالله وبالبعث، ويكفوا عن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والكفر برسالته، وعالم اليوم لا يقل شأواً عن قوم عاد وثمود وقوم نوح عليه السلام، فهي نفس الغطرسة والاستكبار وعدم القيام بأوامر الله تعالى، والتمسك بالدنيا، فندعو هؤلاء أن يرجعوا إلى كتاب الله تعالى حتى يستلهموا الدروس والعبر ويتوبوا إلى الله.

النص: ٣٥/٢٢٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَمَا اسْتَبَاحُوا مِنْ قِيَامٍ) قال: من نهوض.

٤٧١/١١

النص رقم: ٣٥/٢٢٤ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٤/٢٢٣.

النص: ٣٦/٢٢٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) قال: ما كانت عندهم من قوة يمتنعون بها من الله عز وجل.

٤٧١/١١

(٧) معاني القرآن، للفراء (٨٨/٣).

(٨) مفاتيح الغيب (١٩٢/٢٨).

(٩) تفسير المراغي (مج/٨/٩).

(١٠) سورة الأعراف، الآيتان (٧٨، ٩١).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٥٢/١٧).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

قوله: **(وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ)** يقول: وما كانوا قادرين على أن يستفيدوا ممن أحل بهم العقوبة التي حلت بهم^(١١)، وابن كثير قال: أي لا يقدرّون على أن ينتصروا مما هم فيه^(١٢). وقال الزمخشري: ممتنعين من العذاب^(١٣)، وقال مثله الشوكاني فقال: أي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم^(١٤)، وأما الرازي فقال: أي ما استطاعوا الهزيمة والهرب، ومن لا يقدر عليه يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يرفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين، وقد عرفت أن قول القائل ما هو بمنتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله: **﴿انْتَصَرَ﴾**^(١٥)، أي لشيء من شأنه ذلك، كما تقول فلان لا ينصر أو فلان ليس ينصر^(١٦)، وقال القرطبي: **(وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ)** أي ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي ما كان لهم ناصر^(١٧). فقوله تعالى: **(وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ)** اجمع عليه المفسرون.

قوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾**

الآية: ٤٧

-
- (١١) جامع البيان (٤٧١/١١).
 - (١٢) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤).
 - (١٣) الكشاف (٣٩٤/٤).
 - (١٤) فتح القدير (٨٨/٥).
 - (١٥) سورة الشورى الآية (٤١).
 - (١٦) مفاتيح الغيب (١٩٣/٢٨).
 - (١٧) الجامع لأحكام القرآن (٥٢/١٧).

النص: ٣٧/٢٢٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أي بقوة.

٤٧٢/١١

تخريج النص:

- أخرج ابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: والسماء رفعناها سقفاً بقوة^(١٨)، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري^(١٩)، وقال القرطبي: (بأيدي) أي بقوة وقدرة^(٢٠)، وقال الرازي: قوة والأيد القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْاَیْدِیْنَ اِنَّهُ اُوَابٌ﴾^{(٢١)(٢٢)}. وقال القاسمي: رفعناها بقوة^(٢٣)، والشنقيطي: السماء بنيناها بقوة^(٢٤).

(بأيدي): وقعت في المصحف بياءين، وذلك على تخفيف الهمز^(٢٥)، و(بأيدي): أي بقوة، والقوة هنا بمعنى القدرة فإن القوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك، والقدرة هي الصفة التي بها يتمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة^(٢٦).

نجد اتفاق الأقوال في معنى الآية الكريمة.

(١٨) جامع البيان (٤٧٢/١١).

(١٩) انظر: تفسير ابن كثير (٢٣٧/٤)، فتح القدير (٨٨/٥)، الكشاف (٣٩٤/٤)، والمحرر الوجيز، (٣٦/١٤).

(٢٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٢/١٧)، البحر المحيط (١٤٢/٨).

(٢١) سورة ص، الآية (١٧).

(٢٢) مفاتيح الغيب (١٩٤/٢٨).

(٢٣) محاسن التأويل (٢٠٢/١٥).

(٢٤) أضواء البيان (٦٦٩/٧).

(٢٥) المحرر الوجيز (٣٦/١٤).

(٢٦) تفسير روح البيان، تأليف: الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، المتوفى سنة (١١٣٧ هـ)، دار الفكر، (مج) (١٧١/٩).

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمِ طَاغُونَ﴾

الآية: ٥٣

النص: ٣٨/٢٢٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَتَوَاصُوا بِهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمِ طَاغُونَ) قال: أوصي أولاهم أخراهم بالتكذيب.

٤٧٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٨/٤).
- القرطبي في تفسيره (٥٤/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور، (١٤١/٦)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله (أَتَوَاصُوا بِهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمِ طَاغُونَ) يقول تعالى ذكره: أوصي هؤلاء المكذوبون من قريش محمداً صلى الله عليه وسلم على ما جاءهم به من الحق أوائلهم وآبائهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، فقبلوا ذلك عنهم^(٢٧)، وذكر ابن كثير قائلاً: أي أوصى بعضهم بعضاً فقال متأخرهم كما قال متقدمهم^(٢٨)، وقال الشوكاني في معنى قوله (أَتَوَاصُوا بِهِ) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب من حالهم: أي هل أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وتواطؤا عليه (بَلِّغْهُمْ قَوْمِ طَاغُونَ) أي لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر^(٢٩)، وقال ابن عطية في معنى الآية (أَتَوَاصُوا بِهِ) توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم على تفرق أزمانهم، أي إنهم لم يتواصوا لكنهم فعلوا فعلاً كأنه فعل من تواصي، والعلة في ذلك أن جميعهم طاغ، والطاغي: المستعلي في الأرض المفسد العاتي على الله^(٣٠).

(٢٧) جامع البيان (٤٧٤/١١).

(٢٨) تفسير ابن كثير (٢٣٨/٤).

(٢٩) انظر: فتح القدير (٨٩/٥) والكشاف (٣٩٥/٤) والجامع لأحكام القرآن (ج ٥٤/١٧).

(٣٠) المحرر الوجيز (ج ٣٨/١٤ - ٣٩).

قال ابن الجوزي: أي: أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ وزيادة على هذا القول: أتواطؤوا عليه فأخذه بعضهم من بعض؟!، وقوله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ) أي: يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب، والمشار إليهم أهل مكة^(٣١). ما قال به قتادة في معنى الآية، قال به المفسرون: أي أوصى أولاهم آخراهم بالتكذيب؟ وهو استفهام توبيخ وتعجيب.

جاءت الآية مسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلمهم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)^(٣٢).

النص: ٣٩/٢٢٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (أَتَوَاصُوا بِهِ) أي كان الأول قد أوصى الآخر بالتكذيب.

٤٧٤/١١

النص رقم: ٣٩/٢٢٨ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٨/٢٢٧.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكَرْنَا فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الآيات: ٥٤-٥٥

النص: ٤٠/٢٢٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) ذكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية اشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك (وَذَكَرْنَا فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

٤٧٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٨/٤).

(٣١) زاد المسير (٢١٣/٧) والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/٢٧ - ٢٣).

(٣٢) سورة الذاريات، الآية (٥٢).

- والقرطبي في تفسيره (٥٤/١٧).

دراسة النص:

قول قتادة ذكره السيوطي في كتابه^(٣٣)، وقال الطبري في قوله: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: فتولى يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش، يقول: فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) فما أنت يا محمد بملوم، لا يلومك ربك على تعريضك في الإنذار، فقد أُنذرت، وبلغت ما أرسلت به^(٣٤).

وقوله (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول: وعظ يا محمد من أرسلت إليه، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله^(٣٥)، وقال الكلبي: المعنى عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكري تنفعهم، وقال مقاتل: عظ كفار مكة فإن الذكري تنفع من كان في علم الله أنه يؤمن، وقيل ذكروهم بالعقوبة وأيام الله، وخص المؤمنين بالتنكير، لأنهم المنتفعون به^(٣٦)، ثم قال مجاهد: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فأعرض عنهم (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) أي ليس يلومك ربك على تقصير كان منك (وَذَكِّرْ) أي بالعظة فإن العظة (تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣٧).

قرأ أبو عمرو، وحمزة والكسائي، وخلف العاشر وابن ذكوان (الذِّكْرَى) بالإمالة، وبالتقليل للأزرق^(٣٨)، وقرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (الْمُؤْمِنِينَ) بإبدال همزة واو ساكنة وصلاً ووقفاً^(٣٩).

وقوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) زعموا أنها منسوخة، ثم اختلفوا في ناسخها، فقال: بعضهم إنه هو آية السيف، وقال بعضهم إنه هو قوله جل ثناؤه بعدها

(٣٣) لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٨١).

(٣٤) انظر: جامع البيان (٤٧٤/١١) تفسير ابن كثير (٢٣٨/٤) الكشاف (٣٩٥/٤)، وفتح القدير، (٨٩/٥).

(٣٥) جامع البيان (٤٧٥/١١).

(٣٦) فتح القدير (٨٩/٥) والكشاف (٣٩٥/٤).

(٣٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٧ - ٥٥)، وزاد المسير، (٢١٣/٧) ومفاتيح الغيب، (١٩٨/٢٨)،

وتتوير المقباس من تفسير ابن عباس، المكتبة الشعبية (ص ٤٤٣)، تفسير الخازن، لباب التأويل في

معاني التنزيل (١٨٥/٤).

(٣٨) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٣٤٩/٢).

(٣٩) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ١٥).

(وَذَكَرْنَا فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)، وقال الضحاك: إنه هو الأمر بالإقبال عليهم بالموعظة في قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٤٠)(٤١).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾
الآية: ٥٩

النص: ٤١/٢٣٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا) سجلاً^(٤٢) من عذاب الله.

٤٧٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٣٨/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٥٧/١٧).

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا ملئت أو قاربت المك، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظ والنصيب^(٤٣).

(٤٠) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٤١) النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية (مج ٧٧٠/٢).

(٤٢) سجلاً: السجل في الأصل: الحجر الذي يكتب فيه، ثم سمي كل ما يكتب فيه من قرطاس وغيره سجلاً. انظر: البرهان في غريب القرآن، (ص ١٧٨)، والسجل: هو الدلو إذا كان فيه ماء قل أو كثر ولا يقال لها وهي فارغة سجل ولا ذنوب، والسجل: الدلو الملقى. انظر: مختار الصحاح، (ص ٢٨٧).

(٤٣) انظر: جامع البيان (٤٧٧/١١)، تفسير ابن كثير (٢٣٨/٤)، فتح القدير (٩٠/٥)، الكشاف، (٣٩٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن، (٥٧/١٧).

وقال ابن الأعرابي: يقال يوم ذنوب أي طويل الشر لا ينقضي^(٤٤)، وقال ابن قتيبة: "الذُّنُوب": الحظ والنصيب، وأصله: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون، فيكون لكل واحد ذنوب، فجعل "الذنوب" مكان "الحظ والنصيب": على الاستعارة^(٤٥).

ووافقهم ابن عطية^(٤٦)، وقال القاسمي في معنى الآية: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا): أي ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والإصرار على الشرك والبغي والفساد (ذُنُوبًا): أي نصيباً وافراً من العذاب (مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ): أي مثل أنصباة نظرائهم من الأمم المحكية^(٤٧).

وذكر الأخفش معنى الآية (ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) أي: سجلاً من العذاب^(٤٨).
وقرأ الأزرق وورش (ظلموا): بتعليظ اللام^(٤٩). و (فلا يستعجلون): قرأه يعقوب بإثبات الياء في الوصل والوقف^(٥٠).

هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون في معنى الآية تؤدي إلى معنى واحد، وهو ما قال به قتادة.

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥١)،
﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٥٢)

(٤٤) البحر المحيط (١٤٣/٨).

(٤٥) تفسير غريب القرآن، (ص ٤٢٣)، ولسان العرب (٤٧/٦).

(٤٦) انظر: المحرر الوجيز (٤٢/١٤ - ٤٤)، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٧١/٤).

(٤٧) محاسن التأويل (٢٠٦/١٥ - ٢٠٧)، أضواء البيان (٦٧٨/٧).

(٤٨) معاني القرآن للأخفش (٦٩٧/٢).

(٤٩) إتحاف فضلاء البشر (ص ٩٩).

(٥٠) التذكرة في الفراءات الثمان (مج ٢/٥٦٥).

(٥١) سورة الزمر، الآية (٥٠).

(٥٢) سورة الزمر، الآية (٥١).

النص: ٤٢/٢٣١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثني محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال: عذاباً مثل عذاب أصحابهم.

٤٧٨/١١

النص رقم: ٤٢/٢٣١ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٤١/٢٣٠.

(٥٢) سورة الطور مكية عدد آياتها (٤٩)

قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾.

الآية: ٢

النص: ١/٢٣٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) والمسطور المكتوب.

٤٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٥/٢).

- ومسلم في صحيحه (٩٢٧/٢).

- وابن كثير في تفسيره (٢٣٩/٤).

دراسة النص:

ومعنى (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) أي مكتوب^(١). وهو ما قاله الطبري^(٢). وقال الألويسي: مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة، ثم أورد قول الكلبي الذي قال: هو التوراة. وقيل: هي والإنجيل والزبور، وقيل: القرآن، قيل: اللوح المحفوظ^(٣). وأضاف القرطبي: إنه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرءون فيه ما كان وما يكون. وقيل المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين^(٤). وقال ابن

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٤٢٤).

(٢) جامع البيان (٤٧٩/١١).

(٣) انظر: روح المعاني (٢٧/٢٧)، مفاتيح الغيب (٢٠٥/٢٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٧).

عطية: أقسم بالكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وهو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها^(٥). بل كل ما دل على حكمة يرمز له بالكتاب المسطور^(٦).

اختلف المفسرون في المعنى المراد من الآية، وترى الباحثة أن الأصوب في قوله تعالى: (وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ) هو: المكتوب. لأنه لا ينبغي أن يُحمل شيء مما قاله المفسرون على التعيين إنما تورد على الاحتمال^(٧). وهو ما مال إليه قتادة.

النص: ٢/٢٣٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (مَسْطُورٍ) قال: مكتوب.

٤٧٩/١١

النص رقم: ٢/٢٣٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢/٢٣٢.

قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾^(٨).

الآية: ٣

النص: ٣/٢٣٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ) وهو الكتاب.

٤٨٠/١١

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: السيد عبدالعال السيد إبراهيم، طبع على نفقة: صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م، (٤٨/١٤)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، للتعاليبي (٢١٣/٤-٢١٤).

(٦) انظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الشيخ: طنطاوي جوهرى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية: ١٣٥٠هـ، (٢٠٦/٢٣)، وفتح البيان في مقاصد القرآن-تفسير سلفي أثر خالٍ من الإسرائيليات والجدليات المذهبية والكلامية-، تأليف السيد الإمام: أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨-١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدولة قطر، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، (٢١٧/١٣-٢١٨).

(٧) البحر المحيط (١٤٦/٨).

(٨) رق: الرق ما يكتب فيه وهو جلد رقيق. انظر: مختار الصحاح، (ص ٢٥٣).

تخريج النص:

- أخرجه ابن حجر في فتح الباري (٦٠٢/٨).

دراسة النص:

وقوله **(فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ)** يقول: في ورق منشور، وقوله **(فِي)** من صلة مسطور، ومعنى الكلام: وكتاب سطر، وكتب في ورق منشور^(٩). وقال الفراء: والرَّقُّ: الصحائف التي تُخرج إلى بني آدم، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله^(١٠). وقال ابن كثير: قيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال: **(فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ)**^(١١). وقال الشوكاني: متعلق بمسطور: أي مكتوب في رق، ثم ذكر قول المبرد: بأن الرق: مارق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور المبسوط^(١٢). وقال الألويسي في تفسيره: ترقرق الشيء إذا لمع أو من الرقة ضد الصفاقة على ما قيل، وقد تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها، والمنشور المبسوط والوصف به قيل: للإشارة إلى صحة الكتاب وسلامته من الخطأ حيث جعل معرضاً لنظر كل ناظر آمناً عليه من الاعتراض لسلامته عما يوجبه^(١٣). ثم قال الرازي: عظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه وورقه، وهو إشارة إلى الوضوح، ذلك لأن الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال هو **(فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ)** وليس كالكتب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فمعناه هو منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته، وإن قلنا بأن المراد كتاب أعمال كل أحد فالتكثير لعدم المعرفة بعينه وفي رق منشور لبيان وصفه كما قال تعالى **(كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنُشُورًا)**^(١٤) وذلك لأن غير المعروف إذا وصف كان إلى المعرفة أقرب شبيهاً^(١٥). وابن حيان قال في معنى **(مَنُشُورٍ)**: مفتوح لا ختم عليه، وابن عباس قال: منشور ما بين المشرق والمغرب^(١٦). وقيل: الرق: الورق،

(٩) جامع البيان (٤٨٠/١١).

(١٠) معاني القرآن (٩١/٣).

(١١) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤).

(١٢) فتح القدير (٩٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٧).

(١٣) روح المعاني (٢٧/٢٧).

(١٤) سورة الإسراء، الآية (١٣).

(١٥) مفاتيح الغيب (٢٠٦/٢٨).

(١٦) البحر المحيط (١٤٦/٨).

فأما المنشور فهو المبسوط^(١٧). وقال الواحدي: (في رَقِّ): وهو الجلد الذي يكتب فيه^(١٨).
 وقيل: أقسم باللوح لمحفوظ والكتب المنزلة التي بلغها الأنبياء ونشروها^(١٩).
 قرأ أبو السَّمَّال^(٢٠) (رَقِّ): بفتح الراء وبكسرهما^(٢١).
 أيّاً ما قيل في معنى قوله (في رَقِّ مَنُشُورٍ): فإنه يعني الكتاب وبه قال قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.

الآية: ٤

النص: ٤/٢٣٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه ((هل تدرون ما البيت المعمور)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو لخزّ لخزّ عليها، أو عليه، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم)).

٤٨١/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١١٧٣/٣).
- وابن كثير في تفسيره (٢٣٩/٤).

دراسة النص:

ومعنى قوله (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) يقول: والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته، وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة،

(١٧) المحرر الوجيز (٤٨/١٤).

(١٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مج٢/١٠٣٣).

(١٩) تفسير المؤمنين، إعداد: عبد الودود يوسف، دار الرشيد، (ص ٤١٨).

(٢٠) أبو السَّمَّال: هو قعنب بن أبي قعنب أبو السَّمَّال -بفتح السين وتشديد الميم- العدوي البصري، له اختبار في القراءة، شاذ عن العامة، رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس. انظر غاية النهاية في طبقات القراء،

للجزري، (٢٧/٢).

(٢١) روح المعاني (٢٧/٢٧).

ثم لا يعودون فيه أبداً^(٢٢). وقال به ابن قتيبة^(٢٣). وقال مجاهد وقتادة وابن زيد. أن في كل سماء بحيال الكعبة بيتاً حرمة كحرمتها وعمارتها بكثرة الواردين عليه من الملائكة عليهم السلام كما سمعت، وقال الحسن: هو الكعبة يعمره الله تعالى كل سنة بستمائة ألف من الناس فإن نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة^(٢٤). وقال الزمخشري: هو الضُّراح^(٢٥) في السماء الرابعة. وعمرانه: كثرة غاشيته من الملائكة^(٢٦).

وقال الربيع بن أنس: إن البيت المعمور كان في الأرض موضع الكعبة في زمان آدم عليه السلام، فلما كان زمان نوح عليه السلام أمرهم أن يحجُّوا فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور، قال: فبِوَأَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَيْ شَيْئًا وَطَهَّرَ حَيْثُ كَانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢٧).^(٢٨).

وذكر ابن الجوزي ما قاله هؤلاء المفسرون^(٢٩).

(٢٢) جامع البيان (٤٨٠/١١).

(٢٣) انظر: تفسير غريب القرآن (ص ٤٢٤)، تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤).

(٢٤) روح المعاني (٢٧/٢٧).

(٢٥) الضُّراح: الضُّراح: هو من المضارحة بمعنى المعارضة والمقابلة، لكونه مقابلاً للكعبة. انظر: الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، د.ت، (٢٣٦/٢)،

(٢٦) الكشاف (٣٩٨/٤).

(٢٧) سورة الحج، الآية (٢٦).

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٧/٦٠-٦١).

(٢٩) انظر: زاد المسير (٢١٦/٧)، المحرر الوجيز (٤٨/١٤-٤٩)، ومعالم التنزيل (مج٧/٣٨٥)، تفسير السدي الكبير، للإمام أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، (المتوفى، سنة ١٢٨هـ)، جمع توثيق ودراسة الدكتور: محمد عطا يوسف، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، (ص ٤٤٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة

اختلف المفسرون في (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) في أي سماء؟ إلا أن أكثرهم أكد أنها في السماء السابعة ويؤيده حديث الإسراء - قال جبريل: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم - وهو الذي ذكره قتادة. وأكد ابن كثير وقال: ذاك البيت المعمور وهو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة^(٣٠).

قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾.

الآية: ٥

النص: ٥/٢٣٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) سقف السماء.

٤٨٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٧/٣).
- والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥٠٨/٢).
- وابن كثير في تفسيره (٢٤٠/٤).

دراسة النص:

وقوله (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ): يعني بالسقف في هذا الموضع: السماء وجعلها سقفاً، لأنها سماء للأرض، كسماء البيت الذي هو سقفه^(٣١). وهو ما ذكره قتادة.

عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى،

١٣٨٩هـ-١٩٧٠م، (١٨/٢٧).

(٣٠) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤).

(٣١) جامع البيان (٤٨٢/١١)، تفسير ابن كثير (٢٤٠/٤)، والكشاف (٣٩٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن،

(٦١/١٧)، وأوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن، أعداد: العلامة: محمد كريم راجح، دار

المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (ص ٤٤٢).

هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُغْرَضُونَ﴾ (٣٢).

قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾.

الآية: ٦

النص: ٦/٢٣٧ حدثنا بشر، قال: يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الممتلىء.

٤٨٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٠/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٦١/١٧).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

ومعنى قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) المسجور: المملوء (٣٣). وتفسير الآية ذكر الطبري وقال: اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد. وتأول ذلك: والبحر الموقد المحمى، قاله: علي رضي الله عنه، ومجاهد، وابن زيد، وقال آخرون: بل المسجور: الذي قد ذهب مأؤه، قاله: ابن عباس. وآخرون قالوا: المسجور: المحبوس (٣٤). وقال مجاهد، وشمر بن عطية: معناه: الموقد ناراً، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن البحر هو جهنم)) (٣٦) وقال الثعالبي: وروي أن النبي

(٣٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٢).

(٣٣) العمدة في غريب القرآن (ص ٢٨٣).

(٣٤) انظر: جامع البيان (٤٨٢/١١-٤٨٣)، تفسير ابن كثير (٢٤٠/٤)، والكشاف (٣٩٨/٤)، زاد المسير، (٢١٦/٧-٢١٧)، مفاتيح الغيب (٢٠٥/٢٨).

(٣٥) شمر بن عطية: هو شمر بن عطية الأسدي الكاهلي، الكوفي، صدوق من السادسة. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٣١٩).

(٣٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٣/٤).

صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يركبن البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً)) (٣٧)(٣٨).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٣٩).

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التتور، بمعنى: أوقدت، أو الإمتلاء، على ما وصفت، كما قال لبيد:

فَتَوَسَّطًا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدْعًا *** مَسْجُورَةً مَتَجَاوِرًا قَلَامُهَا (٤٠)

فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد، صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الإمتلاء، لأنه كل وقت ممتلئ (٤١).

والحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء وهي الطور، والبيت المعمور، والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء للخلوة بربهم والخلص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى، أما الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام وخاطب الله سبحانه وتعالى هناك، وأما البيت المعمور فانتقل إليه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله

(٣٧) أخرجه أبو داود في: كتاب الجهاد، باب في ركوب البحر في الغزو، حديث رقم: (٢٤٨٩)، (٦/٣).

انظر: سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (المولود، ٢٠٢هـ، المتوفى، ٢٧٥هـ)، راجعه على عدة نسخ وضبط أحاديثه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، القاهرة، لصاحبها: مصطفى محمد.

(٣٨) انظر: المحرر الوجيز (٤٩/١٤ - ٥٠)، وتفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير، للإمام الشيخ، الخطيب الشربيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، أعيد طبعه بالأوفست (١١١/٤).

(٣٩) سورة التكوير، الآية (٦).

(٤٠) القصيدة وهي معلقته من ديوانه، (ص ١٧٠)، رقم البيت (٣٤).

الشرح: فرمى بها عرض السري. العرض: الناحية، السري: النهر الصغير. صدعاً: شقفاً النبات الذي على الماء. مسجورة: عين مملوءة، القلام: نبت ينبت على الأنهار قيل هو نوع من الحمض، ومتجاوزاً نعت لمسجورة وقلام فاعل متجاوزاً. انظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ -

١٩٦٦م، (ص ١٧٠).

(٤١) جامع البيان (٤٨٣/١١).

الصالحين لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك، وأما البحر المسجور فانتقل إليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين فصارت هذه الأماكن شريفة بهذه الأسباب فأقسم الله تعالى بها، وأما ذكر الكتاب فلان الأنبياء كان لهم مع الله تعالى في هذه الأماكن كلام والكلام في الكتاب^(٤٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

الآية: ٧

النص: ٧/٢٣٨ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وقع القسم هاهنا (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وذلك يوم القيامة.

٤٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٤٠).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١٤٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يا محمد، لكائن حال بالكافرين به يوم القيامة^(٤٣).

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) فبكى واشتد بكاءه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: ويل أُمي إن لم يغفر الله لي، ثلاثاً، ثم قضى، وكان

(٤٢) تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير (٤/١١١).

(٤٣) انظر: جامع البيان (١١/٤٨٤)، تفسير ابن كثير (٤/٢٤٠)، والكشاف (٤/٣٩٩)، وروح المعاني،

(٢٩/٢٧)، والمحرم الوجيز (٤/٥٢)، وزاد المسير (٧/٢١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٦٢)،

والتفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة

١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، (ص ٢٣٤).

يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه العبرة فيبقى في البيت أياماً ويعاد، يحسبونه مريضاً وكان في وجهه رضي الله عنه، خطان أسودان من البكاء، وقال له ابن عباس: مصّر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح، وفعل، وفعل، فقال: وددت أنني أنجو، لا أجر ولا وزر (٤٤).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾.

الآية: ٩

النص: ٨/٢٣٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) مورها: تحريكها.

٤٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٦٣/١٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٧/٢).

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تدور بما فيها وتسير الجبال عن وجه الأرض: فتستوي هي والأرض^(٤٥)، وتفسير الآية الكريمة: يقول تعالى ذكره: إن عذاب ربك لواقع (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) فيوم من صلة واقع، ويعني بقوله تمور: تدور وتكفأ، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه قاله، ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقاتادة، وقال آخرون: مورها: تشققها، قاله: ابن عباس

(٤٤) الضوء المنير على التفسير، جمعه الفقير إلى ربه: على الحمد المحمد الصالح: من كتب الإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد دخنة، عنيزة، بالتعاون مع مكتبة دار السلام، الرياض، (مج/٥/٤٨٤).

(٤٥) معاني القرآن، للفراء (٩١/٣).

أيضاً^(٤٦)، وقيل معناه: تضطرب اضطراباً أي ترتج وهي في مكانها^(٤٧)، والمور: التردد في المجيء والذهاب، وقيل: هو تحرك في تموج، أي تتحرك وتضطرب اضطراباً عجبياً، وهو الزلزال الذي يكون عند قيام الساعة: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٤٨) (٤٩). والصواب ما قاله قتادة، فهو قول أكثر المفسرين، وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

وقول الفلاسفة في هذا الشأن ضعيف لأنهم وافقوا على أن خروج الجبل العظيم من مكانه جائز وكيف لا وهم يقولون بأن زلزلة الأرض مع ما فيها من الجبال ببخار يجتمع تحت الأرض فيحركها، وإذا كان كذلك فنقول السماء قابلة للحركة بإخراجها خارجة عن السمities والجبل ساكن يقتضي طبعه السكون، وإذا قبل جسم الحركة مع أنها على خلاف طبعه، فلأن يقبلها جرم آخر مع أنها على موافقته أولى^(٥٠). وهذا تأكيد على أن ما قاله قتادة ومن وافقه من المفسرين هو الأرجح.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾.

الآية: ١٣

النص: ٩/٢٤٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) قال: يزعجون إليها إزعاجاً.

٤٨٦/١١

(٤٦) جامع البيان (١١/٤٨٤-٤٨٥)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٤٠)، والكشاف (٤/٣٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٦٣)، ومفاتيح الغيب (٢٨/٢٠٨)، وفتح القدير (٥/٩٥).

(٤٧) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، (٨/١٠٢).

(٤٨) سورة الحج، الآية (١).

(٤٩) المقتطف من عيون التفاسير، للعلامة المرحوم فضيلة الشيخ: مصطفى الحصن، المنصوري، حققه: محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت (مج٥/١٠٠).

(٥٠) مفاتيح الغيب (٢٨/٢٠٨).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤١/٤).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٧/٢).

دراسة النص:

وقوله (يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) يقول تعالى ذكره: فويل للمكذبين يوم يدعون، وقوله (يَوْمَ يُدْعُونَ) ترجمة عن قوله (يومئذ) وإبدال منه. وعنى بقوله (يُدْعُونَ) يدفعون بإرهاق وإزعاج، يقال منه: دَعَعْتُ في قفاه: إذا دفعت فيه^(٥١)، وبه قال ابن قتيبة وأضاف: ومنه: ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾^(٥٢)(٥٣).

وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعاً^(٥٤)، وقال مقاتل: تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون إلى جهنم على وجوههم^(٥٥)، قرأ الجمهور (يُدْعُونَ) بفتح الدال وتشديد العين، وقرأ السلمي وابن السميع بسكون الدال وتخفيف العين مفتوحة: أي يدعون إلى النار من الدعاء^(٥٦). وترى الباحثة إن هذه الأقوال جميعها متفقة في المعنى، وهو أنهم سوف يدفعون بإرهاق وإزعاج إلى نار جهنم، كقوله تعالى: ﴿حُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٥٧)، وقوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٥٨).

(٥١) جامع البيان (٤٨٥/١١).

(٥٢) سورة الماعون، الآية (٢).

(٥٣) تفسير غريب القرآن، (ص ٤٢٤-٤٢٥).

(٥٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤١/٤)، الكشاف (٣٩٩/٤)، وروح المعاني (مج ٣٠/٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٦٤/١٧).

(٥٥) انظر: زاد المسير (٢١٧/٧)، والقرآن الكريم وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة الأنوار المحمدية: القاهرة، (ص ٦٩٤).

(٥٦) فتح القدير (٩٥/٥).

(٥٧) سورة الدخان، الآية (٤٧).

(٥٨) سورة الرحمن، الآية (٤١).

من خصائص المفردة القرآنية استغلالها الجرس الموسيقي للكلمة، وما تحويه من ظلال للمعاني في إثراء معنى الكلمة، والإيحاء بمضمونها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي به ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) حيث تصور (يُدْعَوْنَ ٠٠٠ دَعَاً) مدلولها بجرسها وظلها جميعاً، والدع هو الدفع في الظهر بعنف، وهو في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي أقرب ما يكون إلى جرس الدع^(٥٩).

النص: ١٠/٢٤١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة بنحوه.

٤٨٦/١١

النص رقم: ١٠/٢٤١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٩/٢٤٠.
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

الآية: ٢١

النص: ١١/٢٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ) كذلك قالها يزيد (ذرياتهم) (بإيمانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال: عملوا بطاعة الله فألحقهم الله بأبائهم.

٤٨٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه أحمد في مسنده (١٣٤/١).
- وابن كثير في تفسيره (٢٤١-٢٤٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٦٦/١٧).

(٥٩) قاموس القرآن، لغة القرآن درسه توثيقه فنية، تأليف: الدكتور: أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الكويت، الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مشروع قاموس القرآن الكريم، (ص ١٤١-١٤٢).

دراسة النص:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكريمة لأبائهم المؤمنين، وما ألتنا آبائهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء، قاله: ابن عباس وقال آخرون: بل معنى ذلك: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم التي بلغت الإيمان بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان، قاله: الضحاك، وابن عباس، وقال آخرون نحو هذا القول، غير أنهم جعلوا الهاء والميم في قوله (أَلْحَقْنَا بِهِمْ) من ذكر الذرية، والهاء والميم في قوله: ذريتهم الثانية من ذكر الذين قالوا: معنى الكلام: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الصغار، وما ألتنا الكبار من عملهم من شيء، قاله: ابن زيد، وقال آخرون: بل معنى ذلك (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء، قاله: سعيد بن جبير، وآخرون قالوا: إنما عنى بقوله (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء، قاله: قتادة، وإبراهيم^(٦٠).

قوله تعالى: (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ) قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي (وَاتَّبَعَتْهُمْ) بالتاء، (ذُرِّيَّتُهُمْ) واحدة (بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) واحدة أيضاً، وقرأ نافع (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) واحدة، (بِهِمْ ذُرِّيَّتَاتُهُمْ) جمعاً، وقرأ ابن عامر: (وَاتَّبَعْنَاَهُمْ ذُرِّيَّتَاتُهُمْ) (بِهِمْ ذُرِّيَّتَاتُهُمْ) جمعاً في الموضعين، واختلفوا في تفسيرها^(٦١).

ويقول الطبري: والصواب من القول في ذلك أن جميع ذلك قراءات معروفة، مستفيضات في قراءة الأمصار، متقاربات المعاني، فبأبيتهما قرأ القارئ فمصيب^(٦٢).

وتناول الإمام أحمد بن حنبل في مروياته هذا الحديث والذي يقول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ليرفع الدرجة للعبد الصالح

(٦٠) انظر: جامع البيان (٤٨٧/١١-٤٨٩)، وتفسير ابن كثير (٢٤١/٤-٢٤٢)، والكشاف (٤٠١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٦٦/١٧-٦٧)، والمحزر الوجيز (٥٨/١٤-٦٠)، وأيسر التفاسير، لعامر أحمد الشريف، (ص ٥١٦).

(٦١) زاد المسير (٢١٨/٧).

(٦٢) جامع البيان (٤٩٠/١١).

في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك) (٦٣)(٦٤)، الآية تحدثت عن فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وهذا الحديث عن فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء.

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم، الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان فأمنوا في الجنة، فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمهم منا لأبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئاً. وإنما قلت: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك الأغلب من معانيه، وإن كان للأقوال الأخر وجوه (٦٥).

قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾.

الآية: ٢٣

النص: ١٤/٢٤٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٦٨/١٧-٦٩).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٨/٢).

(٦٣) أخرجه:

١- ابن ماجة في سننه: (٣٣) كتاب الأدب، (١) باب بر الوالدين، حديث رقم: (٣٦٦٠) (٢٩٣/٣). انظر: سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)، حقق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، خرج أحاديثه وفهرسه: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.

٢- وأحمد بن حنبل في مسنده (٥٠٩/٢).

(٦٤) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في تفسيره، جمع وتخريج: أحمد البزرة ومحمد بن رزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين، مكتبة المؤيد- السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م (مج ٤/١٦١).

(٦٥) جامع البيان (٤٨٩/١١).

دراسة النص:

وقوله (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) معنى (يَتَنَازَعُونَ) يتعاطون فيها كأساً، يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا، وقوله (لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) معناه: لا يجري بينهم ما يلغي، أي لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربه الخمر، والكأس في اللغة الإناء المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس^(٦٦)، ومثله قال الطبري فقال: وقوله: (لَا لَعْوُ فِيهَا) يقول: لا باطل في الجنة، والهاء في قوله (فِيهَا) من ذكر الكأس، ويكون المعنى لما فيها من الشراب واللغو: الباطل، وقوله (وَلَا تَأْتِيمٌ) يقول: ولا فعل فيها يؤثم صاحبه.

وقيل: عنى بالتأثير: الكذب^(٦٧)، وقوله: (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر قاله الضحاك (لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أي هذيان ولا إثم أي فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون، وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها فنفي عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾^(٦٨)، وقال ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾^(٦٩)، وقال هاهنا (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ)^(٧٠). واختلفت القراء في قراءة قوله (لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ) بالرفع والتثوين على وجه الخبر،

(٦٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٦٣/٥).

(٦٧) جامع البيان (٤٩١/١١).

(٦٨) سورة الصافات، الآيتان (٤٦-٤٧).

(٦٩) سورة الواقعة، الآية (١٩).

(٧٠) تفسير ابن كثير (٢٤٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٦٨/١٧-٦٩)، والكشاف (٤٠١/٤-٤٠٢)، وزاد المسير (٢١٩/٧)، وفتح القدير (٩٥/٥)، والمحرر الوجيز (٦٢/١٤-٦٣)، وتفسير القرآن الكريم، للعلامة: السيد عبد الله شبر، (المتوفى عام ١٢٤٢هـ)، راجعه الدكتور: حامد حفني داود، مؤسسة دار الهجرة، إيران، قم، الطبعة الثانية، تاريخ النشر، ١٤١٢هـ، (ص ٤٩٠).

على أنه ليس في الكأس لغو ولا تأثيم، وقرأه بعض قراء البصرة (لا لَغُوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) نصباً غير منون^(٧١)، وهكذا ذكر الفارسي^(٧٢) هذه القراءة واختلاف القراء فيها في كتابه^(٧٣).
والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كان الرفع والتتوين أعجب القراءتين إلي لكثرة القراءة بها، وأنها أصح المعنيين^(٧٤).
والخمر حين حرّمت في الحياة الدنيا على المسلمين، إنما حرّمت لعيوبها ومضارها، أما خمر الجنة فهي خالصة من العيوب، ثم إن خمر الجنة مخلوطة بالمسك قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٧٥). فخمر الجنة صافية مخلوطة بالمسك الطيب الرائحة^(٧٦).

النص: ١٥/٢٤٤ وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (لا لَغُوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) قال: ليس فيها لغو ولا باطل، إنما كان اللغو والباطل في الدنيا.

٤٩٢/١١

النص رقم: ١٥/٢٤٤: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٤/٢٤٣.

(٧١) جمع البيان (٤٩٢/١١).

(٧٢) الفارسي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور، أخذ عنه كتاب سيبويه وانتهت إليه رياسة علم النحو وصحب عضد الدولة فعظمه كثيراً ثم لحق بسيف الدولة فأكرمه، وقد أخذ عنه النحو أئمة كبار كابن جني وأبي الحسن الربيعي وخلق، وألف كتاب التذكرة وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد، توفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. انظر: كتاب: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٠٦-٢٠٧).

(٧٣) الحجة للقراء السبعة، "أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين نكرهم أبوبكر بن مجاهد، تأليف: أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٣/٤٢٥-٤٢٦).

(٧٤) جامع البيان (٤٩٢/١١).

(٧٥) سورة المطففين، الآيتان (٢٢-٢٦).

(٧٦) المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، للدكتور: حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، (ص ٢٠٨).

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾.

الآية: ٢٤

النص: ١٦/٢٤٥ وقد حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ قال: ((والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)).

٤٩٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٦٩/١٧).
- واورده السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/٦)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

نفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم، كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون، يعني: مصون في كَنِّ فهو أنقى له، وأصفى لبياضه، وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكنوس الشراب التي وصف جل ثناءه صفتها^(٧٧).

فالمؤمنون في أعلى مراتب التكريم، فهم مخدمون لا يتكلفون شيئاً من الجهد في دار الراحة والرضوان والنعيم، وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السنّ فهم مخلدون في

(٧٧) انظر: جامع البيان (٤٩٢/١١)، تفسير ابن كثير (٢٤٢/٤)، وزاد المسير (٢١٩/٧-٢٢٠)، والكشاف (٤٠٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٦٩/١٧)، وروح المعاني (٣٤/٢٧)، والجزء الأول من تفسير القرآن العظيم للإمامين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والشيخ البحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، رجب ١٣٤٢هـ، (ص ١٢٨)، وتفسير القرآن الكريم، للأستاذ: أحمد حسين، عنى بإصدارها: وفيق عويضة، القاهرة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، (ص ١٩٩).

سن الصباحة والصباء والوضاءة، وهم هنا كاللؤلؤ المنتور، قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وَأَذَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ (٧٨) (٧٩).

النص: ١٧/٢٤٦ وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في
قوله (كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) قال: بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ، فكيف
المخدوم؟ قال: ((والذي نفسي بيده، إن فضل ما بينهما كفضل القمر ليلة البدر على
النجوم)).

٤٩٢/١١

النص رقم: ١٧/٢٤٦: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٦/٢٤٥.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (٨٠).

الآية: ٣٠

النص: ١٨/٢٤٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (أَمْ يَقُولُونَ
شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) قال: قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.

٤٩٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٧٢-٧١/١٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٨/٢).

(٧٨) سورة الإنسان، الآية (١٩).

(٧٩) كتاب: المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، للدكتور: حامد صادق قنبي (ص
٢٠٧-٢٠٨).

(٨٠) ريب المنون: أي حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، والمنون: الدهر. انظر: تفسير غريب القرآن، لابن
قتيبة، (ص ٤٢٥).

دراسة النص:

قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء، زهير^(٨١)، والنابغة^(٨٢) إنما هو كأحدهم فأُنزل الله في ذلك (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ)^(٨٣).

وتفسير الآية: يقول جل ثناؤه: بل يقول المشركون يا محمد لك: هو شاعر نتربص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عباراتهم عنه، فقال بعضهم فيه كالذي قلنا. وقال بعضهم: هو الموت قاله: ابن عباس، وقتادة وابن زيد، وقال آخرون معنى ذلك: ريب الدنيا، وقالوا: المنون: الموت^(٨٤). وقال الرازي في معنى الآية: ما وجه تعلق قوله (نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) بقول (شَاعِرٌ)؟ نقول فيه وجهان: الأول: أن العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته. والثاني: أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول

(٨١) زهير ابن أبي سلمى: هو زهير بن ربيعة بن قرط، والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه في غطفان، كان زهير جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه ابنه كعب وبجير، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: انشدوني لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاقل بين القول، ولا يتبع حوشى الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. انظر: كتاب الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٧٦/١-٧٩).

(٨٢) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية، ويكنى أبا إمامة، ويقال أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً، كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف. انظر: المصدر السابق، (٩٢/١)، وهو من بني يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف وللنابغة عقب بمصر. وانظر: كتاب جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (٣٨٤-٤٥٦)، تحقيق تعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، د. ت، (ص ٢٥٣).

(٨٣) لباب النقول في أسباب النزول، (ص ٢٨٢).

(٨٤) انظر: جامع البيان (١١/٤٩٣-٤٩٤)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٤٣)، والكشاف (٤/٤٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٧١-٧٢)، وزاد المسير (٧/٢٢٠-٢٢١)، والمحرم الوجيز (٤/٦٦-٦٧).

إن الحق دين الله، وإن الشرع الذي أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابي يتلى إلى قيام الساعة، فقالوا ليس كذلك إنما هو شاعر، والذي يذكره في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتربص به ذلك^(٨٥).

ومعنى قوله (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) يقول الفراء: أوجاع الدهر، فيشغل عنكم، ويتفرق أصحابه أو عمر آبائه، فإننا قد عرفنا أعمارهم^(٨٦).

اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله عز وجل (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) ولكن أُطلق الريب على الحوادث أي شبه بالريب أي الشك لأنها لا تدوم ولا تبقى على حال، وسمي الدهر منوناً لأنه يقطع الأجل، فالمنون من أسماء الموت، ومن أسماء الدهر، فأدى إلى معنى واحد، وهو ما عليه المفسرين ومعهم قتادة.

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتوعدهم بقوله تعالى (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)^(٨٧). أي انتظروا فأنى منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة، وأكد تبارك وتعالى في آية أخرى فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٨٨).

النص: ١٩/٢٤٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (رَيْبَ الْمُنُونِ) قال: هو الموت، نتربص به الموت، كما مات شاعر بني فلان، وشاعر بني فلان.

٤٩٤/١١

النص رقم: ١٩/٢٤٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٨/٢٤٧.

(٨٥) انظر: مفاتيح الغيب (٢٨/٢١٩)، حاشية الجمل على الجلالين المسماه بالفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف: العلامة الشيخ: سليمان الجمل، الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (٤/٢١٨)..

(٨٦) معاني القرآن، للفراء، (٣/٩٣).

(٨٧) سورة الطور، الآية (٣١).

(٨٨) سورة الحاقة، الآيتان (٤١-٤٢).

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.^(٨٩)

الآية: ٤٠

النص: ٢٠/٢٤٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجراً يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

٤٩٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٧٦/١٧).

دراسة النص:

وقوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثواباً و عوضاً من أموالهم، فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرّون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه^(٩٠).

وقال ابن كثير: أي لست تسألهم على ذلك شيئاً (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم^(٩١)، وقيل المغرم: أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه^(٩٢)، وقال الرازي: الآية تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم لما امتنعوا من الاستماع واستكفوا من الإتيان صعب على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال

(٨٩) مغرم: الغرم ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة، يقال: غرم كذا غرمًا ومغرمًا وأغرم فلان غرامة قال تعالى: (إِنَّا لَمُعْرِمُونَ)، و(فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ)، والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٣٦٠).

(٩٠) جامع البيان (٤٩٧/١١).

(٩١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤٤/٤)، والكشاف (٤٠٤/٤)، مفاتيح الغيب (٢٢٧/٢٨-٢٢٨)، وزاد المسير (٢٢٣/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٧٦/١٧)، والمحرم الوجيز (٧٢/١٤-٧٣).

(٩٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، (٢٠/٢٧).

له ربه أنت أتيت بما عليك فلا يضيق صدرك حيث لم يؤمنوا فأنت غير ملوم، وإنما كنت تلام لو كنت طلبت منهم أجراً فهل طلبت ذلك فأثقلهم؟ لا فلا حرج عليك إذا^(٩٣).

وبين الله تبارك وتعالى في آيات كثيرة: أن ذلك هو شأن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، فذكر عن نبيه نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أنه أخبر قومه أنه لا يسألهم مالاً في مقابلة ما جاءهم به من الوحي والهدى، بل يبذل لهم ذلك الخير العظيم مجاناً من غير أخذ أجره في مقابله فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٩٤).

وقال في سورة سبأ عن نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٩٥).

ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة: أن الواجب على أتباع الرسل من العلماء وغيرهم أن يبذلوا ما عندهم من العلم مجاناً من غير أخذ عوض ذلك، وأنه لا ينبغي أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله تعالى، ولا على تعليم العقائد والحلال والحرام.

ويعتضد ذلك بأحاديث تدل على نحوه ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: علمت رجلاً القرآن، فأهدى لي قوساً، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((إن أخذتها أخذت قوساً من نار)) فرددتها^(٩٦)^(٩٧).

(٩٣) مفاتيح الغيب (٢٢٧/٢٨).

(٩٤) سورة هود، الآية (٢٩).

(٩٥) سورة سبأ، الآية (٤٧).

(٩٦) أخرجه ابن ماجة في (١٢) كتاب التجارات، (٨) باب الأجر على تعليم القرآن، حديث رقم (٢١٥٨)، (٢٦٨/٢-٢٦٩).

(٩٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، (٢٠-١٩/٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾.

الآية: ٤٤

النص: ٢١/٢٥٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا) يقول: وإن يروا قطعاً (مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ)، يقول جل ثناؤه: يقولوا لذلك الكسف من السماء الساقط: هذا سحاب مركوم يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

٤٩٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٥/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٧٧/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء المشركون قطعاً من السماء ساقطاً والكسف: جمع كسفة، مثل التمر جمع تمر، والسدر جمع سدر^(٩٨). كسف: كسوف الشمس والقمر: استتارهما بعارض مخصوص والكسفة: قطعة من السحاب، قال الله تعالى (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ)، وكسفاً: أي في هيئة قطع من السحاب^(٩٩)، وقال ابن كثير في تفسير الآية (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أي متراكم^(١٠٠)، وأوضح الألوسي فقال: أي وإن يروا كسفاً عظيماً (مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) لتعذيبهم (يَقُولُوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سَحَابٌ) أي هو سحاب (مَرْكُومٌ) متراكم ملقي بعضه على بعض أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطنا عليهم حسبما قالوا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هو سحاب متراكم يمطرنا ولم

(٩٨) جامع البيان (٤٩٧/١١).

(٩٩) البرهان في غريب القرآن (ص ٣٨١).

(١٠٠) تفسير ابن كثير (٢٤٥/٤).

يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم^(١٠١)، وقال ابن الجوزي: أي لو سقط بعض السماء عليهم، لما انتهوا عن كفرهم^(١٠٢).

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(١٠٣)، إلى قوله ﴿عَلَيْنَا كِسْفًا﴾^(١٠٤)، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعابنوا كسفًا من السماء ساقطًا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون^(١٠٥).

وهذا شأن الطغاة المعاندين، وقد سبقهم إلى ذلك قوم عاد، فإنهم حين رأوا العذاب مقبلًا نحوهم قالوا ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٠٦) (١٠٧).

ولهذه الآية نظائر في آيات أخر من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٠٨)، وقال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١٠٩).

(١٠١) روح المعاني (٣٩/٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٧٧/١٧)، والكشاف (٤/٤٠٤)، المحرر الوجيز (١٤/٧٣-٧٤)، ومفاتيح الغيب (٢٣٢/٢٨).

(١٠٢) زاد المسير (٧/٢٢٤)، ومعالم التنزيل، للبغوي (مج ٧/٣٩٤).

(١٠٣) سورة الإسراء، الآية (٩٠).

(١٠٤) سورة الإسراء، الآية (٩٢).

(١٠٥) جامع البيان (١١/٤٩٨).

(١٠٦) سورة الأحقاف، الآية (٢٤).

(١٠٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للدكتور: محمد السيد طنطاوي، مطبعة السعادة ميدان أحمد ماهر، شارع مجداوي، رقم (١٢)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (٥٨/٢٧).

(١٠٨) سورة الشعراء، الآية (١٨٧).

(١٠٩) سورة سبأ، الآية (٩).

النص: ٢٢/٢٥١ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) يقول: لا يصدقوا بحديث ولا يؤمنوا بآية.

٤٩٨/١١

النص رقم: ٢٢/٢٥١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢١/٢٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية: ٤٧

النص: ٢٣/٢٥٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ).

٤٩٩/١١

تخريج النص:

- أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٨/٢).

دراسة النص:

قوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال بعضهم: هو عذاب القبر قاله: ابن عباس، وقاتادة، وقال آخرون: عنى بذلك الجوع قاله: مجاهد. وقال آخرون: عنى بذلك: المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد قاله: ابن زيد^(١١٠)، وحكى ابن كثير عن هذه الآية وقال (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١١١)، ولهذا قال تعالى (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل إذا خلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، وفي الأثر الإلهي "كم أعصيك ولا تعاقبني"؟ قال الله

(١١٠) جامع البيان (٤٩٨/١١-٤٩٩).

(١١١) سورة السجدة، الآية (٢١).

تعالى يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري^(١١٢)؟. وقال الزمخشري: دون يوم القيامة: وهو القتل ببدر، والقحط سبع سنين، وعذاب القبر^(١١٣).

وقيل: وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموك بالتكذيب عذاباً في الدنيا غير العذاب الذي سيلاقونه في الآخرة، فسيغلبون ويقهرون ويقتلون، ولكن أكثرهم غلب عليهم العناد، والإصرار على الكفر، فلا يعلمون مصيرهم^(١١٤).

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عم فقال: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة، فتأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذاباً من الله دون يوم القيامة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) بأنهم ذائقو ذلك العذاب^(١١٥).

النص: ٢٤/٢٥٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن ابن عباس كان يقول: إن عذاب القبر في القرآن ثم تلا (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ).

٤٩٩/١١

النص رقم: ٢٤/٢٥٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٣/٢٥٢.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

(١١٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٤٥).

(١١٣) الكشاف (٤/٤٠٤)، وفتح القدير (٥/٩٩-١٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٨)، وزاد المسير (٧/٢٢٤-٢٢٥)، والمحزر الوجيز (١٤/٧٥-٧٦).

(١١٤) غاية البيان في تفسير القرآن الكريم، تأليف: محمود محمد حمزة، وحسن علوان، ومحمد أحمد برانق، أشرف على طبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، (٢٧/٣٠).

(١١٥) جامع البيان (١١/٤٩٩).

الآية: ٤٩

النص: ٢٥/٢٥٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) كنا نحدث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر، قال: وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لهما أحب إلى من حمر النعم.

٥٠١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٨٠/١٧-٨١).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٤٩/٢).

دراسة النص:

قرأ المطوعي (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) بفتح الهمزة أي أعقابها وآثارها إذا غربت^(١١٦). و(إِدْبَارَ) لا خلاف في كسر همزة^(١١٧)، وعن تفسير الآية يقول الطبري: وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ) يقول: ومن الليل فعظم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب، وقيل: عنى بذلك ركعتا الفجر قاله: ابن عباس، وقتادة، وقال آخرون: عنى بالتسبيح و(إِدْبَارَ النُّجُومِ) صلاة الصبح الفريضة قاله: الضحاك، وابن زيد^(١١٨)، وقال ابن عاشور: في قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ): سقوط طوالعها أي عند احتجاب النجوم، وسقوط طوالعها التي تطلع: أنها تسقط في جهة المغرب عند الفجر إذا أضاء عليها ابتداء ظهور شعاع الشمس، فإدبار النجوم: وقت السحر، وهو وقت يستوفي فيه الإنسان حظه من

(١١٦) إتحاف فضلاء البشر، للبناء، (ص ٤٠١-٤٠٢).

(١١٧) البذور الزاهرة، (ص ٣٠٤)، والتلخيص في القراءات الثمان، للإمام أبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري، (ت: ٤٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: محمد حسن عقيل موسى، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ص ٤٢٠)، والإرشادات الجليلة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، تأليف: محمد محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، ٩ شارع الصناديقية، الأزهر، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م (ص ٤٤٥).

(١١٨) جامع البيان (٥٠١/١١)، تفسير ابن كثير (٢٤٦/٤)، الكشف (٤٠٤/٤-٤٠٥)، والتفسير الحديث للقرآن الكريم، تأليف: حافظ عيسى عمار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده محمود نصار الحلبي وشركاه خلفاء، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، (١٨١/٢).

النوم، ويبقى فيه ميل إلى استصحاب الدعة، فأمر بالتسبيح فيه ليفصل بين النوم المحتاج إليه وبين التناوم الناشئ عن التكاثر، ثم إن وجد في نفسه بعد التسبيح حاجة إلى غفوة من النوم اضطجع قليلاً إلى أن يحين وقت صلاة الصبح، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع بعد صلاة الفجر حتى يأتيه المؤذن بصلاة الصبح، والنجوم: جمع نجم وهو الكوكب الذي يضيء في الليل غير القمر، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾^(١١٩)، والآية تشير إلى أوقات الرغائب من النوافل وهي صلاة الفجر والأشفاق بعد العشاء وقيام آخر الليل، وقيل: أشارت إلى الصلوات الخمس بوجه الإجمال وبينته السنة^(١٢٠).

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ولم تقم حجة يجب التسليم لها أن قوله فسبحه على الندب، وأن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض^(١٢١).

النص: ٢٦/٢٥٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال: ركعتان قبل صلاة الصبح.

٥٠١/١١

النص رقم: ٢٦/٢٥٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٥٤/٢٥٤.

(١١٩) سورة النحل، الآية (١٢).

(١٢٠) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/٨٥-٨٦)، وكتاب تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، تأليف: الشيخ

إسماعيل حقي البروسي، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، دار القلم دمشق، الطبعة

الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م (مج٤/١٧٠).

(١٢١) جامع البيان (١١/٥٠٢).

(٥٣) سورة النجم مكية عدد آياتها (٦٢)

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

الآيتان: ١، ٢

النص: ١/٢٥٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) قال: قال عتبة^(١) بن أبي لهب: كفرت برب النجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما تخاف أن يأكلك كلب الله) قال: فخرج في تجارة إلى اليمن، فبينما هم قد عرسوا،^(٢) إذ سمع صوت الأسد، فقال لأصحابه إني مأكول، فأحدقوا به وضرب على أصمختهم^(٣) فناموا، فجاء حتى أخذه، فما سمعوا إلا صوته.

٥٠٣/١١

(١) عتبة بن أبي لهب: هو عتبة بن أبي لهب، واسم أبي لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمّه أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكان لعتبة من الولد، أبو علي وأبو الهيثم وأبو غليظ، وأمهم عتبة بنت عوف بن عبد مناف، وعمرو ويزيد وعباس وميمونة وأمهم أم العباس بنت شراحيل. انظر، الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (كاتب الواقدي)، (٤/٤١)، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عتبة بن أبي لهب، فلما نزلت: (تب يدا أبي لهب) "المسد ١"، قالت أمه أم جميل: قد هجانا محمد، وعزمت على ابنها عتبة أن يطلق رقية، عزم عليه أبو ايضاً. انظر: أنساب الأشراف، تصنيف: أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف مصر، د.ط، د.ت. (١/٤٠١)

(٢) عرسوا: التعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعه للاستراحة ثم يرتحلون، أنظر: مختار الصحاح (ص: ٤٢٣).

(٣) أصمختهم: أصمخ: أصل الصماخ هو ثقب الأذن الماضي إلى داخل الرأس، انظر: لسان العرب (مج ٨/٢٨٠).

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في مسنده (٢٥٠/٢)

- أورده السيوطي في الدرر المنثور (١٥٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

اختلف أهل التأويل في قوله: **(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)** فقال بعضهم: عني بالنجم: الثريا، وعني بقوله: **(إِذَا هَوَى)**: إذا سقط، قالوا تأويل الكلام: والثريا إذا سقطت، ذكره مجاهد، وسفيان، وابن عباس، وآخرون قالوا معني ذلك: والقرآن إذا نزل، ذكره مجاهد أيضاً^(٤). قال الحسن: أقسم الله بالنجوم إذا غابت، وقيل المراد به النجوم التي ترجم بها الشياطين^(٥). وهذا الرازي قال ما قاله المفسرون إلا أنه أوضح فقال: أما على القول المراد الثريا فهو أظهر النجوم عند الرائي لأنه له علامة لا يلتبس بغيره في السماء ويظهر لكل أحد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بآيات بينات فأقسم به، ولأن الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبكر حان إدراك الثمار، وإذا ظهرت بالعشاء أواخر الخريف تقل الأمراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشك والأمراض القلبية وأدركت الثمار الحكيمة والحلمية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء نقول النجوم بها الاهتداء في البراري فأقسم الله بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة، وعلى قولنا المراد الرجوم من النجوم، فالنجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والأنبياء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض، وعلى قولنا المراد القرآن فهو استدلال بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته فهو كقوله تعالى: **﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**^(٦) ما ضللت ولا غويت. وعلى قولنا النجم هو النبات، فنقول النبات به ثبات القوي الجسمانية وصلاحها والقوي العقلية أولى بالإصلاح، وذلك بالرسول وإيضاح السبل، ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي في السماء لأنها أظهر عند السامع

(٤) جامع البيان، (٥٠٣/١١).

(٥) الجامع للأحكام القرآن (٨٢/١٧)، تفسير ابن كثير، (٣١٥/٤).

(٦) سورة يس، الآيات (١-٢-٣-٤).

وقوله: (إِذَا هَوَىٰ) أدل عليه، ثم بعد ذلك القرآن أيضاً فيه ظهور ثم الثريا^(٧). وقال ابن عطية: أقسم الله تعالى بهذا المخلوق تشريفاً له وتنبهياً منه ليكون معتبراً فيه، حتى تقول العبرة فيه إلى معرفة الله تبارك وتعالى، وقيل: المعني: ورب النجم^(٨). وقال الفراء في معني الآية: أقسم تبارك وتعالى بالقرآن لأنه كان ينزل نجوماً، الآية والآيتان، وكان بين أول نزوله وآخره عشرون سنة^(٩). وقال السدي: أنها الزهرة، لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها.

وقال مقاتل: وهي أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة^(١٠). ثم قال المراغي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم راشد مرشد تابع للحق، ليس بضال ولا هو بسالك للطريق بغير علم، ولا هو بغاوي يعدل عن الحق قصداً إلى غيره، وبهذا نزه الله رسوله وشرعه عن مشايعة أهل الضلال من اليهود والنصارى الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه، فهو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد^(١١).

والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عني بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك ان العرب تدعوها النجم، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة - وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: عني بقوله: (وَالنَّجْمِ) والنجوم. وقال ذهب إلى لفظ الواحد، وهو في معني الجميع - قول لا نعلم أحداً من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه، فلذلك تركنا القول به^(١٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

الآيتان: ٣،٤

(٧) مفاتيح الغيب (٢٨/٢٤١)، وفتح القدير (٥/١٠٤-١٠٥)، وزاد المسير (٧/٢٢٦-٢٢٧)، وروح المعاني (٢٧/٤٤-٤٥).

(٨) المحرر الوجيز (١٤/٨٠).

(٩) معاني القرآن، للفراء (٣/٩٤).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/٣٨٩-٣٩٠).

(١١) تفسير المراغي (مج/٩/٤٥)، وجامع البيان (١١/٥٠٤).

(١٢) جامع البيان (١١/٥٠٤).

النص: ٢/٢٥٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى) : أي ما ينطق عن هواه (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) قال: يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

٥٠٤/١١

تخريج النص:

- وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٣١٥/٤).
- والألوسي في روح المعاني (٤٦/٢٧-٤٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٥٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

قرأ حمزة والكسائي (الْهَوَى) و(يُوحَى) بالإمالة^(١٣). وفي معناه: يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه، قال قتادة. وقيل: عني بقوله: (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى) بالهوى^(١٤). وقال الرازي في معني الآية الكريمة: كانوا يقولون هو قول كاهن، هو قول شاعر فأراد نفي قولهم، وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد فقال: بل هو وحي^(١٥).

وقيل: (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى)، أي ما يصدر نطقه بالقرآن، عن هواه ورأيه أصلاً. (إِنَّ هُوَ) : أي ما الذي ينطق به (إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) من الله تعالى، قوله: (يُوحَى) صفه مؤكدة مفيدة للاستمرار التجديدي (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى) دليل على أنه صلى الله عليه

(١٣) كتابة السبعة في القراءات، لأبن مجاهد تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، (ص ٦١٤).

(١٤) انظر: جامع البيان (٥٠٤/١١)، وتفسير ابن كثير (٣١٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن

(١٧/٨٤-٨٥)، وزاد المسير (٢٢٧/٧)، وروح المعاني (٤٦/٢٧-٤٧)، والمحزر الوجيز (٨٥/١٤)،

وفتح القدير (١٠٥/٥)، ومعالم التنزيل (مج٧/٤٠٠).

(١٥) مفاتيح الغيب (٢٤٥/٢٨).

وسلم ما ضل وما غوي، رداً عليهم أقوالهم الباطلة (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) أي ما هو إلا وحي من عند الله، ليس بقول كاهن ولا شاعر^(١٦).

وقد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضاً دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل^(١٧).
أنفرد قتادة بروايته ولم يخالف في معني الآية أهل العلم.

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق)^(١٨).

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

الآية: هـ

النص: ٣/٢٥٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) يعني جبريل.

٥٠٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٧٤).
- وأورده السيوطي في الدرر المنثور (٦/١٥٦) وعزاه عبد بن حميد وابن المنذر.

(١٦) المقتطف من عيون التقاسير، للمرحوم فضيلة الشيخ /الحسن المنصوري، (مج٥/١١٤).

(١٧) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٨٥).

(١٨) أخرجه:

١- أبو داود في: (١٩) كتاب العلم، (٣) باب في كتاب العلم، حديث رقم: (٣٦٤٦)، (٤/٦٠-٦١).

٢- وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/١٦٢).

دراسة النص:

وقوله: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) يقول تعالى ذكره: علم محمداً صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، وعني بقوله: (شَدِيدُ الْقُوَى) شديد الأسباب والقوى: جمع قوة، كما الجثي: جمع جثوة، والحببي: جمع حبوة ومن العرب من يقول: القوي: بكسر القاف، كما تجمع الرشوة رشا بكسر الراء، والحبوة حبا. وقد ذكر عن العرب أنها تقول: رشوة بضم الراء، ورشوة بكسر الراء، فيجب أن يكون جمع من جمع ذلك رشا بكسر الراء على لغة من قال: واحدها رشوة، وأن يكون جمع من جمع ذلك بضم الراء، من لغة من ضم الراء في واحدها. وإن جمع بالكسر من كان لغته من الضم في الواحدة، أو بالضم من كان من لغته الكسر، فإنما هو حمل إحدى اللغتين على الأخرى^(١٩). وقال الحسن: المعلم الشديد القوي هو الله تعالى^(٢٠).

وقال الزمخشري: هو جبريل عليه السلام، ومن قوته أنه اقتلع قري قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف - أسرع من الوحي وهو السرعة - ورأي إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة، فنفحه بجناحه نفحه فألقاه في أقصى جبل بالهند^(٢١).

أرى أن معني قوله تعالى: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى): هو جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين، سوي الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل.

ويؤيد ما قاله المفسرون قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي

الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^(٢٢).

قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

(١٩) جامع البيان (١١/٤٠٥-٥٠٥)، وفتح القدير (٥/١٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٨٥)، وتفسير

ابن كثير (٤/٢٤٧)، وزاد المسير (٧/٢٢٧).

(٢٠) المحرر الوجيز (٤/٨٥).

(٢١) الكشاف (٤/٤٠٨).

(٢٢) سورة التكوير: الآيات (١٩-٢٠-٢١).

الآية: ٦

النص: ٤/٢٥٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى):
ذو خلق طويل حسن.

٥٠٥/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٥٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (ذُو مِرَّةٍ) فقال بعضهم: معناه: ذو خلق حسن، قال ذلك: ابن عباس، وقتادة. وقال آخرون: بل معني ذلك: ذو قوة قاله: مجاهد، وسفيان، وابن زيد^(٢٣). وقال الزمخشري: ذو حصافه في عقله ورأيه ومثانه في دينه^(٢٤). وبلغ آخر قيل: المِرَّة: حصافة العقل وإحكامه قال الله تعالى: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى). والمِرَّة: قوة الخلق وشدته^(٢٥). وقيل: وهذا بيان لما وضع له اللفظ لأن العرب تقول لكل قوي العقل والرأي ذو مرة من أمرت الحبل إذا أحكمت فتله، وأصله من شدة فتل الحبل كأنه استمد به الفتل حتى بلغ إلى غاية يضعف معها الحبل^(٢٦).

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالمِرَّة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قوياً، وإنما قلنا إن ذلك

(٢٣) جامع البيان (٥٠٥/١١)، تفسير ابن كثير (٢٧٤/٤)، وفتح القدير (١٠٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٨٥/١٤-٨٦)، وزاد المسير (٢٢٧/٧-٢٢٨)، والمحزر الوجيز (٨٦/١٤-٨٧)، ومفتاح الغيب (٢٤٦/٢٨).

(٢٤) الكشف (٤٠٨/٤).

(٢٥) البرهان في غرائب القرآن، مؤلفه: حسن بن عبد السلام بن عمر بن صالح بن عمر الحبشي (ص: ٤١٩).

(٢٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف: سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل المتوفى (١٢٠٤هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، د. ط، د.ت، (٢٢٤/٤).

كذلك، لأن المرة واحدة المرر، وإنما أريد به: ذو مرة سوية. وإذا كنت المرة صحيحة، كان الإنسان صحيحاً، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي^(٢٧))^(٢٨).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾

الآية: ٧

النص: ٥/٢٦٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) والأفق: الذي يأتي منه النهار.

.٥٠٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٨٤/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٨٨/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله: (فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) يقول: فاستوي هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: (وَهُوَ) على ما في قوله: (فَاسْتَوَى) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلما يقولون: استوى وفلان. وقد قيل: إن المستوى: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك، فلا مؤنة في ذلك، لأن قوله: (وَهُوَ) من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجه

(٢٧) أخرجه أبو داود في: (٣) كتاب الزكاة، (٢٣) باب من يعطي من الصدقة، وحد الغني، حديث رقم:

(١٦٣٤)، (٢٨٥-٢٨٦).

(٢٨) جامع البيان (٥٠٥/١١-٥٠٦).

معني قوله: (فَأَسْتَوَى): أي ارتفع واعتدل^(٢٩). وأوضح ابن كثير في معني الآية وقال: أن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه فاقترّب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهي يعني ليلة الإسراء وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مره فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة، ذهب النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فيها مراراً ليرتدى من رؤوس الجبال فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق فاقترّب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه^(٣٠). وقال النيسابوري: في قوله: (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) أي الأشرف وهو الشرقي^(٣١). وقيل من قبل مطلع الشمس^(٣٢).

إن الصواب في معني هذه الآية، قول من قال الأفق الأعلى هو الجهة العليا من السماء، وهو أفق الشمس أي استوائه، واستواء الشمس يأتي منه النهار وهذا ما قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾

الآية: ٨

النص: ٦/٢٦١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) يعني: جبريل.

(٢٩) جامع البيان (٥٠٦/١١)، وزاد المسير (٢٢٨/٧)، وفتح القدير (١٠٥/٥-١٠٦)، والمحزر الوجيز (٨٨-٨٧/١٤)، والجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٧)، مفتاح الغيب (٢٤٦/٢٨-٢٤٧). الكشف (٤٠٩/٤).

(٣٠) تفسير ابن كثير (٢٤٨/٤).

(٣١) غرائب القرآن ورجائب الفرقان، (٢٧/٢٧).

(٣٢) بحر العلوم (٢٨٩/٣).

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨١/٣).

- ومسلم في صحيحه (١٦٠/١).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه. وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله: (دَنَا) إذا كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو، كما يقال: زارني فلان فأحسن فأحسن، وأحسن إليّ فزارني، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني، لأن الإساءة هي الشتم، والشتم هو الإساءة^(٣٣). وفي قوله: (ثُمَّ دَنَا) ثلاثة أقوال:

إحدهما: أنه الله عز وجل، قاله ابن عباس ومقاتل.

الثاني: أنه محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه، قاله ابن عباس كذلك، والقرظي.

الثالث: أنه جبريل، ثم في الكلام قولان:

إحدهما: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فنزل إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم، قاله: الحسن، وقتادة.

والثاني: دنا جبريل من ربه عز وجل فكان منه قاب قوسين أو أدنى، قاله:

مجاهد^(٣٤).

وحكي ابن قيم الجوزية عن معني الآية وقال: ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى، ودنوه وتدليه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيحاء الله ما أوحى. فصور - سبحانه لأهل الإيمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده، إلى أن استوى بالأفق، ثم دنا وتدلى وقرب من رسوله، فأوحى إليه ما أمره الله بإيحاءه، حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال ويعاينونها هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى. مستوياً عليه ثم نزل وقرب من محمد صلى الله عليه وسلم وخاطبه بما أمره الله به، قائلاً: ربك

(٣٣) جامع البيان (٥٠٦/١١-٥٠٧).

(٣٤) زاد المسير (٢٢٨/٧-٢٢٩)، والكشاف (٤٠٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٧-٨٩)، وفتح

التقدير (١٠٣/٥).

يقول لك كذا وكذا^(٣٥). وقال الزجاج: ومعني: (دَنَا فَتَدَلَّى) واحد، لأن المعني أنه قرب، وتدلَّى زاد في القرب كما تقول: قد دنا فلان مني وقرب، ولو قلت: قد قُرِبَ مني ودنا جاز^(٣٦).

ومن دراستي لهذا النص وضح أن معظم المفسرين يرجحون قول من قال في معني قوله: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى): أنه جبريل.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾

الآية: ١٠

النص: ٧/٢٦٢ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) قال: عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه.

٥٠٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٤٩/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٩١/١٧-٩٢).

دراسة النص:

وقوله: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه، وجعلوا قوله: (مَا أَوْحَىٰ) بمعنى المصدر. وقد يتوجه على هذا التأويل (مَا) لوجهين: إحداهما: أن تكون بمعنى (الذي)

(٣٥) الضوء المنير على التفسير لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية - جمعه: على الحمد للمحمد الصالحي - (مج ٥/٥٠٥).

(٣٦) معاني القرآن وإعرابه (٧٠/٥).

فيكون معني الكلام فأوحى إلى عبده الذي أوحاه إليه ربه. والآخر: أن تكون بمعني المصدر (٣٧).

وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معني ذلك فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جري في أول السورة بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جبريل عليه السلام، وقوله: (فَأَوْحَى إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) في سياق ذلك ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه (٣٨).

النص: ٨/٢٦٣ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام قال: ثني أبي، عن قتادة (فَأَوْحَى إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) قال الحسن: جبريل.

٥٠٩/١١

النص رقم: ٨/٢٦٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧/٢٦٢.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾

الآية: ١١

النص: ٩/٢٦٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) قال: رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قال: وهو الذي رآه نزلة أخري.

٥١١/١١

تخريج النص:

- أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٨/١).
- والترمذي في سننه (٣٥٦/٥).
- والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥٠٩/٢).

(٣٧) جامع البيان (٥٠٩/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٤٩/٤)، والكشاف (٤١٠/٤)، وزاد المسير (٢٢٩/٧)،

وفتح القدير (١٠٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩١/١٧-٩٢).

(٣٨) جامع البيان (٥١٠/١١).

دراسة النص:

وقوله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) يقول تعالى ذكره: ما كذب فؤاد محمد محمداً الذي رأي، ولكنه صدقه. واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذبه، فقال بعضهم: الذي رآه فؤاده رب العالمين، وقالوا جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده ولم يره بعينه، قال هذا: ابن عباس، وعكرمة وأبي صالح، والربيع. وقال آخرون: بل الذي رآه فلم يكذبه جبريل عليه السلام قال: عبد الله بن مسعود: قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت جبريل عند سدره المنتهي، له ست مئة جناح، ينفض من ريشه التهاويل الدرر والياقوت) (٣٩)، فوافق ما قاله قتادة (٤٠).

وذكر الطبري وقال: اختلف القراء في قراءة قوله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ومكة والكوفة والبصرة (كَذَّبَ) بالتخفيف، غير عاصم والجحدري (٤١) وأبي جعفر القارئ والحسن البصري فإنهم قرأوه (كَذَّبَ) بالتشديد، بمعنى: أن الفؤاد لم يكذب الذي رأي، ولكنه جعله حقاً وصدقاً، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرئ كذلك: ما كذب صاحب الفؤاد ما رأي، والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها (٤٢).

اختلف المفسرون في معنى الآية، ولكن الذي يرجح هذا الاختلاف حديث عائشة رضي الله عنها: قال مسروق: دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت: لقد

(٣٩) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق، (٧) باب إذا قال أحدكم: أمين والملائكة في السماء: أمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (٣٢٣٢)، (٦٠٤/٢).

(٤٠) جامع البيان (٥١٠/١١-٥١١)، وتفسير ابن كثير (٢٤٩/٤-٢٥٠)، والكشاف (٤١٠/٤)، وزاد المسير (٢٢٩/٧)، فتح القدير (١٠٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩٢/١٧-٩٣).

(٤١) الجحدري: هو ابن العجاج، ويكنى أبا المجشّر البصري، ويقال له: عاصم بن أبي الصباح. قرأ القرآن على نصر بن عاصم وآخرون، وتصدر للإقراء، فقرأ عليه المعلى بن عيسى، وهارون بن موسى وآخرون، وقال المدائني: توفي سنة ثمان وعشرين ومائة. وقال غيرهم: مات قبل الثلاثين ومائة. وقل ما روى من الحديث. انظر: طبقات القراء، للذهبي، (٨٠/١-٨١).

(٤٢) جامع البيان (٥١١/١١).

تكلت بشيء وقف له شعري فقلت: رويداً ثم قرأت (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (٤٣) فقالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ (٤٤) فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سد الأفق (٤٥)(٤٦).

وهو ما قاله قتادة: رأى جبريل في صورته التي هي صورته.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾

الآية: ١٤

النص: ١٠/٢٦٥ حدثنا محمد بن المثنى، قال ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة (٤٧)، رجل من قومه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ((لما انتهيت إلى السماء السابعة أتيت على إبراهيم فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، قال: ثم رفعت لي سدرة المنتهى)) فحدث نبي الله أن نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفيلة.

٥١٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٥/٢ - ٥٩٧).
- وأحمد بن حنبل في مسنده (١٦٤/٣).

(٤٣) سورة النجم، الآية (١٨).

(٤٤) سورة لقمان، الآية (٣٤).

(٤٥) أخرجه البخاري، في (٦٥) كتاب تفسير القرآن، (٥٣) سورة النجم، (١) باب، حديث رقم (٤٨٥٥)، (٤٩٦/٣-٤٩٧).

(٤٦) تفسير ابن كثير (٢٥٠/٤).

(٤٧) مالك بن صعصعة: هو مالك بن صعصعة الأنصاري الخزرجي ثم المازني، من بني مازن بن النجار. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢٥١/٤).

دراسة النص:

وقوله (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) يقول تعالى ذكره: ولقد رآه عند سدرة المنتهى، و (عند) من صلة قوله (رآه) والسدرة^(٤٨): شجرة النبق^(٤٩)(٥٠).

وذكر كذلك في معنى قوله تعالى: (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) أي وذلك ليلة أسري به صلى الله عليه وسلم، ووصفت هذه السدرة وهي شجرة النبق بأن أوراقها كأذان الفيلة وأن ثمرها كقلال هجر قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيّرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها.

وسميت سدرة المنتهى لانتهاه علم كل عالم من الخلق إليها أو لكونها عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة^(٥١).

وقيل في معنى هذه الآية: أي ولقد رآه مرةً أخرى لما رآه هذه المرة فكان ظاهراً له بهيئته، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فما حصل في الأولى حصل في الأخرى، ولم يكن ذلك في الأرض، بل كان عند شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، وهي في منتهى الجنة أي آخرها ولم يجاوزها أحد في الرقي من الخلائق وعلم الملائكة ينتهي إليها، وما وراءها غيب لا يعلمه إلا الله، وأرواح الشهداء أيضاً تنتهي إليها أو هي منتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، وفي الحديث أن نبقها كقلال هجر، وإن أوراقها كأذان الفيلة، ومن وصفها أن الراكب يسير في ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة

(٤٨) السدر: شجر معروف صحراوي فيه ثلاث ميزات: ظل ظليل وثمر لذيذ ورائحة ذكية. انظر: أيسر التفاسير، لأبوبكر الجزائري، (مج/٥/١٩٠).

(٤٩) النبق: بكسر الباء: ثمر السدر، والواحدة نبقة، ويقال: نبق بفتح النون وسكون الباء، وقد ذكر اللغتين ابن السكيت في "إصلاح المنطق"، وهي لغة المصريين، والأولى أفصح، وهي التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: المحرر الوجيز، (٩٦/١٤).

(٥٠) انظر: جامع البيان (٥١٤/١١)، والكشاف (٤١١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٩٤/١٧ - ٩٥)، وفتح القدير (١٠٤/٥)، والمحرر الوجيز (٩٦/١٤ - ٩٧)، وزاد المسير (٢٣٠/٧).

(٥١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (مج/٥/١٩٠).

ألف راكب فيها فراش الذهب، ووصفها مقاتل أنها شجرة تحمل الحلي، والحلل والثمار من جميع الألوان ولو أن ورقة وضعت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض^(٥٢). وما قاله قتادة لا خلاف فيه بين جمهور المفسرين.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾

الآية: ١٥

النص: ١٢/٢٦٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) قال: منازل الشهداء.

٥١٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٧/١).
- والقرطبي في تفسيره (٩٦/١٧).

دراسة النص:

وقوله: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) يقول تعالى ذكره: عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء، قاله: ابن عباس وقتادة^(٥٣)، ومثلهم قال الحسن^(٥٤)، وقال القرطبي: قيل: هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أخرج منها وهي في السماء السابعة. وإنما قيل لها: جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتتعمون بنعيمها ويتتسمون بطيب ريحها^(٥٥)، وذكر الفراء: بأنها الجنة التي فيها أرواح الشهداء^(٥٦).

(٥٢) الجواهر في تفسير القرآن، تأليف: الشيخ طنطاوي جوهرى (٢٢١/٢٣).

(٥٣) جامع البيان (٥١٧/١١).

(٥٤) انظر: الكشاف (٤١١/٤)، زاد المسير (٢٣٠/٧)، مفاتيح الغيب (٢٥٢/٢٨)، وفتح القدير (١٠٧/٥)، المحرر الوجيز (٩٧/١٤ - ٩٨).

(٥٥) الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١٧).

(٥٦) معاني القرآن (٩٧/٣).

قال أبو الفتح: يقال: جَنَّ عليه الليل، وأجَّنَّه الليل، وقالوا أيضاً: جَنَّةً بغير همز، ولا حرف جر^(٥٧)، وقال القاسمي: أي التي يأوي إليها أرواح المقربين^(٥٨)، وقال ابن مسعود: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى^(٥٩). والقول الراجح هو: منازل الشهداء، لأنه قال به أكثر المفسرين.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

الآية: ١٨

النص: ١٣/٢٦٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الأعمش، أن ابن مسعود قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم ررفراً أخضر من الجنة قد سد الأفق.

٥١٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٩/١).
- والقرطبي في تفسيره (٩٨/١٧).

دراسة النص:

قوله تعالى: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) فيه قولان:

أحدهما: لقد رأى من آيات ربه العظام.

والثاني: لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

وللمفسرين في المراد بما رأى من الآيات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رأى ررفراً أخضر من الجنة قد سد الأفق، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات، قاله ابن زيد.

(٥٧) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني، (٢٩٣/٢).

(٥٨) محاسن التأويل (٢٣١/١٥).

(٥٩) فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٢٥٣/١٣).

الثالث: أنه رأي من أعلام ربه وأدلتها الأعلام والأدلة الكبرى، قاله ابن جرير^(٦٠).
فقوله تعالى (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) كقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٦١)، دون تحديد المرئي للإشارة إلى تعظيمه وتفخيمه وأهميته^(٦٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾

الآية: ١٩

النص: ١٤/٢٦٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) أما اللات فكان بالطائف.

٥٢٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٥٣/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٦٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها المشركون اللات؟ وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة، وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذاك سمي المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العزّي، وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، وذكر أن اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش، وقال بعضهم: كان بالطائف^(٦٣).

(٦٠) انظر: جامع البيان (٥١٩/١١)، وزاد المسير (٢٣٠/٧ - ٢٣١)، وفتح القدير (١٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٧ - ٩٩)، وتفسير ابن كثير، (٢٥٢/٤ - ٢٥٣)، والكشاف (٤١١/٤)، والمحرر الوجيز (٩٩/١٤ - ١٠٠).
(٦١) سورة الإسراء، الآية (١).
(٦٢) التفسير المنير (١٠٤/٢٧).
(٦٣) جامع البيان (٥١٩/١١ - ٥٢٠).

وقال ابن كثير: يقول تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ) وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء، معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش^(٦٤)، قال الشوكاني: كان ببطن نخلة^(٦٥).

إن قلت (رأى) هنا من رؤية القلب، فأين مفعولها الثاني؟ قلت: هو محذوف تقديره: أفرايتموها بنات الله وأنداده؟ والمعنى: أخبروني أهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها، دون القادر على كل شيء^{(٦٦)!}!

وقال ابن عطية في معنى هذه الآية: وقول قتادة أرجح، ويؤيده قول الشاعر:
وَفَرَّتْ تَقِيفُ إِلَى لَاتِهَا *** بُمَنْقَلِبِ الْخَائِفِ الْخَاسِرِ
ثقيف: قبيلة كانت بالطائف، وهذا دليل على أن "اللات" كانت بالطائف^(٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾

الآية: ٢٠

النص: ١٥/٢٦٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) قال: أما مناة فكانت بقديد^(٦٨)، آلهة كانوا يعبدونها، يعني اللات والعزة ومناة.

٥٢١/١١

تخريج النص:

(٦٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤)، وزاد المسير (٢٣١/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٩٩/١٧).
(٦٥) فتح القدير (١٠٥/٥).

(٦٦) كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تأليف: شيخ الإسلام الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، حققه: الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (ص ٥٣٩).

(٦٧) المحرر الوجيز (١٠١/١٤).

(٦٨) قُديد: اسم موضع قرب مكة. انظر: معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي الغدادي، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، (٣١٣/٤).

- أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٥/٢).
- وأبي داود في سننه (١٨١/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٦٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

قوله: (وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الْأُخْرَى) قال ابن زيد: مناة بيت كان بالمشلل^(٦٩) يعبده بنو كعب^(٧٠)، وقال قتادة: مناة كانت بقديد^(٧١)، وذكر القرطبي، سمي (مناة) بذلك لأنهم كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه، وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء، قرأ ابن كثير وابن محيصن (وَمَنَاةٌ) بالمد والهمز^(٧٢).

قال ابن كثير في هذه الآية: وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة^(٧٣) والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وقال ابن إسحاق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتُهدى لها كما تُهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبنو كنانة^(٧٤) العزى بنخلة وكان سدنتها

(٦٩) المشلل: هو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. انظر: معجم البلدان، (١٣٦/٥).

(٧٠) بنو كعب: بطن من خزاعة، من بني مزقياء، من الأزد، من القحطانية، وهم بنو كعب بن عمرو بن ربيعة - وهو يحيي - بن حارثة بن مزقياء، كان له من الولد: سعد، بطن، وسلول، وحبشية، منهم: عمران بن حصين الصحابي رضي الله عنه. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تأليف: أبي العباس أحمد القلقشندي، (ص ٤٠٦).

(٧١) جامع البيان (٥٢١/١١).

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠١/١٧).

(٧٣) خزاعة: قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، منازلهم: كانوا بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه، من جبالهم: الأبواء، ومن مياههم: بيضان، الوتيد، المريسيع. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣٣٨/١ - ٣٣٩).

(٧٤) بنو كنانة: بطن من مضر، من القحطانية، قال أبو عبيد: وهم في اليمن، وديارهم بجهات مكة المشرفة. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص ٤٠٨ - ٤٠٩).

وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم^(٧٥) (قلت): بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عزي كفرانك لا سبحانك *** إني رأيت الله قد أهانك

وروي أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فاتاها خالد وكانت على ثلاث سمرة فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ((أرجع فإنك لم تصنع شيئاً)) فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبته أمعنوا في الحيل وهم يقولون يا عزي يا عزي فاتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ((تلك العزى))^(٧٦).

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لتقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب^(٧٧) (قلت) وقد بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا

(٧٥) بني هاشم: هذه النسبة إلى هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم وكل علوي وعباسي فهو هاشمي. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، (٣/٣٨٠)، وبني هاشم: بطن من قريش، من العدنانية: وهم بنو هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكانوا متقاسمين مع عبد شمس رئاسة بني عبد مناف، فكانت الرفاة والسقاية لبني هاشم، ومن خصال بني هاشم ما عبر عنها علي بن أبي طالب: خصصنا بخمس: فصاحة، وصباحة، وسماحة، ونجدة، وخطوة. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣/١٢٠٧).

(٧٦) أخرجه النسائي في: (٨٢) كتاب التفسير، تفسير سورة النجم، (٣٥٩): قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) (الآية ١٩)، حديث رقم (٣/١١٥٤٧)، (٦/٤٧٤). انظر: كتاب السنن الكبرى، تصنيف الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: دكتور: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٧٧) بني معتب: بني معتب بن مالك، بطن من ثقيف، من هوازن ومن العدنانية، وهم بنو معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣/١١٢١).

سفيان^(٧٨) صخر بن حرب فهدها وجعلها مكانها مسجداً بالطائف قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدها ويقال علي بن أبي طالب^(٧٩).

قال ابن عطية: وأما مناة كانت أعظم هذه الأوثان قدراً، وأكثرها عابداً، وكانت الأوس والخزرج تُهلّ لها، ولذلك قال الله تعالى: (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) فأكدتها بهاتين الصفتين، كما تقول: رأيت فلاناً وفلاناً ثم تذكر ثالثاً أجل منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمره وشأنه ولفظه (آخر) و(أخرى) يوصف بهما الثالث من المعدودات^(٨٠).

وقيل: اللات صنم كان بالطائف، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف وقيل شجرة، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل^(٨١) وخزاعة بين مكة والمدينة^(٨٢).

ومن لطائف الآيات: أخبرونا... هل لهذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله من القدرة أن تفعل بعائذ بها ما فعلنا نحن لمحمد صلى الله عليه وسلم من الرتب والتخصيص^(٨٣)؟

تري الباحثة أن قتادة لم يخالف المفسرين في معنى الآية.

(٧٨) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي، أبو سفيان القرشي الأموي وأم أبي سفيان صفية بنت حزن، وهي عمه ميمونة بنت الحارث بن حزن، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. ولد قبل الفيل بعشر سنين، وأسلم ليلة الفتح، وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، كما أعطى سائر المؤلفات، وفقت عين أبي سفيان يوم الطائف، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على نجران، فمات النبي صلى الله عليه وسلم، وهو وال عليها، ورجع إلى مكة فسكنها برهة، ثم عاد إلى المدينة فمات بها. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٣٩٢/٢).

(٧٩) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ - ٢٥٤)، الكشاف (٤١٢/٤ - ٤١٣)، وزاد المسير (٢٣١/٧ - ٢٣٢)، ومعاني القرآن، للفراء (٩٨/٣).

(٨٠) المحرر الوجيز (١٠٢/١٤).

(٨١) هذيل: هذه النسبة إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وأكثر أهل وأدي نخلة بالقرب من مكة من هذيل. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، (٣٨٣/٣).

(٨٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٦/٣).

(٨٣) لطائف الإشارات، للقشيري، (مج٦/٥٢).

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾

الآية: ٢٢

النص: ١٦/٢٧٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى^(٨٤)) يقول: قسمة جائزة.

تخريج النص:

- أوردته السيوطي في الدر المنثور (١٦٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى: (تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قرأ ابن كثير (ضيزى) بهمزة ساكنة بعد الضاد (ضِيزَى)، والباقون بالإبدال ياء^(٨٥)، وفي تفسيرها يقول جل ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائزة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وأثرتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضيزته حقه بكسر الضاد، وضيزته بضمها فأنا أضيظه وأضوزه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته^(٨٦). وفي معناه قول سفيان منقوصة، وابن زيد مخالفة، ومجاهد ومقاتل عوجاء، والحسن غير معتدلة، والظاهر أنه صفة^(٨٧)، وفي معنى آخر: إن قسمتكم جائزة عن شرعة العدل، مائلة عن الحق إذ جعلتم لله ما تستتكفون منه^(٨٨).

والقول في معنى قوله تعالى: (تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى)، قال به أئمة التفسير، وهو

ما ذكره قتادة.

(٨٤) ضيزى، جائرة. انظر: العمدة في غريب القرآن، (ص ٢٨٧).

(٨٥) انظر: الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، الدكتور: محمد سالم محيسن، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (ص ٤٤٦)، والفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأمانى، تأليف: محمد البيومي الشهير بأبي عياشة الشافعي الدمنهوري، حققه: عبد العزيز بن ناصر السبر، ١٤١٧هـ، (ص ٢٦٧).

(٨٦) انظر: جامع البيان (٥٢١/٤)، وتفسير ابن كثير (٢٥٤/٤)، والكشاف (٤١٣/١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٢/١٧ - ١٠٣)، وزاد المسير (٢٣٢/٧)،

(٨٧) روح المعاني (٥٧/٢٧).

(٨٨) غاية البيان في تفسير القرآن الكريم، (٣٧/٢٧).

النص: ١٧/٢٧١ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (تِلْكَ إِذَا قَسَمَةُ ضِيْرَى) قال: قسمة جائرة.

٥٢٢/١١

النص رقم: ١٧/٢٧١ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٦/٢٧٠.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾

الآية: ٣٢

النص: ١٨/٢٧٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ^(٨٩)) واللمم: ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة: موجبة قد أوجب الله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليه الحد في الدنيا.

٥٢٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥١٠/٣).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٦٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٨٩) اللمم: أن يلم بشيء ليس من الفواحش والكبائر. انظر: غرب القرآن وتفسيره (ص ٣٥٥).

دراسة النص:

قوله (إِلَّا اللَّمَمَ) اختلف أهل التأويل في معنى (إِلَّا) في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به، قال ذلك: ابن عباس، وابن زيد، ومسروق، والشعبي، وقال آخرون: بل ذلك استثناء صحيح، ومعنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إلا أن يلم بها ثم يتوب قاله: مجاهد، وأبي هريرة، والحسن، وقال آخرون ممن وجه معنى (إِلَّا) إلى الاستثناء المنقطع: اللمم: هو دون حد الدنيا وحد الآخرة، قد تجاوز الله عنه قال ذلك: عكرمة، وقتادة، والضحاك^(١). وقال ابن كثير: هذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال^(٢)، وقال الكلبي: كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً^(٣).

وقال الفراء: (إِلَّا اللَّمَمَ) إلا المتقارب من صغير الذنوب، وسمعت العرب تقول: ضربة ما لمم القتل، (ما) صلة يريد: ضربه ضرباً متقارباً للقتل، وسمعت من آخر: ألم يفعل، في معنى، كاد يفعل^(٤).

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال (إِلَّا) بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجه معنى الكلام إلى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفو لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٥)، فوعد جل ثناؤه: باجتتاب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبي صلى الله

(١) انظر: جامع البيان (٥٢٥/١١ - ٥٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٧ - ١٠٨)، وزاد المسير (٢٣٤/٧)، ومفاتيح الغيب (٨/٢٩ - ٩)، وفتح القدير (١١٢/٥ - ١١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٥/٤).

(٣) الكشاف (٤١٥/٤).

(٤) معاني القرآن للفراء (١٠٠/٣).

(٥) سورة النساء، الآية (٣١).

عليه وسلم ((العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه)). وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جل ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول: ضربة ما لمم القتل، يريدون ضرباً مقارباً للقتل، قال: وسمعت من آخر: ألم يفعل في معنى: كاد يفعل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾

الآية: ٢٤

النص: ١٩/٢٧٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَكْدَى) أي بخل وانقطع عطاؤه.

٥٣١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١١١/١٧ - ١١٢).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٥٤/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: أفرايت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلاً من ماله، ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه^(٢)، وفي سبب نزول هذه الآية قال مجاهد وابن زيد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فغيره بعض المشركين، وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى

(١) جامع البيان (٥٢٩/١١).

(٢) جامع البيان (٥٣٠/١١).

هذه الآية^(١)، قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل^(٢). اتفق أهل التفسير في قوله تعالى: (وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى).

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾

الآية: ٣٧

النص: ٢٠/٢٧٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال: وفَّى طاعة الله، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.

٥٣٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٤/٢).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٦٨/٦)، وعزاه إلى ابن جرير.

دراسة النص:

وقوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) يقول: إبراهيم الذي وفى من أرسل إليه ما أرسل به^(٣)، وللمفسرين في الذي وفَّى عشرة أقوال:

أحدها: إنه وفَّى عمل يومه بأربع ركعات في أول النهار.

الثاني: إنه وفَّى في كلمات كان يقولها، روى سهل^(٤) بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه^(٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ألا أخبركم لِمَ سَمَى اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ

(١) أسباب النزول، للواحي (ص ٢٦٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٧/٤)، والكشاف (٤١٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٧ - ١١٢).

(٣) جامع البيان (٥٣٢/١١).

(٤) سهل بن معاذ بن أنس الجهني: هو سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي نزل مصر، روي عن أبيه وله صحبة، روى عنه: إسماعيل بن يحيى المعافري والليث بن سعد وآخرون، قال عبد الله بن لهيعة: هو من أهل الشام وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له البخاري في الأدب، وأبوداود، والترمذي، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٨٣/٨).

(٥) أبيه: معاذ بن أنس الجهني، الأنصاري، صحابي، نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك. انظر: تقريب التهذيب (ص ٦٢٢).

الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(١) وختم الآية^(٢).

الثالث: إنه وفى الطاعة فيما فعل بابنه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال القرظي.

الرابع: إنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام، روي هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس.

الخامس: إنه وفى ما أمر به من تبليغ الرسالة، روي عن ابن عباس أيضاً.

السادس: إنه عمل بما أمر به، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وقال مجاهد: وفى ما فرض عليه.

السابع: إنه وفى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣) وما بعدها، وهذا مروى عن عكرمة، ومجاهد، والنخعي.

الثامن: وفى شأن المناسك، قاله الضحاك.

التاسع: إنه عاهد أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قذف في النار قال له جبريل، ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فوفى بما عاهد، ذكره عطاء بن السائب.

العاشر: إنه أدى الأمانة، قاله سفيان بن عيينة^(٤).

النص: ٢١/٢٧٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) وفي طاعة الله ورسالاته إلى خلقه.

٥٣٢/١١

النص رقم: ٢١/٢٧٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٠/٢٧٤.

(١) سورة الروم، الآية (١٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: (٤٢٧)، (١٩٢/٢٠). انظر: المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠هـ - ٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية: القاهرة، دار إحياء التراث العربي.

(٣) سورة النجم، الآية (٣٨).

(٤) انظر: زاد المسير (٢٣٦/٧ - ٢٣٧)، وتفسير ابن كثير (٢٥٧/٤ - ٢٥٨)، والكشاف (٤/١٦٤ -

٤١٧)، وفتح القدير (١١٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١١٣/١٧)، والمحرم الوجيز (١١٨/١٤ -

١١٩)، والنكت والعيون تفسير الماوردي (٤٠٣/٥)، وتفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة

د/ محمد عبد الرحيم، دار الحديث، مصر (٣١٠/٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾

الآية: ٤٨

النص: ٢٢/٢٧٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ) قال: أغنى وأخدم.

٥٣٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٤/٢).

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ) قيل في أقنى قولان: أحدهما (وَأَقْنَىٰ) هو أرضي، والآخر أقنى جعل له قنية، أي جعل الغني أصلاً لصاحبه ثابتاً، ومن هذا قولك: قد أقتنيت كذا وكذا أي عملت على أنه يكون عندي لا أخرجه من يدي^(١)، وفي تفسيره يقول المولى عز وجل: وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال، واختلف أهل التأويل في تأويله: فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك، ذكره: أبي صالح، وبعضهم قال: عنى بقوله (أَغْنَىٰ) أخدم، قاله: مجاهد، والحسن، وقتادة، وقال الآخرون: بل عنى بذلك أنه أغنى من المال وأقنى: رضي، قاله: ابن عباس، ومجاهد، وآخرين قالوا: بل عنى بذلك أنه أغنى نفسه، وأفقر خلقه إليه. وقال آخرون: بل عنى بذلك أنه أغنى من شاء من خلقه، وأفقر من شاء قاله: ابن زيد^(٢)، وقال ابن عطية في معنى الآية: عبر المفسرون بعبارات مختلفة وهذه عبارات لا تقتضيها اللفظة، والوجه فيها بحسب اللغة: أكسب ما يفتني، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أقنى: أفنع، وقيل: والقناعة خير قنية، والغنى عرض زائل، فله در ابن عباس رضي الله عنهما^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٧٦/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٣٥/١١ - ٥٣٦)، وزاد المسير (٢٣٩/٧)، وتفسير ابن كثير (٢٥٩/٤)،

والكشاف (٤١٨/٤)، وفتح القدير (١١٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١١٨/١٧ - ١١٩).

(٣) المحرر الوجيز (١٢٥/١٤ - ١٢٦).

النص: ٢٣/٢٧٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (أَغْنَى وَأَقْنَى) قال: أعطى وأرضى وأخدم.

٥٣٦/١١

النص رقم: ٢٣/٢٧٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٢/٢٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾

الآية: ٤٩

النص: ٢٤/٢٧٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى) كان حي من العرب يعبدون الشعري هذا النجم الذي رأيتم، قال بشر، قال: يريد النجم الذي يتبع الجوزاء.

٥٣٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١١٩/١٧).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى) يقول تعالى: وأن ربك يا محمد هو رب الشعري، يعني بالشعري: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله^(١)، وبنحو الذي قاله الطبري قال ابن قتيبة ولكنه أضاف في قوله فقال: وهو الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء^(٢)، وبمثلهم قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة وابن زيد وغيرهم^(٣)، وأورد الزمخشري قائلاً: (الشَّعْرَى) مرزم الجوزاء: وهي التي تطلع وراءها، وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان

(١) جامع البيان (٥٣٦/١١).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٥٩/٤).

الغميصاء والعبور وأراد العبور، وكانت خزاعة تعبدها، سن لهم ذلك أبو كبشة^(١) رجل من أشرفهم، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو كبشة، تشبيهاً له به لمخالفته إياهم في دينهم^(٢)، وإنما ذكر سبحانه أنه رب الشعري مع كونه رباً لكل الأشياء للرد على من كان يعبدها^(٣).

وقيل الشعري هو: كوكب نيرٍ يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر تقول العرب: إذا طلعت الشعري جعل صاحب النخل يرى^(٤).

وأوضح القرطبي: أن الشعريان هما: العبور التي في الجوزاء والشعري الغميصاء التي في الزراع، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل، وقيل: إن العرب تقول في خرافاتها: إن سهيلاً والشعري كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار يمانياً، فأتبعته الشعري العبور فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمست عيناه، فسميت غميصاء لأنها أخفى من الأخرى^(٥). اتفقت الأقوال في معنى الآية.

النص: ٢٥/٢٧٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (رَبُّ الشَّعْرَى) قال: كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له الشعري.

٥٣٧/١١

النص رقم: ٢٥/٢٧٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٤/٢٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾

الآية: ٥٢

(١) أبو كبشة: أصله أن أبا كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان، وعبد الشعري العبور، فسمى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة، لخلافه إياهم إلى عبادة الله تعالى تشبيهاً به، كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعري، معناه: أنه خالفنا كما خالفنا ابن أبي كبشة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (مج ١٣/١٤).

(٢) انظر: الكشاف (٤/١٨)، وزاد المسير (٧/٢٣٩)، والفواتح الألهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، للإمام الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، الطبعة الأولى، ١٨ ربيع الأول، سنة ١٣٢٥ هـ (٢/٣٦٦).

(٣) فتح القدير (٥/١١٤).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (مج ٨/٩٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١١٩ - ١٢٠).

النص: ٢٦/٢٨٠ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى نكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بني إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذٍ، تتابعاً في الضلالة، وتكذيباً بأمر الله.

٥٣٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٤/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشد ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشد طغياناً وتمرداً على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم^(١).

ويقول الزمخشري: في قوله (أَظْلَمَ وَأَطْغَى) لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه، وما أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة^(٢)، والآلوسي قال في ذلك: وكان الرجل منهم يأخذ بيد ابنه يتمشى به إليه يحذره منه ويقول: يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذٍ فإياك أن تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه ولم يتأثروا من دعائه وقد دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقيل: ضمير (إِنَّهُمْ)

(١) انظر: جامع البيان (٥٣٨/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٥٩/٤).

(٢) الكشاف (٤١٨/٤).

يعود على جميع من تقدم عاد وشمود وقوم نوح أي كانوا أظلم من قريش وأطغى منهم، وفيه من التسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى^(١).

وقال ابن عطية: وقوله تعالى: (مِنْ قَبْلِ) لأنهم كانوا أول أمة كذبت من أهل الأرض، و(نُوحٍ) أول الرسل، وجعلهم (أَظْلَمَ وَأَطْغَى) لأنهم سبقوا إلى التكذيب دون اقتداء بأحد قبلهم^(٢)، وتساءل الرازي في قوله: (أَظْلَمَ) ما الفائدة منه؟ فقال: نقول المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فإنهم لم يقدموا على الظلم والطغيان الشديد إلا بتماديهم وطول أعمارهم، ومع ذلك مانجا أحد منهم فما حال من هو دونهم من العمر والقوة فهو كقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾^(٣)^(٤) ويعبر سيد قطب ويقول: إنها جولة سريعة، تتألف من وقفة قصيرة على مصرع كل أمة، عاد وشمود وقوم نوح، ولمسة عفيفة تخر الشعور وخرأ^(٥)، ثم قال وهبة الزحيلي: كونهم أطغى فلأنهم سمعوا المواعظ أمداً طويلاً، وعتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم، وأصروا على الكفر واستكبروا استكباراً، مما ألجأهم إلى الدعاء عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٦)^(٧).

فكان الله عز وجل يقول للرسول عليه الصلاة والسلام: فاصبر أنت أيضاً فالعاقبة الحميدة لك.

النص: ٢٧/١٨١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) قال: دعاهم نبي الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

٥٣٨/١١

النص رقم: ٢٧/٢٨١ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٢٦/٢٨٠.

(١) انظر: روح المعاني (٧٠/٢٧ - ٧١)، وزاد المسير (٢٣٩/٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٠/١٧)، ومدارك التنزيل وحقائق لتأويل (مج٣/٤٤٠)، ومجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي (٢٧٣/٩).

(٢) المحرر الوجيز (١٣٠/١٤ - ١٣١).

(٣) سورة ق، الآية (٣٦).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٢/٢٩).

(٥) في ظلال القرآن، بقلم: سيد قطب (مج٦/٣٤١٨).

(٦) سورة نوح، الآية (٢٦).

(٧) التفسير المنير (١٣٣/٢٧).

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ (١) أَهْوَى﴾

الآية: ٥٣

النص: ٢٨/٢٨٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال: قرية لوط.

٥٣٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٥٩/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٢٠/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/٦)، وعزاه إلى عبد ابن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) يقول تعالى: والمخسوف بها، المقلوب أعلاها أسفلها، وهي قرية سدوم^(٢) قوم لوط، أهوى الله، فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم، فرفعهما من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة^(٣).
ما الحكمة في اختصاص المؤتفكة باسم الموضع في الذكر، وقال في عاد ومود قوم نوح اسم القوم؟ نقول الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن ثمود اسم الموضع فذكر عاداً باسم القوم، وثمود باسم الموضع، وقوم نوح باسم القوم والمؤتفكة

(١) المؤتفكة: هي مدائن قوم لوط، وسميت بذلك لأنها انقلبت ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذباً أفكه فانتفك. انظر: البحر المحيط (١٦٦/٨)، والمؤتفكة: المخسوف بها. انظر: غريب القرآن وتفسيره (ص ٣٥٦).

(٢) سدوم: فعول من السدم، وهو الندم مع غم، وهي مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، وذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سدوم هي سمرمين بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم، وكان من جوره أنه حكم على أنه إذا ارتكبوا الفاحشة من أحد أخذ منه أربعة دراهم. انظر: معجم البلدان (٢٠٠/٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٥٣٨/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٥٩/٤)، والكشاف (٤١٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٠/١٧)، وزاد المسير (٢٣٩/٧)، والمحضر الوجيز (١٣١/١٤)، وفتح القدير (١١٧/٥).

باسم الموضع ليعلم أنّ القوم لا يمكنهم صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه فإن في العادة تارة يقوى الساكن فيذب عن مسكنه وأخرى يقوى المسكن فيرد عن ساكنه وعذاب الله لا يمنع مانع، وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين: أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢)، ففي الأول لم يقدر الساكن على حفظ مسكنه وفي الثاني لم يقوَ الحصن على حفظ الساكن. الوجه الثاني: هو أن عاد وثمود وقوم نوح، كان أمرهم متقدماً، وأماكنهم كانت قد دثرت، ولكن أمرهم كان مشهوراً متواتراً، وقوم لوط كانت مساكنهم وآثار الانقلاب فيها ظاهرة، فذكر الأظهر من الأمرين في كل قوم^(٣).

النص: ٢٩/٢٨٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال: هم قوم لوط.

٥٣٩/١١

النص رقم: ٢٩/٢٨٣ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٨/٢٨٢.

قوله تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾

الآية: ٥٤

النص: ٣٠/٢٨٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَغَشَّاهَا مَا عَشَى) غشاها صخرًا منضوداً^(٤).

٥٣٩/١١

تخريج النص:

(١) سورة الفتح، الآية (٢٠).

(٢) سورة الحشر، الآية (٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢/٢٩).

(٤) المنضود: المتركب، والنضد هو الرص والمنضد المرصوص. انظر: الجامع لأحكام القرآن،

(٢٠٩/١٧).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٥٩/٤).

- والقرطبي في تفسيره (١٢١/١٧).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٥٥/٢).

دراسة النص:

وقوله (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) يقول تعالى ذكره: فغشي الله المؤتكة من الحجارة المنضودة المسومة ما غشاها، فأمطرها إياه من سجيل^(١)(٢).

وحكي عنهم الله عز وجل في سورة الحجر وقال: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٣) وقال كذلك: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾^(٤).

النص: ٣١/٢٨٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) قال: الحجارة.

٥٣٩/١١

النص رقم: ٣١/٢٨٥ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٣٠/٢٨٤.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾

الآية: ٥٥

(١) سجيل: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم، مكتوب فيها أسماء القوم. انظر: مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ص ٢٨٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٣٩/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٥٩/٤)، والكشاف (٤١٨/٤)، وزاد المسير (٢٣٩/٧)، والمحرم الوجيز (١٣١/١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٨)، ومعالم التنزيل (مج ٤٢٠/٧)، وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٠١/٤).

(٣) سورة الحجر، الآية (٧٤).

(٤) سورة الشعراء، الآية (١٧٣).

النص: ٣٢/٢٨٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يقول: فبأي نعم الله تتمارى يا ابن آدم.

٥٤٠/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور، ١٧٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته. ومعنى قوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) فبأي نعم ربك تكذب أنها ليست منه^(١). يقول: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يقول تعالى نكره: فبأي نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل، والآلاء: جمع إلى، وفي واحدها لغات ثلاثة: إلى على مثال علي، ألي على مثال علي، وألى على مثال علا^(٢)، وقال الآلوسي: في قوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) تشكك والخطاب قيل: لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه من باب الإلهاب والتعريض بالغير، للإنسان على الإطلاق، وهو أظهر والاستفهام للإنكار، والآلاء جمع إلى النعم، والمراد بها ما عد في الآيات قبل وسمي الكل بذلك مع أن منه نقما لما في النقم من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتفاع للأنبياء والمؤمنين فهي نعم بذلك الاعتبار أيضاً^(٣)، وقال ابن عباس: فبأي آلاء ربك تكذب يا وليد، يعني ابن المغيرة^(٤). قرأ الجمهور (تَتَمَارَى) من غير إدغام، وقرأ يعقوب وابن محيصن بإدغام إحدى التاءين في الأخرى^(٥). فقوله تعالى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى)؟ أي ففي أي نعم الله عليك أيها

(١) معاني القرآن، للفراء (١٠٣/٣).

(٢) جامع البيان (٥٤٠/١١).

(٣) انظر: روح المعاني (٧١/٢٧)، والكشاف (٤١٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٧)، والمحرر الوجيز (١٣١/١٤)، وفتح القدير (١١٧/٥).

(٤) زاد المسير (٢٣٩/٧).

(٥) فتح القدير (١١٧/٥).

الإنسان تمترى؟ قاله قتادة وقال ابن جريج (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى)؟ يا محمد، والأول أولى وهو اختيار ابن جرير (١).

النص: ٣٣/٢٨٧ وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يقول: بأي نعم ربك تتمارى.

٥٤٠/١١

النص رقم: ٣٣/٢٨٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٢/٢٨٦.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾

الآية: ٥٦

النص: ٣٤/٢٨٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى) قال: أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أنذرت الرسل من قبله.

٥٤٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٥٥).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧٢)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى) اختلف أهل التأويل في معنى قوله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم (هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى) ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه نذير لقومه، وكانت النذر الذين قبله نُذُرًا لقومهم، كما يقال: هذا واحد من بني آدم، وواحد من الناس، قاله: قتادة.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٥٩).

وقال آخرون: معنى ذلك غير هذا كله، وقالوا: معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى، قاله: أبي مالك^(١). وأكد ابن كثير أن قوله (هَذَا نَذِيرٌ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (مِنَ النُّذْرِ الْأُولَى) أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢)(٣). وبمثله قال ابن قتيبة^(٤).

وهذا الذي ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءكم، فقوله (هذا) بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك^(٥).

النص: ٣٥/٢٨٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذْرِ الْأُولَى) إنما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بما بعث الرسل قبله. ٥٤٠/١١

النص رقم: ٣٥/٢٨٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٤/٢٨٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾

الآية: ٦١

النص: ٣٦/٢٩٠ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) قال: غافلون. ٥٤٢/١١

٥٤٢/١١

(١) انظر: جامع البيان (٥٤٠/١١)، والكشاف (٤١٨/٤).

(٢) سورة الأحقاف، الآية (٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٥٩)، وزاد المسير (٧/٢٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٧)، والمحرر الوجيز (٤/١٣٢)، ومحاسن التأويل (١٥/٢٥٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٠).

(٥) جامع البيان (٥٤٠/١١).

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٩/٤).
- وابن أبي شيبة في تفسيره (١٢١/٦).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى: **(وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)** معناه: لأهون، ببعض اللغات يقال: للجارية: **أَسْمُدِي** لنا، أي غني لنا^(١)، وفي تفسير قوله: **(وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)** يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته، يقال للرجل: دع عنا سُموذك، يراد به: دع عنا لهوك، يقال منه: سَمَد فلان يَسْمُد سُموذاً^(٢)، وكذا قاله الزجاج^(٣)، وقيل: **(وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)** فيه خمسة أقوال:

أحدها: لاهون، قاله ابن عباس، وبه قال الفراء.

الثاني: معرضون، قاله مجاهد.

الثالث: إنه الغناء، وهي لغة يمانية، يقولون: اسْمُد لنا، أي: تَعَنَّ لنا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وقال عكرمة: هو الغناء بالجميية.

الرابع: غافلون، قاله قتادة.

الخامس: أشرون بَطْرُون، قاله الضحاك^(٤).

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٣٠).

(٢) جامع البيان (٥٤١/١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٧٨/٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٢٤٠/٧)، تفسير ابن كثير (٢٦٠/٤)، تفسير الكشاف (٤١٩/٤)، وفتح القدير (١١٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٧ - ١٢٤)، والمحزر الوجيز (١٣٤/١٤ - ١٣٥)، والتفسير الواضح، (١١٢/٢٧)، وكتاب تفسير القرآن الكريم، للعلامة المحقق الجليل: السيد عبدالله شير، (ص ٤٩٤)، وكتاب صفوة البيان لمعاني القرآن، تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف، الطبعة الثالثة، الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (ص ٦٨١)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، (٨٣/١٩ - ٨٤).

اختلفت ألفاظ المفسرين في البيان عن تأويل الآية، غير أن معنى جميعهم يقود إلى معنى الغفلة والانشغال عن المولى عز وجل.

٣٧/٢٩١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سَامِدُونَ) أي غافلون.

٥٤٢/١١

النص: ٣٨/٢٩٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (سَامِدُونَ) قال غافلون.

٥٤٢/١١

النصوص بالأرقام: ٣٧/٢٩١ - ٣٨/٢٩٢ تقدمت دراستهم وتخریجهم في النص رقم: ٣٦/٢٩٠.

(٥٤) سورة القمر مكية عدد آياتها (٥٥)

قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وأنشق القمر﴾

الآية: ١

١/٢٩٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين).

٥٤٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٣٠/٣).
- ومسلم في صحيحه (٢١٥٩/٤).
- وأحمد في مسنده (٢٠٧/٣).

دراسة النص:

يعني تعالى ذكره بقوله: (اقتربت الساعة) دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله: (اقتربت) افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون.

وقوله: (وأنشق القمر) يقول جل ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر سحرنا به محمد، فقال الله جل ثناؤه: (وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ). قال به أهل التأويل منهم: قتادة، ومجاهد، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وأبي عبد

الرحمن السلمي^(١). ومن أسباب نزول قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال الواحدي في كتابه: قال عبد الله بن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر بن أبي كبشة سحرهم، فاسألوا السُّفَّار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(٢).

اجمع أهل التفسير على أن القمر قد انشق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه إعجاز من وجهين: أحدهما رؤية من رأى ذلك، والثاني خفاء مثل ذلك على من لم يره، لأنه لا ينكتم مثله في العادة فإذا خفي كان نقض العادة^(٣).

٢/٢٩٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) يحدث الله في خلقه ما يشاء.

٥٤٧/١١

٣/٢٩٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة عن أنس، قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأنشق القمر بمكة مرتين، فقال (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).

٥٤٧/١١

(١) انظر: جامع البيان (٥٤٤/١١)، تفسير ابن كثير (٣٣٤/٤ - ٣٣٦)، والجامع لأحكام القرآن، (١٢٥/١٧ - ١٢٦)، وزاد المسير (٢٤٢/٧)، وفتح القدير (١٢٠/٥)، والمحرر الوجيز، (١٣٩/١٤ - ١٤١)، ومفاتيح الغيب، (٢٦/٢٩).

(٢) انظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي (ص ٤٢٤)، وكتاب تفسير ابن مسعود رضي الله عنه، جمع وتحقيق ودراسة: محمد أحمد عيسوي، طبع على نفقة مؤسسة الملك فيصل الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض (ص ٦٠٧ - ٦٠٨).

(٣) لطائف الإشارات، للقشيري (مج ٦/٦١).

النصوص بالأرقام: ٢/٢٩٤ - ٣/٢٩٥ تقدمت دراستهم وتخريجهم في النص
رقم: ١/٢٩٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

الآية: ٢

النص: ٤/٢٩٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) قال: إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا: إنما هذا عمل السحر، يوشك هذا أن يستمر ويذهب.

٥٤٧/١١ - ٥٤٨

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٢٧/١٧ - ١٢٨).

دراسة النص:

وقوله: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) يقول تعالى ذكره: وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا عنها، فيولوا مكذبين بها منكرين أن يكون حقاً يقيناً، ويقولوا تكذيباً منهم بها، وإنكاراً لها أن تكون حقاً: هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقاً باثنين بسحره، وهو سحر مستمر، يعني يقول: سحر مستمر زاهب، من قولهم قد مر هذا السحر إذا ذهب^(١)، ومعنى (مُسْتَمِرٌّ) أي زاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له^(٢)، وزاد القرطبي في قوله: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) فقال: هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن كنت صادقاً فأشقق

(١) جامع البيان (٥٤٧/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٦٣/٤).

لنا القمر فرقتين نصف على أبي قبيس^(١) ونصف على قُعيقَعان^(٢)، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنْ فَعَلْتَ تَوَمَّنُوا)، قالوا: نعم، وكان ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المشركين: (يا فلان يا فلان اشهدوا). وقوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أي ذاهب، أي قد استمرت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيقة بل الجميع تخييلات^(٣).

وفي نفس المعنى يقول ابن عطية: اختلف الناس في معنى "مستمر"، فذكر المعنى السابق ثم جاء بقول الضحاك، وأبو العالية اللذين قالوا: معناه: مشدود من مرابر الحبل، كأنه سحر قد استمر، أي أحكم^(٤).

وعبر سيد قطب عن معنى الآية فقال: ولقد أعرضوا وقالوا: سحرنا وهم يرون آية الله في انشقاق القمر، وكان هذا رأيهم مع آية القرآن، فقالوا: سحر يؤثر، فهذا قولهم كلما رأوا آية، ولما كانت الآيات متوالية متواصلة فقد قالوا: إنه سحر مستمر لا ينقطع، معرضين عن تدبر طبيعة الآيات وحقيقتها، معرضين كذلك عن دلالتها وشهادتها، وكذبوا بالآيات وبشهادتها، كذبوا اتباعاً لأهوائهم لا استناداً إلى حجة، ولا ارتكناً إلى دليل، ولا تدبراً للحق الثابت المستمر في كل ما حولهم في هذا الوجود^(٥).

(١) أبو قبيس: هو اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما، أبو قبيس من شريقيها، وقعيقعان من غربيها، قيل سمي باسم رجل من مُدَجج كان يكنى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه قبة. انظر: معجم البلدان (٨٠/١).

(٢) قُعيقَعان: هو اسم جبل بمكة، قيل: إنما سمي بذلك لأن قطوراء وجدهم لما تحاربوا قعقت الأسلحة فيه. انظر: معجم البلدان (٣٧٩/٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢٧/١٧ - ١٢٨)، وزاد المسير (٢٤٢/٧ - ٢٤٣)، وفتح القدير، (١١٧/٥)، وتفسير النسائي، حققه: سيد بن عباس الجليمي وصبري بن عبد الخالق الشافعي، الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٠م، جمادى الآخر ١٤١٠هـ، مكتبة السنة (٣٦٦/٢).

(٤) المحرر الوجيز (١٤١/١٤).

(٥) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (مج ٣٤٢٨/٦).

ويؤيد ما تقدم والذي عليه الأكثرون قول قتادة، بأن معنى الآية (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) هو: إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا: إنما هذا عمل سحر، يوشك هذا أن يستمر ويذهب.

وهذا يدل على عدم تصديقهم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

٥/٢٩٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) يقول: ذاهب.

٥٤٨/١١

النص رقم: ٥/٢٩٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤/٢٩٦.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

الآية: ٣

النص: ٦/٢٩٨ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ) أي: بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر.

٥٤٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٢٨/١٧).
- وابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٣/٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ) يقول تعالى ذكره: وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره، ومنتاه نهايته، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار^(١)،

(١) جامع البيان (٥٤٨/١١).

وقال ابن الجوزي في معنى قوله تعالى (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ) فيه ثلاثة أقوال:
الأول: إن كل أمر مستقر بأهله، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل الشر، قاله: قتادة.

الثاني: لكل حديث منتهى وحقيقة، قاله مقاتل.

الثالث: إن قرار تكذيبهم مستقر، وقرار تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقته بالثواب والعقاب، قاله الفراء^(١).

وبنفس المعنى عبر الزجاج فقال: تأويله أنه يستقر لأهل النار عملهم ولأهل الجنة عملهم^(٢).

قوله تعالى: (وَكُلُّ أَمْرٍ) هو مبتدأ، و(مُسْتَقَرٌّ) خبره، ويقرأ بفتح القاف، أي مستقر عليه^(٣).

وتقول الباحثة أن معنى الآية الكريمة: (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ) أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وإن أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته.
أي بأهل الخير يستقر الخير، وبأهل الشر يستقر الشر وهو ما قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾

الآية: ٤

النص: ٧/٢٩٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ): أي هذا القرآن.

٥٤٩/١١

(١) انظر: زاد المسير (٢٤٣/٧)، الكشاف (٤٢١/٤)، وتفسير ابن كثير (٢٦٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٧)، وفتح القدير (١١٨/٥)، والبحر المحيط (١٧٤/٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٨٥/٥).

(٣) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تأليف: أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (٢٤٩/٢).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٢٨/١٧).
- وابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٢/١٤ - ١٤٣).

دراسة النص:

قوله: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذي كذبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحل الله بهم من عقوباته ما قص في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، يزرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهو مُفْتَعَلٌ مِنَ الزَّجْرِ^(١). وقال ابن قتيبة: في قوله: (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ): أي متعظ ومنتهى^(٢)، وذكر عن معنى قوله: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ): أي الأخبار الصادقة في أهواله وشدائده (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ): أي زجر كامل^(٣).

وقرأ (مُزْدَجَرٌ) (مَزْجَر) بقلب تاء الافتعال زيا وإدغام الزاي في الزاي^(٤). نلاحظ أن الآية أفهمتنا أن في القرآن كفاية في الإنذار (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن هو النذير الكافي المستمر إلى يوم القيامة، ومن ثم فكل من يشتغل بقضية الدعوة إلى الله فعليه أن يركز على ربط الإنسان بالقرآن^(٥)، وهو ما ذهب إليه قتادة.

(١) انظر: جامع البيان (٥٤٨/١١)، تفسير ابن كثير (٢٦٣/٤)، الكشف (٤٢١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٧)، وزاد المسير (٢٤٣/٧)، المحرر الوجيز، (١٤٢/١٤ - ١٤٣)، ومفاتيح الغيب، (٢٩/٢٩).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣١).

(٣) تفسير القرآن المسمى بتصوير الرحمن وتيسر المنان، للعلامة المهامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عالم الكتب (٣٠٨/٢).

(٤) فتح القدير (١٢١/٥).

(٥) الأساس في التفسير، لسعيد حوى، (مج ١٠/٥٦٠٦).

قوله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾

الآية: ٧

النص: ٨/٣٠٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ): أي ذليلة أبصارهم.

٥٤٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٣/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٢٩/١٧ - ١٣٠).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

قوله: (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ) يقول: ذليلة أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) وهي جمع جدث، وهي القبور، وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزة كل عزيز، تتبين في ناظرية دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع.

اختلف القرّاء في قراءة قوله (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين والكوفيين (خُشَعًا) بضم الخاء وتشديد الشين، بمعنى خاشع، وقرأه عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ) بالألّف على التوحيد اعتباراً بقراءة عبد الله، وذلك في قراءة عبد الله (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ)، وألحقوه وهو بلفظ الاسم في التوحيد، إذ كان صفة بحكم فَعَلٍ وَيَفْعَلُ في التوحيد إذا تقدم الأسماء^(١).

(١) انظر: جامع البيان (٥٤٩/١١ - ٥٥٠)، وتفسير ابن كثير، (٢٦٣/٤)، والكشاف (٤٢٢/٤)، وزاد المسير، ٢٤٤/٧، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٧ - ١٣٠)، وكتاب المصاحف، تأليف: أبي بكر عبد الله سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي (٢٣٠ - ٣١٦هـ)، دراسة وتحقيق ونقد الدكتور: محب الدين عبد السبحان واعظ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الدوحة، قطر، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، (مج ١/٣٢٤)، وحجة القراءات، لزنجلة، (ص ٦٨٨).

ويمائل هذه الآية الجليلة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِرُ﴾

الآية: ٨

النص: ٩/٣٠١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ): أي عامدين إلى الداع.

٥٥٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٣٠/١٧).
- وابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٤/٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) يقول: مسرعين بنظرهم قبل داعيهم إلى ذلك الموقف^(٢)، وقال ابن كثير: (مُهْطِعِينَ) أي مسرعين (إِلَى الدَّاعِي) لا يخالفون ولا يتأخرون^(٣)، وقال الزجاج: يخرجون خشعاً أبصارهم مهطعين، ومنعى مهطعين: ناظرين، لا يقلعون أبصارهم^(٤)، وزاد بعضهم مادي أعناقهم، وآخر مع هز ورهق ومد بصر، وقال عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت^(٥)، وقال ابن الجوزي: والداعي: إسرائيل ينفخ النفخة الثانية^(٦).

(١) سورة المعارج، الآيات (٤٣ - ٤٤).

(٢) جامع البيان (٥٥٠/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٦٣/٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٨٦/٥).

(٥) انظر: الكشاف (٤٢٢/٤)، والمحرم الوجيز، (١٤٦/١٤).

(٦) زاد المسير (٢٤٤/٧).

وقال الضحاك: مقبلين، وقال قتادة: عامدين^(١).

بالرغم من اختلاف المفسرين حول قوله: **(مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ)** إلا أن المعنى متقارب، وهو: أنهم يخرجون يوم القيامة عامدين إلى ذلك الداعي وهو اسرافيل لما يشاهدون من هول وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه.

قوله تعالى: **﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسرٍ﴾**

الآية: ١٣

النص: ١٠/٣٠٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسرٍ^(٢))** حدثنا أن دُسرَها: مساميرها التي شدت بها.

٥٥٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٤٢/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قدر، على سفينة ذات ألواح ودُسر، والدُسر: جمع دسار، وقد يقال في وحدها: دسير كما يقال: حَبِيك وجَبَاك، والدِيسار: المسمار الذي تشدُّ به السفينة يقال منه: دسرت السفينة إذا شدتها بمسامير أو غيرها، قاله القرظي، وقاتدة وابن عباس، وقال آخرون: بل الدسر: صدر السفينة، قالوا: وإنما وصف بذلك لأنه يرفع الماء ويدسره، قاله: الحسن، وقاتدة، وابن عباس، وقال آخرون: الدسر: عوارض السفينة قاله: مجاهد، وقال آخرون: الألواح: جانبها، والدُسر: طرفها قاله: الضحاك، وآخرون قالوا: بل الدسر: أضلاع السفينة قاله: مجاهد^(٣).

(١) انظر: فتح القدير (١١٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٧).

(٢) ودسر: معناها: مسامير السفينة. انظر: معاني القرآن، للفراء (١٠٦/٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٥٥٢/١١-٥٥٣)، تفسير ابن كثير (٢٦٤/٤)، والجامع لأحكام القرآن،

(١٣٣-١٣٢/١٧)، وفتح القدير (١١٩/٥-١٢٠)، وزاد المسير (٢٤٥/٧-٢٤٦).

قال الزمخشري: والدر: جمع دسار: وهو المسمار، فعال من دسره إذا دفعه، لأنه يدسر به منفذه^(١)، وقال الآلوسي: (ودسر): أي مسامير كما قاله الجمهور، وأصل الدر الدفع الشديد بقهر فسمي به المسمار لأنه يدق فيدفع بشدة^(٢)، وأكد قول الزمخشري والأولسي قول ابن عطية: حينما قال: و(الدر): المسامير، وأحدها دسار، وهذا هو قول الجمهور وهو عندي من الدفع المتتابع، لأن المسمار يدفع أبداً حتى يستوي^(٣)، وهو الذي عليه قتادة.

النص: ١١/٣٠٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (ذَاتِ أَلْوَاحٍ) قال: معارضض السفينة، قال: ودر: قال: دسرت بمسامير.

٥٥٢/١١

النص رقم: ١١/٣٠٣ تقدمت دراسته وتخريجهم في النص رقم: ١٠/٣٠٢.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٤)

الآية: ١٥

النص: ١٢/٣٠٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً) قال: ألقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

٥٥٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٤٤/٤).

(١) الكشاف (٤٢٤/٤).

(٢) روح المعاني (٨٢/٢٧ - ٨٣).

(٣) المحرر الوجيز (١٥٠/١٤).

(٤) مُدَكِّر: أي معتبر ومتعظ، وأصله "مُفْتَعَل" من الذِّكْر: "مُذْتَكِر" فأدغمت الذال في التاء، ثم قلبنا دالاً مشددة. انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٤٣٢).

- ومسلم في صحيحه (٥٦٥/١).

- وأحمد في مسنده (٤٦١/١).

دراسة النص:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحاً ومن كان معه آية، يعني عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة، وقول الطبري^(١) ذهب إليه أهل التفسير^(٢)، وهو ما قال به قتادة.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾^(٣) وكقوله ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُنثَىٰ وَاعِيَةً﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

الآية: ١٧

النص: ١٣/٣٠٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) يقول: فهل من طالب خير يعان عليه.

٥٥٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٤٤/٦).

دراسة النص:

(١) جامع البيان (٥٥٤/١١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٤/٤)، والكشاف (٤٢٤/٤-٤٢٥)، وفتح القدير (١٢٠/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١٧)، وزاد المسير (٢٤٦/٧)، وكفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الله بن محمد المعروف، "بفودي"، توزع المكتبة الحديثة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت (ص ٢٤٢).

(٣) سورة يس، الآيتان (٤١-٤٢).

(٤) سورة الحاقة، الآيتان (١١-١٢).

وقوله: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن بيناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهو هوناً، وقوله: (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر، وقد قال بعضهم في تأويل ذلك: هل من طالب علم أو خير فيعان عليه، وذلك قريب المعنى مما قلناه^(١)، وقال ابن الجوزي: المعنى: هو الحث على قراءته وتعلمه، قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن^(٢)، وقال ابن قتيبة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) أي سهلناه للتلاوة ولولا ذلك: ما أطاق العباد أن يلفظوا به، ولا أن يستمعوا له، (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) أي معتبر ومتعظ، وأصله "مفتعل" من الذكر: "مُدَّتَكَر". فأدغمت الذال في التاء، ثم قلبتا دالاً مشددة^(٣)، وبمثله قرأ الجمهور، (مُدَكِّرٍ) بإدغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل ابن عطية بالذال أدغمه بعد قلب الثاني إلى الأول - "مُدَكِّرٍ"^(٤).

قوله (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ): كرر في هذه السورة للتنبيه والإفهام وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عقبي أمورهم وأمور المرسلين، فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع أن لو اذكر^(٥).

الآية تعيد نعمه في أن الله تبارك وتعالى يسر الهدى، فله در من قبل واهتدى^(٦)، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَنْبَابِ﴾^(٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾

(١) جامع البيان (١١/٥٥٥-٥٥٦)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٦٤)، والكشاف (٤/٤٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤).

(٢) زاد المسير (٧/٢٤٦)، ومفاتيح الغيب (٢٩/٣٨-٣٩).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٢).

(٤) البحر المحيط (٨/١٧٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤).

(٦) المحرر الوجيز (١٤/١٥٤).

(٧) سورة ص، الآية (٢٩).

الآية: ١٩

النص: ١٤/٣٠٦ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) والصرصر: الباردة.

٥٥٧ - ٥٥٦/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٨١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) معنى: (صَرْصَرًا): وهو الريح الشديد، والصر: شدة البرد^(١)، وتفسيرها: يقول تعالى ذكره: إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحاً صرصرًا، وهي الشديدة العصف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها، إذا سمع فيها، كهيئة قول القائل: صر، فقليل منه: صرصر، كما قيل فككبوا فيها، من فكبوا، ونهنت من نَهَتْ، وافقه ابن عباس وقتادة والضحاك^(٢)، قال الرازي: قال تعالى هنا: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) وقال في الذاريات: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٣)، فعرف الريح هناك ونكرها هنا لأن العقم في الريح أظهر من البرد الذي يضر النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار لأن الريح العقيم هي التي لا تنشئ سحاباً ولا تفتح شجراً وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما توجد، فقال الريح العقيم أي هذا الجنس المعروف، ثم زاده بياناً بقوله ﴿مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾^(٤)، فتميزت عن الرياح العقم، وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكرها^(٥)، وذكر أنها: أي الباردة وهو ريح الدبور^(١).

(١) البرهان في غريب القرآن (ص ٢٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٥٦/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٦٤/٤)، وزاد المسير (٥٧/٧ - ٥٨).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٤١).

(٤) سورة الذاريات، الآية (٤٢).

(٥) مفاتيح الغيب (٤١/٢٩).

وقال الزحيلي: كان عقابهم بإرسال ريح شديدة البرد^(٢)/ وهو ما أجمع عليه أهل التفسير، وفي جزء آخر من القرآن يقول المولى جل وعلا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ﴾^(٣).

النص: ١٥/٣٠٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثورن عن معمر، عن قتادة، قال: الصرصر: الباردة.

٥٥٧/١١

النص رقم: ١٥/٣٠٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٤/٣٠٦.

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾.

النص: ١٦/٣٠٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: النحس: الشؤم.

٥٥٧/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي الدر المنثور (١٨١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله (فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ) يقول: في يوم شر وشؤم لهم، وقوله (مُّسْتَمِرٍّ) يقول: في يوم شر وشؤم، استمر بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم^(٤)، وهو ما قاله ابن قتيبة: (فِي يَوْمٍ نَحْسٍ) أي في يوم شؤم (مُّسْتَمِرٍّ) أي استمر عليهم

(١) التفسير المنير لمعالم لتتزيل المفسر عن وجوه محاسن التأويل، المسمى: مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، تأليف: الشيخ محمد نوي الجاوي، دار الفكر للطباعة النشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (٣٣٧/٢).

(٢) التفسير المنير (١٦٣/٢٧).

(٣) سورة فصلت، الآية (١٦).

(٤) انظر: جامع البيان، (٥٥٧/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٧).

بالنحوسة^(١)، وقال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم، وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر^(٢)، وقال ابن كثير: (مُسْتَمِرٌّ) عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي^(٣)، وأضاف الزمخشري وقال: استمر عليهم جميعاً، كبيرهم وصغيرهم، حتى لم يبق منهم نسمة^(٤)، وأي نحس يصيب قوماً أشد مما أصاب عاد والريح تنزعهم وتجذبهم وتحطمهم، والمشهد مفرع مخيف، وعاصف عنيف والريح التي أرسلت على عاد "هي من جند الله" وهي قوة من قوى هذا الكون من خلق الله، تسيير وفق الناموس الكوني الذي اختاره، وهو يسلطها على من يشاء، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس، بلا تعارض بين خط سيرها الكوني، وأدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله^(٥).

كانت العاقبة على قوم عاد سوءاً وشرّاً مستطيراً، يستدعي التفكير بكيفية عذاب الله وإنذاراته، وطريق فهم ذلك ميسر، فإن القرآن بما اشتمل عليه من العظات والعبر سهل يسير الاعتبار والاتعاظ^(٦)، قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِينَةٍ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^(٧). وهذا قول أئمة التفسير.

النص: ١٧/٣٠٩ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (في يوم نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) يستمر بهم إلى نار جهنم.

٥٥٧/١١

النص رقم: ١٧/٣٠٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٦/٣٠٨.

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٢).

(٢) زاد المسير (٧/٢٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٦٤).

(٤) الكشاف (٤/٤٢٥).

(٥) في ظلال القرآن، (مج ٦/٣٤٣١).

(٦) التفسير المنير (٢٧/١٦٤).

(٧) سورة الحاقة، الآية (٧).

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾

الآية: ٢٤

النص: ١٨/٣١٠ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ^(١)) في عناء وعذاب.

٥٥٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٣٨/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله (إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ) يقول: قالوا: إنا إذا باتباعنا صالحاً إن اتبعناه وهو بشر منا واحد لفي ضلال: يعنون: لفي ذهاب عن الصواب وأخذ عن الصواب، وأخذ على غير استقامة، وسُعْر: يعنون بالسُّعْر: جمع سعيير، وكان قتادة يقول: عنى بالسُّعْر: العناء^(٢)، قال القرطبي معنى الآية: إنا إذا لفي شقاء وعناء مما يلزمنا^(٣)، وقال ابن قتيبة: (إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ) أي جنون، وهو من تَسَعَّرَت النار: إذا التهبت، يقال: ناقة مسعورة، أي كأنها مجنونة من النشاط^(٤)، ثم قال ابن الجوزي: لفي شقاء وعناء لأجل ما يلزمنا من طاعته^(٥)، وقال ابن كثير: وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً وقالوا لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا

(١) سُعْر: نشاط. انظر: العمدة في غريب القرآن، (ص ٢٩٠)، وقيل السُّعْر: الجنون، وفي التنزيل (أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ) معناه: إنا إذا لفي ضلال وحنون. انظر: لسان

العرب، لابن منظور (مج ٧/١٨٩).

(٢) جامع البيان (٥٥٩/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١٧).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٣).

(٥) زاد المسير (٢٤٨/٧)، فتح القدير (١٢٢/٥).

لواحد منا، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم^(١)، وابن عباس قال: أي لفي بعد عن الحق وعذاب^(٢). وهي الشبهة المكررة التي كانت في صدور المكذبين جيلاً بعد جيل كما أنها الكبرياء الجوفاء التي لا تنتظر إلى حقيقة الدعوة إنما تنتظر إلى الشخص الداعية، واعجب شئ إن يصفوا أنفسهم بالضلال لو اتبعوا الهدى وأن يحسبوا أنفسهم في سعر إذا هم آمنوا^(٣).

أوجه وأفصح ما قيل في معنى الآية هو قول قتادة، لأن عدم استجابتهم لرسولهم وبعدهم عن الحق هو العذاب والشقاء والضلال، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

النص: ١٩/٣١١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُغْرٍ) قال: ضلال وعناء.

٥٥٩/١١

النص رقم: ١٩/٣١١ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٨/٣١٠.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ﴾^(٤)

الآية: ٣١

النص: ٢٠/٣١٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ) يقول: كهشيم محترق.

٥٦٢/١١

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٥/٤)، والكشاف (٤٢٦/٤).

(٢) روح المعاني (٨٨/٢٧).

(٣) كتاب خلاصة التقاسير في أوضح التعابير، للشيخ: أحمد مغنية، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، شارع سوريا، (ص ٧٠٦).

(٤) كهشيم المحترق: الهشيم: المتكسر، المحترق: صاحب الحظيرة. انظر: العمدة في غريب القرآن، للقيسي، (ص ٢٩٠). والهشيم: كسر الشيء الرخو كالنبات. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٥٤٣).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٥/٤).
- والزمخشري في تفسيره (٤٢٧/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال الطبري: اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) فقال بعضهم: عنى بذلك: العظام المحترقة، وكأنهم وجهوا معناه إلى أنه مثل هؤلاء القوم بعد إهلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته، قاله: ابن عباس، والحسن، وقتادة، وقال آخرون: بل عنى بذلك التراب الذي يتناثر من الحائط قال به: سعيد بن جبير، وآخرون قالوا: بل هو حظيرة الراعي للغنم قال به: الضحاك، وقال آخرون: بل عنى به هشيم الخيمة، وهو ما تكسر من خشبها، قاله: مجاهد، وقال آخرون: بل هو الورق الذي يتناثر من خشب الحطب، قاله: سفيان^(١)، ومعنى الآية: كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، وهو يجمع ليوقد، والمراد من جميع ذلك: أنهم بادوا وهلكوا حتى صاروا كالشيء المتحطم، قاله ابن الجوزي^(٢). وما قاله ابن الجوزي يماثل قول ابن عباس، والحسن وقتادة، وهو الأقرب للصواب.

النص: ٢١/٣١٣ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنى أبي، عن الحسن، قال: كان قتادة يقرأ (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) يقول: المحترق.

٥٦٢/١١

النص رقم: ٢١/٣١٣ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٠/٣١٢.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾

(١) جامع البيان (٥٦١/١١ - ٥٦٣)، تفسير ابن كثير (٢٦٥/٤)، والكشاف (٤٢٧/٤).

(٢) زاد المسير (٢٤٨/٧).

الآية: ٣٦

النص: ٢٢/٣١٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: (فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ) لم يصدقوه.

٥٦٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

يقول تعالى ذكره: ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التي بطشناها قبل ذلك (فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ) يقول: فكذبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكاً منهم فيه، وقوله: (فَتَمَارَوْا) تفاعلوا من المرية^(١).

وقال ابن كثير: أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتماروا به^(٢).

وبصيغة أخرى قال الزمخشري: في معنى قوله (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) لوط عليه السلام (بَطْشَتْنَا) أخذتنا بالعذاب (فَتَمَارَوْا) فكذبوا (بِالنُّذْرِ) متشاكين^(٣)، وقال ابن عطية: و(تماروا): معناه تشكوا وأهدى بعضهم الشك إلى بعض بتعاطيهم الشبه والضلال^(٤).

(١) جامع البيان (٥٦٣/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٦٦/٤).

(٣) انظر: الكشاف (٤٢٨/٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٦٦/١٤)، والبحر المحيط (١٨٢/٨)، ومفاتيح الغيب (٥٣/٢٩ - ٥٤)، ومعالم التنزيل (مج٧/٤٣٢).

لا عقاب أيضاً إلا بعد إنذار، فلقد أذّر لوط عليه السلام قومه وخوفهم عقوبة ربهم، وأخذه إياهم بالعذاب الدنيوي والأخروي، فشكوا فيما أذّرهم به الرسول، ولم يصدقوه، وفي هذا تبرئة لوط عليه السلام وبيان أنه أتى بما عليه^(١).
قول قتادة وأقوال المفسرين اتفقت مع معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾

الآية: ٣٧

النص: ٢٣/٣١٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فطمسنا أعينهم) وذكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه، فصفقهم بجناحه، وتركهم عمياً يترددون.

٥٦٤/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد ابن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ) يقول جل ثناؤه: ولقد راود لوطاً قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم (فطمسنا أعينهم) يقول: فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، فلم يبصروا ضيفه، والعرب تقول: قد طمست الريح الأعلام: إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب^(٢)، ثم قال ابن كثير في معنى الآية: (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط

(١) التفسير المنير (١٧٥/٢٧).

(٢) جامع البيان (٥٦٤/١١).

فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان فأغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم: ﴿هُؤَلَاءِ بَنَاتِي﴾ يعني نساءهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(١)، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي ليس لنا فيهن أرب ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾^(٢).

فلما اشتد الحال وأبو إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام، فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم تبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أديبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح^(٣)، وقال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا^(٤). وذكر أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ﴾: قصدوا الفجور بهم^(٥).

قول قتادة في معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ هو أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً، هو الذي عليه أكثر المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾

الآية: ٣٨

النص: ٢٤/٣١٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) يقول: صبحهم عذاب مستقر استقر بهم إلى نار جهنم.

٥٦٥/١١

تخريج النص:

(١) سورة الحجر، الآية (٧١).

(٢) سورة هود، الآية (٧٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٦/٤)، والكشاف (٤٢٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٧)، وزاد المسير (٢٤٩/٧)، والمحزر الوجيز (١٦٦/١٤).

(٤) فتح القدير (١٢٤/٥).

(٥) انظر: التفسير الحديث للقرآن الكريم، تأليف: حافظ عيسى عمار (١٨٩/٢)، وغاية البيان في تفسير القرآن الكريم، (مج ٦/٦٥).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٦/٤).

- والقرطبي في تفسيره (١٤٤/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ولقد صبح قوم لوط بكرة، نكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر، وقوله (عَذَابٌ) وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم، ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود، وقوله: (مُسْتَقَرٌّ) يقول: استقر ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم^(١)، قال ابن كثير: أي لا محيد لهم عنه ولا إنفكاك لهم منه^(٢)، ويقول الفراء: العرب تجري: غدوة، وبكرة، ولا تجريهما، وأكثر الكلام في غدوة ترك الإجراء وأكثره في بكرة أن تجري، قال: سمعت بعضهم يقول: أتيت بكرة باكرا، فمن لم يجدها جعلها معرفة، لأنها اسم تكون أبداً في وقت واحد بمنزلة أمس وغدٍ، وأكثر ما تجري العرب غدوة إذا قرنت بعشية، فيقولون: إني لآتيك غدوةً وعشيةً، وبعضهم غدوةً وعشيةً، ومنهم من لا يجري عشية لكثرة ما صحبت غدوة، وقوله: (عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ) يقول: عذاب حق^(٣). وقرئ: بكرة، غير منصرفة، تقول: أتيت بكرة وغدوة بالتثوين، إذا أردت التثكير وبغير إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته^(٤)، وقال ابن عطية: كان ذلك عند طلوع الشمس، وأدغم ابن محيصن الدال في الصاد من قوله سبحانه: (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ) والجمهور على الإظهار^(٥)، وذكر الرازي معنى قوله: (مُسْتَقَرٌّ) يحتمل وجوهاً: أحدها: عذاب لا مدفع له، أي يستقر عليهم ويثبت، ولا يقدر أحد على إزالته ورفعها، أو إحالته ودفعه، ثانيها: دائم، فإنهم لما أهلكوا نقلوا إلى الجحيم، فكأن ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم، فإن الموت يخلص من الألم الذي يجده المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس، وموتهم ما خلصهم، ثالثها: عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم، أي

(١) انظر: جامع البيان (٥٦٥/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٦٦/٤).

(٣) معاني القرآن (١٠٩/٣).

(٤) الكشاف (٤٢٨/٤).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٦٦/١٤)، وزاد المسير (٢٤٩/٧).

أمر قدره الله عليهم وقرره فاستقر، وليس كما يقال إنه أمر أصابهم اتفاقاً كالبرد الذي يضر زرع قوم دون قوم، ويظن به أنه أمر اتفاقي، وليس لو خرجوا من أماكنهم لنجوا كما نجا آل لوط، بل كان ذلك يتبعهم، لأنه كان أمراً قد استقر (١).
قول قتادة في معنى الآية قال مثله أهل التأويل.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾

الآية: ٤٢

النص: ٢٥/٣١٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ) يقول: عزيز في نعمته إذا انتقم.

٥٦٦/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته في قوله تعالى (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ) وقال الطبري في معنى الآية الكريمة، (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) يقول جل ثناؤه كذب آل فرعون بأدلتنا التي جاءتهم من عندنا، وحججنا التي أتتهم بأنه لا إله إلا الله وحده كلها (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ) يقول تعالى نكره: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديدة لا يغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف، وقول الطبري ذهب إليه أئمة التفسير (٢).

قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾

(١) مفاتيح الغيب (٥٦/٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٦٦/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٦٦/٤)، والكشاف (٤٢٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧)، وزاد المسير (٢٥٠/٧)، ومفاتيح الغيب (٥٨/٢٩)، والتحرير والتنوير (٢٠٩/٢٧).

الآية: ٤٣

النص: ٢٦/٣١٨ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ): أي ممن مضى.

٥٦٦/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نعمتي من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمتي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي؟ يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنبوا، وهذا قول أكثر المفسرين^(١).

قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

الآية: ٤٥

النص: ٢٧/٣١٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ((هزموا وولوا الدبر)).

٥٦٧/١١

تخريج النص:

(١) انظر: جامع البيان (٥٦٦/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧)، وتفسير ابن كثير (٢٦٦/٤)، والكشاف (٤٢٩/٤)، وزاد المسير (٢٥٠/٧).

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٦٧/٣).
- وأحمد في مسنده (٣٢٩/١).

دراسة النص:

قال الله جل ثناؤه (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) يعني جمع كفار قريش (وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ) يقول: ويولون أذبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه، وقيل: الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرؤوس، إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه، ثم إن الله تعالى ذكره صدق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولاهم الدبر، ووافق الطبري على قوله: الربيع بن أنس، وعكرمة، وقتادة، وابن عباس^(١)، وقال الزجاج في معنى قوله الكريم: فأعلم الله عز وجل نبيه عليه السلام أنه يظهره عليهم ويجعل كلمته العليا، فقال: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ) فكانت هذه الهزيمة يوم بدر^(٢)، وقال سيد قطب: فلا يعصمهم تجمعهم، ولا تنصرهم قوتهم، والذي يعلنها عليهم هو القهار الجبار ٠٠٠ ولقد كان ذلك كما لا بد أن يكون! قال البخاري بإسناده إلى ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال وهو في قبة له يوم بدر: ((أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً)). فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك! فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: ((سيهزم الجمع ويولون الدبر ٠٠٠))^(٣)، وكانت هذه هزيمة الدنيا، ولكنها ليست هي الأخيرة، وليست هي الأشد والأدهي، فهو يضرب عن ذكرها ليذكر الأخرى وهو قوله تعالى: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ)^(٤)(٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾

- (١) انظر: جامع البيان (٥٦٧/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٦٦/٤)، والكشاف (٤٢٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧ - ١٤٦)، وفتح القدير (١٢٥/٥)، والمحرر الوجيز (١٦٩/١٤ - ١٧٠)، وزاد المسير (٢٥٠/٧)، وغاية البيان في تفسير القرآن الكريم (٦٨/٢٧).
- (٢) معاني القرآن وإعرابه (٩٢/٥).
- (٣) أخرجه البخاري في: (٦٥) كتاب تفسير القرآن، (٥) باب قوله: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ) الآية: (٤٥)، حديث رقم (٤٨٧٥)، (٥٠٢/٣).
- (٤) سورة القمر، الآية (٤٦).
- (٥) في ظلال القرآن، (مج ٦/٣٤٣٥ - ٣٤٣٦).

الآية: ٤٧

النص: ٢٨/٣٢٠ كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ) قال: في عناء.

٥٦٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥١٤/٢).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٠/٢ - ٢٦١).

دراسة النص:

وقوله: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ): إن المجرمين في ذهاب عن الحق، وأخذ على غير هدى (وَسُعْرٍ) يقول: في احتراق من شدة العناء والنصب في الباطل^(١).

ولقد تكرر نعت الكفار بالمجرمين، ومن المحتمل أنه قصد بذلك الزعماء خاصة الذين لم يكتفوا بالكفر والتكذيب بل ارتكبوا إلى جانبهما جريمة اضطهاد المسلمين وفتنتهم مع جريمة الصد والتأمر والتعطيل^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾

الآية: ٥٣

النص: ٢٩/٣٢١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (مُسْتَطَرٌّ) قال: محفوظ مكتوب.

٥٧٠/١١

تخريج النص:

-
- (١) انظر: جامع البيان (٥٦٨/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٦٧/٤)، والكشاف (٤٢٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٧/١٧)، وزاد المسير (٢٥١/٧)، وفتح القدير (١٢٥/٥).
- (٢) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، (٦٨/٢).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٦٨/٤ - ٢٦٩).
- والقرطبي في تفسيره (١٤٩/١٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦١/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَّرٌ) معنى (مُسْتَظَّرٌ): أي مكتوب: "مُفْتَعَلٌ": من "سطرت"، إذا كتبت، وهو مثل "مَسْطُورٌ"^(١).

ووافقه الطبري وقال: يقول تعالى ذكره: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من الأشياء (مُسْتَظَّرٌ) يقول: مثبت في الكتاب مكتوب^(٢)، وقال الزمخشري: مسطور في اللوح^(٣)، وقال القرطبي: أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازي به ومكتوب إذا فعله^(٤).

أوضح ابن عطية: وقال: أخبر تعالى أن كل أفعال الأمم المهلكة مكتوبة محفوظة عليهم إلى يوم الحساب، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك وابن زيد^(٥)، ومن لطائف الآيات الكريمة: تعريف الناس عما يكتبه الملائكة هو على جهة التخويف، لئلا يتجاسر العبد على الذلة إذا عرف المحاسبة عليها والمطالبة بها^(٦)، وروى عن عاصم شد الرء من (مُسْتَظَّرٌ)، قال أبو عمرو: وهذا لا يكون إلا عند الوقوف، لغة معروفة^(٧).

نتبين من الآية أن ما من شيء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم إلا وهو مسطور في اللوح المحفوظ، وفي دواوين الملائكة وصحائفهم صغيرة وكبيرة، وجليلة

(١) تفسير غرب القرآن، ابن قتيبة (ص ٤٣٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٧٠/١١)، وفتح القدير (١٢٦/٥)، وتفسير ابن كثير (٢٦٨/٤)، وزاد المسير (٢٥٢/٧).

(٣) الكشاف (٤٣٠/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٧٤/١٤ - ١٧٥)، البحر المحيط (١٨٤/٨)، ومفاتيح الغيب، (٦٩/٢٩).

(٦) لطائف الإشارات (مج ٦٨/٦).

(٧) المحرر الوجيز (١٧٥/١٤).

وحقيرة، كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١). وقال أيضاً: ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢). فكذاك نقول وهنا قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٣).

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً))^(٤).

النص: ٣٠/٣٢٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَنْطَرٌ) أي محفوظ.

٥٧٠/١١

النص رقم: ٣٠/٣٢٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٩/٣٢١.

(١) سورة ق، الآية (١٨).

(٢) سورة سبأ، الآية (٣).

(٣) سورة الكهف، الآية (٤٩).

(٤) أخرجه:

١- ابن ماجة في (٣٧)، كتاب الزهد، (٢٩)، باب ذكر الذنوب، حديث رقم، (٤٢٤٣)، (٥١٥/٣).

٢- وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٦/٧٠-١٥١).

(٥٥) سورة الرحمن مدنية عدد آياتها (٧٨)

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.

الآيتان: ١-٢

النص: ١/٣٢٣ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان^(١) العقيلي، قال: ثنا أبو العوام العجلي^(٢) عن قتادة، أنه قال في تفسير (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قال: نعمة والله عظيمة.

٥٧٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصركم به ما فيه رضا ربكم، وعرفكم ما فيه سخطه لتطيعوه باتباعكم، وتتجنبوا سخطه فتستوجبوا بذلك جزيلا ثوابه، وتتجوا من أليم عقابه ووافقه قتادة^(٣)، أضاف ابن كثير وقال: يخبر الله تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه^(٤). وقال القرطبي: أي علمه نبيه

(١) محمد بن مروان العقيلي: هو محمد بن مروان بن قدامة العقيلي، أبو بكر البصري المعروف بالعجلي، روى عن إبراهيم الشكري وهشام الدستوائي وآخرون، روى عنه يحيى بن معين وآخرون، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال اسحق بن منصور عن يحيى بن معين: صالح، روى له أبو داؤد في النسخ والمنسوخ، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/٢٠٤-٢٠٦).
(٢) أبو العوام العجلي: هو شيبان بن زهير عن قتادة وعبدالرحمن بن أبي بكرة، روى عنه الحارث بن مرة. انظر: الكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج (١/٦٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٥٧٢/١١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٧٠).

صلى الله عليه وسلم حتى أداه إلى جميع الناس، وجعله علامة لما تعبد الناس^(١)،
وبه قال الكلبي^(٢).

وقال الزمخشري: في قوله (علم القرآن): جعله علامة وآية^(٣).
اجمع أئمة المفسرين على تأويل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ونعمة
تعليم القرآن هي أجلها قدراً وأكثرها نفعاً وأتمها فائدة وأعظمها عائدة، وهي مدار
سعادة الدارين^(٤)، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن
وعلمه"^(٥)، فهي نعمة والله عظيمة كما قال قتادة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾.

الآية: ٣

٢/٣٢٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (خَلَقَ
الْإِنْسَانَ) قال: الإنسان: آدم.

٥٧٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن
المنذر.

دراسة النص:

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/١٧).

(٢) انظر: فتح القدير (١٢٨/٥)، ومفاتيح الغيب (٧٥/٢٩)، والبحر المحيط (١٨٨/٨)، ومعالم التنزيل
(مج١/٧٤٤)، والمحرم الوجيز (١٧٨/١٤-١٧٩)، وزاد المسير (٢٤/٧)، جواهر الحسان في
تفسير القرآن (٢٤٠/٤).

(٣) الكشاف (٤٣٣/٤).

(٤) فتح القدير (١٢٨/٥).

(٥) أخرجه البخاري في: (٦٦) كتاب فضائل القرآن، (٢١) باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، حديث
رقم (٥٠٢٧)، (٥٧٧/٣).

وقوله (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) يقول تعالى ذكره: خلق آدم وهو الإنسان، قاله: قتادة، وقال آخرون: بل عنى بذلك الناس جميعاً^(١)، وافق قتادة ابن عباس والحسن^(٢)، وذكر الرازي القولين^(٣)، وكذلك الشوكاني^(٤)، وابن عطية^(٥)، وذكر ابن الجوزي المعنى الثالث الآية وهو: إنه محمد صلى الله عليه وسلم^(٦)، وقال ابن حيان مثلهم^(٧)، والبغوي^(٨)، وكذا ابن عاشور^(٩)، والنسفي^(١٠).

اختلف المفسرون في معنى الآية، ولكن الأرجح هو ما ذكره الطبري فقال: إنما وحد في اللفظ لأدائه عن جنسه، كما قيل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(١١) والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما^(١٢).

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

الآية: ٤

٣/٣٢٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، وقوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ): علمه الله بيان الدنيا والآخرة، بين حلاله وحرامه، ليحتج بذلك على خلقه.

٥٧٣/١١

تخريج النص:

-
- (١) جامع البيان (٥٧٢/١١).
 - (٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/١٧).
 - (٣) مفاتيح الغيب (٧٦/٢٩).
 - (٤) فتح القدير (١٢٨/٥).
 - (٥) المحرر الوجيز (١٧٩/١٤).
 - (٦) زاد المسير (٢٥٤/٧).
 - (٧) البحر المحيط (١٨٨/٨).
 - (٨) معالم التنزيل (مج ٤٤١/٧).
 - (٩) التحرير والتنوير (٢٣٢/٢٧).
 - (١٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج ٤٥٢/٣).
 - (١١) سورة العصر الآية (٢).
 - (١٢) جامع البيان (٥٧٢/١١).

- أوردته السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) يقول تعالى ذكره: علَّم الإنسان البيان، ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالبيان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به بيان الحلال والحرام، قاله: قتادة، وقال آخرون: عنى به الكلام، أي أن الله عز وجل علم الإنسان البيان قاله: ابن زيد^(١)، وقال الحسن: يعني النطق لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها^(٢)، ومثله قال الرازي^(٣)، وأضاف على هذه الأقوال محمد بن كعب فقال: هو ما يقول ويقال له^(٤).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علم الإنسان الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعاش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك أنه علمه من البيان بعضاً دون بعض، بل عم فقال: علمه البيان، فهو كما عم جل ثناؤه^(٥).

قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

الآية: ٥

النص: ٥/٣٢٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) أي بحساب وأجل.

٥٧٣/١١

تخريج النص:

(١) جامع البيان (١١/٥٧٢-٥٧٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٩/٧٦).

(٤) انظر: زاد المسير (٧/٢٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥٢-١٥٣)، والمحضر الوجيز

(١٤/١٧٩)، والتفسير المنير (٢٧/١٩٧).

(٥) جامع البيان (١١/٥٧٣).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٥٣/١٧).

دراسة النص:

قال ابن قتيبة: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) أي بحساب ومنازل لا يعدونها^(١). وقوله: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: الشمس والقمر بحسبان ومنازل لها يجريان، ولا يعدوانها قاله: ابن عباس، وأبي مالك، وقتادة، وابن زيد، وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما يجريان بقدر قاله: الضحاك، وقال آخرون: إنهما يدوران في مثل قطب الرحا قاله: مجاهد^(٢)، وبه قال القرطبي^(٣)، وابن كثير^(٤)، والشوكاني^(٥)، واتفق ابن الجوزي مع قتادة وأبو مالك وابن عباس^(٦)، وأيضاً الرازي^(٧)، وابن عطية وذكر ابن عطية أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الآية^(٨).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حساباً وحسباناً، مثل قولهم: كفرته كفراناً، وغفرته غفراناً، وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب^(٩).

كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١٠).

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٦).

(٢) جامع البيان (١١/٥٧٣-٥٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٠).

(٥) فتح القدير (٥/١٢٨).

(٦) زاد المسير (٧/٢٥٤-٢٥٥).

(٧) مفاتيح الغيب (٢٩/٧٧-٧٨).

(٨) المحرر الوجيز (١٤/١٨٠).

(٩) جامع البيان (١١/٥٧٤).

(١٠) سورة الأنعام الآية (٩٦).

النص: ٦/٣٢٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال: يجريان في حساب.

٥٧٣/١١

النص رقم: ٦/٣٢٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٥/٣٢٦.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

الآية: ٦

النص: ٧/٣٢٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالنَّجْمُ) يعني: نجم السماء.

٥٧٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٥٣/١٧).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢).

دراسة النص:

قوله: (وَالنَّجْمُ): العشب والبقل^(١). اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضوع فقال بعضهم: عنى بالنجم في هذا الموضوع من النباتات: ما نجم من الأرض، مما ينبسط عليها ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه قاله: ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسري، وسفيان الثوري، وقال آخرون: عنى بالنجم في هذا الموضوع: نجم السماء، قاله: مجاهد، وقاتادة، والحسن^(٢)، وبه قال: ابن الجوزي^(٣) وابن كثير^(٤)، والشوكاني^(١)، وكذا الرازي^(٢)، وذكر هذه الأقوال في معنى الآية أيضاً النسفي^(٣).

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٣٦).

(٢) جامع البيان (١١/٥٧٤-٥٧٥).

(٣) زاد المسير (٧/٢٥٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٠).

واتفق السمرقندي مع ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسري سفيان الثوري في أن معنى (وَالنَّجْمُ) هو: كل نبات ينبسط على وجه الأرض ليس له ساق^(٤). وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق ومالا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى الكلام من غيره^(٥).

النص: ٨/٣٢٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) قال: إنما يريد النجم.

٥٧٥/١١

النص رقم: ٨/٣٢٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧/٣٢٨.

النص: ١٠/٣٣٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (وَالشَّجَرُ) قال: الشجر، شجر الأرض.

٥٧٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٧٠).

دراسة النص:

(١) فتح القدير (٥/١٢٨-١٢٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٩/٧٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج٣/٤٥٢).

(٤) بحر العلوم (٣/٣٠٤).

(٥) جامع البيان (١١/٥٧٥).

وقوله (وَالشَّجَرُ) يقول: الشجر ما قام على ساق^(١)، وبه قال ابن عباس^(٢)، وابن كثير^(٣)، والشوكاني^(٤)، وكذا ابن قتيبة^(٥).

اجمع المفسرون على أن معنى قوله عز وجل (وَالشَّجَرُ): هو ما له ساق.

١١/٣٣١ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) ما نزل من السماء شيئاً من خلقه إلا عبده له طوعاً وكرهاً.

٥٧٦/١١

تخريج النص:

- أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢).

دراسة النص:

وأما قوله (يَسْجُدَانِ) فإنه عني به سجود ظلهما، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^{(٦)(٧)}، انقياد الساجدين من المكلفين^(٨)، وقال الضحاك: سجودهما بسجود ظلالهما^(٩)، وقال الرازي مثله^(١٠)، وقال الحسن: ذلك في النجم بالغروب ونحوه، وفي الشجر بالظل واستدارته^(١١)، ونجد المراغي يتفق مع الشوكاني فيما قاله^(١٢)، وذكر البغوي قول الضحاك بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾^(١٣)^(١)، وقال الثعالبي: هو التذلل والخضوع^(٢).

(١) جامع البيان (٥٧٤/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٠/٤).

(٤) فتح القدير (١٢٨/٥).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٦).

(٦) سورة الرعد الآية (١٥).

(٧) جامع البيان (٥٧٦/١١).

(٨) فتح القدير (١٢٨/٥).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٥٤/١٧).

(١٠) مفاتيح الغيب (٧٩/٢٩).

(١١) المحرر الوجيز (١٨٠/١٤).

(١٢) تفسير المراغي (مج ١٠٧/٩).

(١٣) سورة النحل الآية (٤٨).

عبر المفسرون عن السجود في معنى قوله تعالى: (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)، فكانت التعابير تدل دلالة واضحة على قدرة الله عز وجل وكمال خلقه سبحانه وتعالى، وصدق المولى عندما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، فهلا تأملنا حتى نعتبر ونتعظ؟

النص: ١٢/٣٣٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن وهو قول قتادة.

٥٧٦/١١

النص رقم: ١٢/٣٣٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١١/٣٣١.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ﴾.

الآية: ٨

النص: ١٣/٣٣٣ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ) أعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس.

٥٧٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٥٥/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩١/٦)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

(١) معالم التنزيل (مج٧/٤٤٢).

(٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٤١/٤).

(٣) سورة الحج الآية (١٨).

وقوله (أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) يقول تعالى ذكره: ألا تظلموا أو تبخسوا في الوزن^(١)، وقال ابن عباس: أي لا تخونوا من وزنتم له^(٢)، وقال ابن كثير: أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل^(٣)، وقال الحسن والضحاك: المراد به آله الوزن ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف^(٤). وذكر ابن الجوزي وقال: أي لا تُجاوزوا العدل^(٥)، وأضاف الرازي بأن قال: وضع الآلة لئلا تطغوا في إعطاء المستحقين حقوقهم^(٦).

فسر أهل العلم معنى قوله الكريم: (أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) فلم يخرج عن معنى العدل كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٧)، فكان تنزيل الأمر بالعدل فيه فوائد منها أن يجتنبوا الطغيان في إقامة الوزن في المعاملة، مثلما قال قتادة: أعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس، فطابق قوله قول أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

الآيات: ٧-٩

النص: ١٤/٣٣٤ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) قال قتادة قال ابن عباس: يا معشر الموالى إنكم وليتم

(١) جامع البيان (١١/٥٧٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٠).

(٤) فتح القدير (٥/١٢٩).

(٥) زاد المسير (٧/٢٥٥).

(٦) مفاتيح الغيب (٢٩/٨٠).

(٧) سورة الحديد الآية (٢٥).

أمرين بهما هلك من كان قبلكم اتقى الله رجل عند ميزانه، اتقى الله رجل عند ميكاله،
فإنما يعدله شيء يسير، ولا ينقصه ذلك، بل يزيده الله إن شاء الله.

٥٧٧/١١

تخريج النص:

- أخرج القُرطبي في تفسيره (١٥٥/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩١/٦)، وعزاه إلى ابن المنذر.

دراسة النص:

ومعنى قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) أي العدل، (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) لا تخسروا: أي لا تنقصوا الوزن^(١)، وافقه قتادة، وابن زيد^(٢)، وقال الدرداء رضي الله عنه: أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل^(٣)، وكذا يقول ابن كثير^(٤)، والرازي^(٥)، وأضاف الشوكاني وقال: المعنى أنه وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال^(٦)، واتبعه البغوي وقال: ولا تطففوا في الكيل والوزن^(٧).

ذهب أئمة التفسير على أن معنى قوله، (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أي قوموا وزنكم بالعدل ولا تنقصوه ولا تبخسوه شيئاً، بل زنوا بالحق والقسط، كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٨)، وفي تكرير كلمة الميزان فيه تأكيد الأمر بالعدل، ويلاحظ أنه سبحانه أمر أولاً بالتسوية، ثم نهى عن الطغيان الذي هو مجاوزة الحد بالزيادة، ثم نهى عن الخسران، الذي هو النقص والبخس^(٩).

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٣٦).

(٢) جامع البيان (٥٧٧/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧٠/٤).

(٥) مفاتيح الغيب (٨١-٨٠/٢٩).

(٦) فتح القدير (١٢٩/٥).

(٧) معالم التنزيل (مج ٤٤٢/٧).

(٨) سورة الشعراء الآية (١٨٢).

(٩) التفسير المنير (١٩٩-١٩٨/٢٧).

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

الآية: ١٠

النص: ١٥/٣٣٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لِلْأَنَامِ) قال: للخلق.

٥٧٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢).

دراسة النص:

قال ابن قتيبة (لِلْأَنَامِ): الخلق^(١).

يقول تعالى ذكره (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) والأرض وطأها للخلق وهم الأنام^(٢)، وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد^(٣)، وقال الضحاك: كل ما دب على وجه الأرض^(٤)، وقال الرازي: إن الأرض موضوعة لكل ما عليها، وإنما خص الإنسان بالذكر لأن انتفاعه بها أكثر فإنه ينتفع بها وبما فيها وبما عليها فقال للأنام لكثرة انتفاع الأنام بها^(٥)، وذكر ابن الجوزي إن من معاني قوله (لِلْأَنَامِ) أنهم الناس^(٦)، وأضاف الشوكاني وقال: أي بسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة^(٧)، وقاله الثعالبي^(٨)، وقال ابن عطية^(٩)، والطوسي^(١٠)، وقال الحسن بن أبي الحسن: (لِلْأَنَامِ) الثقلان الجن والإنس^(١١).

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٦).

(٢) جامع البيان (٥٧٧/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٠/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٨٢/٢٩).

(٦) زاد المسير (٢٥٦/٧).

(٧) فتح القدير (١٢٩/٥).

(٨) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٤١/٤).

(٩) المحرر الوجيز (١٨٣/١٤).

(١٠) التبيان في تفسير القرآن (مج ٤٦٦/٩).

(١١) البحر المحيط (١٩٠/٨).

اختلف المفسرون في معنى قوله (لِلْأَنَامِ) على أقوال، فجاء قول قتادة ومن وافقه شاملاً لمعنى الآية ألا وهو الخلق، أي كل ما خلقه الله على وجه الأرض، كما قال ابن كثير في تعليقه لمعنى الآية أي الخلق، فقال: أي كما رفع السماء وضع الأرض ومهدّها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها^(١).

النص: ١٦/٣٣٦ حدثنا ابن بشار، قال ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة، (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) قال: للخلق.

٥٧٨/١١

النص رقم: ١٦/٣٣٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١٥/٣٣٥.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾.

الآية: ١١

النص: ١٨/٣٣٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أكمامها: ليفها.

٥٧٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٥٦/١٧).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢).

دراسة النص:

وقوله (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) الأكمام: جمع كَمٍّ، وهو ما تلممت فيه، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عنى بذلك تكمم النخل في الليف. قاله: الحسن، وقاتادة وقال آخرون: يعني بالأكمام: الرُّفَات: قاله: قتادة وقال آخرون: بل

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٠/٤)

معنى الكلام: والنخل ذات الطلع المتكتم في كمامه قاله: ابن زيد^(١). وقال عكرمة: ذات الأحمال^(٢)، وقال ابن كثير، هو الذي يطلع فيه العنقود ثم ينشق عن العنقود فيكون بسراً ثم رطباً، ثم ينضج ويتناهى نفعه واستوائه^(٣). اتفق ابن الجوزي مع الطبري فيما قاله^(٤)، وقال المراغي في قوله: **(وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ)** أي والنخل ذات الأوعية لثمرها حين ظهوره^(٥)، وبمثله قال وهبه الزحيلي^(٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكمة في ليفها، وطلعها، متكتم في جُفَّة، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكتمها في ليفها، ولا تكتم طلعها في جُفَّة، بما عمَّ الخبر عنها، بأنها ذات أكمام^(٧).

قوله تعالى: **﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾**.

الآية: ١٢

١٩/٣٣٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **(وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ)**، وعصفه تبناه.

٥٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧١/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٥٦/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢).

(١) جامع البيان (٥٧٨/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٠/٤).

(٤) زاد المسير (٢٥٦/٧).

(٥) تفسير المراغي (مج ١٠٨/٩).

(٦) التفسير المنير (١٩٩/٢٧).

(٧) جامع البيان (٥٧٨/١).

دراسة النص:

و(العصف): ورق الزرع، ثم يصير - إذا جفَّ ودَرس - تبناً^(١)، وقوله: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ): يقول تعالى ذكره: وفيها الحب، وهو حب البُر والشعير ذو الورق، والتين: هو العصف، وإياه عنى علقمة بن عبدة^(٢). تسقي مذانب قد مالت عصيفتها *** حدورها من أتى الماء مطموم^(٣) وذكر آخرون أن العصف: هو الحب من البُر والشعير بعينه، قاله الضحاك^(٤)، وقال الحسن: والعصف: التين^(٥). وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك^(٦)، والعصف: ورق الزرع، ويقال: التين هو العصف، ويقال: العصفة^(٧)، ووافقهم الزمخشري وقال مثلهم^(٨)، وأضاف الشوكاني وقال: يبدو أولاً ورقاً وهو العصف، ثم يبده ساق، ثم يحدث الله فيه أكماماً، ثم يحدث في الأكمام الحب^(٩)، وقال الرازي: معنى قوله تعالى: (ذُو الْعَصْفِ) فيه وجوه: أحدها: التين الذي تنتفع به دوابنا، التي خلقت لنا. ثانيها: أوراق النبات الذي له ساق الخارجة من جوانب

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٣٧).

(٢) علقمة بن عبدة: هو من بني تميم، من ربيعة الجوع، جاهلي، وهو الذي يقال له: علقمة الفحل، وكان يزارع امرأ القيس الشعر. انظر: الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الثقافة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، (١/١٤٥-١٤٦).

(٣) القصيدة من ديوانه (ص ١٩)، ومطلعها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم *** أم حبلها أذنأ - تك اليوم مصروم

الشرح: المذانب: مسایل الماء إلى الرياض، والعصيفة: الورق المجتمع الذي يكون فيه السيل، والحدور: ما انحدر من الأرض، والآتي: الجدول، وأراد به هنا: ما يسيل فيه الماء، والمطموم: المملؤ بالماء. انظر: الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبدالعال سالم مكرم، الناشر: عالم الكتب، نشر وتوزيع وطباعة القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ص ٥٠٦).

(٤) جامع البيان (١١/٥٧٩-٥٨٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٢٧١).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥/٩٧).

(٨) الكشاف (٤/٤٣٤).

(٩) فتح القدير (٥/١٢٩).

الساق، كأوراق السنبله من أعلاها إلى أسفلها. ثالثها: العصف هو: ورق ما يؤكل فحسب^(١).

تباينت أقوال المفسرين بتعدد أقوالهم في الآية الكريمة إلا إن ما قاله قتادة أقرب إلى المعنى، لأنَّ التبن هو: الروث، الذي ينفصل عن الثمرة، ويكون علفاً للدواب، فالجامع بين التبن والورق كلاهما غذاءً للحيوان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾.

الآية: ١٣

النص: ٢٠/٣٣٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ) يقول: للجن والإنس: بأي نعم الله تكذبان.

٥٨٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧١/٤).
- وعبد الرازق في تفسيره (٢٦٤/٢).

دراسة النص:

يعني تعالى ذكره بقوله (فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ): فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم تكذبان^(٣)، وبه قال مجاهد^(٤)، والشوكاني^(٥). وقال الزمخشري: للثقلين بدلالة الأنام عليهما^(٦)، وقال منذر^(١) بن سعيد: خوطب من يعقل

(١) مفاتيح الغيب (٨٤/٢٩).

(٢) سورة طه الآيتان (٥٣-٥٤).

(٣) جامع البيان (٥٨١/١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧١/٤).

(٥) فتح القدير (١٣١/٥).

(٦) الكشاف (٤٣٤/٤).

لأن المخاطبة بالقرآن كله للإنس والجان^(٢)، وقال الفراء في معنى الآية: ففي ذلك وجهان: أحدهما: إن العرب تخاطب الواحد بفعل الأثنين فيقال: أرحلها، أجزرها يا غلام، والوجه الآخر: أن الذكر أريد في الإنسان والجان^(٣) وأضاف ابن حيان فقال: وكان هذا الخطاب للثقلين لأنهما داخلان في الأنام على أصح الأقوال ولقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(٤) و﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾^(٥) ولقوله: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾^(٦)^(٧).

(فبأي): قرأ الأصبهاني بإبدال الهمزة ياء في الحاليين وكذا عند الوقف^(٨)، وما قاله المفسرون في معنى الآية ذكره القاسمي في تفسيره^(٩).

أجمع المفسرون على معنى قوله تعالى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) بأنه خطاب للجن والإنس بأي نعم الله تكذبان، ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة (الرحمن) على أصحابه فسكتوا فقال: مالي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ما أتيت على قول الله تعالى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد))^(١٠).

وتكذيب النعمة يكون بإنكار كونها من الله سبحانه وتعالى مع عدم الاعتراف بكونها نعمة كتعليم القرآن، أو بإنكار كونها من الله مع الاعتراف بكونها نعمة كالنعم

(١) منذر بن سعيد: هو أبو حميد الساعدي، صحابي مشهور، اسمه المنذر بن سعيد بن المنذر، أو ابن مالك، وقيل اسمه عبد الرحمن، وقيل عمرو، شهد أحداً وما بعدها، وعاش إلى أول خلافة يزيد سنة ستين. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٧٣٤).

(٢) المحرر الوجيز (١٤/١٨٧).

(٣) معاني القرآن، للفراء (٣/١١٤).

(٤) سورة الرحمن، الآية (٣).

(٥) سورة الرحمن، الآية (١٥).

(٦) سورة الرحمن، الآية (٣١).

(٧) البحر المحيط (٨/١٩٠).

(٨) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر (٢/٣٦٢).

(٩) محاسن التأويل (١٥/٢٨٤-٢٨٥).

(١٠) أخرجه الترمذي في (٤٨) كتاب تفسير القرآن، باب (٥٥) ومن سورة الرحمن، حديث رقم، (٣٢٩١)، (ص ٨٧٥).

الدينيوية، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لأن دلالة النعم على الله ظاهرة، وكأنها شاهدة بذلك فكفرهم بها تكذيب لها وهذا التكرار في قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ للإقرار بالنعم المختلفة، إذ كلما ذكر الله نعمة وبخ وأنكر على من كذب بها^(١).

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ^(٢) كَالْفَخَّارِ^(٣)﴾.

الآية: ١٤

النص: ٢١/٣٤٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال: من طين له صلصلة كان يابساً، ثم خلق الإنسان منه.

٥٨٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢-٢٦٣).

دراسة النص:

وقوله (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخاً، كالذي قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار^(٤).

(١) التفسير الواضح (ص ١٢٧).

(٢) صلصال: أصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس ومنه قيل صلّ المسمار وسمي الطين الجاف صلصالاً. انظر المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٢٨٤).

(٣) الفخار: والفخار الجدار وذلك لصوته إذا نقر. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٣٧٤).

(٤) جامع البيان (٢٧١/١١).

وقال مثل هذا القول ابن كثير^(١)، وقال الزمخشري: أي أنه خلقه من تراب: جعله طيناً، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً^(٢)، وفي معنى الآية قال الشوكاني: المعنى إنه خلق الإنسان من طين يشبهه في يبسه الخزف^(٣)، ما قاله الزمخشري ذكره القرطبي^(٤)، وقال الرازي: أن التراب الذي من شأنه التفتت إذا صار بحيث يجعل ظرف الماء والمائعات ولا يتفتت ولا ينقع فكأنه يفخر على أفراد جنسه^(٥).

وقال ابن عطية: فهي إشارة إلى ما كان في تربة آدم عليه السلام من الطين الحر وذلك أن الله تبارك وتعالى خلقه من طين طيب وخبيث ومختلف اللون، فمرة ذكر في خلقه هذا ومرة هذا، وكل ما في القرآن في ذلك من صفات ترددت على التراب الذي خلق منه^(٦)، وقد نحا إلى هذا المعنى وهبه الزحيلي^(٧)، وابن عاشور^(٨)، والزجاج زاد على هذا القول فقال: المعنى راجع إلى أصل وأحد، فأصل الطين التراب^(٩).

و(صَلْصَالٍ) قرأ الأزرق^(١٠) بتغليظ اللام وترقيقها^(١١).

و(كَالْفَخَّارِ): قرأه بالإمالة أبو عمرو وابن ذكوان والدوري^(١) عن الكسائي وقله الأزرق^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢٧١/٤).

(٢) الكشاف (٤٣٤/٤).

(٣) فتح القدير (١٣٠/٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦٠/١٧-١٦١).

(٥) مفاتيح الغيب (٨٧/٢٩).

(٦) المحرر الوجيز (١٨٨/١٤).

(٧) التفسير المنير (٢٠٣/٢٧-٢٠٤).

(٨) التحرير والتنوير (٢٤٥/٢٧).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٩٨/٥).

(١٠) الأزرق: هو الإمام أبو يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار المدني ثم المصري، المقرئ الأزرق، لزم ورشاً مدة طويلة وأتقن عنه الأداء، وتصدر للإقراء وتقرء عن ورش بترقيق الراءات وتغليظ اللامات، وكان هو الذي خلف ورشاً في الإقراء بالديار المصرية، توفي في حدود الأربعين ومائتين. انظر: طبقات القراء، للذهبي (٢٠٩/١-٢١٠).

(١١) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٣٦٢/٢).

ما قاله المفسرون في معنى الآية جاء موافقاً لما قاله قتادة، وهو أن خلق الإنسان يمر بمراتب في قوله تعالى: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾^(٣)، ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٤)، أي طين متغير، أو ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾^(٥): أي لاصق باليد ثم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾. إي إن أصل خلق الإنسان من تراب، ثم من طين، فحمأ مسنون، ثم لازب ومرد غذائه إلى التراب والماء، ومصيره في النهاية إلى الأرض التي خلق منها، ثم يخرج منها يوم البعث والمعاد^(٦).

النص: ٢٢/٣٤١ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال: من تراب يابس له صلصلة. ٥٨٣/١١

النص رقم: ٢٢/٣٤١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢١/٣٤٠.

قوله تعالى: ﴿وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ﴾^(٧) مِنْ نَارٍ.

الآية: ١٥

(١) الدوري: هو حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان، ويقال: صهيب بدل صهبان، الإمام مقرئ الإسلام أبو عمر الدوري الأزدي النحوي، البغدادي الضرير، نزيل سامراء، قرأ القرآن على الكسائي وآخرون، ويقال إنه كان أول من جمع القراءات وألفها، عاش دهرأ، وذهب بصره في آخر عمره، وكان ذا دين وخير، وهو ثقة في جميع ما يرويه، توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين. انظر: طبقات القراء، للذهبي (١/٢٢٠-٢٢٢).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص ٤٠٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٥٩).

(٤) سورة الحجر، الآيات (٢٦/٢٨/٣٣).

(٥) سورة الصافات، الآية (١١).

(٦) التفسير المنير (٢٧/٢٠٦).

(٧) مرج: أصل المرج الخلط والمروج الاختلاط، يقال مرج أمرهم اختلط ومرج الخاتم في أصبعي فهو مرج، انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٤٦٥).

٢٣/٣٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ) أي من لهب النار.

٥٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧١/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٦١/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ) يقول تعالى ذكره: وخلق الجان من مارج من نار، وهو ما اختلط بعضه ببعض، من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مرج أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: ((كيف بك إذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم!)) وذلك هو لهب النار ولسانه^(١).

وقال الزمخشري: (الْجَانُّ) أبو الجن، وقيل: هو إبليس، والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط^(٢)، وقال الضحاك: وخلق الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها^(٣)، وبه قال ابن عباس، ومجاهد^(٤).
وقرأ الحسن (الْجَانُّ) بحذف الألف، وبالهزمة بعد الجيم^(٥).

ذهب جمهور المفسرين على أن معنى قوله تبارك تعالى: (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ) أي من لهب النار، وهو ما ذكره قتادة، وفي حديث رسول الله صلى

(١) جامع البيان (٥٨٣/١١).

(٢) الكشف (٤٣٤/٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧١/٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٧).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص ٤٠٥).

الله عليه وسلم: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))^(١) دليلاً على ما قاله المفسرون.

النص: ٢٤/٣٤٣ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا بن مروان، قال: ثنا أبو العوام عن قتادة (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِحٍ مِنْ نَارٍ) قال: من لهب من نار.

٥٨٤/١١

النص رقم: ٢٤/٣٤٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٣/٣٤٢.

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

الآية: ١٧

النص: ٢٥/٣٤٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) فمشرقها في الشتاء، ومشرقها في الصيف.

٥٨٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٤٧/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ذلكم أيها الثقلان (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ) يعني بالمشرقين: مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف، وقوله (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) يعني ورب مغرب الشمس في الشتاء، ومغربها في الصيف^(٢)، وبه قال ابن كثير^(٣)، والزمخشري^(٤)،

(١) أخرجه:

١/ مسلم في (٥٣) كتاب الزهد والرقائق، (١٠) باب في أحاديث متفرقة حديث رقم: (٢٩٩٦)، (٢٢٩٤/٤).

٢/ وأحمد بن حنبل في مسنده (١٦٨/٦).

(٢) جامع البيان (٥٨٥/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧١/٤).

(٤) الكشاف (٤٣٥/٤).

والشوكاني^(١)، والقرطبي^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، والرازي ولكن أضاف في المعنى هذا القول فقال: أي هو مشرق الشمس والقمر ومغربيهما^(٤)، وقرأ الجمهور رَبِّ وَرَبُّ بالرفع أي هو رب، وأبو حيوة وابن أبي عجلة بالخفض بدلاً من ربكما، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: للشمس مشرق في الصيف مصعد ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل فيهما مصعدة ومنحدرة^(٥)

وأضاف سعيد حوى في تفسير الآية الكريمة فقال: في كل لحظة يوجد شروق وغروب، فحين تغرب الشمس على إنسان تشرق على آخر، ففي لحظة واحدة يكون شروق وغروب^(٦)، وأما قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما بين المشرق والمغرب قبله يعني لأهل المشرق وهو أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة^(٧).

أقوال جمهور أهل العلم في تفسير قوله تبارك وتعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كان مطابقاً لما قاله قتادة.

وفي موضع آخر قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾^(٨)، فخص تعالى ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف في إضافة الربِّ إليهما لعظَمتهما في المخلوقات، وأنها طرفا آية عظيمة وعبرة وهي الشمس وجريها^(٩)، فالمشرقان والمغربان للشمس.

(١) فتح القدير (١٣٠/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٧).

(٣) زاد المسير (٢٥٩/٧).

(٤) مفاتيح الغيب (٨٨/٢٩).

(٥) البحر المحيط (١٩١/٨).

(٦) الأساس في التفسير (مج ١٠/٥٦٥٠).

(٧) روح البيان، للإمام إسماعيل حقي البروسوي (مج ٩/٢٩٤-٢٩٥).

(٨) سورة المعارج (الآية ٤٠).

(٩) المحرر الوجيز (١٨٩/١٤-١٩٠).

النص: ٢٦/٣٤٥ حدثنا ابن بشار، قال ثنا محمد بن مروان، قال ثنا أبو العوام عن قتادة قوله (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) قال: مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه.

٥٨٥/١١

النص رقم: ٢٦/٣٤٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٥/٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

الآية: ١٩

النص: ٢٧/٣٤٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) فالبحران: بحر فارس، وبحر الروم.

٥٨٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٦٢/١٧).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٣/٢).

دراسة النص:

وقوله (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) يقول تعالى ذكره: مرج رب المشرقين ورب المغربين البحر يلتقيان، يعني بقوله (مَرَجَ): أرسل وخلي، من قولهم: مرج فلان دابته إذا خلاها وتركها. واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جل ثناؤه في هذه الآية، أي البحرين هما؟ فقال بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، وبحر في الأرض، قاله: سعيد، وابن عباس، وقال آخرون: عنى بذلك بحر فارس وبحر الروم، قاله: الحسن، وقتادة^(١)، قال ابن عباس: قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) قال أي أرسلهما، وقوله (يَلْتَقِيَانِ) قال ابن زيد: أي منعهما أن يلتقيا مما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما^(٢)، وقال الزمخشري: أرسل البحر الملح والبحر العذب

(١) جامع البيان (٥٨٥/١١ - ٥٨٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧١/٤ - ٢٧٢).

متجاورين متلاقين، لا فصل بين المائين في مرأى العين^(١)، وبه قال الشوكاني^(٢)، وقال الألوسي: قيل أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه، إلا أنه لا يوافق قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٣)(٤).

واختلاف المفسرين في معنى الآية ذكره القرطبي أيضاً^(٥) وقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كلَّ عام،^(٦) وقال الرازي: قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) خلاهما ذهاباً إلى أن يلتقيان ولا يمتزجان فذلك بقدره الله تعالى^(٧)، ووافقهم سيد قطب^(٨).

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَالْمَرْجَانُ)^(٩) واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء^(١٠).

فالمقصود ما يعرفه العرب من هذين النوعين وهما نهر الفرات وبحر العجم المسمى اليوم بالخليج الفارسي، والتقاؤهما انصباب ماء الفرات في الخليج الفارسي، في شاطئ البصرة، والبلاد التي على الشاطئ العربي من الخليج الفارسي تعرف عند العرب ببلاد البحرين لذلك^(١١).

(١) الكشاف (٤/٤٣٥).

(٢) فتح القدير (٥/١٣٠-١٣١).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٥٣).

(٤) روح المعاني (٢٧/١٠٥-١٠٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٢).

(٦) زاد المسير (٧/٢٥٩).

(٧) مفاتيح الغيب (٢٩/٨٩).

(٨) في ظلال القرآن (مج٦/٣٤٥٢).

(٩) سورة الرحمن، الآية (٢٢).

(١٠) جامع البيان (١١/٥٨٦).

(١١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/٢٤٨).

النص: ٢٨/٣٤٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) قال: بحر فارس، وبحر الروم.

٥٨٦/١١

النص رقم: ٢٨/٣٤٧: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٢٧/٣٤٦.

قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾.

الآية: ٢٠

النص: ٢٩/٣٤٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) والبرزخ: هذه الجزيرة، هذا اليبس.

٥٨٧/١١

تخريج النص:

- أورد السيوطي في الدر المنثور (١٩٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

(بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ): أي حاجز: لئلا يحمل أحدهما على الآخر، فيختلطان^(١). وقوله (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ^(٢)، وقال ابن كثير: أي وجعل بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً^(٣)، وهكذا قال الشوكاني^(٤)، وقال الحسن وقتادة: هي

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٨).

(٢) جامع البيان (٥٨٦/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٢/٤).

(٤) فتح القدير (١٣١/٥).

الأرض التي بينهما وهي الحجاز^(١)، وقال (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) يعني الجزائر^(٢)، ثم قال الرازي: والبرزخ الحاجز وهو قدرة الله تعالى في البعض وبقدرة الله في الباقي، فإن البحرين قد يكون بينهما حاجز أرضي محسوس وقد لا يكون^(٣)، وبه قال المراغي^(٤) وقال الطوسي: والبرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة^(٥) للموتى^(٦).

المفسرون متفقون على تفسير قوله تبارك وتعالى (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) بأن البرزخ: الأرض اليبس التي تكون بين البحرين، وتسمى جزيرة وهو قول قتادة. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾^(٧).

النص: ٣٠/٣٤٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: البرزخ الذي بينهما: الأرض التي بينهما.

٥٨٧/١١

النص رقم: ٣٠/٣٤٩: تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٢٩/٣٤٨.

النص: ٣١/٣٥٠ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام عن قتادة (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) قال: حُجِرَ الْمَالِحُ عَنِ الْعَذْبِ وَالْعَذْبُ عَنِ الْمَالِحِ، وَالْمَاءُ عَنِ الْيَبْسِ، وَالْيَبْسُ عَنِ الْمَاءِ، فَلَا يَبْغِي بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ بِقُوَّتِهِ وَلَطْفِهِ وَقُدْرَتِهِ.

٥٨٧/١١

-
- (١) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١٧).
 - (٢) زاد المسير (٢٥٩/٧).
 - (٣) مفاتيح الغيب (٨٩/٢٩).
 - (٤) تفسير المراغي (مج ٩/١١٢-١١٣).
 - (٥) التبيان في تفسير القرآن (مج ٩/٤٦٩).
 - (٦) المحرر الوجيز (١٩٢/١٤).
 - (٧) سورة الفرقان، الآية (٥٣).

النص: ٣٢/٣٥١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لا يَبْغِيَانِ) على اليبس وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى.

٥٨٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٤/٦)، وعزا إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

اختلف أهل التأويل في معنى قوله (لا يَبْغِيَانِ) فقال بعضهم: معنى ذلك لا يبغي أحدهما على صاحبه، قاله: مجاهد، وقتادة، وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما لا يختلطان، قاله: مجاهد، وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يبغيان على اليبس، قاله: قتادة، وقال آخرون: بل معناه: لا يبغيان أن يلتقيا، قاله: بن زيد^(١)، وفي معنى الآية قال ابن كثير، لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر^(٢)، وبه قال الشوكاني^(٣)، والزمخشري^(٤)، وقال الألوسي: لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما^(٥)، ووافق ابن الجوزي^(٦)، وقال قتادة ومجاهد: لا يبغي أحدهما على صاحبه فيغلبه^(٧)، وقال الرازي: وقوله (لا يَبْغِيَانِ) فيه وجهان: أحدهما: من البغي أي لا يظلم أحدهما على الآخر. وثانيهما: أن يقال لا يبغيان من البغي بمعنى الطلب أي لا يطلبان شيئاً، وعلى هذا ففيه وجه آخر، وهو أن يقال إن يبغيان لا مفعول له معين، بل هو بيان أنهما لا يبغيان في ذاتهما ولا يطلبان شيئاً

(١) جامع البيان (٥٨٧/١١-٥٨٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٢/٤).

(٣) فتح القدير (١٣١/٥).

(٤) الكشاف (٤٣٥/٤).

(٥) روح المعاني (١٠٦/٢٧).

(٦) زاد المسير (٢٥٩/٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١٧).

أصلاً^(١)، وقال ابن عطية مثله^(٢)، وقال الفراء: لا يبغيان: لا يبغى العذب على الملح فيكون عذباً، ولا يبغى الملح على العذب فيكون ملحاً^(٣)، وهو ما قاله المراغي ثم أوضح قائلاً: فترى نهر النيل بمصر يخرج من جبال الحبشة ويجري شمالاً حتى يصب في البحر الأبيض المتوسط، ولا يبغى أحدهما على الآخر^(٤)، وزيادة على هذا قيل: لا يبغى أحدهما على الآخر ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب، منه يشربون، وتشرب أشجارهم وزروعهم وحروثهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك^(٥).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء بل عم الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه، فيقال: أنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغى أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حد الله الذي حده لهما^(٦).

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

الآية: ٢٢

النص: ٣٣/٣٥٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) أما اللؤلؤُ فعظامه، وأما المرجان فصفاره وإن لله فيهما خزانة دل عليها عامة بني آدم، فأخرجوا متاعاً ومنفعة وزينة وبلغت إلى أجل.

٥٨٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) مفاتيح الغيب (٨٩/٢٩).

(٢) المحرر الوجيز (١٩٢/١٤).

(٣) معاني القرآن، للفراء (١١٥/٣).

(٤) تفسير المراغي (مج ٩/١١٢-١١٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٤٤-١٤٥).

(٦) جامع البيان (٥٨٨/١١).

يقول تعالى ذكره: يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله، وجعل بينهما برزخاً اللؤلؤ والمرجان، واختلف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان، فقال بعضهم: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغر منه قاله: ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقال آخرون: المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار، قاله: مرة^(١)، ومجاهد، وابن عباس، وقال آخرون: المرجان: جيد اللؤلؤ، وقال آخرون: المرجان: حجر، قاله: ابن مسعود^(٢)، وقال به ابن كثير^(٣)، والشوكاني^(٤)، والزمخشري ثم قال: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب^(٥)، والقرطبي^(٦)، وابن عطية قال بمثلهم^(٧)، وكذا ابن الجوزي^(٨)، وابن عاشور^(٩).

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) قرأ نافع وأبو عمرو: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) بضم الياء، من قال: "يُخْرَجُ" بالضم كان قوله بيناً لأن ذلك إنما يُخْرَجُ ولا يَخْرُجُ بنفسه، فهما يستخرجان، ومن قرأ "يَخْرُجُ" جعل الفعل للؤلؤ والمرجان، وهو اتساع لأنه إذا أُخْرِجَ ذلك خَرَجَ^(١٠).

وقال سيد قطب في معنى الآية: اللؤلؤ - في أصله - حيوان. ولعل اللؤلؤ أعجب ما في البحار، فهو يهبط إلى الأعماق، وهو داخل صدفه من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحية في تركيبه وطريقة

(١) مرة الهمداني: هو مرة بن شراحيل الهمداني، بسكون الميم أبو إسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له مرة الطيب، ثقة، عابد، من الثانية، مات سنة ست وسبعين، وقيل بعد ذلك. انظر: تقريب التهذيب (ص ٦١١).

(٢) جامع البيان (١١/٥٨٨ - ٥٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٢).

(٤) فتح القدير (٥/١٣١).

(٥) الكشف (٤/٤٣٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٣).

(٧) المحرر الوجيز (١٤/١٩٢).

(٨) زاد المسير (٧/٢٦٠).

(٩) التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٩ - ٢٥٠).

(١٠) حجة القراءات، لزنجلة (ص ٦٩١).

معيشته فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد، عجيبه النسج، تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه، وتحول بين الرمال والحصى وغيرها، وتحت الشبكة أفواه الحيوان، ولكل فم أربع شفاه، فإذا دخلت ذرة رمل أو قطعة حصى، أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة، سارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة! وعلى حسب حجم الذرة التي وصلت يختلف حجم اللؤلؤة". والمرجان: من عجائب مخلوقات الله يعيش في البحار على أعماق تتراوح بين خمسة أمتار وثلاث مائة متر، ويثبت نفسه بطرفه الأسفل بصخر أو عشب، وفتحة فمه التي في أعلى جسمه، محاطه بعدد من الزوائد يستعملها في غذائه، فإذا لمست فريسة هذه الزوائد، وكثير ما تكون من الأحياء الدقيقة كبراغيث الماء، أصيبت بالشلل في الحال، والتصقت بها، فتتكمش الزوائد وتتحني نحو الفم، حيث تدخل الفريسة إلى الداخل بقناة ضيقة تشبه مرئ الإنسان^(١).

والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعون أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ، قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك^(٢).

النص: ٣٤/٣٥٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قل: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَالْمَرْجَانُ) قال: اللؤلؤ: الكبار من اللؤلؤ والمرجان: الصغار منه.

٥٨٨/١١

النص رقم: ٣٤/٣٥٣: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٣/٣٥٢.

(١) في ظلال القرآن (مج ٦/٣٤٥٣).

(٢) جامع البيان (١١/٥٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١).

الآية: ٢٤

النص: ٣٥/٣٥٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) يعني: السفن.

٥٩١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٦٤/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) يقول تعالى ذكره: ولرب المشرقين والمغربيين الجوّاري، وهي السفن الجارية في البحار^(٢)، وقال مجاهد: ما رفع قلعة من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت^(٣)، وقال الزمخشري: (الْجَوَارِي) السفن، و(الْمُنشآتُ) المرفوعات الشرع، وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن^(٤)، وقال بمثلهم الشوكاني^(٥)، والقرطبي^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، والرازي^(٨)، وابن عطية^(٩)، وقال البغوي: هي السفن الكبار^(١٠)، ثم قال الطبرسي: أي الجارية في الماء تجري بأمر الله^(١١).

(١) الجوار: أي السفن التي تجري في البحر ومفردها جارية. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ٩٢).

(٢) جامع البيان (١١/٥٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٢/٤).

(٤) الكشف (٤/٤٣٥).

(٥) فتح القدير (٥/١٣١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٤).

(٧) زاد المسير (٧/٢٦٠).

(٨) مفاتيح الغيب (٢٩/٩١).

(٩) المحرر الوجيز (١٤/١٩٦).

(١٠) معالم التنزيل (مج ٧/٤٤٥).

(١١) مجمع البيان في تفسير القرآن (مج ٩/٣٠٠).

قرأ الدوري (الْجَوَارِي) بالإمالة عن الكسائي ووقف يعقوب عليها بالياء وعن الحسن رفع رائه^(١) وقرأ حمزة (الْمُنشآت) بكسر الشين^(٢).

أهل العلم من المفسرين مجتمعون على معنى قوله عز وجل (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) بأنها السفن.

لا شك أن الفلك في البحر لا يملكه في الحقيقة أحد إذ لا تصرف لأحد في هذا الفلك وإنما كلهم منتظرون رحمة الله تعالى معترفون بأن أموالهم وأرواحهم في قبضة قدرة الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٥).

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

الآية: ٢٩

٣٦/٣٥٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) لا يستغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يحيى حياً، ويميت ميتاً ويربى صغيراً ويزل كبيراً، وهو مسأل حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار.

٥٩١/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٧/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص ٤٠٦).

(٢) التذكرة في القراءات الثمان (مج/٥٧٦).

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٥).

(٤) مفاتيح الغيب (٩١/٢٩).

(٥) سورة الحاقة، الآية (١١).

(٦) سورة الشورى، الآية (٣٢).

وقوله (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: إليه يفرع بمسألة الحاجات كل من في السموات والأرض، من ملك وإنس وجن وغيرهم، لا غنى بأحد منهم عنه، وقوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) هو كل يوم في شأن خلقه فيفرج كرب ذي كرب ويرفع قوماً ويخفض آخرين، وغير ذلك من شؤون خلقه^(١)، وقال عبيد بن عمير: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) أي من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً، وقال مجاهد: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً^(٢)، والدهر عند الله تعالى يومان أحدهما: اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع. والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب^(٣).

وقال أبو صالح: يسأله أهل السموات المغفرة، ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه الأمرين جميعاً، وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسال لهم الملائكة أيضاً الرزق والمغفرة^(٤)، وذكر الرازي: وقال بعضهم: شؤون يديها لا شؤون يبتديها وقيل: سوق المقادير إلى المواقيت، ومعناه أن القلم جف بما يكون في كل وقت فإذا جاء ذلك الوقت تعلق إرادته بالفعل فيه فيوجد^(٥)، وهكذا قال ابن الجوزي^(٦) وقال ابن عطاء^(٧): إنهم سألوه القوة على العبادة^(٨)، وقال ابن عطية: أن الله تعالى له في كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاثمائة وستون

(١) جامع البيان (١١/٥٩١-٥٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٣).

(٣) الكشاف (٤/٤٣٦-٤٣٧).

(٤) فتح القدير (٥/١٣٣).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/٩٦-٩٧).

(٦) زاد المسير (٧/٢٦١).

(٧) ابن عطاء: هو عمر بن عطاء بن وراز، حجازي، ضعيف، من السادسة. انظر: تقريب التهذيب (ص ٤٨٤).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٦).

نظرة، يعز فيها ويذل، ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، إلى غير ذلك من الأشياء، لا إله إلا هو^(١)، وأتبعهم الثعالبي^(٢).

وأبدل همزة (شأن) الأصبهاني وأبو عمرو بخلاف عنه وأبو جعفر ألفاً، وكذا قرأ حمزة في الوقف^(٣).

كل الأقاويل التي نكرها العلماء لا يخرج روح معنى أقوالهم عن معنى قول قتادة.

النص: ٣٧/٣٥٦ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال: يخلق مخلقاً، ويميت ميتاً، ويحدث أمراً.

٥٩٢/١١

النص رقم: ٣٧/٣٥٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٦/٣٥٥.

قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾.

الآية: ٣١

النص: ٣٨/٣٥٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أنه تلا (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) قال: دنا من الله فراغ لخلقه.

٥٩٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧٣/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١) المحرر الوجيز (١٩٩/١٤).

(٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٤٤/٤).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص ٤٠٦).

دراسة النص:

قوله جل ثناؤه (سَنَفِرُكُمْ لَكُمْ) سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة^(١)، وقال ابن عباس: وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ^(٢)، وقال الحسن ومقاتل وابن زيد: إن الله سبحانه وعد على التقوى وأوعد على المعصية، ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا إلى ما وعدناه^(٣)، وقال الزمخشري: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل^(٤)، وأضاف الرازي قائلاً: لما كان للإنسان مشاهدة مقتصرة على أفعال نفسه وأفعال أبناء جنسه وعدم الفراغ منهم بسبب الشغل يظن أن الله تعالى فارغ فحمل الخلق عليه أنه ليس بفارغ، فيلزم منه الفعل وهو لا يشغله شأن عن شأن يلزمه حمل اللفظ على غير معناه^(٥).

وما قاله القرطبي قاله المفسرون أعلاه^(٦)، وكذا ابن الجوزي^(٧)، وقال ابن عطية عبارة عن إتيان الوقت الذي قدر فيه وقضى أن ينظر في أمر عباده، وذلك يوم القيامة وليس المعنى أن ثم شغلاً يفرغ منه، وإنما هي إشارة وعيد^(٨). قرأ حمزة والكسائي: (سيفرغ لكم) بالياء^(٩).

اختلف قتادة مع المفسرين في معنى الآية التي تحدثت عن وعيد الله جل وعلا للثقلين الجن والإنس يوم القيامة بأنه سيحاسبهم فيعاقب أهل المعاصي ويثيب أهل الطاعة، وليس المعنى أن ثم شغلاً يفرغ منه سبحانه وتعالى لأن الشغل والفراغ

(١) جامع البيان (١١/٥٩٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٣).

(٣) فتح القدير (٥/١٣٣).

(٤) الكشف (٤/٢٣٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/٩٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٨-١٦٩).

(٧) زاد المسير (٧/٢٦٢).

(٨) المحرر الوجيز (١٤/١٩٩-٢٠٠).

(٩) حجة القراءات، لزنجلة (ص ٦٩٢).

من صفات الأجسام وطبيعة البشر تجده يدنوا من الله سبحانه وتعالى ولكنه في نفس الوقت يشتغل بما حوله من الوجود، خلاف المولى عز وجل فلا يشغله شيء عن شيء، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

الآية: ٣٣

النص: ٣٩/٣٥٨ حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام عن قتادة (فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) قال: لا تتفدون إلا بملك وليس لكم ملك.

٥٩٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١٩٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

ذكر الطبري أن معنى قوله (إِلَّا بِسُلْطَانٍ) فقال: إن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: معناه: إلا ببينة، وقال آخرون: معناه: إلا بحجة وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا بملك وليس لكم ملك^(١)، وقال ابن كثير: أي لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرّون على التخلص من حكمة ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إِلَّا بِسُلْطَانٍ) أي إلا بأمر الله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

(١) جامع البيان (٥٩٥/١١).

المُسْتَقْرُّ ﴿١﴾ (٢). وقال الضحاك: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا، وقيل إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان: أي بينة من الله^(٣)، وقال الزمخشري: معنى قوله (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ) أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي، فافعلوا، ثم قال لا تقدرّون على النفوذ (إِلَّا بِسُلْطَانٍ) يعني بقوة وقهر وغلبة، وأني لكم ذلك^(٤)، ذلك القول قال به الرازي^(٥) ثم قيل عن معنى الآية الكريمة أي: لا تخرجون منه إلا بقوة، وتسلط منكم، وكمال قدرة، وأني لهم ذلك وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً؟ ففي ذلك الموقف، لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همساً، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء^(٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة^(٧).

النص: ٤٠/٣٥٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) قال: إلا بسلطان من الله، إلا بملكة منه.

٥٩٥/١١

النص: ٤١/٣٦٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) يقول إلا بملكة من الله.

٥٩٥/١١

(١) سورة القيامة، الآيات (١٠-١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٤).

(٣) فتح القدير (٥/١٣٤).

(٤) الكشف (٤/٤٣٨).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/٩٩-١٠٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/١٤٦-١٤٧).

(٧) جامع البيان (١١/٥٩٥).

النصوص رقم: ٤٠/٣٥٩-٤١/٣٦٠ تقدمت دراستهما وتخرجهما في النص رقم:
٣٩/٣٥٨.

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾.

الآية: ٣٥

النص: ٤٢/٣٦١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ) أي لهب من نار.

٥٩٦/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله (شَوَاظٌ) النار التي لا دخان فيها^(١)، وهو ما قاله الطبري حيث قال: يقول تعالى ذكره (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا) أيها الثقلان يوم القيامة (شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ) وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجج بغير دخان كان فيه، ووافقهم ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقال آخرون: الشواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب، قاله: الضحاك^(٢)، وهذا القول قال به ابن كثير^(٣)، والشوكاني^(٤)، الزمخشري قال: هو اللهب الخالص^(٥)، وقال الرازي: الشواظ: هو لهب النار وهو لسانه، وقيل ذلك لا يقال إلا للمختلط بالدخان الذي من الحطب، والظاهر أن هذا مأخوذ من قول الحكماء إن النار إذا صارت خالصة لا ترى كالتي تكون في الكير الذي يكون في غاية الانتقاد، وكما في التنور المسجور فإنه يرى فيه نور وهو نار^(٦).

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٨).

(٢) جامع البيان (١١/٥٩٥ - ٥٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٤).

(٤) فتح القدير (٥/١٣٤).

(٥) الكشاف (٤/٤٣٨).

(٦) مفاتيح الغيب (٢٩/١٠١).

وقال القرطبي ما قاله المفسرون أعلاه^(١)، وأيضاً القاسمي^(٢)، وأكد بأنه لهب خالص لا دخان فيه^(٣).

وقال الفراء: الشواظ: النار المحضنة^(٤).

قرأ ابن كثير: (شواظ) بكسر الشين^(٥).

قول قتادة في معنى قوله جل وعلا (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ) شابه أقوال المفسرين بأنه هو اللهب الذي لا دخان له.

تقف الآية على موقف القيامة والحشر، أي إذا أصررتما يا معشر الجن والإنس على الكفر والطغيان وعصيان الرسول، فما أمامكم في الآخرة إلا هذا العذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مِمَّا لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٦).

النص: ٤٣/٣٦٢ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ) قال لهب من نار.

٥٩٦/١١

النص رقم: ٤٣/٣٦٢: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٢/٣٦١.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٠/١٧-١٧١).

(٢) محاسن التأويل (٢٩٢/١٥-٢٩٣).

(٣) التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل المسمى: مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، تأليف: الشيخ محمد نووي الجاوي، وبهامشه: كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، (٤٦٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، (٣٤٢/٢)، والميزان في تفسير القرآن، لمؤلفه الأستاذ السيد محمد حسين الطباطبائي الناشر: دار الكتب الإسلامية - نهران بازار سلطاني، تاريخ انتشار: زمستان، ١٣٩٢هـ، (ص ١٢٠).

(٤) معاني القرآن، للفراء (٣/١١٧).

(٥) حجة القراءات، لزنجلة (ص ٦٩٣).

(٦) سورة يونس: الآية (٢٧).

قوله تعالى: ﴿وَنَحَاسٌ﴾.

النص: ٤٤/٣٦٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (وَنَحَاسٌ) قال: توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذبهما به.

٥٩٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٨/٣).

دراسة النص:

يقول الطبري: وأما قوله (وَنَحَاسٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به، فقال بعضهم: عنى به الدخان قاله: ابن عباس، وقال آخرون: عنى بالنحاس في هذا الموضوع: الصفر قاله: مجاهد، وسفيان، وقتادة^(١). وما قاله الطبري قاله ابن كثير^(٢)، وكذلك الشوكاني إلا أنه زاد فنذكر قول الضحاك: الذي قال: هو دردي الزيت المغلي، وقول الكسائي والذي قال: هو النار التي لها ريح شديدة^(٣)، وقول ابن عباس قاله الزمخشري^(٤)، وذكر القولين الطوسي^(٥) وأيضاً الرازي ثم قال: إن نكر الأمرين بعد خطاب النوعين يحتمل أن يكون لاختصاص كل واحد بواحد، وحينئذ فالنار الخفيف للإنس لأنه يخالف جوهره، والنحاس الثقيل للجن لأنه يخالف جوهره أيضاً، فإن الإنس ثقيل والنار خفيفة، والجن خفاف والنحاس ثقيل، وكذلك إن قلنا المراد من النحاس الدخان^(٦)، وقال مقاتل: هي خمسة أيام من صفر مذاب، تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار ثلاثة أيام على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار، وقال ابن مسعود: النحاس المهل^(٧).

(١) جامع البيان (٥٩٧/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٤/٤).

(٣) فتح القدير (١٣٤/٥).

(٤) الكشاف (٤٣٨/٤).

(٥) التبيان في تفسير القرآن، (مج ٤٧٤/٩).

(٦) مفاتيح الغيب (١٠١/٢٩).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/١٧).

وقال ابن قتيبة: (والنحاس): الدخان^(١)، وكذا قاله الزجاج^(٢).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح^(٣) (ونحاس) بخفض السين^(٤).

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالنحاس، الدخان، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان، والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نحاساً بضم النون، ونحاساً بكسرهما، والقراء مجمعة على ضمها^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾.

النص: ٤٥/٣٦٤ كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) قال: يعني الجن والإنس.

٥٩٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) يقول تعالى ذكره: فلا تنتصران أيها الجن والإنس منه إذا عاقبكما هذه العقوبة، ولا تستنقدان منه^(٦). وقال ابن كثير: لو ذهبتم هاربيين يوم

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٩٩/٥).

(٣) روح: هو ابن عبد المؤمن الإمام أبو الحسن البصري المقرئ صاحب يعقوب الحضرمي، كان متقناً مجوداً، حدث عن أبي عوانة، وحماد بن زيد، قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني وآخرون، وحدث عنه البخاري في صحيحه، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، قبلها، أو بعدها. انظر: طبقات القراء، للذهبي (٢٥٣/١).

(٤) النشر في القراءات العشر (٣٨١/٢).

(٥) جامع البيان (٥٩٧/١١-٥٩٨).

(٦) جامع البيان (٥٩٨/١١).

القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا^(١)، وقال الشوكاني: أي لا تقدران على الامتناع من عذاب الله^(٢)، وقال القرطبي: أي لا ينصر بعضكم بعضاً يعني الجن والإنس^(٣)، وأضاف الزمخشري: فلا تمتنعان^(٤). وقال ابن عطية: أي أنما بحال من يرسل عليه هذا فلا تنتصران^(٥) وبه قال ابن حيان أي يعجز الجن والإنس^(٦).

وجهت الآية الخطاب في قوله تعالى: (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) للجن والإنس وأكد هذا قتادة والمفسرون.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٧).

الآية: ٣٧

النص: ٤٦/٣٦٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، (وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر.

٥٩٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٧٣/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩٩/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٤/٤).

(٢) فتح القدير (١٣٤/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/١٧).

(٤) الكشاف (٤٣٨/٤).

(٥) المحرر الوجيز (٢٠٦/١٤).

(٦) البحر المحيط (١٩٥/٨).

(٧) وردة كالدّهان: الدهان في القرآن الأديم الأحمر الصرف، وفي قوله تعالى (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) أي تتلون من الفزع الأكبر كما تتلون الدهان المختلفة، وكذا في اللغة الدهان: الأديم الأحمر، وقيل: الأملس. انظر: لسان العرب، لابن منظور (مج/٣٢١/٥).

دراسة النص:

قال: وقوله: (فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) يقول تعالى ذكره فإذا انشقت السماء وتفترت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر^(١)، وقال ابن كثير: أي تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم، وقال الضحاك: هو الأديم الأحمر، وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردية وتكون كالمهل كدردي الزيت^(٢)، وقال سعيد بن جبير وقتادة: المعنى فكانت حمراء، قال الماوردي: وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق^(٣)، اتفق الزمخشري مع الضحاك فيما قاله^(٤)، وما قاله المفسرون ذكره ابن الجوزي^(٥)، وأيضاً ابن عطية^(٦)، وابن قتيبة قال: حمراء في لون الفرس الوردية و"الدهان" جمع "دهن"، ويقال: "الدِّهَانُ": الأديم الأحمر^(٧).

وقيل (فَكَانَتْ وَرْدَةً) فيه وجهان:

أحدهما: وردة البستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من ألوانها الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، كذلك تصوير السماء يوم القيامة حمراء كالورد، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه أراد بالوردية الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد، لاختلاف ألوانه، قاله الكلبي والفرء^(٨).

(١) جامع البيان (٥٩٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٥/٤).

(٣) فتح القدير (١٣٤/٥).

(٤) الكشف (٤٣٩/٤).

(٥) زاد المسير (٢٦٤/٧-٢٦٥).

(٦) المحرر الوجيز (٢٠٦/١٤-٢٠٧).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٩).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤٣٥/٥-٤٣٦).

اختلفت أقوال أهل العلم في معنى الآية الكريمة (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) لفظاً، ولكنهم متفقون على أنها يوم القيامة لها لون آخر، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم، والدليل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١)، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ ۖ﴾^(٢).

النص: ٤٧/٣٦٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَرْدَةٌ كَالدِّهَانِ) قال: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر.

٥٩٨/١١

النص رقم: ٤٧/٣٦٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٦/٣٦٥.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

الآية: ٣٩

النص: ٤٨/٣٦٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله (لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) قال: حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم.

٥٩٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه أحمد في مسنده (١٠٣/٦).
- وابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٧٤/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله تعالى قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض^(٣)، وقال ابن عباس: لا

(١) سورة الانشقاق، الآية (١).

(٢) سورة الحاقة، الآيتان (١٥-١٦).

(٣) جامع البيان (٥٩٩/١١).

يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا^(١)، وقال الشوكاني: قيل أنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم، لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، ولكن يسئلون سؤال توبيخ وتقريع^(٢)، والزمخشري قال: لا يسئلون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون^(٣)، وقال الحسن وقتادة: لا يسئلون عن ذنوبهم، لأن الله حفظها عليهم، وكتبتها عليهم الملائكة، وقال أبو العالية: لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم^(٤)، وما قاله المفسرون قاله ابن عطية^(٥)، وأضاف عكرمة، وقال: إنها مواطن، يسئل في بعضها ولا يسئل في بعضها^(٦).

وقال الفراء: لا يسئل إنس عن ذنبه، ولا جان عن ذنبه، لأنهم يعرفون بسيماهم كما وصف الله: فالكافر يعرف بسواد وجهه، وزرقة عينه، والمؤمن أغر محجل من أثر وضوئه^(٧)، السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: فوريك لنسألنهم أجمعين وغيره، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي والمثبت وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن^(٨).

وقرأ الحسن (وَلَا جَانٌّ) بالهمز فراراً من التقاء الساكنين^(٩).

تبيين من قوله تعالى: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) أنه لا يسئل أحد من الإنس والجن، لأن الله سبحانه وتعالى قد أحصى الأعمال وحفظها على

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٥/٤).

(٢) فتح القدير (١٣٤/٥).

(٣) الكشاف (٤٣٩/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/١٧).

(٥) المحرر الوجيز (٢٠٧/١٤).

(٦) معالم التنزيل (مج ٤٥٠/٧).

(٧) معاني القرآن، للفراء (١١٧/٣).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبى (٨٥/٣).

(٩) البحر المحيط (١٩٥/٨-١٩٦).

العباد وهذا كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(١)، ثم يستلون بعدئذ في حال أخرى يوم يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم في موقف الحساب، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وهو ما أوَّله قتادة والمفسرون.

النص: ٤٩/٣٦٨ حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) قال: قد كانت مسألة ثم ختم على ألسنة القوم فنتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

٥٩٩/١١

النص رقم: ٤٩/٣٦٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٨/٣٦٧.

قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾.

الآية: ٤١

النص: ٥٠/٣٦٩ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) قال: زرق العيون سود الوجوه.

٦٠٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٧٥/١٧).

دراسة النص:

قوله (يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بعلامات فيهم، يقال: سواد الوجوه، وزرقة العيون، ونحو ذلك^(٣)، ووافقه الحسن، وقتادة^(٤)، وقال ابن كثير: وهذا كما

(١) سورة المرسلات، الآيتان (٣٥-٣٦).

(٢) سورة الحجر، الآيتان (٩٢-٩٣).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص ٤٣٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٦٠٠/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٧٥/١٧).

يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء^(١)، وقال الشوكاني في معنى الآية: سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة^(٢)، وقال الرازي: يحتمل وجوهاً: أحدها: كي على جباههم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾^(٣). ثانيها: سواد. ثالثها: غبرة وقترة^(٤). وقرأ حماد بن أبي سليمان^(٥) (بِسِيمَائِهِمْ) بالمد^(٦).

وأضاف الطبرسي فقال: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بإمارات الخزي^(٧). وقيل يعرف المجرمون من الإنس والجن بعلامة يتميزون بها^(٨).

(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) هناك: ولقد عثر النوع الإنساني مع قلة علمه على قليل من ذلك فانتفع به حصر المجرمين وإذلالهم، وذلك أن لكل امرئ خطوطاً خاصة في إبهامه لا تشابه خطوط غيره، ولا يحصل التباس فمتى أخذوا صورتها على الورقة لم يفلت ذلك المجرم، إذ يعرفونه بتلك العلامة التي لا يشاركه فيها سواه في الشرق ولا في الغرب، وهذا أيضاً في أوروبا وجميع العالم الإنساني، وهناك

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٥/٤).

(٢) فتح القدير (١٣٥/٥).

(٣) سورة التوبة، الآية (٣٥).

(٤) مفاتيح الغيب (١٠٥/٢٩).

(٥) حماد بن أبي سليمان: هو حماد بن أبي سليمان، واسمه مسلم، الأشعري، أبو إسماعيل الكوفي الفقيه، مولى أبي موسى، وقيل: مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري، روي عن: إبراهيم الحنفي، وأنس بن مالك والحسن البصري وآخرون، روي عنه: ابنه إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان وسفيان الثوري وغيرهم، قال أحمد بن عبد الله العجلي: حماد بن أبي سليمان كوفي ثقة، وقال النسائي: ثقة إلا أنه مرجيء، مات سنة عشرين ومائة قيل: سنة تسع عشرة ومائة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (١٨٧/٥-١٩٢).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق: الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (١٧٥/١٠).

(٧) مجمع البيان (مج ٣٠٦/٩).

(٨) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للثئون الإسلامية لجنة القرآن والسنة، الطبعة العشرون، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (ص ٩٥٥).

بعض العرب في البادية يعرفون الإنسان بأثره ويرثها الابن وراثته طبيعية، وذلك مشهور في طوائف قليلة من الناس وهو من خاصيتهم، وإذا كان هذا في الدنيا فما بالك بيوم القيامة عند من يعلم الغيب^(١).

وترى الباحثة أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن معنى قوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) هو: زرق العيون، وسود الوجوه، وهو ما ذهب إليه قتادة، كقوله جل وعلا: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٢)، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

الآية: ٤٤

النص: ٥١/٣٧٠ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال: أني طبخها منذ يوم خلق الله السموات والأرض. ٦٠١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٧٥/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور، ٢٠١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

معنى الآنى: الذي قد انتهت شدة حره^(٤)، وقوله (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول تعالى ذكره: يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف صفتهم في جهنم بين أطباقها (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول: وبين ماء قد أسخن وأغلى حتى انتهى حره وأنى

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للأستاذ الشيخ: طنطاوي جوهرى، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ، (٢٩-٢٨/٢٤).

(٢) سورة طه، الآية (١٠٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٦).

(٤) معاني القرآن، للفراء (١١٨/٣).

طبخه، وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قوله: ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾^(١)، يعني إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذبيان.

ويُخَضَّبُ لِحْيَهُ غَدَرْتُ وَخَانَتْ * * * بأحمر من نجيع الجوف آني^(٢)

يعني مدرك، وقال بعضهم عنى بالآني: الحاضر، قاله: ابن زيد^(٣)، وقال ابن عباس: أي قد انتهى عليه واشتد حره وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي^(٤).

وقال الرازي: هو كقوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾^(٥)، لأنهم يخرجون فيستغيثون فيظهر لهم من بعد شيء مائع هو صديدهم المغلي فيظنونه ماء، فيردون عليه كما يرد العطشان فيقعون ويشربون منه شرب الهيم، فيجدونه أشد حراً فيقطع أمعاءهم، وقوله (حَمِيمٍ) إشارة إلى ما فعل فيه من الإغلاء، وقوله تعالى (أَنْ) شارة إلى ما قبله، وهو كما يقال قطعتة فانقطع فكأنه حمته النار فصار في غاية السخونة وأن الماء إذا انتهى في الحر نهاية^(٦)، وذكر القشيري في معنى الآية، وقال: (حَمِيمٍ) ماء حار، (أَنْ) تنهى في النضج^(٧). وما قاله قتادة فيما تضمنته الآية من معنى، ولا خلاف بين المفسرين في ذلك.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٢) هذه القصيدة من ديوان النابغة الذبياني، بعنوان (لا أمانة لليمان) مطلعها:

لعمرك، ما خشيتُ على يزيدٍ * * * من الفجرِ المضلِّ، ما أتاني.

نظم هذه الأبيات في هجو يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي. يخضب: يلون، النجيع: الدم، الآني: الحار الساخن. انظر: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، (ص ٩٩-١٠٠).

(٣) جامع البيان (٦٠٠/١١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٧٦/٤)، فتح القدير (١٣٦/٥)، والكشاف (٤٤٠/٤).

(٥) سورة الكهف، الآية (٢٩).

(٦) مفاتيح الغيب (١٠٧/٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٧٥/١٧-١٧٦)، والمحزر الوجيز،

(٢٠٩-٢٠٨/١٤)، والنكت والعيون تفسير الماوردي (٤٣٧/٥)، وصفوة البيان لمعاني القرآن،

حسنين محمد مخلوف، الطبعة الثالثة، الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م (ص ٦٩٠).

(٧) لطائف الإشارات (مج ٧٩/٦).

والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر
عن المعاصي والترغيب في الطاعات^(١).

النص: ٥٢/٣٧١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول: حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموت والأرض.

٦٠١/١١

النص رقم: ٥٢/٣٧١: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٥١/٣٧٠.

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

الآية: ٤٦

النص: ٥٣/٣٧٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَلِمَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) قال: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا له، ودانوا له،
وتعبدوا بالليل والنهار.

٦٠٢/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال السيوطي في كتابه نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق^(٢).
يقول تعالى ذكره: ولمن اتقى الله من عباده، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه
بأداء فرائضه، واجتتاب معاصيه جنتان، يعني بستانين^(٣)، وقال مقاتل: يعني جنة

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٦/١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم
وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضرة تأتي علي
بهيمة تأكلني، وأني لم أخلق فنزلت: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)، انظر: لباب النقول في أسباب
النزول، للسيوطي، (ص ٢٨٥).

(٣) انظر: جامع البيان (٦٠١/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٧٦/٤)، لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٨٥).

عدن وجنة النعيم، وقيل: إحداهما لتي خلقت له والأخرى ورثها، وقيل: إحداهما منزله والأخرى منزل أزواجه، وقيل: إحداهما أسافل القصور والأخرى أعاليها، وقيل: جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية^(١)، وذكر ابن الجوزي في تفسيره لمعنى الآية فقال: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) فيه قولان: أحدهما: قيامه بين يدي الله عز وجل يوم الجزاء.

الثاني: قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسبه، أن العبد يهيم بمعصية فيتركها خوفاً من الله عز وجل فله جنتان، وهما بستانان^(٢).

وأكد الفراء وقال: إنهما بستانان من بستين الجنة^(٣).

قرأ حمزة (خَافَ) بالإمالة^(٤).

وقال الطبرسي: هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وأفضى به إلى الله تعالى لا يطلع عليه أحد^(٥).

هذه الأقوال جميعها متفقة في المعنى مع ما ذهب إليه قتادة.

أن هذه الآية عامة لمن خاف مقام ربه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان^(٦).

وهذه البشرى في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٧)، وقال جل جلاله أيضاً: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٨).

(١) انظر: فتح القدير (١٣٦/٥)، والكشاف (٤٤٠/٤-٤٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٧٦/١٧-١٧٧).

(٢) زاد المسير (٢٦٦/٧).

(٣) معاني القرآن، للفراء (١١٨/٣).

(٤) التيسير في القراءات السبع (ص ٥٠).

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن (مج ٣٠٨/٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٧٦/٤).

(٧) سورة النازعات، الآيتان (٤٠-٤١).

(٨) سورة يونس، الآية (٢٦).

النص: ٥٤/٣٧٣ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، قال: ثنا قتادة، في قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) قال: إن لله مقاماً قد خافه المؤمنون.

٦٠٢/١١

النص رقم: ٥٤/٣٧٣ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٥٣/٣٧٢.

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

الآية: ٤٨

النص: ٥٥/٣٧٤: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) يعني: فضلها وسعتها على ما سواهما.

٦٠٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧٦-٢٧٧/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٧٨/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٠٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) يقول: ذواتا ألوان، واحدها فن، وهو من قولهم: افتنَّ فلان في حديثه، إذا أخذ في فنون منه وضروب قاله: ابن عباس، وعكرمة، وقال آخرون: ذواتا أغصان، قاله: مجاهد، وآخرون: ذواتا أطراف أغصان الشجر، قاله: ابن عباس، وآخرون: بل عنى بذلك فضلها وسعتها على ما سواهما، قاله: قتادة^(١).

وقال الرازي: (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) هي جمع فنن أي ذواتا أغصان أو جمع فن أي فيهما فنون من الأشجار وأنواع من الثمار، فإن قيل كيف تمدح بالأفنان والجنات في

(١) انظر: جامع البيان (٦٠٣-٦٠٤)، وتفسير ابن كثير (٢٧٦-٢٧٧/٤)، وفتح القدير (١٣٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٧٨/١٧)، وزاد المسير (٢٦٦-٢٦٧/٧)، والكشاف (٤٤١/٤).

الدنيا نوات أفنان كذلك؟ نقول فيه وجهان: أحدهما: أن الجنات في الأصل نوات أشجار، والأشجار نوات أغصان، والأغصان نوات أزهار وأثمار، وهي لتتزه الناظر إلا أن جنة الدنيا لضرورة الحاجة وجنة الآخرة ليست كالدنيا فلا يكون فيها إلا ما فيه اللذة وأما الحاجة فلا، وأصول الأشجار وسوقها أمور محتاج إليها مانعة للإنسان عن التردد في البستان كيفما شاء، فالجنة فيها أفنان عليها أوراق عجيبة، وثمار طيبة من غير سوق غلاظ، ويدل عليه أنه تعالى لم يصف الجنة إلا بما فيه اللذة بقوله (ذَوَاتًا أَفْنَانٍ) أي الجنة هي ذات فنن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقعة في الجو وأهلها من تحتها. والثاني من الوجهين هو أن التكرير للأفنان للتكثير أو للتعجب^(١). وقال الأخفش الأوسط: في قوله (ذَوَاتًا أَفْنَانٍ) وواحداهما الفنن جمعه الأفنان ثم الأفانين، وهي الأغصان^(٢).

كل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والعلم لله الأعلى.

النص: ٥٦/٣٧٥ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (ذَوَاتًا أَفْنَانٍ) قال: ذواتا فضل على ما سواهما.

٦٠٤/١١

النص رقم: ٥٦/٣٧٥: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٥٥/٣٧٤.

قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.
الآية: ٥٤

النص: ٥٧/٣٧٦ حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن أبي عروبة، عن قتادة عن عكرمة، في قوله (إِسْتَبْرَقٍ) قال: الديباج الغليظ.

٦٠٥/١١

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٠٩/٢٩)، وصفوة النقاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (مج ٣/٣٠٠).

(٢) معاني القرآن، للأخفش: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق: الدكتور: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (٧٠١/٢).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٧٧/٤).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧/٢).

دراسة النص:

ومعنى قوله (إِسْتَبْرَقِي) هو الغليظ من الديباج قاله: ابن قتيبة^(١)، وبه قال الطبري ثم وضح وقال: والإستبرق عند العرب: ما غلظ من الديباج وخشن، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، يقول: يسمى المتاع الذي ليس في صفاقة الديباج ولا خفة العرقة إستبراقاً^(٢).

وقال: أبو عمران الجوني^(٣): هو الديباج المذيب بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، وقيل: بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة، وقال ابن شوذب^(٤): ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحاسن ولا يعلم ما تحت المحاسن إلا الله تعالى^(٥). وأضاف الرازي قائلاً: فيه وجه معنوي: وهو أن أهل الدنيا يظهرون الزينة ولا يتمكنون من أن يجعلوا البطائن كالظواهر لأن غرضهم إظهار الزينة والبطائن لا تظهر، وإذا انتفى السبب انتفى المسبب، فلما لم يحصل في جعل البطائن من الديباج مقصودهم وهو الإظهار تركوه، وفي الآخرة الأمر مبني على الإكرام والتتبع فتكون البطائن كالظواهر فذكر البطائن^(٦).

(١) تفسير غريب القرآن (ص ٤٤٢).

(٢) جامع البيان (٦٠٥/١١).

(٣) أبو عمران الجوني: هو أبو عمران بن عبد الملك بن حبيب الجوني، سمع أنساً وعبد الله بن الصامت، روى عنه حماد بن زيد وجعفر بن سليمان. انظر: الكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (٥٩٦/١).

(٤) ابن شوذب: هو عبد الله بن شوذب الخراساني، أبو عبد الرحمن، سكن البصرة ثم الشام، صدوق عابد، من السابعة، مات سنة ست أو سبع وخمسين. انظر: تقريب التهذيب، (ص ٣٦٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٤)، وفتح القدير (١٣٧/٥)، والكشاف (٤٤١/٤)، والمحرر الوجيز (٢١٢-٢١١/١٤).

(٦) مفاتيح الغيب (١١١/٢٩).

ومقابل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

النص: ٥٨/٣٧٧ كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) ثمارهم دانية، لا يرد أيديهم عنه بعد ولا شوك.

٦٠٦-٦٠٥/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٠٤)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) معناه: أي ما يُجْتَنَى قريب لا يعْنَى صاحبه^(٢)، وتفسيره: يقول الطبري: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لا جتاء ثمرها، ولكنهم يجتونها من قعود بغير عناء^(٣)، وأوضح مجاهد: أن ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك^(٤)، وهو قول قتادة.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾^(٥)، وقال أيضاً تبارك وتعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾^(٦).

(١) سورة السجدة، الآية (١٧).

(٢) غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي حقه وعلق عليه: محمد سليم الحاج، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (ص ٣٦٢).

(٣) انظر: جامع البيان (١١/٦٥٠)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٧٧)، وفتح القدير (٥/١٣٧)، والكشاف (٤/٤٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨٠)، والمحرر الوجيز (١٤/٢١٢).

(٤) روح المعاني (٢٧/١١٨)، والأساس في التفسير (مج ١٠/٥٦٥٩).

(٥) سورة الحاقة، الآية (٢٣).

(٦) سورة الإنسان، الآية (١٤).

النص: ٥٩/٣٧٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَبَى الْجَنَّتَيْنِ دَانَ) قال: لا يرد يده بعد ولا شوك.

٦٠٦/١١

النص رقم: ٥٩/٣٧٨ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٥٨/٣٧٧.

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ تُرَاجَعْنَ وَلَا جَانٌّ﴾.

الآية: ٥٦

النص: ٦٠/٣٧٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ١٠٠) الآية، يقول: قُصِرَ طرفهنَّ على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

٦٠٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٤٩/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: في هذه الفرش التي بطائنها من إستبرق (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) وهن النساء اللاتي قد قصر طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال^(١)، و(قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قصر لطرف يقصره: غضه أو حبسه عن النظر، فهو قاصر الطرف وهي قاصرة الطرف وهن قاصرات الطرف^(٢).

وقال ابن كثير: أي غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخرساني وابن زيد، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعليها والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك^(٣).

(١) جامع البيان (٦٠٦/١١).

(٢) البرهان في غريب القرآن، لحسن بن صالح بن عمر الحبشي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م (ص ٣٥٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٨/٤)، والكشاف (٤٤١/٤)، وفتح القدير (١٣٨/٥)، والمحرر الوجيز (٢١٣/١٤).

وقيل (فِيهِنَّ) الجنة التي لكل واحد منهما جنتان أو في الفرش (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن لا ينظرن إلى الغير^(١).
بذلك ترى الباحثة أنه لا خلاف بين أئمة التفسير في معنى الآية الجليلة.

قوله تعالى: ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

الآية: ٥٨

النص: ٦١/٣٨٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) صفاء الياقوت في بياض المرجان.

٦٠٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٠٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ) ضم الميم الدوري عن الكسائي^(٢)، يقول تعالى ذكره كأن هؤلاء القاصرات الطرف اللواتي هنَّ في هاتين الجنتين في صفائهنَّ الياقوت الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى مخ سوقهن من وراء أجسامهن، وفي حسنهن الياقوت والمرجان^(٣)، وقال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم في صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ^(٤)، وقال الزمخشري: إن الحوراء

(١) كفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الله بن محمد المعروف "بفودي"، توزيع المكتبة الحديثة، بيروت، لبنان (٢٤٧/٢).

(٢) إبراز المعاني من حرز الأمان، للإمام الكبير عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الدمشقي الشافعي، المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ، وهو شرح متن الشاطبية في القراءات السبع لإمام المقرئين أبي القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٩٠هـ، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، شعبان سنة ١٣٤٩هـ، (ص ٤٧٣).

(٣) جامع البيان (٦٠٧/١١-٦٠٨).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٧٨/٤)، وفتح القدير (١٣٨/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨٢/١٧)، وزاد المسير (٢٦٩/٧).

تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج
البيضاء^(١)، وقال الآلوسي: مشبهات بالياقوت، في حمرة الوجه وبالمرجان أي صغار
الدر في بياض البشرة وصفائها، وتخصيص الصغار لأنه أنصع بياضاً من
الكبار^(٢)، وأوضح ابن عطية قائلاً: (الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) من الأشياء التي قد برع
حسنها، واستشعرت النفوس جلالها، فوقع التشبيه بها لا في جميع الأوصاف لكن
فيما يشبهه ويحسن بهذه المشبهات، فالياقوت في املاسه وشفوفه، والمرجان في
املاسه وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بهذه الأشياء
كدره^(٣) بنت أبي لهب، ومرجانة أم سعيد^(٤)، وغير ذلك^(٥). ومعنى آخر وهو: كأنهن
الياقوت في صفاء اللون، والمرجان في الحمرة^(٦)، وقال الزجاج: قال أهل التفسير
وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان، والمرجان صغار اللؤلؤ وهو
أشد بياضاً^(٧).

(١) الكشاف (٤/٤٤٢).

(٢) روح المعاني (٢٧/١٢٠).

(٣) درة بنت أبي لهب، هي درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، بنت
عم النبي صلى الله عليه وسلم، روت عن عائشة أم المؤمنين روى عنها علي بن أبي طالب وعبد
الله بن عميرة، وغيرهما، ذكرها ابن حبان في الصحابة من كتاب الثقات قال: وأمها أم جميل
بنت حرب بن أمية واسمها: فاختة، وهي حمالة الحطب التي أنزل الله فيها ما أنزل. انظر: تهذيب
الكمال في أسماء الرجال (٢٢/٥٤٨).

(٤) مرجانة أم سعيد: مرجانة امرأة صدق قالت لعبيد الله بن زياد حين قتل الحسين، ويلك ماذا صنعت
وماذا ركبت. انظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة
الرسالة، بيروت الطبعة العاشرة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م (٥/٣٣).

(٥) المحرر الوجيز (١٤/٢١٤-٢١٥).

(٦) صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين محمد مخلوف، الطبعة الثالثة الكويت، ١٤٠٧هـ-
١٩٨٧م (ص ٦٩١).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/١٠٣)، والتفسير الحديث للقرآن الكريم، تأليف: حافظ
عيسى عمار، وكيل محكمة استئناف القاهرة، (كان)، الجزء الثاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

وهذا القول ذكره المفسرون، وهو ما قال به قتادة.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من دخل الجنة فله فيها زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء ثيابهما)^(١).

النص: ٦٢/٣٨١ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قال: شبه بهن صفاء الياقوت في بياض المرجان.

٦٠٨/١١

النص رقم: ٦٢/٣٨١ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٦١/٣٨٠.

قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

الآية: ٦٠

النص: ٦٣/٣٨٢ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: نا أبو العوام، عن قتادة (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) قال: عملوا خيراً فجزوا خيراً.

٦٠٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٨٢/١٧-١٨٣).

- وابن الجوزي في زاد المسير (٢٦٩/٧).

دراسة النص:

البابي الحلبي وأولاده، مصر، محمود نصار الحلبي وشركاه خلفاء، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ-

١٩٦٠م (ص ١٩٥).

(١) أخرجه الترمذي في (٣٩) كتاب صفة الجنة، باب (٥) في صفة نساء أهل الجنة، حديث رقم

(٢٥٣٥)، (ص ٦٨٤-٦٨٥).

قوله (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) يقول تعالى ذكره: هل ثواب خوف مقام الله عز وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) (١) إلى قوله (كَانَتْهُنَّ الْأَيْقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) (٢) (٣). قال الرازي في هذه الآية: فيه وجوه كثيرة حتى قيل إن في القرآن ثلاث آيات في كل منها مائة قول: الأولى: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٤)، الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عُدْتُمْ عُدُنَا﴾ (٥)، والثالثة: قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦) (٧).

وآية (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ...) فيها دلالات واضحة ثلاث: هي ما يأتي: الأولى: رفع التكليف عن العوام والخواص في الآخرة، وأما الحمد والشكر فهو لذة زائدة على كل لذة سواها.

الثانية: إن العبد محكوم في أحوال نعيم الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ (٨).

الثالثة: كل ما يتخيله الإنسان من أنواع الإحسان الإلهي، فهو دون الإحسان الذي وعد الله تعالى به، لأن عطاء الكريم لا يحد ولا يوصف، فالذي يعطي الله فوق ما يرجو العبد، وذلك على وفق كرمه وفضاله (٩).

(١) سورة الرحمن، الآية (٤٦).

(٢) سورة الرحمن، الآية (٥٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٦٠٩/١١)، فتح القدير (١٣٨/٥)، وابن كثير (٢٧٨/٤)، والكشاف (٤٤٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٨٢/١٧-١٨٣)، وزاد المسير (٢٦٩/٧)، والمحرر الوجيز (٢١٥/١٤).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٥٢).

(٥) سورة الإسراء، الآية (٨).

(٦) سورة الرحمن، الآية (٦٠).

(٧) مفاتيح الغيب (١١٥/٢٩).

(٨) سورة يس، الآية (٥٧).

(٩) التفسير المنير (٢٢٩/٢٧).

وفي ذلك عن أنس بن مالك قال: ((قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) وقال: هل تدرون ما قال ريكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة))^(١).
 فمحق قتادة عندما قال في تفسير الآية الكريمة، عملوا خيراً فجوزوا خيراً، وهذا ما اجتمع عليه جمهور المفسرين.

قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

الآية: ٦٤

النص: ٦٤/٣٨٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مُدْهَامَّتَانِ) يقول: خضراوان من الري ناعمتان.

٦١١/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٨٥/١٧).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦/٢).

دراسة النص:

وقوله (مُدْهَامَّتَانِ) معناها: سوداوان من الري^(٢)، وعند القرطبي، أي سوداوان من شدة الخضرة من الري، والعرب تقول لكل أخضر أسود^(٣)، وكذا عند الطبري^(٤).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٠٧/٦)، وعزاه إلى حكيم الترمذي في نوارد الأصول والبغوي في تفسيره والديلمي في مسند الفردوس وابن النجار في تاريخه.

انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفى سنة ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م (٢٠٧/٦).

(٢) العمدة في غريب القرآن (ص ٢٩٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/١٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٦١٠/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٧٩/٤)، وفتح القدير (١٣٩/٥)، والكشاف (٤٤٢/٤)، وتفسير القرآن الكريم المسمى ضياء التأويل في معاني التنزيل، تأليف: العلامة أبي

عن أبي أيوب^(١) رضي الله عنه قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (مُدْهَامَتَانِ) فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان)^(٢)، والمراد أنهما شديدا الخضرة والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الري من الماء كما روي عن ابن عباس وأبي صالح قيل: إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذواتا أفنان، إشعار بأن الغالب عليهما الأشجار، فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان، والنبات يوصف بالخضرة الشديدة فالإقتصار في كل منهما على أحد الأمرين مشعر بما ذكر وبنى على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأعلى من لجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الأشجار به، فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر في مدحه بأنه ذو ثمار من ذي أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائة والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح^(٣) والهلاك^(٤).

من هذا الراجح ما ذهب إليه قتادة، لإجماع جمهور المفسرين عليه.

محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بفودي بن عثمان بن صالح، الناشرين: أحمد أحمد أبو السعود، القاهرة، وعثمان الطيب، "كانونيجيريا"، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، (٤/١٦٦)، وكتاب التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورياً، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، (ص ٥٣٤).

(١) أبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري، شهد العقبة وبدراً، وأحد الخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن خاصته، ثم إنه غزا أيام معاوية أرض الروم مع يزيد بن معاوية، سنة إحدى وخمسين، فتوفى عند مدينة القسطنطينية، وقيل: سنة خمسين، فدفن هناك. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/٢٥).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور، (٦/٢٠٨)، وعزه إلى الطبراني وابن مردويه.

(٣) التصوح: تصوح البقل وصوح: تم يبسه، وقيل: إذا أصابته آفة ويبس، وتصوحت الأرض من اليبس ومن البرد: يبس نباتها. انظر: لسان العرب، لابن منظور (مج/٨-٣٠٢-٣٠٣).

(٤) روح المعاني (٢٧/١٢١).

النص: ٦٥/٣٨٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (مُدْهَامَتَانِ) قال: خضراوان من الري إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد.

٦١١/١١

النص رقم: ٦٥/٣٨٤ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٦٤/٣٨٣.

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

الآية: ٧٠

النص: ٦٦/٣٨٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) يقول: في هذه الجنان خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

٦١٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢١١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال الطبري: معنى قوله (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) يقول تعالى ذكره: في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهن لمن يخاف مقام ربه، والأخريات منهن من دونهما المدهامتان، خيرات الأخلاق حسان الوجوه، وافقه قتادة، وابن زيد، وأم سلمة^(١)،

(١) أم سلمة: أم المؤمنين: هي هند بنت أبي أمية، مهاجرة جلييلة ذات رأي وعقل وكمال وجمال هاجرت إلى الحبشة والمدينة، ويقال: إنها كانت أول طعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة وتزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وهاجر بها إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعاً. ولما مات زوجها أبو سلمة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة تنتين من الهجرة بعد وقعة بدر في شوال، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبي سلمة وفاطمة الزهراء، (٣٨٧) حديث أخرج لها منها في الصحيحين (٢٩) حديثاً والمتفق عليه منها (١٣) حديث وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر وروى لها الجماعة، وروى عنه ابناها عمر وزينب ابنا أبي سلمة بن عبد الأسد، ونافع

وقال الحكيم الترمذي^(٢): فالخيرة ما اختارهن الله تعالى فأبدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى لا يشبهه اختيار الأدميين فوصفهن بالحسن فإذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيئاً بالحسن فانظر ما هناك^(٣).

وقرأ قتادة وابن السميع (خَيْرَاتُ) بالتشديد على الأصل جمع خيرة^(٤)، نلمح أن هاتين الجنتين، لمن يخاف مقام ربه، هما لفريق ذي مرتبة عالية، ثم نرى جنتين أخريين، من دونهما المدهامتان، فيهما من هاتين مشابه، ولكنهما أقل درجة، ونلمح أنهما للفريق الذي يلي هذا الفريق^(٥).

قال المفسرون فيما قالوه في مفهوم (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) إن القصد من ذلك بيان تفاوت جنات الآخرة حسب تفاوت أعمال المؤمنين، وقد لا يخلو هذا من وجهة، وفي القرآن آيات نبهت على التفاوت في درجات المؤمنين وجزائهم، منها ما مر في سورة الواقعة، [الآيات: ٧-٣٩]. ومنها آية سورة الحديد هذه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ

وسفينية، وآخرون. توفيت في المدينة في ذي القعدة سنة ٥٩هـ، وهي ابنة أربع وثمانون سنة.

انظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (٥/٢٢١-٢٢٧).

(١) جامع البيان (١١/٦١٣)، والكشاف (٤/٤٤٢)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٨٠)، وفتح القدير

(٥/١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨٦-١٨٧)، وزاد المسير (٧/٢٧١-٢٧٢)، والمحزر

الوجيز (١٤/٢١٨).

(٢) الحكيم الترمذي: (٠٠٠- نحو ٣٢٠هـ = ٠٠٠ نحو ٩٣٢م)، وهو محمد بن علي بن الحسن بن

بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل "ترمذ"

نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته فمنهم

من قال سنة ٢٥٥هـ وسنة ٢٨٥هـ، أما كتبه فمنها: "نوادير الأصول في أحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم" و"المسائل المكنونة". انظر: الأعلام (٦/٢٧٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، المسمى بالسراج المنير، للإمام الشيخ: الخطيب الشربيني (٤/١٧٦)،

وتيسير التفسير للقرآن الكريم، للعلامة محمد بن يوسف أطفيش، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

(١٣/٥٠-٥١).

(٤) فتح القدير (٥/١٣٩).

(٥) كتاب: مشاهد القيامة في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، د.ط. د.ت. (ص ٢١٥).

الْحُسْنَى ٠٠٠ ﴿١﴾، على أن من المحتمل أن يكون القصد بيان كون الجنات متعددة اتساقاً مع مفهوم الإنسان الدنيوي وقد يؤيد هذا الاحتمال بالنسبة للمقام أنه ليس في وصف الجنتين السابقتين ونعيمهما ووصف هاتين الجنتين ونعيمهما فرق وتفاوت كما هو الحال في منازل السابقين وأصحاب اليمين الآخروية، الموصوفة في سورة الواقعة مثلاً، وعلى كل حال فنقول هنا ما قلناه قبل من أنه لا طائل من التخمين في أمر شاءت حكمة التنزيل أن يأتي خبره بالأسلوب الذي جاء به مع ملاحظة أنه لا بد لذلك من حكمة ربانية^(٢).

وافق قتادة المفسرين في معنى الآية.

النص: ٦٧/٣٨٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) قال: خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه.

٦١٤/١١

النص رقم: ٦٧/٣٨٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٦٦/٣٨٥.

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾.

الآية: ٧٢

النص: ٦٨/٣٨٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب، وكان قتادة يقول: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال وأنهاره وجنانه وما أعد الله له من الكرامة.

٦١٧-٦١٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٨٠/٤).
- والقرطبي في تفسيره (١٨٨/١٧).

(١) سورة الحديد، الآية (١٠).

(٢) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة (١٤٠/٧).

- والزمخشري في تفسيره (٤/٤٤٢-٤٤٣).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٧).

دراسة النص:

وقوله (فِي الْخِيَامِ) يعني بالخيام: البيوت، وقد تسمى العرب هودج النساء خياماً، ومنه قول لبيد^(١):

شَاقَتَكَ ظَعْنُ الْحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا *** فَتَكَنَّسُوا قَطْنَا تَصِرُّ خِيَامُهَا^(٢)

وأما في هذه الآية فإنه عُنِي بها البيوت^(٣).

وقيل (مَقْضُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) أي مقصور كل منهن على كل من أتى بالأعمال الصالحة والأخلاق المرضية بحيث لا يتعدى إلى الغير إذ كل نفس رهينة بما كسبت خيراً كان أو شراً^(٤). وهذا ما ترمي إليه الآية الكريمة، فأني له من يسمع

(١) لبيد بن ربيعة: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنى لبيد أبا عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وأدرك لبيد الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيد الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال أن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة، ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، هو:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي *** حتى كساني من الإسلام سريالاً.

انظر: الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (١/١٩٤-١٩٥).

(٢) القصيدة من ديوانه، (ص ١٦٦)، بيت رقم (١٢) وهي من معلقته والتي يقال إنه أنشدها النابغة فقال له: أذهب فأنت أشعر العرب، ومطلعها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا *** بِمَنْى تَأْبَدُ عَوْلُهَا فَرَجَامُهَا.

شاقتك: أثارت شوقك، الظعن: الإبل التي عليها الهودج أو هي النساء في الهودج، والمفرد ظعينة، تحملوا: ارتحلوا، تكنسوا: دخلوا في الكناس، أي اتحدوا الهودج كنساً، قطناً: جمع قطين وهم الجماعة أو البطانة أو الجيران أو سكان الدار، تصر: تحدث صريراً وذلك لأن الإبل تعجل فتتهز الخشب فتصر أو تصر من الثقل، وقال بعضهم إنما تصر الخيام لأنها جدد. انظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، (ص ١٦٣-١٦٦).

(٣) انظر: جامع البيان (١١/٦١٦)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٨٠)، والكشاف (٤/٤٤٢-٤٤٣)، وفتح القدير

(٥/١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨٨)، وزاد المسير (٧/٢٧٢)، والمحرم الوجيز (٤/٢٢٠).

(٤) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (٢/٣٧٨).

هذا الترغيب ولا يعمل بما أمر الله.وزاد قتادة في الترغيب عندما قال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال وأنهاره وجنانه وما أعد الله له من الكرامة. أسأل الله لي ولكم أن يبلغنا هذا المقام.

النص: ٦٩/٣٨٨ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال ابن عباس: الخيمة: درة مجوفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب.

٦١٨/١١

النص رقم: ٦٩/٣٨٨ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٦٨/٣٨٧.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رُفْرِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

الآية: ٧٦

النص: ٧٠/٣٨٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مُتَّكِنِينَ عَلَى رُفْرِ خُضْرٍ) قال: الرفرف الخضر: المحابس^(٢).

٦١٩/١١

تخرج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٨٠).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢١٣)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

(١) رفر خضر: قيل: رياض الجنة، وقيل: الفرش، والرفارف أيضاً البسط. انظر: بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، تأليف: علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني المعروف بابن التركماني (٢/١٤٢)، والرفرف: الرقيق من الديباج، والرفرف: ثياب خضر يتخذ منها للمجالس. انظر: لسان العرب، لابن منظور (مج٦/١٩٤).

(٢) المحابس: جمع محبس كمقعد، ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩٠).

قوله تعالى: (مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) رفرِف خُضْرٍ معناه: ذكروا أنها رياض الجنة، وقال بعضهم: هي المخاد - في الأصل المحابس^(١)، وقيل: والرِفْرِف المنتشر من الأوراق، وقوله تعالى: (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) فُضْرِب من الثياب مشبه بالرياض، وقيل الرِفْرِف طرف الفُسطاطِ والخباء الواقع على الأرض دون الأطناب والأوتاد، وذكر عن الحسن، أنها المخاد^(٢)، وعن تفسيرها يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى الرِفْرِف، فقال بعضهم: هي رياض الجنة، واحدها رِفْرِفة قاله: سعيد بن جبير، وقال آخرون: هي المحابس قاله: ابن عباس والحسن، وُقْتادة، والضحاك، وابن زيد، وقال آخرون: بل هي المرافق قاله: قتادة^(٣).

وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن (على رَفْرَفٍ) بالجمع، وقرأ الضحاك، وأبو العالية مثلهم^(٤).

وقوله (عَلَى رَفْرَفٍ): هو كل ثوب عريض، أو هو الوسائد^(٥)، وقال الإمام ابن القيم^(٦): أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب، فمنه الرِفْرِف في الحائط، ومنه الرِفْرِف، وهو كسر الخباء، وجوانب الدرع، وما تدلى منها، الواحدة رِفْرِفة، ومنه:

(١) معاني القرآن، للفراء (١٢٠/٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص ١٩٩).

(٣) انظر: جامع البيان، ٦١٩/١١-٦٢٠، وتفسير ابن كثير، ٢٨٠/٤، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩٠-١٩١)، والكشاف (٤/٤٤٣)، وفتح القدير (٥/١٣٩-١٤٠)، وزاد المسير (٧/٢٧٢-٢٧٣).

(٤) زاد المسير (٧/٢٧٢-٢٧٣).

(٥) القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن، إعداد: محمد كريم راجح، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (ص ٤٥٣).

(٦) ابن القيم الجوزية: (٦٩١-٧٥١هـ/ ١٢٩٢-١٣٥٠م): هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية، شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي مجتهد، مفسر، نحوي، محدث، ولد بدمشق ٧/ صفر / ٦٩١هـ، برع في علوم الشريعة والعربية حتى بلغ رتبة التدريس والإفادة، وارتقى منصب الإفتاء والإمامة، توفي في وقت آذان العشاء من ليلة الخميس ١٣/ رجب / ٧٥١هـ، من تصانيفه "التفسير القيم"، "مدارج السالكين في شرح منازل السائدين"، "وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح". وقال ابن كثير: كان ملازماً لاشتغال ليلاً ونهاراً، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد. انظر: هدية

رفرف الطير إذا حرك جناحه حول الشيء يريد أن يقع عليه. والرفرف: ثياب خضر، يتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثى وعطف: فهو رفرِف^(١).

قول قتادة ومن وافقه من المفسرين في معنى قوله: (رَفْرَفِ خُضْرٍ) أي المحابس، ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، هو الأرجح لما عليه أكثر المفسرين ومنهم ابن عطية قال: (الرفرف): ما تدلى من الأسرة من غالي الثياب والبسط وهو الأصوب والأبين^(٢)، وقاله الثعالبي وعلق عليه كذلك بأنه هو الأصوب^(٣)، ثم قال وهبة الزحيلي: أي وهم في الجنة متكئون مستندون على وسائد خضراء^(٤).

النص: ٧١/٣٩٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (رَفْرَفِ خُضْرٍ) قال: محابس خضر.

٦٠٩/١١

النص رقم: ٧١/٣٩٠ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧٠/٣٨٩.

وقوله: ﴿وَعَبْرِي حِسَانٍ﴾.

العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي (١٥٨/٢)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢هـ)، حققه وقدم له ووضع فهرسه: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ١٤ شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، د. ط، د. ت. (٢٣-٢١/٤).

(١) التفسير القيم، للإمام ابن القيم (٦٩١-٧٥١هـ) جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (ص ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٢٢١/١٤).

(٣) جواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٤٨/٤).

(٤) التفسير المنير (٢٣٣/٢٧).

النص: ٧٢/٣٩١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: العبقرى: الزرابى (١).

٦٢٠/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطى فى الدر المنثور (٢١٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قال ابن قتيبة: و(العبقرى): الطنافس الثخان (٢)، ويقال لكل شيء من البسط: عبقرى، ويذكر أن "عبقر": أرض كان يعمل فيها الوشى، فنسب إليها كل شيء جيد (٣)، وهو ما قاله به الطبرى وزاد قائلاً: وهى جماع، واحدها: عبقرية، وقد نكر أن العرب تسمى كل شيء من البسط عبقرياً (٤)، وقال ابن حرزة (٥) يعقوب بن مجاهد: العبقرى من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد، وقال أبو العالية: العبقرى: الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي (٦)، وقال الزمخشري: العبقرى: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب (٧)، وقال القرطبى: فالعبقرى ثياب منقوشة تبسط، فإذا قال خالق النقوش إنها حسان فما ظنك بتلك

(١) الزرابى: ثياب محبرة منسوبة إلى موضع، ثم استعيرت للبسط. انظر: البرهان فى غريب القرآن (ص ١٦٦).

(٢) الطَّنَافِسُ التَّخَانُ: الطنافس: المفرد طنفس، وجمعها طننافس، وقيل: هى البساط الذى له حَمَلٌ رقيق. انظر: لسان العرب لابن منظور (مج ٩/١٥٠)، وفى معنى التَّخَانُ: قيل: تَخُنَ الشَّيْءُ تُخُونَةً وَتَخَانَةً وَتَخِنًا، فهو تَخِينٌ، كَتَفٌ وَغُلْظٌ وَصَلْبٌ، وثوب تخين: جيد النسج. انظر: لسان العرب، لأبن منظور (مج ٣/١١).

(٣) تفسير غريب القرآن، (ص ٤٤٤).

(٤) جامع البيان (٦٢٠/١١).

(٥) ابن حرزة يعقوب بن مجاهد: هو يعقوب بن مجاهد القاص، يكنى أبا حرزة، بفتح المهملة وسكون الزاي، وهو بها أشهر، صدوق، من السادسة، مات سنة تسع وأربعين أو بعدها. انظر: تقريب التهذيب (ص ٧٠٤).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٨٠/٤).

(٧) انظر: الكشاف، (٤٤٣/٤)، وفتح القدير (١٤٠/٥).

العباقر^(١)!. وزاد ابن عطية وقال: هي بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعقر^(٢)، وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج ونحوه^(٣)، وزاد أيضاً الرازي وقال: فالثياب المعمولة عملاً جيداً يسمونها عبقریات مبالغة في حسنها كأنها ليست من عمل الإنس، ويستعمل في غير الثياب أيضاً حتى يقال للرجل الذي يعمل عملاً عجيباً هو عبقرى أي من ذلك البلد^(٤)، وقال ابن عباس، ويقال زرابي حسان ملونة^(٥).

وقرأ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ومالك بن دينار^(٦) وابن محيصة (وعبَاقِرِي) بكسر القاف وفتح الياء مشددة، وعنهم أيضاً فتح القاف. وقرأ (على رفارف خضر وعباقرى حسان) النبي صلى الله عليه وسلم: والجدري، وابن محيصة^(٧)، إلا أن الطبري قال عن هذه القراءة: وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند (على رفارف خضر وعباقرى)^(٨).

ترى الباحثة أن هذه الأقوال متقاربة في المعنى ولكن ما قاله قتادة هو الأرجح، لأنه قال به أكثر المفسرين وهو: (وعبقرى حسان): أي الزرابي.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩١).

(٢) عبقر: قالوا: هي أرض كان يسكنها الجن، ويقال في المثل: كأنهم جن عبقر، وقالوا: عبقر من أرض اليمن، فهذا كما تراه يدل على أنه موضع مسكون وبلد مشهور به صيارف، وإذا كان فيه صيارف كان أخرى أن يكون فيه غير ذلك من الناس، ولعل هذا بلد كان قديماً وخرّب، وأصله أن عبقرًا كان يوشى فيه البسط وغيرها فنسب كل شيء جيد إلى عبقر. انظر: معجم البلدان، (٤/٧٩ - ٨٠).

(٣) المحرر الوجيز (١٤/٢٢٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٢٩/١١٩)، والبحر المحيط (٨/١٩٩).

(٥) تنوير المقباس من التفسير ابن عباس، المكتبة الشعبية (ص ٤٥٣).

(٦) مالك بن دينار: هو مالك بن دينار البصري، الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد، من الخامسة، مات سنة ثلاثين أو نحوها. انظر: تقريب التهذيب (ص ٦٠٢).

(٧) روح المعاني (٢٧/١٢٥).

(٨) جامع البيان (١١/٦٢٠).

ونفهم من هذه الآيات أن هناك مراتب في الجنة: ففي قوله تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) وللمرة الأولى تذكر الجنتان، وهما ضمن الجنة الكبيرة المعروفة، ولكن اختصاصهما قد يكون لنوعهما أو لمرتبتهما، وكما علمنا في سورة الواقعة فهناك السابقون المقربون، وهناك أصحاب اليمين، ولكل منهما نعيم، فهنا كذلك نلمح أن هاتين الجنتين هما لفريق ذي مرتبة عالية، ثم نرى جنتين أخريين فيهما من هاتين مشابه ولكنهما أقل درجة، ونلمح أنهما للفريق الذي يلي هذا الفريق. فلنشهد الجنتين الأوليين فهما (دَوَاتِي أَفْنَانٍ . . . فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ . . . فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ . . .) وأهل الجنتين ما حالهما؟ انظر تجدهم: (مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) وتلك رفاهة ظاهرة في الفراش (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) لا يتعب في القطف، وذلك أيضاً ترف ملحوظ! ولكنه لا يستقصي ما فيهما من متاع (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ مِنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) عفيفات النظر والملمس، لا يمددن بأبصارهن ولم يمسهن إنس ولا جن، وليس هذا وحده، فهن نضيرات لامعات ثمينات (كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) . . . وذلك كله جزاء حق لمن خاف مقام ربه، وتوقع الآخرة، وخشي الله فيها: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ).

(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) أخريان لذلك الفريق الآخر، وأوصافهما كذلك أدنى من أوصاف هاتين، فيهما (مُدْهَامَتَانِ) أي مخضرتان خضرة تميل إلى السواد لما فيهما من أعشاب (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) تتضخان بالماء وتنبضان، وذلك دون الجريان (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) وهناك (مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) ومن هن هؤلاء الخيرات الحسان؟ هن (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) ومن كلمة الخيام نفهم أنهن أشبه بالبدويات، وأنه نعيم بدوي دون النعيم الحضري الذي مر في تينك الجنتين الأخريين! (لَمْ يَطْمِئُنَّ مِنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) فهن يشتركن في الصون والعفاف مع أولئك، ولكن لم يذكر هنا أنهن (كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ). وأهل هاتين الجنتين؟ انظر تجدهم: (مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ) أي أبسطة (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) وهي جميلة كأنها من صنع عبقر.

ولكن المتكآت كانت هناك مبطنة بالإستبرق! وهناك (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) . . .

هما درجتان من النعيم، تمثل الدرجة الأولى بالتترف والرفاهية في الحضر، وتمثل الثانية بالتترف والرفاهية في الوبر، ترى هذه الصور والأشكال مجرد مثل للنعيم تقربه للحس، وتصوره للخيال؟ لا أجزم بشيء، فليس لدى برهان! (١).

واختلف أيهما أكثر حسناً وأبهر جمالاً الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة، ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت في الجنابة ((وأبدله زوجاً خيراً من زوجه)) (٢). وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف. وذكر ابن المبارك (٣): وأخبرنا رشدين (٤) عن ابن أنعم (٥) عن حبان بن أبي جبلة (٦)، قال: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فُضِّلن على الحور العين بما عملن في الدنيا.

(١) كتاب مشاهد القيامة في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، (ص ٢١٥ - ٢١٦).

(٢) أخرجه:

١- النسائي في: كتاب الجنائز، باب الدعاء في الجنابة (٧٣/٤).

٢- وابن ماجه في: (٦) كتاب الجنائز، (٢٣) باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنابة، حديث رقم (١٥٠٠) (٢٧/٢).

(٣) عبد الله بن المبارك: هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن وأضح الحنظلي التميمي، ولد سنة ١١٨هـ - ٧٣٦م، ويعتبر أحد كبار المحدثين والمؤرخين والصوفية، وقيل كان واسع الثراء، وروي عن مئات العلماء آلاف الكتب، وكان صاحب التصانيف العديدة في علوم الحديث الشريف والقرآن الكريم والتاريخ والتصوف، توفي في هيت سنة ١٨١هـ - ٧٩٧م. انظر: تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين (١/١٧٥).

(٤) رشدين: هو رشدين بن سعد بن مفلح بن هلال المهري، أبو الحجاج المصري، وهو رشدين بن أبي رشدين، روى عن: الحسن بن ثوبان وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وآخرون، روى عنه: عبد الله بن المبارك، وآخرون، قال أبو زرعة: ضعيف الحديث ولد سنة عشر ومائة، ومات سنة ثمان وثمانين ومائة، وكان رجلاً صالحاً لا يشك في صلاحه وفضله. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/٢٠٦-٢٠٨).

(٥) ابن أنعم: هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، الإفريقي قاضيها، ضعيف في حفظه، من السابعة، مات سنة ست وخمسين وقيل بعدها، وقيل جاز المائة ولم يصح، وكان رجلاً صالحاً. انظر: تهذيب (ص ٤٠٠).

(٦) حبان بن أبي جبلة: هو حبان بن أبي جبلة القرشي، مولا هم المصري، روى عن عمرو بن العاص والعبادلة إلا ابن الزبير، وعنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وآخرون، قال ابن يونس بعثه عمر مع

وقد قيل: إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يُخْلَقْنَ في الآخرة على أحسن صورة، قاله الحسن البصري، والمشهور أن الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا وإنما هن مخلوقات في الجنة، لأن الله تعالى قال: (لَمْ يَطْمِئُنَّ نِسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أقل ساكني الجنة النساء)) فلا يصيب كل واحد منهم امرأة، ووعد الحور العين لجماعتهم، فثبت أنهن من غير نساء الدنيا.

وفي الحديث (إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخت أبداً ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ونحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام)^(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، فقالت عائشة رضي الله عنها: فغلبنهن والله^(٢).

النص: ٧٣/٣٩٢ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) قال: الزرابي.

٦٢٠/١١

النص رقم: ٧٣/٣٩٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٧٢/٣٩١.

جماعة من أهل مصر ليفقهوا أهلها، يقال توفي بأفريقية سنة (١٢٢هـ)، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١٧١/٢).

(١) أخرجه الترمذي في: (٣٩) كتاب صفة الجنة (٢٤) باب ما جاء في كلام الحور العين، حديث رقم (٢٥٦٤)، (ص ٦٩٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨٧-١٨٨).

(٥٦) سورة الواقعة مكية عدد آياتها (٩٦)

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

الآية: ٢

النص: ١/٣٩٣ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة (لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ): أي ليس لها مثوبة^(١)، ولا رجعة ولا ارتداد.

٦٢٢/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٩/٢).
- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله تعالى: (لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ): أي ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردوديه ولا مثوية، والكاذبة في هذا الموضع مصدر، مثل العاقبة والعافية^(٢)، وقال ابن كثير: أي ليس لوقعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها، وقال محمد بن كعب: (كَاذِبَةٌ): أي لا بد أن تكون^(٣)، وقال الثوري: ليس لوقعها أحد يكذب بها^(٤)، وأتبعه الزمخشري وقال: إذا وقعت لم تكن لها رجعه ولا ارتداد^(٥)، وبه قال قتادة^(٦)، وزاد الألوسي وقال في معني الآية: بأنه لا يصدر من أحد كذب يوم القيامة^(٧).

(١) مثوبة: هي من ثاب أي عاد ورجع. أنظر: لسان العرب، (٥١/٣).

(٢) جامع البيان (٦٢٢/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٨٢/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (١٩٥/١٧).

(٥) الكشاف (٤٤٥/٤).

(٦) جامع البيان (٦٢٢/١١).

(٧) روح المعاني (١٢٩/٢٧).

ذهب جمهور المفسرين على معني قوله تعالى: **(أَلَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ)**: أي إذا قامت القيامة ليس لوقوفها رجعة ولا ارتداد، وهذا ما ذكره قتادة. وأقول إن قيام الساعة أمر حتمي لا ريب فيه، ولا يستطيع أحدنا أن يكذب ذلك اليوم العظيم، كما هو حاصل اليوم فإنسان اليوم منصرف إلى زينة الدنيا وزخرفها حتى يدركه الموت ولسان حاله يومئذ قوله تعالى: **(يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)**^(١). نسأله تعالى اللطف بنا وإياكم في ذلك اليوم.

النص: ٢/٣٩٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **(أَلَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ)**، قال: مثوبة.

٦٢٢/١١

النص رقم: ٢/٣٩٤ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ١/٣٩٣.

قوله تعالى: **(خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)**.

الآية: ٣

النص: ٣/٣٩٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **(خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)**، يقول: تخللت كل سهل وجبل، حتى أسمعت القريب والبعيد، ثم رفعت أقواماً في كرامة الله، وخفضت أقواماً في عذاب الله.

٦٢٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٩).
- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢١٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

معنى قوله تعالى: **(خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)**: يقول تعالى ذكره: الواقعة حينئذ خافضة أقواماً كانوا في الدنيا أعزاء إلى نار الله، وقوله: **(رَافِعَةٌ)**، يقول: رفعت أقواماً كانوا في الدنيا وضعاء إلى رحمة الله وجنته، وقيل: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

فأسمعت الأقصى^(١)، وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى وكذا قال الضحاك وقتادة^(٢)، وقال الزمخشري: أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها، فتخفض بعضاً وترفع بعضاً^(٣)، وذكر الرازي في قوله: (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)، هو زيادة لبيان صدق الخلق في ذلك اليوم^(٤)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة^(٥)، وكذا قال ابن عطية^(٦).

اختلف المفسرون في معني الخفض والرفع في هذه الآية، وهذا يدل على شدة الهول والاضطراب في ذلك اليوم.

النص: ٤/٣٩٦ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)، قال: أسمعت القريب والبعيد، خافضة أقواماً إلى عذاب الله، ورافعة أقواماً إلى كرامة الله.

٦٢٣/١١

النص رقم: ٤/٣٩٦ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣/٣٩٥.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًا﴾.

الآية: ٤

النص: ٥/٣٩٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًا)، يقول: زلزلت زلزلة.

٦٢٣/١١

تخريج النص:

(١) جامع البيان (١١/٦٢٢ - ٦٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٨٢).

(٣) الكشاف (٤/٤٤٥).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٩/١٢٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩٥).

(٦) المحرر الوجيز، (١٤/٢٢٩).

- أخرجه القرطبي في تفسيره (١٩٦/١٧).
دراسة النص:

وقوله: (إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًّا)، يقول جل وعلا: إذا زلزلت الأرض فحركت تحريكاً من قولهم السهم يرتج في الغرض بمعنى: يهتز ويضطرب^(١)، وبنحو الذي قاله الطبري قال ابن عباس فقال: الرّجّة الحركة الشديدة يسمع لها صوت^(٢)، وقال ابن كثير: حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت أي زلزلت زلزلاً^(٣).
وهذا كله يؤيد ما قاله قتادة. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾^(٥).

الآية: ٦

النص: ٦/٣٩٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا)، كيبس الشجر، تذروه الرياح يميناً وشمالاً.
٦٢٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، (٢٦٩/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور، (٢١٦/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١) جامع البيان، (٦٢٣/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٩٦/١٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٢/٤)، والكشاف (٤٤٥/٤)، ومفاتيح الغيب (١٢٤/٢٩)، فتح القدير (١٤٧/٥)، معاني القرآن (١٢١/٣)، معالم التنزيل (مج ٧/٧).

(٤) سورة الزلزلة، الآية (١).

(٥) هباء: الهباء هو التراب الذي تطيره الرياح ويلزق بالأشياء أو ينبث في الهواء، فلا يبدو إلا في ضوء الشمس. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، (ص: ٥٥٠).

(٦) منبثا: منشوراً أي متفرقاً، أي فرق ونشر. انظر: العمدة في غريب القرآن، (ص ٢٩٥).

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا)، اختلف أهل التأويل في معني الهباء، فقال بعضهم: هو شعاع الشمس الذي يدخل من الكوه كهيئة الغبار قاله ابن عباس، وسعيد، ومجاهد. وقال آخرون: هو ما تطاير من شرر النار الذي لا عين له: قاله ابن عباس، وقال آخرون: هو يبيس الشجر الذي تذرره الرياح: قاله قتادة^(١). هذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أي قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش^(٢).

النص: ٧/٣٩٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (هَبَاءً مُنْبِتًا)، يقول: الهباء: ما تذرره الريح من حطام الشجر.

٦٢٥/١١

النص رقم ٧/٣٩٩ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٦/٣٩٨.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾.

الآية: ٧

النص: ٨/٤٠٠ حدثنا ابن عبد الأعلي، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)، قال: منازل الناس يوم القيامة.

٦٢٦/١١

تخريج النص:

(١) انظر: جامع البيان، (٦٢٥/١١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٩٧/١٧)، وفتح القدير، (١٤٧/٥) -

(١٤٨)، مفاتيح الغيب، (١٢٤/٢٩)، وتفسير المراغي، (مج ٩/١٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير، (٢٨٢/٤).

- أورده السيوطي في الدر المنثور، (٢١٧/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته. والقول في تأويل قوله تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)، يقول تعالى ذكره: وكنتم أيها الناس أنواعاً ثلاثة وضروباً^(١)، وقال القرطبي: في قوله: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)، أي أصنافاً ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه، كما يشاكل الزوج الزوجة^(٢)، وعند الألوسي: الزوج يكون لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة ولكل قرينين فيها، وفي غيرها كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً^(٣).

الآية خطاب لجميع الناس أو للأمة الحاضرة، وقوله: (أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)، تقي رتب الناس يوم القيامة، وهذا ما ذكره قتادة رغم انفراده بالرواية، إلا أنه يتفق مع المفسرين في المعنى.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾.

الآيات: ٨، ٩، ١٠

النص: ٩/٤٠١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ): أي ماذا لهم، وماذا أعد لهم، (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ): أي لهم، وماذا أعد لهم، (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ): أي من كل أمة.

٦٢٦/١١

تخريج النص:

(١) جامع البيان (٦٢٥/١١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/١٧)، مفاتيح الغيب (١٢٥/٢٩)، الكشاف (٤٤٥/٤).

(٣) روح المعاني (١٣١/٢٧).

- أورده السيوطي في الدر المنثور، (٢١٧/٦) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

قوله: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)، وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة، يقول جل ثناؤه: وكنتم أزواجاً ثلاثة: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، والسابقون، فجعل الخبر عنهم مغنياً عن البيان عنهم، فقال: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)، يعجب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم منهم، الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى، ومنه قول أعشى بني ثعلبية:

فَأُنْحِنِي عَلَى شَوْمَى يَدِيهِ فزادها بأظماً من فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أُسْحَمًا^(١)

وقوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله وهم المهاجرون الأولون^(٢)، وقال الألويسي: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلمهم، وقيل فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائلم على أنفسهم بمعاصيهم^(٣)، وبه قال عطاء ومحمد بن كعب^(٤)، وقال ابن كثير: قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمائلمهم ويؤخذ بهم ذات الشمال، وطائفة سابقون بين يديه عز وجل فيهم

(١) القصيدة من ديوانه، رقم البيت (٢٥)، عنوانها: الواهب الكوم الصفايا، يمدح إياس بن قبيصة

الطائي (ورويت في مدح قيس بن معد يكرب)، والتي بدأها بـ

ألم خيال من قنينة بعدما وهي حبلها من حبلنا فتصرّما

الشرح: وشؤمى يديه: يسراهما، زادها: أي دفعها عن نفسه، الأظماً: الأسمر الزابل، وأراد به قرنه. انظر: ديوان الأعشى، دار صادر: بيروت، (ص: ١٨٦-١٨٨).

(٢) جامع البيان (١١/٦٢٦).

(٣) روح المعاني (٢٧/١٣١-١٣٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩٨).

الرسول والصدّيقون والشهداء^(١)، وقال مثله الزمخشري^(٢)، وذكر ابن الجوزي في معني قوله تعالى: **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)** خمسة أقوال: أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، قاله الحسن وقتادة. والثاني: أنهم الذين صلوا القبلتين. والثالث: أهل القرآن. والرابع: الأنبياء قاله محمد بن كعب. والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله قاله: عثمان بن أبي سودة^(٣)(٤).

من هنا بيّن الله تعالى من هم وماذا أعد لهم وهذه القسمة كقوله تعالى: **﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾**^(٥)، وهو دليل غلبة الرحمة^(٦)، وهذا القول قد وافق ما قاله قتادة.

قوله تعالى: **﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾**.

الآية: ١٥

النص: ١٠/٤٠٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ)**^(٧)، والموضونة: المرمولة^(٨)، وهي أوثر السرر.
٦٢٨/١١

تخريج النص:

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٨٢).

(٢) الكشاف (٤/٤٤٥-٤٤٦)، مفاتيح الغيب (٢٩/١٢٥-١٢٨).

(٣) عثمان بن أبي سودة: هو عثمان بن أبي سودة المقدسي، أخو زياد بن أبي سودة، كان أبوه مولي لعبد الله بن عمرو بن العاص، وأمه مولاة لعبادة بن الصامت، روى عن أبي هريرة وأم الدرداء، روى عنه ثور بن يزيد الحمصي وآخرون. ذكره بن حبان في كتاب الثقات وروى له البخاري في الأدب، وأبو داؤود والترمذي وابن ماجه. أنظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (١٢/٤١٣-٤١٤).

(٤) زاد المسير، (٧/٢٧٨).

(٥) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٦) التفسير المنير، (٢٧/٢٤٤).

(٧) موضونة: منسوجة. أنظر: معاني القرآن، للفراء. (٣/١٢٢).

(٨) مرمولة: منسوجة. أنظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧/٢٠١).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٨٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٠١/١٧-٢٠٢).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٧٠/٢).

دراسة النص:

(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ): يقول: فوق سرر منسوجة، قد أدخل بعضها في بعض، ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً كالحلق حلق الدرع، وقيل: وضين، وإنما هو موضون، صرف من مفعول إلى فعيل، كما قيل: قتيل لمقتول^(١)، وللمفسرين في معني (مَوْضُونَةٍ) قولان: إحداهما: مرمولة بالذهب أي مشبكة بالذهب والجوهر قاله مجاهد عن ابن عباس، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت.

الثاني: مصفوفة قاله ابن عباس^(٢).

اتفق المفسرون على معنى قوله تعالى: (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ). فَلِسَابِقِينَ فِي الْجَنَّةِ أَلْوَانٌ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْمَجْلِسِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالزَّوْجِ وَالْكَلَامِ، فَمَجَالِسُهُمْ عَلَى سُرُرٍ مَنَسُوجَةٍ بِقَضْبَانِ الذَّهَبِ^(٣)، نَسَأَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ بَأَنْ يَبْلِغَنَا جَنَّتَهُ وَإِيَاكُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

الآية: ١٨

النص: ١١/٤٠٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى: (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ) والأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق.

(١) جامع البيان، (٦٢٨/١١).

(٢) أنظر: زاد المسير، (٢٧٩/٧)، جامع البيان، (٦٢٨/١١-٦٢٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠١/١٧-٢٠٢).

(٣) التفسير المنير، (٢٥١/٢٧).

(٤) سورة الحجر، الآية (٤٧).

تخريج النص:

- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٠/٢).

دراسة النص:

يقول جل وعلا: (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ) والأكواب: جمع كوب وهو من الأباريق ما أتسع رأسه، ولم يكن له خرطوم، وأما الأباريق فهي التي لها عرى^(١) وقوله: (وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) وكأس خمر من شراب معين، ظاهر للعيون جار^(٢)، وقال ابن كثير: الأكواب هي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين، والكؤوس: كأس خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع بل من عيون سارحة^(٣)، وقول ابن كثير وافق قول الطبري وكذا القرطبي^(٤)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الأكواب): هي جرار من فضة^(٥)، وأضاف الرازي فقال: في قوله تعالى: (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ): أواني الخمر تكون في المجالس^(٦). ما أوله المفسرون في معني الآية، وافق تأويل قتادة.

النص: ١٢/٤٠٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ) قال: الأكواب التي دون الأباريق ليس لها عرى.

النص رقم ١٢/٤٠٤ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ١١/٤٠٣.

(١) عرى: العرى: مكان بارد، وعُرْوَةُ الدلو والكوز ونحوه: مَقْبِضُهُ، وَعُرَى الْمَزَادَةِ: آذَانُهَا. انظر: لسان العرب، (١٢٨/١٠).

(٢) أنظر: جامع البيان، (١١/٦٢٩-٦٣٠).

(٣) تفسير ابن كثير، (٤/٢٨٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧/٢٠٣)، معالم التنزيل، (مج ٧/١٠)، زاد المسير، (٧/٢٨٠).

(٥) المحرر الوجيز، (١٤/٢٣٨).

(٦) مفاتيح الغيب، (٢٩/١٣١).

النص: ١٣/٤٠٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى: (وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) أي من خمر جارية.

٦٣٠/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢١٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله: (وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ): وكأس خمر من شراب معين، ظاهر للعيون جار قاله أيضاً ابن عباس وقتادة والضحاك^(١)، وقال الألويسي: خمر ظاهرة للعيون مرئية بها لأنها كذلك أهنأ^(٢)، وقيل: هو فعيل من المَعْن وهو الكثرة، وبين أنها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة^(٣)، وأضاف ابن عطية وقال: (وَكَأْسٍ): الآنية المعدة للشرب بها بشرط أن يكون فيها خمر ونبيذ أو بسبيل ذلك^(٤)، ويتفق الرازي مع الطبري فيما قاله في معني الآية وهي خمر جارية^(٥).

هكذا اتفقت أقوال المفسرين في معني قوله: (وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) أي من خمر جارية، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾^(٦).

قوله تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

الآية: ١٩

النص: ١٤/٤٠٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) ليس لها وجع رأس.

٦٣١/١١

تخريج النص:

(١) جامع البيان (٦٣٠/١١).

(٢) روح المعاني (١٣٦/٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/١٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢٣٩/١٤)، مفاتيح الغيب (١٣١-١٣٢)، التفسير المنير (٢٤٩/٢٧).

(٥) مفاتيح الغيب (١٣١-١٣٢).

(٦) سورة محمد، الآية (١٥).

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٨٦/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٠٣/١٧-٢٠٤).

دراسة النص:

قوله تعالى: (لَا يُضَدَّعُونَ عَنْهَا) يقول لا تصرع رؤوسهم عن شربها فتسكر، وقال قتادة والضحاك: ليس لها وجع رأس، وأختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: (وَلَا يُنْزِفُونَ): أحدها: معناه لا تنزف عقولهم قاله سعيد ومجاهد والضحاك، وثانيها: لا يغلب أحد على عقله قاله قتادة وسعيد^(١).

هكذا قال قتادة والمفسرون في معني الآية، ويؤيده قول ابن عباس: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزّهاها عن هذه الخصال^(٢).

النص: ١٥/٤٠٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى: (وَلَا يُنْزِفُونَ): قال: لا يغلب أحد على عقله.

٦٣٢/١١

النص رقم ١٥/٤٠٧ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم ١٤/٤٠٦.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

الآيتان: ٢٧، ٢٨

النص: ١٦/٤٠٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ): أي ماذا لهم، وماذا أعد لهم. ثم ابتداءً

(١) انظر: جامع البيان، (٦٣٢-٦٣١/١١)، تفسير ابن كثير، (٢٨٦/٤)، زاد المسير، (٢٨٠/٧)، الكشاف، (٤٤٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٣/١٧-٢٠٤)، البحر المحيط، (٢٠٥/٨-٢٠٦)، والمحرر الوجيز، (٢٣٩/١٤-٢٤١).

(٢) التفسير المنير، (٢٤٩/٢٧).

الخبر بماذا أعد لهم في الجنة، وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها، فقال: هم (في سِدْرٍ مَخْضُودٍ): يعني: في ثمر موقر^(١) حملاً^(٢)، قد ذهب شوكة.

٦٣٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥١٨/٢).
- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٧٠/٢).

دراسة النص:

سبب نزول قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) ذكره الواحدی^(٣). وفي تفسير الآية يقول تعالى ذكره لنبیه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ) الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم يا محمد، (مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) أي ماذا أعد لهم من الخير، وقيل: إنهم أطفال المؤمنين. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (في سِدْرٍ مَخْضُودٍ) فقال بعضهم: يعني بالمخضود: الذي قد خضر من الشوك فلا شوك فيه قاله ابن عباس، ومحمد بن عكرمة^(٤)، وقتادة، وقال آخرون: بل عنى به أنه الموقر حملاً قاله مجاهد، والضحاك وسعيد بن جبیر^(٥). وقال بمثله ابن كثير إلا أنه ذكر قول ميمون بن مهران: إن أصحاب اليمين هم

(١) موقر: وَقَرَّ يَوقِرُ، ووقِرَ يَوقِرُ وَقَرًّا وَأُوقِرَت: كثر حملها فهي مَوقِرٌ ومَوقِرَةٌ ومَوقِرَةٌ. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام (ص: ٩١٢).

(٢) حملاً: يحمل حملاً، أمله ورفع، وجعل له ما يركبه، وحملت الشجرة: أي أثمرت. أنظر: الموسوعة القرآنية الميسرة، تصنيف: إبراهيم الأبياري، الناشر: مؤسسة سجل العرب - القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، (٩٠/٣).

(٣) قال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وَجِّ - وهو واد مخصب بالطائف - فأعجبهم سدره فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا! فأنزل الله تعالى هذه الآية. أنظر: أسباب نزول القرآن، (ص: ٤٢٨).

(٤) محمد بن عكرمة: هو محمد بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي المدني، أخو عبد الله بن عكرمة، وابن عم عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن، روى عن سعيد بن المسيب، وآخرون. روى عنه: إبراهيم بن سعد وروى له أبو داؤد والنسائي حديثاً واحداً. أنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٧٠/١٧).

(٥) جامع البيان، (٦٣٤/١١ - ٦٣٥).

الأبرار وما حالهم وكيف مآلهم فسر ذلك بقوله تعالى: (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) أي لا شوك فيه^(١)، وابن الجوزي زاد على ما قاله هؤلاء المفسرين بقول علي رضي الله عنه في قوله: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ): قال هم أطفال المؤمنين^(٢). وأضاف سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال^(٣).

وبنحو الذي قاله المفسرون في معني قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) قاله قتادة، وأضيف إن التكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه وقد تبين في قوله تعالى: (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ).

النص: ١٧/٤٠٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله تعالى: (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) قال: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه.
٦٣٥/١١

النص رقم ١٧/٤٠٩ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم ١٦/٤٠٨.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾.

الآية: ٢٩

النص: ١٨/٤١٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) قال: الموز.

٦٣٧/١١

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٧/١٧)، والكشاف (٤٤٩/٤).

(٢) زاد المسير (٢٨٢/٧-٢٨٣).

(٣) معالم التنزيل (مج ١١/٧).

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

أورد السيوطي أسباب نزول قوله تعالى: (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ)^(١). ومعني (وَطَلْحٍ): الموز، و(مَّنْضُودٍ): بعضه على بعض^(٢)، وفي قوله تعالى: (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) أما القراء فعلى قراءة ذلك بالحاء (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) وكذا هو في مصاحف أهل الأمصار، وقال المعمر بن المثنى^(٣): هو عند العرب شجر عظام كثير الشوك، وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: أنه هو الموز، وقوله: (مَّنْضُودٍ) يعني أنه قد نُضِدَ بعضه على بعض، وجمع بعضه إلى بعض^(٤)، وقول الطبري قال به الرازي^(٥)، والقرطبي زاد فقال: قال الحسن: ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب^(٦)، وقال السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل^(٧).

وبذلك يتبين إن معنى قوله تعالى: (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) هو الموز، وهذا ما ذكره قتادة، وما اختلف فيه بعض المفسرين فإنه يحمل نفس المعني.

قوله تعالى: ﴿وَوَظَلٍّ مَّمدُودٍ﴾.

الآية: ٣٠

(١) كانوا يعجبون من وجّ - واد في الطائف - وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظَلٍّ مَّمدُودٍ). أنظر: لباب النقول في أسباب النزول، (ص: ٢٨٧).

(٢) العمدة في غريب القرآن (ص: ٢٩٧).

(٣) المعمر بن المثنى: هو معمر بن المثنى، أبو عبيده التيمي مولاهم، البصري النحوي اللغوي، صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج، من السابعة، مات سنة ثمان ومائتين، وقيل بعد ذلك، وقد قارب المائة. أنظر تقريب التهذيب (ص: ٦٢٩).

(٤) جامع البيان (١١/٦٣٥ - ٦٣٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/١٤٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٠٨).

(٧) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨/١٩٣)، وتفسير المراغي (مج ٩/١٣٩).

النص: ١٩/٤١١ ثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَوَظِلِّ مَمْدُودٍ) قال قتادة: حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها".

٦٣٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١/٢).

- ومسلم في صحيحه (٢١٧٥/٤).

دراسة النص:

وقوله: (وَوَظِلِّ مَمْدُودٍ) يقول: وهم في ظل دائم لا تتسخره الشمس فتذهب، وكل ما لا انقطاع له فإنه ممدود، كما قال لبيد:

غَلَبَ الْبَقَاءَ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغْلَبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ^(١)(٢)

ووافق الطبري ابن الجوزي^(٣)، وقال أبو هريرة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم (وَوَظِلِّ مَمْدُودٍ)"^(٤)(٥)، وبه قال القرطبي^(٦)، وذكر الزمخشري معني قوله: (وَوَظِلِّ

(١) القصيدة من ديوانه، رقم (٩) والتي مطلعها:

قُضِيَ الْأُمُورُ وَأُنْجِرَ الْمَوْعُودُ وَاللَّهُ رَبِّي مَا جِدُّ مَحْمُودٌ
وَلَهُ الْفَوَاضِلُ وَالنَّوَافِلُ وَالْعَلَا وَلَهُ أَثِيثُ الْخَيْرِ وَالْمَعْدُودُ

الشرح: يذكر فيها طول عمره وسأمه من الحياة، ويتحدث عن مآثره ومقاماته ويوازن بين ما كان وما صار إليه من ضعف وشيخوخة. أنظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر - بيروت، د. ط، د. ت، (ص: ٤٧).

(٢) جامع البيان (٦٣٧/١١).

(٣) زاد المسير (٢٨٣/٧).

(٤) - أخرجه البخاري في: (٥٩) كتاب بدء الخلق، (٨) باب ما جاء في صفة الجنة وإنها مخلوقة، حديث رقم: (٣٢٥٣)، (٦١١/٢).

- و أخرجه مسلم في: (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (١) باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، حديث رقم: (٢٨٢٦)، (٢١٧٥/٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٨٩/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٩/١٧).

مَمْدُودٍ): أي ممتد منبسط لا يتقلص، كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس^(١)، وكذا قاله الرازي^(٢)، والطوسي^(٣).

بينت لنا الآية والآيات التي قبلها أنواع نعيم أهل اليمين في البيئة والطعام والشراب، فجاءت الآثار في معني قوله تعالى: (وَظِلِّ مَمْدُودٍ): "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها" ذكره قتادة وقال به أهل العلم. قوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾.

الآية: ٣٣

النص: ٢٠/٤١٢ حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان^(٤)، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: (لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) قال: لا يمنعه شوك ولا بعد. ٦٤٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩٠/٤).

دراسة النص:

يقول تعالى: (لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ): أي فيها فاكهة كثيرة لا ينقطع عنها شيء منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكة الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يحول بينهم وبينها شوك أو بعدها منهم، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت

(١) الكشاف (٤٥٠/٤).

(٢) مفاتيح الغيب (١٤٣/٢٩).

(٣) التبيان في تفسير القرآن (مج ٩/٤٩٦).

(٤) سليمان: هو سليمان بن عمرو بن الأحوص الجشمي، ويقال: الأزدي الكوفي، روى عن أبيه عمرو بن الأحوص وله صحبه، وعن أبي هلال، عن أبي برزه الأسلمي، وعن أمه أم جندب ولها صحبه، روى عن: شبيب بن غرقده ويزيد بن أبي زياد، ذكره بن حبان في كتاب الثقات، روى له الأربعة. أنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٩٣/٨).

في فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده^(١)، وأضاف الماوردي وقال في معني الآية (لا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) أي لا مقطوعة بالفناء، ولا ممنوعة بالفساد^(٢)، وقيل: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا^(٣)، وبه قال سعيد حوى^(٤).

أجمع المفسرون على أن معني قوله تعالى: (لا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ): أي يقول تعالى: إن أصحاب اليمين في جنات ذات شجر وفواكة كثيرة لا يمنعهم عنهم بعد ولا شوك، ونستدل على هذا المعني بقوله تعالى: ﴿وَدُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلًا﴾^(٥). نسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أصحاب هذا النعيم في الجنة. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾.

الآية: ٣٥

النص: ٢١/٤١٣ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قوله: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً): قال: خلقناهن خلقاً.

٦٤٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩١/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢١٠/١٧).

دراسة النص:

قوله: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) يقول تعالى ذكره: إنا خلقناهن خلقاً فأوجدناهن، وقيل: يعني بذلك الحور العين اللاتي ذكرهن قبل فقال: (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ... * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً)، وقال الأخفش: أضمـرهن ولم يذكرهن قبل ذلك^(٦)،

(١) انظر: جامع البيان (٦٣٩/١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٠/١٧)، الكشاف (٤٥٠/٤)، المحرر الوجيز (٢٤٧/١٤).

(٢) زاد المسير (٢٨٤/٧).

(٣) معالم التنزيل (مج ١٣/٧).

(٤) الأساس في التفسير (مج ١٠/٥٦٩٠).

(٥) سورة الإنسان، الآية (١٤).

(٦) جامع البيان (٦٤٠/١١).

وبنحو الذي قاله الطبري قال ابن كثير^(١)، وقال القرطبي: أي خلقناهم خلقاً وأبدعناهم إبداعاً وقيل المراد نساء بنى آدم^(٢)، وذكر ابن الجوزي فقال: إن في معني قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً) قولان:

أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهن الحور العين إيجابهن من غير ولادة، قاله الزجاج^(٣)، وبه قال القاسمي^(٤). والصواب في معني قوله تعالى: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً) هو إن الإنشاء عمهّن كلهن، فالحور أنشئن ابتداءً، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات^(٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾

الآيتان: ٣٥، ٣٦

النص: ٢٢/٤١٤ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا المعتمر عن أبيه، عن قتادة، عن صفوان بن محرز^(٦)، في قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) قال: فهن العُجُزُ الرُّمُصُ^(٧).

٦٤١/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

(١) تفسير ابن كثير (٢٩١/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١٠/١٧).

(٣) زاد المسير (٢٨٤/٧).

(٤) محاسن التأويل (١٢/١٦).

(٥) زاد المسير (٢٨٤/٧-٢٨٥).

(٦) صفوان بن محرز: هو صفوان بن محرز بن زياد المازني، أو الباهلي، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة أربع وسبعين. أنظر: تقريب التهذيب (ص: ٣٢٩).

(٧) الرُّمُصُ: هو وسخ يجتمع في الموق، فإن سال فهو غَمَصُ، وإن جمد فهو رمص. وقد (رِمِصَتْ) عينه من باب طرب فهو (أَرْمِصُ). أنظر: مختار الصحاح (ص: ٢٥٦).

قوله: (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) يقول: فصيرناهنَّ أبكاراً عذارى بعد إذ كنَّ عجائز، وافقه أنس بن مالك وصفوان بن محرز، وقتادة، وأم سلمة^(١).

يؤكد ما قاله المفسرون في معني الآية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى الحسن قال: أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة، فقال: "يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز" قال: فولت تبكي، قال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا)"^(٢).

النص: ٢٣/٤١٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) قال قتادة: كان صفوان بن محرز يقول: إن منهن العُجُز الرُّجُف، صيرهنَّ الله كما تسمعون.

٦٤١/١١

النص رقم ٢٣/٤١٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٢٢/٤١٤.

قوله تعالى: ﴿عُرُبًا (٣) أَثْرَابًا (٤)﴾.

الآية: ٣٧

النص: ٢٤/٤١٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (عُرُبًا أَثْرَابًا) يقول: عشق لأزواجهن، يحببن أزواجهن حباً شديداً.

٦٤٣/١١

تخريج النص:

- أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢٧١/٢).

(١) انظر: جامع البيان (٦٤٠/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٢١٠/١٧ - ٢١١)، والكشاف (٤٥٠/٤)، والتفسير الواضح (١٤٠/٢٧).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (١٥/٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) عرباً: العروب من النساء: هي الضاحكة، المتحبة لزوجها، المبينة له عن ذلك، العاشقة له. أنظر: الموسوعة القرآنية الميسرة (٢٢٠/٣).

(٤) أثراباً: أي شيئاً واحداً. وسناً واحداً. أنظر: تفسير غريب القرآن، لأبن قتيبة، (ص: ٤٤٩).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد
وبن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره في معني قوله: (عُرْبًا): فجعلناهن أباكاراً غنجات^(١)
متحبات إلى أزواجهن يحسن التبعل، وهي جمع، وأحدها عَرُوب، كما واحد الرسل
رسول، وقوله: (أَثْرَابًا) يعني: أنهم مستويات على سن واحدة^(٢)، ووافقه ابن الجوزي
إلا أنه زاد وقال: في معني (عُرْبًا) خمسة أقوال:
أحدها: أنهم المتحبات إلى أزواجهن قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير وابن قتيبة،
والزجاج.

الثاني: أنهم العواشق قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل.

الثالث: الحسنة التبعل.

الرابع: المغنجات قاله عكرمة.

الخامس: الحسنة الكلام قاله ابن زيد^(٣).

وقول قتادة في معني قوله تعالى: (أَثْرَابًا) يعني: سناً واحدة أجمع عليه هؤلاء
المفسرون مثل إجماعهم على معني قوله (عُرْبًا)، فذلك قوله تعالى: (عُرْبًا أَثْرَابًا).
النص: ٢٥/٤١٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة
(عُرْبًا) قال: عشقاً لأزواجهن.

٦٤٣/١١

النص: ٢٦/٤١٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَثْرَابًا)
يعني: سناً واحدة.

٦٤٤/١١

(١) غنجات: غَنَجٌ، غَنَجًا وَتَغَنَجٌ: دَلٌّ وَتَدَلٌّ، فَهُوَ غَنَجٌ وَمِغْنَجٌ وَهِيَ غَنَجَةٌ وَمِغْنَجَةٌ. أَنْظَرُ: الْمُنْجِدُ فِي
اللُّغَةِ (ص: ٥٦٠).

(٢) جامع البيان (٦٤١/١١ - ٦٤٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٢٨٥/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٧)، والكشاف (٤٥١/٤).

النصوص بالأرقام ٢٥/٤١٧، ٢٦/٤١٨ تقدمت دراستهم وتخريجهم في
النص رقم ٢٤/٤١٦.

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.

الآيات: ٣٩، ٤٠

النص: ٢٧/٤١٩ حدثنا أبو كريب^(١)، وقال: ثنا الحسن بن بشر البجلي^(٢)، عن الحكم بن عبد الملك^(٣)، عن قتادة، عن الحسن بن عمران بن حصين^(٤)، عن عبد الله بن مسعود قال: "تحدثنا ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أكدينا أو أكثرنا، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: فإذا الظراب^(٥) طراب مكة مسدودة بوجوه الرجال وقال أيضاً: فإني رأيت عنده أناس يتهاوشون كثيراً؛ قال: فقلنا: من هؤلاء السبعون ألفاً؟ فأتفق رأينا على أنهم قوم ولدوا في الإسلام ويموتون عليه قال: فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا، ولكنهم قوم لا يكتوون وقال أيضاً: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبر أصحابه

(١) أبو كريب: هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة حافظ، من العاشرة، مات سنة سبع وأربعين، وهو ابن سبع وثمانين سنة. أنظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٨٤).

(٢) الحسن بن بشر البجلي: هو الحسن بن بشر بن سلم بن المسيب الهمداني البجلي، أبو على الكوفي، روى عن: أبي خيثمة الجعفي وشريك القاضي وأبيه بشر، وغيرهم، وعنه: البخاري وروى له الترمذي والنسائي بواسطة أبي زرعة والفضل بن أبي طالب وغيرهما، وقال أبو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة (٢٢١). أنظر: تهذيب التهذيب (٢/٢٥٥-٢٥٦).

(٣) الحكم بن عبد الملك: هو الحكم بن عبد الملك القرشي البصري، نزل الكوفة، روى عن أبي بشر بيان بن بشر البجلي، وقاتدة بن دعامة وآخرون، روى عنه الحسن بن بشر البجلي وغيره، قال عباس الدوري عن يحيى بن معين: ضعيف ليس بثقة وليس بشيء روى له البخاري في الأدب، والترمذي. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/٩٢-٩٣).

(٤) عمران بن حصين: هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم عام خير، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. أنظر: تقريب التهذيب (ص: ٤٩٩).

(٥) الظراب: هو ما نتأ من الحجارة وحدّ طرفه أو الجبل المنبسط، أو الصغير، والجمع ظراب. أنظر: القاموس المحيط (ص: ١١٠).

ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبر أصحابه؛ ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قرأ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)".

٦٤٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧-٥٦/٤).

- وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧١/٢).

دراسة النص:

سبب نزول هذه الآية أورده الواحدى^(١)، ويقول تعالى ذكره: الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثلثان، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ) يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، (وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ) يقول: وجماعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم^(٢)، قال به أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك^(٣).

فعلى هذا التابعون بإحسان ومن جرى مجراهم ثلثة أولى، وسائر الأمة ثلثة أخرى في آخر الزمان، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الثلثان من أمتي"^(٤)، وهو ما ذكره قتادة.

(١) قيل: لما أنزل الله تعالى: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) بكى عمر وقال: يا رسول الله، أمتنا بك وصدقناك ومع هذا كله من ينجو منا قليل، فأنزل الله تعالى: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال: يا عمر بن الخطاب قد أنزل الله فيما قلت، فجعل (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) فقال عمر: رضيينا عن ربنا، ونصدق نبينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آدم إلينا ثلثة، ومني إلى يوم القيامة ثلثة، ولا يستتمها إلاَّ سودان من رعاة الأبل، ممن قال: لا إله إلاَّ الله. أنظر: أسباب نزول القرآن (ص: ٤٢٨-٤٢٩).

(٢) جامع البيان (٦٤٤/١١).

(٣) أنظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٧-٢١٢)، البحر المحيط (٢٠٧/٨)، المحرر الوجيز

(٢٥٠/١٤)، معالم التنزيل (مج ١٦/٧)، التفسير المنير (٢٥٦/٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (٦٤٦/١١).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾.

الآية: ٤١

النص: ٢٨/٤٢٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ): أي ماذا لهم، وماذا أعد لهم.

٦٤٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩٤/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) يقول تعالى ذكره معجباً نبيه محمداً من أهل النار (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ) الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار، (مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) ماذا لهم، وماذا أعد لهم^(١)، وافقه ابن كثير وعبر بهذا المعنى: أي شيء هم فيه أصحاب الشمال^(٢)؟، وبه قال ابن الجوزي^(٣)، وقال القرطبي: ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال، لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم، ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال: (مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ)^(٤)، وفي معني الآية قال ابن حيان: في هذا الاستفهام تعظيم مصابهم^(٥)، وأضاف وهبه الزحيلي وقال: أي وصف لهم حال تعذيبهم في الآخرة؟!^(٦).

(١) جامع البيان (٦٤٦/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٤/٤).

(٣) زاد المسير (٢٨٦/٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٧).

(٥) البحر المحيط (٢٠٩/٨).

(٦) التفسير المنير (٢٦٠/٢٧).

والمعني على هذا أنّ أصحاب الشمال هم الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، ماذا لهم وماذا أعد لهم؟ عظم الله تعالى بلاءهم وعذابهم، وأثار فينا العجب من حالهم وشأنهم^(١)، وهذا القول أجمع عليه أهل التفسير.

قوله تعالى: ﴿وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ^(٢)﴾.

الآية: ٤٣

النص: ٢٩/٤٢١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ) قال: من دخان.

٦٤٧/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.
دراسة النص:

وقوله: (وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ) يقول تعالى ذكره: وظل من دخان شديد السواد، والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدة السواد: أسود يحموم^(٣)، وافق الطبري على هذا التفسير ابن عباس ومجاهد وعكرمة^(٤)، وقال ابن زيد: اليحموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار^(٥)، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود^(٦).

فذلك قوله تعالى: (وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ) اتفق قتادة والمفسرون على معناه، ويوافق معناه أيضاً قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ* انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ

(١) المصدر السابق (٢٦٣/٢٧).

(٢) يحموم: اليحموم هو الدخان الكثيرالسواد. أنظر: العمدة في غريب القرآن (ص: ٢٩٨).

(٣) جامع البيان (٦٤٦/١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٩٤/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٧)، والكشاف (٤٥١/٤).

(٦) انظر: معالم التنزيل (مج ١٨/٧)، المحرر الوجيز (٢٥٢/١٤)، التبيان في تفسير القرآن (مج ٤٩٩/٩).

ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ
جَمَالَةٌ صُفْرٌ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١﴾، نعوذ بالله تعالى منها.

النص: ٣٠/٤٢٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَوَظِلٌّ
مِنْ يَحْمُومٍ) كنا نحدث أنها ظل الدخان.

٦٤٧/١١

النص رقم ٣٠/٤٢٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٢٩/٥٢١.

قوله تعالى: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾.

الآية: ٤٤

النص: ٣١/٤٢٣ وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا
سعيد، عن قتادة قوله: (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) قال: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

٦٤٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢١٣/١٧).

دراسة النص:

وقوله: (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظل ببارد، كبرد ظلال
سائر الأشياء ولكنه حار لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم لأنه مؤلم من
استنظل به^(٢)، وقال الضحاك: (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ): كل شراب ليس بعذب فليس
بكريم^(٣)، وبه قال القرطبي^(٤)، وقال الزمخشري: (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) نفي لصفتي الظل
عنه^(٥)، واتبعه الرازي وقال: معناه لا مدح فيه أصلاً لا حساً ولا عقلاً^(٦).

(١) سورة المرسلات، الآيات (٢٩-٣٤).

(٢) جامع البيان (٦٤٧/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٩٤/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٧).

(٥) الكشاف (٤٥١/٤).

(٦) مفاتيح الغيب (١٤٨/٢٩).

أجمع المفسرون على أنّ قوله تعالى: (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) فيه تهكم بأصحاب المشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة أي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

الآية: ٤٦

النص: ٣٢/٤٢٤ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (الْحِنثِ الْعَظِيمِ) قال: الذنب.

٦٤٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢١٣/١٧).

- وعبد الرزاق في تفسيره (٢٧٢/٢).

دراسة النص:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ) يقول جل ثناؤه: وكانوا يقيمون على الذنب العظيم، وقوله: (عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ) يعني: على الذنب العظيم، وهو الشرك بالله، وافقه مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد^(٣)، واتبعهم الشعبي وقال: هو اليمين الغموس^(٤)، وهي من الكبائر^(٥)، وقال بمثلهم الزمخشري^(٦)، وذكر ابن عطية في تفسير قوله تعالى: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ

(١) الكشاف (٤٥١/٤).

(٢) الحنث: أي الذنب المؤثم. انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: ١٣٣).

(٣) جامع البيان (٦٤٨/١١ - ٦٤٩).

(٤) اليمين الغموس: الكاذبة، تغمس صاحبها في الإثم. انظر: المحرر الوجيز (٢٥٤/١٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٧).

(٦) الكشاف (٤٥١/٤).

العظيم): هو الحنث في قسمهم الذي يتضمنه قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)^(١) في التكذيب بالحنث^(٢)، ووافق المفسرين في معنى الآية ابن الجوزي^(٣).

وبنحو الذي قاله قتادة في معنى الآية (وَكَاثُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ) قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه كان يتحنث في غار حراء، أي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب^(٤).

النص: ٣٣/٤٢٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَكَاثُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ) وهو الشرك.

٦٤٩-٦٤٨/١١

النص رقم ٣٣/٤٢٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٣٢/٤٢٤.

قوله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾^(٥)

الآية: ٥٥

(١) سورة النحل، الآية (٣٨).

(٢) المحرر الوجيز (٢٥٣/١٤).

(٣) زاد المسير (٢٨٧/٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢١٤/١٧).

(٥) الهيم: الإبل يصيبها داء فلا تروى من الماء، يقال: بعير أهيم، وناقة هيماء. أنظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: ٤٥٠).

النص: ٢٦٤/٤٣٤ حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ) قال: داء بالإبل لا تروى معه.

٦٥٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩٥/٤).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٢٩/٦) ، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ):والهيم، فإنها جمع أهيم، والأنثى هيماء؛ والهيم: الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء (١) ، وهذا القول قال به عكرمة، والسدي (٢) ، وقال ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تروى بالماء (٣)، وكذا ذكره سفيان الثوري (٤).

شبهه سبحانه وتعالى في قوله: (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ) المجرمين الضالين بالإبل المراض التي تمص الماء مصاً مثل شرب الرمل الماء فهي لا تروى أبداً حتى تموت، هكذا شأنهم في جهنم لا يروون من الحميم أبداً. وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

الآية: ٦٢

النص: ٢٧٤/٤٣٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) يعني خلق آدم لست سائلاً أحداً من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين.

٦٥٢/١١

تخريج النص:

-
- (١) جامع البيان (٦٥٠/١١).
 - (٢) تفسير ابن كثير (٢٩٥/٤).
 - (٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١٥/١٧).
 - (٤) انظر: جامع البيان (٦٥١/١١) ، زاد المسير (٢٨٧/٧-٢٨٨).

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٣٠) ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئاً^(١)، وقال الألويسي: من خلقكم من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة^(٢)، وبه قال مجاهد^(٣)، وأضاف الرازي في معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) أي تقريراً لإمكان النشأة الثانية^(٤)، وقال ابن حيان: أي علمتم أنه هو الذي أنشأكم أولاً إنساناً إنساناً^(٥).

نجد أن أقوال المفسرين متقاربة المعنى حول قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) أي تذكير بالنشأة الأولى وهو خلق آدم، وتقرير النشأة الثانية وهو دليل الحشر ليكون تذكيراً بعد تذكير^(٦).

النص: ٣٦/٤٢٨ حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) قال: هو خلق آدم.

٦٥٢/١١

النص رقم: ٣٦/٤٢٨ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٥/٤٢٧.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.

الآية: ٦٥

النص: ٣٧/٤٢٩ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال: تعجبون.

(١) جامع البيان (٦٥٢/١١).

(٢) روح المعاني (١٤٨/٢٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٧/١٧) ، وزاد المسير (٢٨٩/٧).

(٤) مفاتيح الغيب (١٥٧/٢٩).

(٥) البحر المحيط (٢١١/٨).

(٦) التفسير المنير (٢٦٨/٢٧).

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩٦/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٢١٩/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حطاماً، يعني: هشياً لا ينتفع به في مطعم وغذاء، وقوله: (فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فطلتكم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقال آخرون: فطلتكم تلاومون بينكم في تقريظكم في طاعة ربكم جل ثناؤه، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم، قاله عكرمة، وقال آخرون: فطلتكم تتدمون على ما سلف منكم في معصية الله، قاله: الحسن وقتادة^(١).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى (فَطَلْتُمْ): فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه، ويلهي به، فكذلك ذلك. وكأن معنى الكلام: فأقمتم تتعجبون يعجب بعضكم بعضاً مما نزل بكم^(٢).

النص: ٣٨/٤٣٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تتدمون.

النص رقم: ٣٨/٤٣٠ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٣٧/٤٢٩.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾.

(١) انظر: جامع البيان (٦٥٢/١١-٦٥٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٩/١٧)، وتفسير ابن كثير

(٢٩٦/٤)، وزاد المسير (٢٩٠/٧)، والكشاف (٤٥٤/٤)، والبحر المحيط (٢١١/٨).

(٢) جامع البيان (٦٥٣/١١-٦٥٤).

النص: ٣٩/٤٣١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (إِنَّا لَمُعْرَمُونَ) أي معذبون.

٦٥٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٧٢/٢).

دراسة النص:

معنى قوله: (إِنَّا لَمُعْرَمُونَ) يقال: إنا لمعدَّبون، ويقال: إنا لمولع بنا وهو من قيلهم^(١)، وفي تفسير قوله (إِنَّا لَمُعْرَمُونَ) اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: إنا لمولع بنا قاله عكرمه ومجاهد. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنا لمعدَّبون قاله قتادة، وآخرون قالوا: بل معنى ذلك: إنا لملقون للشرِّ قاله مجاهد^(٢) وأضاف الزمخشري وقال: الغرام هو الهلاك^(٣) وجاء الضحاك بهذا المعنى: غرنا أموالنا وصار ما أنفقنا غراماً علينا^(٤) وكذا قال ابن عطية^(٥) والنسفي^(٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه إنا لمعدَّبون وذلك أنَّ الغرام عند العرب العذاب.

ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِبْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلاً فَاتِّهِ لَا يُبَالِي^(٧)

(١) معاني القرآن، للفراء (١٢٩/٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٦٥٤/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٢١٩/١١٣-٢٢٠)، وتفسير ابن كثير

(٤/٢٩٦)، ومفاتيح الغيب (١٥٩/٢٩).

(٣) الكشاف (٤٥٤/٤).

(٤) معالم التنزيل (مج٧/٢١).

(٥) المحرر الوجيز (٢٦١/١٤-٢٦٢).

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج٣/٤٧٠).

(٧) القصيدة من ديوانه، رقم البيت: (٤٥)، بعنوان: خير من ألف ألف، يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي، ومطلعها:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

الآية: ٦٧

النص: ٤٠/٤٣٢ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ قال: محارفون^(٣).

٦٥٥-٦٥٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٧٢/٢).

دراسة النص:

وقوله ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون: ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل (إِنَّا لَمُعْرَمُونَ) ولكننا قوم محرومون، يقول: أنهم غير مجدودين، ليس لهم جدّ، وافقه مجاهد وقاتدة^(٤)، وبنحو الذي قاله الطبري قال ابن كثير^(٥).

فذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي محارفون: يعني لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح، وهو ما ذكره قتادة وأجمع عليه المفسرون.

قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾

مَا بَغَاءَ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي، فَهَلْ تَرَدُّ سُؤَالِي؟

الشرح: والغرام: الشر، والجزيل: الكثير العظيم، يمدحه بعب العقوبة والتعذيب إذا فعلهما، وبالكرم الشديد. انظر: ديوان الأعشى، دار صادر-بيروت، د.ط، د.ت، (ص ١٦٣-١٦٧).

(١) جامع البيان (٦٥٤/١١).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٦٥).

(٣) محارفون: المحارم يطلب فلا يرزق، ولا يصيب خيرا من أي وجه توجه له. انظر:

المحرر الوجيز (٢٦٢/١٤).

(٤) جامع البيان (٦٥٤/١١).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٩٦/٤)، فتح القدير (١٥٨/٥)، زاد المسير (٢٩٠/٧).

الآية: ٦٩

النص: ٤٣٣/٤١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) أي من السحاب.

٦٥٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٨٢٩/٢).

- والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥١٨/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها الناس الماء الذي تشربون. أنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم، وافق الطبري مجاهد وقتادة، وابن زيد، وابن عباس^(١) وكذا قال بمثلهم ابن الجوزي^(٢) والثوري^(٣) وعند الألويسي: (المُزْن) هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب^(٤) وبه قال الزمخشري^(٥). وافق قول قتادة أقوال المفسرين على أن معنى قوله: (أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) هو السحاب.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾^(٦) * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ^(٧).

الآيات: ٧١-٧٣.

(١) جامع البيان (٦٥٥/١١).

(٢) زاد المسير (٢٩١/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢١/١٧).

(٤) روح المعاني (١٤٩/٢٧).

(٥) الكشاف (٤٥٤/٤).

(٦) تورون: تستخرجون، من أوريت أي أوقدت. انظر: غريب القرآن وتفسيره (ص: ٣٦٨).

(٧) للمقوين: الذين لا زاد معهم ولا مال لهم. انظر: المصدر السابق (ص: ٣٦٨).

النص: ٤٣٤/٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِرَةً) للنار الكبرى.

٦٥٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٥١٨/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها الناس النار التي تستخرجون من زندقكم^(١) (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) يقول: أنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها (أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ)؟ يقول: أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه؟، (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِرَةً) يقول: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم^(٢) وقال ابن كثير: (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها وللعرب شجرتان أحدهما: المرخ، والأخرى: العفار. إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تتأثر من بينهما شرر النار، وقوله (وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك والنضر بن عربي^(٣) يعني بالمقوين: المسافرين^(٤) وقيل: والآية تصلح للجميع، لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير^(٥) وأتبعهم الألويسي وأضاف في معنى قوله: (لِلْمُقْوِينَ) للفقراء يستضيئون بها في

(١) زندقكم: الرَّذْدُ: يُدْعَى بِهِ النَّارُ. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف: العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، (المتوفي عام ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د. ط.، د. ت.، (٢٥٦/١).

(٢) جامع البيان (٦٥٥/١١).

(٣) النضر بن عربي: هو النضر بن عربي الباهلي مولاهم، أبو روح، ويقال: أبو عمر الجزري، نزل حران، روى عن عكرمة، وعطا، ومجاهد، ونافع، وآخرون، وعنه الثوري ومات قبله ووكيع، وعن يحيى بن معين: له به بأس، مات سنة ثمان وستين ومائة، ذكره ابن حبان في اتباع التابعين من الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٤٤٢-٤٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٦-٢٩٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٢٢).

الظلمة ويصطلون من البرد كأنه تصور من حال الحاصل في الفقر والفقر^(١)، وقال عكرمة ومجاهد، ومقاتل في معنى قوله: (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً) يعني نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم^(٢).

طابق قول قتادة أقوال أهل العلم في معنى قوله الكريم (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ)، أي تذكرة لنار القيامة وصحة البحث، وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً"^(٣) أي هي نموذجٌ من نار جهنم وتبصرة في أمر البعث، فإنه ليس بأبعد من إخراج النار من الشيء الرطب، فيجب على العاقل أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة، وصدق الله العظيم حينما قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٤).

النص: ٤٣/٤٣٥ حديثي ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: (لِلْمُقْوِينَ) قال: للمسافرين.

٦٥٦/١١

النص رقم: ٤٣/٤٣٥ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم: ٤٢/٤٣٤.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

(١) روح المعاني (١٥٠/٢٧).

(٢) معالم التنزيل (مج ٢١/٧).

(٣) أخرجه:

١- البخاري في: (٥٩) كتاب بدء الخلق، (١٠) باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم:

(٣٢٦٥)، (٦١٥/٢).

٢- ومسلم في: (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (١٢) باب في شدة حر نار جهنم وبعد

قعرها، وما تأخذ من المعذبين، حديث رقم: (٢٨٤٣)، (٢١٨٤/٤).

(٤) سورة يس، الآيات (٨٠-٨١).

الآية: ٧٥

النص: ٤٤/٤٣٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (فَلا أُقسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ) أي مساقطها.

٦٥٨/١١

تخريج النص:

- أخرجه مسلم في صحيحه (٨٤/١).

دراسة النص:

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (فَلا أُقسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ) على الآتي:
إحداها: معناه فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً متفرقة، قاله: ابن عباس وعكرمة ومجاهد^(١).
ثانيها: بل معنى ذلك فلا أقسم بمساقط النجوم قاله: مجاهد وقتادة.
ثالثها: بمنازل النجوم، قاله قتادة، وعطاء بن أبي رباح^(٢).
رابعها: بانتثار^(٣) النجوم عند قيام الساعة قاله: قتادة^(٤).
وقال الألوسي: هي الأنواء التي يزعم الجاهلية أنهم يمتطرون بها^(٥)، وقال الرازي: وأما مواقع نجوم القرآن فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحي المؤمنين^(٦).
أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبيها في السماء، وذلك أنّ المواقع جمع موقع والموقع المفعول، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به^(٧).

(١) تفسير ابن كثير (٢٩٨/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٣/١٧).

(٣) انتثار النجوم: انتشرت: تساقطت. انظر: أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن (ص: ٥٠٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٦٥٧/١١-٦٥٨)، وزاد المسير (٢٩٢/٧-٢٩٣).

(٥) انظر: روح المعاني (١٥٢/٢٧-١٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٣/١٧-٢٢٤)، والكشاف (٤٥٦/٤).

(٦) مفاتيح الغيب (١٦٣/٢٩).

(٧) جامع البيان (٦٥٨/١١).

النص: ٤٥/٤٣٧ حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة :
(فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: بمنازل النجوم.

٦٥٨/١١

النص رقم: ٤٥/٤٣٧ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٤٤/٤٣٦.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

الآية: ٧٩

النص: ٤٦/٤٣٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (لَا
يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ذاكم عند رب العالمين فأما عندكم فيمسه المشرك النجس
والمنافق الرجس^(١).

٦٦١/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٩٨/٤).
- والقرطبي في تفسيره (٢٢٦/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٧٣/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قوله: (لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) يقول تعالى ذكره: لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا
الذين قد طهرهم الله من الذنوب^(٢)، وقال ابن الجوزي: في المطهرين أربعة أقوال:
أحدها: إنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور.
الثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب.
الثالث: هم الملائكة، قاله ابن عباس، وعكرمه، ومجاهد، وسعيد بن جبير.
الرابع: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس^(٣).

(١) الرجس: الرجس: العمل القبيح حساً ومعنى، أو هو العقاب عليه، أو وسوسة الشيطان بالشر والإثم.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (ص: ١٩٤).

(٢) جامع البيان (٦٥٩/١١).

(٣) انظر: زاد المسير (٢٩٣/٧)، جامع البيان (٦٦٠-٦٥٩/١١)، تفسير ابن كثير (٢٩٨/٤).

القرطبي جاء بإضافات منها: قال عكرمه: كان ابن عباس ينهي أن يُمكن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن^(١)، وقال الحسين بن الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق^(٢)، وما ذكره هؤلاء المفسرون في معنى الآية ذكره أيضاً ابن عطية^(٣)، وقال وهبة الزحيلي: ولا يمسه في السماء إلا الملائكة الأطهار، ولا يمسه في الدنيا إلا المطهرون من الحدثين الأصغر والأكبر ويدل فحوى الآية على أنه لا يمسه القرآن كافر ولا جنب ولا محدث^(٤).

الصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمسه الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ولم يخص بعضاً دون بعض، فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين، وكل من كان مطهراً من الذنوب فهو ممن استثنى، وعنى بقوله: (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾

الآية: ٨٢

النص: ٤٣٩/٤٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ) أما الحسن فكان يقول: بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التّكذيب به.

٦٦٣/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥١/١).
- ومسلم في صحيحه (٨٤/١).
- وابن كثير في تفسيره (٢٩٩/٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١٧).

(٢) فتح القدير (١٦٠/٥).

(٣) المحرر الوجيز (٢٦٩/١٤-٢٧٠).

(٤) التفسير المنير (٢٧٩/٢٧-٢٨٠).

(٥) جامع البيان (٦٦١/١١).

دراسة النص:

سبب نزول قوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ) أورده السيوطي في كتابه^(١). يقول الطبري في معنى قوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ) يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب^(٢).

قال ابن الجوزي: إن في معنى قوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ) ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرزق ها هنا بمعنى الشكر، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس.

الثاني: تجعلون شكر رزقكم تكذيبكم فيقولون: مطرنا بنوء كذا.

الثالث: أن الرزق بمعنى الحظ، أي تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون^(٣)، وواقفه عطاء الخرصاني، ومجاهد، والضحاك، وقتادة^(٤)، وهكذا قال ابن كثير^(٥)، وعبر ابن حيان وقال: فالمعنى من الكذب قولهم في القرآن سحر وافتراء وفي المطر من الأنواء^(٦)، وقال الرازي: المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب^(٧).

اختلفت آراء المفسرين وتباينت حول معنى قوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ) إلا أن أكثرهم قال: وتجعلون شكركم لنعمة القرآن - أنكم تكذبون به، وهذا القول قريب المعنى من القول الذي ذكره قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

(١) عن ابن عباس قال: مُطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمه وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآيات: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) حتى بلغ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ). انظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص: ٢٨٧).

(٢) جامع البيان (١١/٦٦١).

(٣) زاد المسير (٧/٢٩٤-٢٩٥).

(٤) جامع البيان (١١/٢٦٢-٢٦٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨-٢٩٩).

(٦) البحر المحيط (٨/٢١٥).

(٧) مفاتيح الغيب (٢٩/١٧٢).

الآية: ٨٦

النص: ٤٨/٤٤٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) أي محاسبين.

٦٦٤/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

يقول جل وعلا: فهلا إن كنتم أيها الناس غير مدنين، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (مَدِينِينَ) فقال بعضهم: غير محاسبين قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، والحسن. وقال آخرون معناه: غير مبعوثين، قاله الحسن. وقال آخرون: بل معناه: غير مجزيين بأعمالكم^(١)، وزاد ميمون بن مهران وقال: غير معذبين مقهورين^(٢)، واتفق الألويسي مع الطبري في المعنى الذي يقول: غير مجزيين^(٣)، وقال الرازي: غير مملوكين^(٤).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)^(٥)^(٦).

النص: ٤٩/٤٤١ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة: (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) قال: غير مبعوثين، غير محاسبين.

٦٦٤/١١

النص رقم: ٤٩/٤٤١ تقدمت دراسته وتخرجه في النص رقم: ٤٨/٤٤٠.

(١) جامع البيان (٦٦٥-٦٦٤/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠٠/٤).

(٣) روح المعاني (١٥٨/٢٧).

(٤) معالم الغيب (١٧٤/٢٩).

(٥) سورة الفاتحة، الآية (٤).

(٦) جامع البيان (٦٦٥/١١).

قوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ^(١) وَرِيحَانٌ^(٢) وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ^(٣)

الآية: ٨٩

النص: ٥٠/٤٤٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ) الروح: الرحمة، والريحان يتلقى به عند الموت.

٦٦٦/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

قرأ رويس^(٣) (فَرُوحٌ) (فَرُوحٌ): بضم الراء اسم مصدر بمعنى الرحمة، والباقون بفتحها مصدر بمعنى الاستراحة (وَجَنَّتُ) وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، والباقون بالتاء، وأمالها الكسائي وفقاً^(٤).

وفي قوله تعالى: (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ) يقول الطبري: فله روح وريحان، واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأنصار: (فَرُوحٌ) بفتح الراء بمعنى: فله برد، (وَرِيحَانٌ) يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين فله راحة وريحان، (فَرُوحٌ) بضم الراء بمعنى: أن روحه تخرج في ريحانه.

واختلف في تأويله على أقوال:

أحدها: (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ): فراحه ومستراح قاله ابن عباس.

والثاني: الرُّوح: الراحة، والريحان: الرزق، قاله مجاهد.

(١) روح: الراحة والفرح. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (ص: ٢١٣).

(٢) الريحان: كل نبات طيب الرائحة، أو هو الرزق الطيب، والعيشة الهانئة أو الاستراحة والرائحة الطيبة عند قبض الروح. انظر: المصدر السابق (ص: ٢١٣).

(٣) رويس: هو محمد بن المتوكل أبو عبدالله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ، حاذق، ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وهو من أحذق أصحابه، روى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار، والإمام أبو عبدالله الزبير بن أحمد الزبيدي الشافعي، توفى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، للجزري (٢/٢٣٤-٢٣٥).

(٤) المذهب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/٣٦٧).

والثالث: الرُّوح: الفرح، والرَّيحان: الرزق، قاله سعيد بن جبير.
والرابع: الرُّوح: هي روح الإنسان، والرَّيحان: هو الريحان المعروف، قاله الحسن وأبي
العالية.

والخامس: الرُّوح: الرحمة، والرَّيحان: الريحان المعروف، قاله قتادة.
السادس: الرُّوح: الرحمة، والرَّيحان: الاستراحة، قاله الضحاك والحسن (١).
الترجيح:

أولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: غُني بالرُّوح: الفرح
والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رَوْحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من
كرب الحر، وأما الرَّيحان: فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال
أبو العالية والحسن وقتادة، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأنَّ ذلك الأغلب
والأظهر من معانيه (٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ﴾

الآيات: ٩٠-٩١

النص: ٥١/٤٤٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال: سلام من عند
الله، وسلمت عليه ملائكة الله.

٦٦٧/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٣٣/١٧).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٤٠-٢٤١)، وعزاه إلى عبد بن
حميد وابن المنذر.

(١) انظر: جامع البيان (١١/٦٦٥-٦٦٦)، وزاد المسير (٧/٢٩٦-٢٩٧)، والجامع لأحكام القرآن

(٢٣٣-٢٣٢/١٧)، والكشاف (٤/٤٥٨)، والمحرم الوجيز (١٤/٢٧٧-٢٧٨).

(٢) جامع البيان (١١/٦٦٦-٦٦٧).

دراسة النص:

يقول تعالى نكره: (وَأَمَّا إِنْ كَانَ) الميت (مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) الذين يؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم (فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)^(١)، وقال عكرمة: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين^(٢)، وقال الضحاك: أي عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت^(٣)، وأضاف الزمخشري في معنى الآية وقال: (فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك كقوله تعالى: (إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا)^(٤)^(٥)، وقال ابن عباس: أي فسلامه لك من العذاب^(٦).

أجمع أهل التفسير على معنى الآية وإن اختلفوا في التعابير إلا أن ما ذكره من معاني يجده أصحاب اليمين جزاء لهم أي هذا دليل على عظمة حالهم، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)^(٧).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين، ثم حذف واجتذئ بدلالة من عليها منها، فسلمت من عذاب الله، ومما تكره، لأنك من أصحاب اليمين^(٨).

(١) جامع البيان (١١/٦٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٠١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٣٣).

(٤) سورة الواقعة، الآية (٢٦).

(٥) الكشاف (٤/٤٥٨).

(٦) زاد المسير (٧/٢٩٧).

(٧) سورة فصلت، الآية (٣٠).

(٨) جامع البيان (١/٦٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ .

الآيات: ٩٢-٩٥

النص: ٥٢/٤٤٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) حتى ختم، إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن. فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه.

٦٦٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته. وقوله (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ) وأما إن كان الميت من المكذبين بآيات الله، فله نزل من حميم قد أغلى حتى انتهى حره، فهو شرابه، (وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ) يقول: وحريق النار يحرق بها، (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) إن هذا الذي أخبرتكم به عن أصحاب اليمين وعن المكذبين يقول لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه^(١)، وقال الألويسي (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ) وهم أصحاب الشمال وهذا ذمماً لهم وإشعاراً بسبب ما أبتلوا به من العذاب وهو نزل من حميم وهو جزاؤهم وهم نزل كائن (وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ) أي إدخال في النار، وكل ذلك مبني على أن المراد بيان ما لهم يوم القيامة^(٢)، وقال المراغي: أي وإن كان المتوفي من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، فيقدم ضيافة له ماء حميم يصهر به ما في بطنه والجلود، ويُدخل في النار التي تغمره من جميع جهاته،

(١) انظر: جامع البيان (٦٦٨/١١)، وزاد المسير (٢٩٧/٧-٢٩٨)، والجامع لأحكام القرآن

(٢٣٤/١٧)، والكشاف (٤٥٨/٤)، وفتح القدير (١٦٢/٥).

(٢) روح المعاني (١٦١/٢٧).

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ): لهو حق الخبر اليقين الذي لا شك فيه^(١)، وهو قول أبو السعود^(٢).

اتفق أئمة التفسير على معنى الآية الكريمة، وهي تحتاج منّا لوقفه وتأمل وتدبر وأن نراجع أنفسنا حتى نكون من الفائزين يوم القيامة، وصدق قتادة عندما قال: إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَحْنَا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ)^(٣).

(١) تفسير المراغي (مج ٩/١٥٥).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٠٢/٨).

(٣) سورة الملك، الآيات (٦-١١)

(٥٧) سورة الحديد مدنية عدد آياتها (٢٩)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الآية: ٣

النص: ١/٤٤٥ حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الرِّقِيعُ موج مكفوف، وسقف محفوظ، قال: فهل تدرون كم بينكم وبينهما؟ قال: الله ورسوله أعلم؟ قال: مسيرة خمس مئة سنة، قال: فهل تدرون ما فوق ذلك؟ فقالوا: مثل ذلك، قال: فوقها سماء أخرى وبينهما مسيرة خمس مئة سنة، قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ فقالوا مثل قولهم الأول، قال: فإن فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء السابعة مثل ما بين السمائين، قال: وهل تدرون ما التي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنها الأرض، فهل تدرون ما تحتها؟ قالوا له مثل قولهم الأول، قال: فإن تحتها أرضاً أخرى، وبينهما مسيرة خمس مئة سنة، حتى عد سبع أرضين، بين كل أرضين مسيرة خمس مئة سنة، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لو دُلي أحدكم بجبل إلى الأرض الأخرى يهبط على الله، ثم قرأ: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(١).

٦٧٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في: ٤٨ كتاب تفسير القرآن، ٥٧، باب ومن سورة الحديد، حديث رقم: ٣٢٩٨، (ص: ٨٧٦-٨٧٧).
- والقرطبي في تفسيره ٢٣٦/١٧.

(١) جامع البيان، للطبري (٦٧٠/١١).

دراسة النص:

القول في تأويل قوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (هُوَ الْأَوَّلُ) قبل كل شيء بغير حد، (وَالْآخِرُ) يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، وقوله: (وَالظَّاهِرُ) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، (وَالْبَاطِنُ) يقول: وهو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢)(٣). وبنحو الذي قاله الطبري في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال به أهل التأويل، إلا أنهم اختلفت عباراتهم وأقوالهم في معنى هذه الآية فقال القرطبي: معنى الآية شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحاً يغني عن قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أقض عنا الدين واغننا من الفقر)^(٤)(٥). وقال البخاري^(٦): الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً^(٧).

(١) سورة القصص الآية (٨٨).

(٢) سورة ق الآية (١٦).

(٣) جامع البيان (١١/٦٧٠).

(٤) أخرجه مسلم في: (٤٨) كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، (١٧) باب ما يقول عند النوم، واخذ المضعج، حديث رقم (٢٧١٣) (٤/٢٠٨٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٣٦).

(٦) البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن أحنف الجعفي الإمام الحافظ أبو عبد الله البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. من تصانيفه: الأدب المفرد في الحديث، أسماء الصحابة، الأسماء والكنى، والتاريخ الكبير والتاريخ الصغير، والجامع الصحيح. انظر: هدية العارفين (١٦/٢).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٤/٣٠٢).

وقال الزمخشري: هو المستمد الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن، جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس^(١)، وقال أبو بكر الوراق: الأول بالأزلية والآخر بالأبدية^(٢). وقيل: الأول هو السابق للأشياء، والآخر الباقي بعد فناء الخلق، والظاهر بحجته الباهرة، وشواهد الدالة على صحة وحدانيته^(٣).

اختلفت عبارات المفسرين وتباينت حول قوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) إلا أنهم اتفقوا في المعنى الذي ذكره قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

الآية: ١٠

النص: ٢/٤٤٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) قال: كانت قتالان، أحدهم أفضل من الآخر، وكانت نفقتان، إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح "فتح مكة"، أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك.

٦٧٣/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) الكشاف (٤/٤٦٠).

(٢) انظر البحر المحيط (٨/٢١٧).

(٣) انظر زاد المسير (٧/٣٠٠).

دراسة النص:

ذكر الواحدي أنّ سبب نزول قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ...) الآية. نزلت في سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١). ومعنى قوله: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ...) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فال بعضهم: الفتح فتح مكة، قاله: قتادة، وزيد بن أسلم، ومجاهد. وقال الآخر: هو فتح الحديبية، قاله: أبو سعيد الخدري، والشعبي^(٢).

نفى الله سبحانه وتعالى المساواة بين من أنفق من قبل فتح مكة، وبين من أنفق بعد ذلك، لأنّ حاجة الناس كانت قبل الفتح أكثر لضعف الإسلام، وفعل ذلك على المنافقين أشق، والأجر على قدر النصب. والله أعلم^(٣).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي روينا عن أبي سعيد الخدري عنه، وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك وقاتل، وترك ذكر من أنفق بعد ذلك وقاتل، استغناءً بدلالة الكلام الذي ذكر عليه من ذكره^(٤).

(١) بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فأقره من الله السلام، وقال: يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال، فقال: يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح عليّ، قال: فأقره من الله سبحانه وتعالى السلام، وقل له: يقول لك ربك: أراض أنت عني في ففرك أم ساخط؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبا بكر فقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله سبحانه السلام، ويقول لك: أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟ فبكي أبو بكر وقال: على ربي أغضب؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض. انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص (٤٣١-٤٣٢).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/٦٧٣-٦٧٤)، روح المعاني (٢٧/١٧٢)، تفسير ابن كثير (٤/٣٠٦)، البحر المحيظ (٨/٢١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٣٩-٢٤٠)، فتح القدير (٥/١٦٨)، المحرر الوجيز (١٤/٢٩٣).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٤/١٧٤١).

(٤) جامع البيان (١١/٦٧٤-٦٧٥).

النص: ٣/٤٤٧ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة، في قوله: (قَبْلَ الْفَتْحِ) قال: فتح مكة.

٦٧٣/١١

النص رقم: ٣/٤٤٧ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٢/٤٤٦.

النص: ٤/٤٤٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) قال: الجنة.

٦٧٥/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤٨/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله: (وَكَلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى): يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله، وقتالهم أعداءه، ووافقهم مجاهد، وقاتلهم^(١).

وقال الزمخشري: أي المثوبة الحسنى فهي الجنة مع تفاوت الدرجات^(٢)، وقال بمثله القرطبي^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والرازي^(٥)، وأضاف عطاء وقال: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها^(٦). وقال الألوسي: أعم من ذلك والنصر والغنيمة في الدنيا^(٧).

(١) المصدر السابق (٦٧٥/١١).

(٢) الكشاف (٤٦٢/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤١/١٧).

(٤) زاد المسير (٣٠١/٧).

(٥) مفاتيح الغيب (١٩١/٢٩).

(٦) معالم التنزيل (مج ٣٤/٧).

(٧) روح المعاني (١٧٢/٢٧).

اتفق المفسرون على أنّ معنى قوله تعالى: (وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) هي الجنة، وهو قول قتادة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

الآية: ١٢

النص: ٥/٤٤٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...) الآية. ذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن^(١)، أبيض فصنعاء^(٢)، فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه".

٦٧٦/١١

تخريج النص:

- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢٥٠/٢).
- والقرطبي في تفسيره (٢٤٣/١٧).

(١) عدن: مدينة (٥٦٢١٦٢ نسمة)، جنوب غرب اليمن، على خليج عدن، بالقرب من المدخل الجنوبي إلى البحر الأحمر، الميناء الرئيسي لليمن، تتكون من شبه جزيرة عدن الكبرى، (٥٤١م فوق سطح البحر)، وعدن الصغرى (٣٥٠م) فوق سطح البحر، ويقع بينهما ميناء عدن، كانت عدن ميناء حرّاً، (١٨٥٠-١٩٦٧م) زادت أهميتها التجارية بعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م، أصبحت العاصمة الوطنية لجمهورية اليمن الديمقراطية بعد استقلالها عن بريطانيا سنة ١٩٦٧م حتى ١٩٩٠م عندما اتحد اليمن الجنوبي واليمن الشمالي. انظر الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية للنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجيل بيروت، القاهرة، تونس، ط/١، ١٩٦٥م، ط/٢، ٢٠٠١م. (مج ٣/١٦١٧-١٦١٨).

(٢) صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، كقولهم: امرأة حسناء، وعجزة وشهلاء، وصنعاء قسبة اليمن وأحسن بلادها، تُشَبَّه بدمشق لكثرة فواكهها، وتدفق مياهها فيما قيل، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً، وقيل: سميت بصنعاء ابن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ، وهو الذي بناها، وطول صنعاء ثلاثة وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة. انظر معجم البلدان (٤٢٥/٣-٤٢٦).

- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٥٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمنهم، قاله قتادة، عبد الله بن عباس، وقال آخرون: بل معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمنهم: كتبهم. قاله الضحاك^(١).

وقال الفراء: في قوله تعالى: (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ): أي يضيء بين أيديهم، وعن أيمنهم وعن شمائلهم^(٢).

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأنّ ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جل ثناءه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمنهم دون الشمائل، ما يدل على أنه معني به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء^(٣).

النص: ٦/٤٥٠ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة، بنحوه.

٦٧٦/١١

النص رقم: ٦/٥٥٢ تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم ٥/٥٥١.

(١) انظر: جامع البيان (١١/٦٧٥-٦٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٤٣-٢٤٤)، والكشاف (٤/٤٦٣)، والبحر المحيط (٨/٢٢٠-٢٢١)، تفسير ابن كثير (٤/٣٠٨)، تفسير المراغي (مج ٩/١٦٩)، وتفسير البيضاوي ص (٧١٥).

(٢) معاني القرآن (٣/١٣٢).

(٣) انظر جامع البيان (١١/٦٧٦).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾

الآية: ١٣

النص: ٧/٤٥١ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد عن قتادة، قوله: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) السور: حائط بين الجنة والنار.

٦٧٨/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

وقوله تعالى: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) السور هو: السور الذي يسمى الأعراف^(١). وقوله: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره: فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار^(٢). وافقه القرطبي^(٣)، والزمخشري^(٤)، وجاء عنه كذلك أن معنى السور: هو حجاب كما في الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾^(٥). قاله مجاهد وابن زيد، وافقه فيه الآلوسي^(٦)، وابن حيان^(٧)، وابن عطية^(٨)، والرازي^(٩).

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص (٤٥٣).

(٢) جامع البيان (٦٧٧/١١-٦٧٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٧).

(٤) الكشاف (٤٦٣/٤).

(٥) سورة الأعراف الآية (٤٦).

(٦) روح المعاني (١٧٧/٢٧).

(٧) البحر المحيط (٢٢١/٨).

(٨) المحرر الوجيز (٣٠٣/١٤).

(٩) مفاتيح الغيب (١٩٧/٢٩).

اتفق المفسرون على معنى قوله جلَّ وعلاً: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) وإن اختلفوا في التعاليق والتعابير، إلا أنه يحمل معنى واحد، ونجد قتادة يتفق معهم.

النص: ٨/٤٥٢ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ): أي النار.

٣٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٤٦/١٧).
- وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٠٣/١٤).

دراسة النص:

وقوله: (لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره: لذلك السور باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب: يعني النار^(١). وقال عبدالله بن عمرو: إنه سور بيت المقدس الشرقي باطنه في المسجد، (وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) يعني جهنم^(٢). ونحوه قال ابن عطية^(٣)، واتفق كعب الأخبار مع عبدالله بن عمرو في معنى الآية^(٤). وقال الرازي: إن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب^(٥). وقال البغوي: أي باطن ذلك السور الرحمة، وهي الجنة، وظاهره: أي خارج ذلك السور العذاب، وهو النار^(٦).

اختلف المفسرين في معنى الآية، والتحليل لهذا الاختلاف هو إن ما ذكره عبدالله بن عمرو وكعب الأخبار من قول في معنى الآية هو أنهم أرادوا بهذا تقريب

(١) جامع البيان (٦٧٨/١١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٧).

(٣) المحرر الوجيز (٣٠٣/١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٠٩/٤)

(٥) مفاتيح الغيب (١٩٧/٢٩).

(٦) انظر: معالم التنزيل (مج٣٦/٧)، البحر المحيط (٢٢١/٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل

(مج٤٨٠/٣)، التفسير المنير (٣١٠/٢٧).

المعنى، ومثلاً لذلك لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن، هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم، فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين، وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرجمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من اسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة لحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة^(١). وهذا ما ذكره قتادة.

قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

الآية: ١٤

النص: ٩/٤٥٣ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول: تربصوا بالحق وأهله.

٦٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته. ومعنى قوله تعالى: (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ذكره الرازي في تفسيره فقال: قوله: (وَتَرَبَّصْتُمْ) فيه وجوه: أحدها: تربصتم بالتوبة. قاله ابن عباس. وثانيها: تربصتم بمحمد الموت. قاله مقاتل.

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٩/٤).

وثالثها: كنتم تتربصون دائرة السوء لتلتحقوا بالكفار. قاله قتادة^(١). ووافقه الطبري^(٢)،
والزمخشري^(٣)، وابن عطية^(٤)، والقرطبي^(٥).

رغم انفراد قتادة بروايته إلا أنه يتفق مع المفسرين في معنى الآية الكريمة.
النص: ١٠/٤٥٤ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَأَرْتَبْتُمْ)
كانوا في شك من الله.

٦٧٩/١١

تخريج النص:

- أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

وقوله: (وَأَرْتَبْتُمْ): شككتم^(٦). وفي تفسيرها يقول الطبري: وشككتم في توحيد
الله، وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم^(٧). وقال ابن كثير في معنى قوله:
(وَأَرْتَبْتُمْ): أي بالبحث بعد الموت^(٨). واتفق القرطبي مع الطبري وفتادة في
المعنى^(٩). وقال الألوسي: وشككتم في أمور الدين^(١٠). وقال ابن الجوزي: شككتم في
الحق^(١١). وذكر الرازي ما قاله المفسرون في معنى الآية^(١٢).

(١) مفاتيح الغيب (١٩٧/٢٩-١٩٨).

(٢) انظر جامع البيان (٦٧٩/١١).

(٣) الكشاف (٤٦٣/٤).

(٤) المحرر الوجيز (٣٥/١٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/١٧).

(٦) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص (٥٤٣).

(٧) جامع البيان (٦٧٩/١١).

(٨) تفسير ابن كثير (٣٠٩/٤).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/١٧).

(١٠) روح المعاني (١٧٧/٢٧).

(١١) زاد المسير (٣٠٤/٧).

(١٢) مفاتيح الغيب (١٩٨/٢٩).

تباينت ألفاظ أهل التأويل في تعابيرهم لمعنى قوله تعالى: (وَأَرْتَبْتُمْ) إلا ما قاله قتادة في معنى الآية بأنهم في شك من الله كان شاملاً لما ذكره المفسرون، وبهذا نجدهم لا يختلفون في المعنى.

النص: ١١/٤٥٥ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار.

٦٧٩٩/١١

تخريج النص:

- أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥٣/٦)، وعزاه إلى عبد ابن حميد.

دراسة النص:

انفرد قتادة بروايته.

وقوله: (وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي) يقول: وخذعتكم أمانى نفوسكم، فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم. (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) يقول: حتى جاء قضاء الله بمناياكم، فاجتاحتكم^(١).

قال ابن كثير: و(وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي): أي قلت سيغفر لنا، وقيل غرتكم الدنيا، (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) أي ما زلت في هذا حتى جاءكم الموت^(٢). وقال القرطبي: هو ما كانوا يتمنون من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم. (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) يعني الموت^(٣). ومثل هذا القول قاله الآلوسي^(٤)، وابن الجوزي^(٥).

أجمع المفسرون على معنى الآية. عليه ينبغي لكل مؤمن أن يعتبر هذه الآية في نفسه، وتسويفه في توبته، ومن أطال الأمل قصر في العمل، بل غفل عن الأجل. وجاء الغرور بالباطل، وقانا الله شره. عن ابن عباس قال: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى

(١) جامع البيان (٦٧٩/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠٩/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/١٧).

(٤) روح المعاني (١٧٧/٢٧-١٧٨).

(٥) زاد المسير (٣٠٤/٧).

الله عليه وسلم خطاً لنا خطوطاً، وخطاً منها خطأً ناحية، فقال: "أتدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم ومثل التمني، وتلك الخطوط الآمال، بينما هو يتمنى إذ جاءه الموت"^(١).

النص: ١٢/٤٥٦ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) أي الشيطان.

٦٨٠/١١

النص رقم ١٢/٥٥٨: تقدمت دراسته وتخريجه في النص رقم (١١/٥٥٧).

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

الآية: ١٥

النص: ١٣/٤٥٧ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني المنافقين، ولا من الذين كفروا.

٦٨٠/١٦

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسيره (٣١٠/٤).

- والقرطبي في تفسيره (٢٤٨/١٧).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميز بينهم في القيامة، (فَالْيَوْمَ) أيها المنافقون (لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) يعني: عوضاً وبدلاً، يقول: لا يؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله، (وَلَا مِنَ الَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري في: (٨١) كتاب الرقاق، (٤) باب في الأمل وطوله، حديث رقم (٦٤١٨)، (٢٨٠/٤).

كَفَرُوا)، يقول: ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا^(١). وقال ابن كثير في معنى الآية: أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه^(٢). وقال القرطبي: أي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس أخرى^(٣). وقال الرازي: إن الفدية ما يفتدي به، فهو يتناول الإيمان والتوبة والمال^(٤). وقال مثلهم: ابن الجوزي^(٥) والشوكاني^(٦).

تدل الآية على أنه لا يقبل إيمانهم وتوبتهم يوم القيامة، وفي الحديث إن الله تعالى يقول للكافر: "أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا أكننت تقتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: قد سألتك ما هو أيسر من ذلك، وأنت في صلب أبيك آدم، لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك"^(٧).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

الآية: ١٦

النص: ١٤/٤٥٨ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...) الآية. نكر لنا أن شداد بن أوس^(٨)،

(١) جامع البيان (١١/٦٨٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٤٨).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٩/١٩٨).

(٥) زاد المسير (٧/٣٠٤).

(٦) انظر فتح القدير (٥/١٧١)، والتفسير الواضح (٢١/١٥٦).

(٧) أخرجه البخاري في: (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء، (١) باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم: (٣٣٣٤)، (٢/٦٣٩).

(٨) شداد بن أوس: هو شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو يعلى، صحابي مات بالشام قبل ستين أو بعدها، وهو ابن أخي حسان بن ثابت. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٣١٤).

كان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن أول ما يرفع من الناس الخشوع".

٦٨١/١١

تخريج النص:

- أخرجه الترمذي في سننه (٧١٥ - ٧١٦).
- أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٥/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥٤/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

دراسة النص:

أورد السيوطي سبب نزول قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ... الآية^(١)).

يقول جل ثناؤه: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا): ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له، ولما نزل من الحق، وهو هذا القرآن الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم^(٢). وقال ابن الجوزي: قوله عز وجل (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا) اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: إنها نزلت في المؤمنين، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً، قال مثل قوله ابن كثير^(٣).

الثاني: إنها نزلت في المنافقين، قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي، فقالوا: حدثنا عن التوراة، فقال: فإن فيها العجائب^(٤). ووافق ابن الجوزي القرطبي^(٥)، والشوكاني^(١).

(١) لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فزلت: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ... الآية. انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٨٩).

(٢) جامع البيان (٦٨١/١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣١٠/٤).

(٤) زاد المسير (٣٠٤/٧-٣٠٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/١٧).

وافق قتادة المفسرين فيما قالوه من معنى للآية الكريمة: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ). إن خشية الله والخشوع لأوامره وأحكامه من صفات أهل الإيمان، وإن الإعراض من خصال الفاسقين، وهم اليهود والنصارى الذين بدلوا كلام الله ولم تلتن قلوبهم لسماع تذكير الله ووعظه، وهذا نهى صريح للمؤمنين عن مشابهة أهل الكتاب^(٢). وهذا ما ذكره قتادة في معناه لهذه الآية العظيمة.

سمع الفضل بن موسى^(٣)، قارئاً يقرأ هذه الآية، والفضل يحاول معصية، فكانت الآية سبب توبته^(٤).

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مِصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾.

الآية: ٢٠

النص: ١٦/٤٥٩ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ... الآية). يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة.

٦٨٤/١١

تخريج النص:

- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٥٧/٥).
- والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٢٩/٢).

دراسة النص:

(١) فتح القدير (١٧٢/٥).

(٢) التفسير المنير (٣١٧/٢٧-٣١٨).

(٣) الفضل بن موسى: هو الفضل بن موسى السيناني، أبو عبد الله المرزوي، ثقة، ثبت، ربما أغرب، من كبار التاسعة، مات سنة اثنتين وتسعين في ربيع الأول. انظر تقريب التهذيب (ص: ٥٢٠).

(٤) المحرر الوجيز (٣٠٨/١٤)

معنى قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ...) الآية. يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا ما هي إلا لعب ولهو، تتفكهون به، وزينة، وتفاخر بينكم. (وَتَكَاثَّرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ): أي يباهي بعضكم بعضاً بكثرة الأموال والأولاد، (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ) ثم يبس ذلك النبات، (فَتَرَاهُ مُضْفَرًّا) بعد أن كان أخضر نضراً، (ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) يعني أن يكون نباتاً يابساً متهشماً، (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) للكفار، (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لأهل الإيمان بالله ورسوله^(١). وأضاف ابن كثير على هذا فقال: مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة، وهي متاع فان غار لمن ركن إليه فإنه يغتر بها، وتعجبه حتى يعتقد أنهم لا دار سواها، وهي حقيرة، قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة^(٢). والزمخشري قال: أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور، وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر^(٣). والرازي قال: المقصود الأصلي من الآية تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الآخرة، قال ابن عباس: المعنى أن الكافر يشتغل طول حياته بطلب زينة الدنيا دون العمل للآخرة^(٤). وقال ابن حيان: في معنى قوله: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ) قيل: الكفار الرُّزَّاع من كفر الحق، أي ستره في الأرض، وخصوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، وقيل: من الكفر بالله، لأنهم أشد تعظيماً للدنيا وإعجاباً بمحاسنها^(٥).

وزاد عليهم ابن عطية وقال: وصورة هذا المثل أن الإنسان يشد ويقوى ويكسب المال والولد، ثم يأخذ في انحطاط فيشيخ ويضعف، ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحل أمره^(٦). وقال الشوكاني: في معنى الآية: اللعب ما رغب في الدنيا، واللهو: ما ألهى عن الآخرة^(٧). وقال سعيد بن جبير: الدنيا متاع

(١) جامع البيان (١١/٦٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣١٢-٣١٣).

(٣) الكشاف (٤/٤٦٦).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٩/٢٠٣).

(٥) البحر المحيط (٨/٢٢٤).

(٦) المحرر الوجيز (١٤/٣١٦).

(٧) انظر فتح القدير (٥/١٧٥).

الغرور، إن ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى وطلب الآخرة فنعم المتاع، ونعمت الوسيلة^(١).

نظير الآية: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ...) الآية، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢). أي المقصود تحقير حال الدنيا استعداداً للآخرة^(٣). وهذا ما أشار إليه قتادة.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٤) إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

الآية: ٢٢

النص: ١٧/٤٦٠ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ) أما مصيبة الأرض: فالسنون، وأما في أنفسكم: فهذه الأمراض والأوصاب، (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا): من قبل أن نخلقها.

٦٨٦-٦٨٥/١١

تخريج النص:

- أخرجه ابن كثير في تفسير (٣١٣/٤).
- وأورد السيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

(١) روح المعاني (١٨٥/٢٧).

(٢) سورة يونس الآية (٢٤).

(٣) التفسير المنير (٣٢١-٣٢٣).

(٤) نبرأها: نخلقها. انظر العمدة في غريب القرآن (ص: ٣٠١).

والقول في تأويل قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) يقول تعالى نكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) بالأوصاب والأوجاع والأسقام، (إِلَّا فِي كِتَابٍ) يعني: إلا في أم الكتب. (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) يقول: من قبل أن نخلقها^(١). وقال مقاتل: القحط وقلة النبات والثمار^(٢). وقال ابن الجوزي في معنى قوله تعالى: (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) يعني: الأمراض، وفقد الأولاد^(٣). وقال ابن عباس: ما معناه إنه أراد عرف المصيبة، وخصها بالذكر، لأنها أهم على البشر، وهي بعض من الحوادث، فدل على أن جميع الحوادث خيرها وشرها كذلك^(٤). وقال الزجاج: إنه تعالى لما قال (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ) المعنى لا توجد مصيبة من هذه المصائب إلا وهي مكتوبة عند الله^(٥).

فقول قتادة: يحوي كل هذه المعاني مع انفراده به، ويمثل ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خلق الله القلم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٦).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

الآية: ٢٥

النص: ١٩/٤٦١ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) قال: الميزان: العدل.

(١) جامع البيان (٦٨٥/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٧/١٧).

(٣) انظر زاد المسير (٣٠٨/٧).

(٤) انظر المحرر الوجيز (٣٢٠-٣١٩/١٤)، الكشاف (٤٦٧/٤)، تفسير ابن كثير (٣١٣/٤-٣١٤).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠٦/٢٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١٧).

تخريج النص:

- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٧٥/٢).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره في معنى قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) أي: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل^(١). وقال ابن كثير في معنى قوله: (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) وهو: النقل الصدق، (وَالْمِيزَانَ) وهو: العدل. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة^(٢). وقال الشوكاني: أمرناهم بالعدل^(٣). وقال الزمخشري: روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح، وقال: مُر قومك يزنوا به^(٤). وأضاف ابن زيد: هو ما يوزن به ويتعامل^(٥). وقال ابن حيان: أنزل الكتاب والميزان معاً، لأنَّ القسط هو العدل في جميع الأشياء من سائر التكاليف، فإنه لا جور في شيء منها، ولذلك جاء: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٦)^(٧). ويشابه قول الرازي أقوال هؤلاء المفسرين^(٨).

هذه الآية دستور المجتمع الإسلامي ونظام الحكم في الإسلام، ومنهج الحكم في شريعة الله تعالى، هو التزام الحق والعدل في المعاملات، فبالعدل قامت السموات والأرض، وهو المعبر عنه بالميزان الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا

(١) جامع البيان (٦٨٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣١٤/٤).

(٣) فتح القدير (١٧٧/٥).

(٤) الكشاف (٤٦٧/٤-٤٦٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠/١٧).

(٦) سورة آل عمران الآية (١٨).

(٧) انظر البحر المحيط (٢٢٦/٨).

(٨) مفاتيح الغيب (٢٠٩/٢٩-٢٠٠١).

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١﴾. وهو مقتضى قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا (٢) عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

الآية: ٢٧

النص: ٢٠/٤٦٢ حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً) فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع.

٦٩٠/١١

تخريج النص:

- أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٦٣/١٧).
- وعبدالرزاق في تفسيره (٢٧٦/٢).
- وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦٠/٦) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: ثم اتبعنا على آثارهم برسُلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم، واتبعنا بعيسى بن مريم، (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً

(١) سورة الرحمن الآيات (٧-٩).

(٢) قفينا: قفى على الشيء: غشيه أو ذهب به، ويقال: قفى على أثره بفلان. انظر المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، دار الدعوة: استنبول، تركيا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م. (٧٥٢/٢).

وَرَحْمَةً) يعني: الذين اتبعوا عيسى على مناهجهم. (رَأْفَةً) وهو: أشد الرحمة، (وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) يقول: أحدثوها، (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم^(١)، واتبعه الضحاك وقال: إن ملوكاً بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم، ثلاثمائة سنة، فأنكرها عليهم من كان بقى على مناهج عيسى فقتلوه، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناكم قتلونا، فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع^(٢). وكذلك الزمخشري قال: وابتداع الرهبانية واستحداثها، ما كتبناها عليهم إلا لبيتغوا بها رضوان الله، ويستحقوا بها الثواب^(٣). وقال ابن حيان: وخصت الرهبانية بالإبتداع، لأنَّ الرأفة والرحمة في القلب، بخلاف الرهبانية، فإنها أفعال بدن مع شيء في القلب^(٤). وقال ابن كثير: (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) وهم الحواريون، (رَأْفَةً) أي خشية، (وَرَحْمَةً) بالخلق، وقوله: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) أي ابتدعها أمة النصارى، قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة^(٥). وزاد الشوكاني على قولهم فقال: إنهم غلوا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح^(٦). وقال مثل قولهم ابن عطية^(٧) وابن الجوزي^(٨).

وهذه الآية دالة على أنَّ كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيراً أن يدوم عليه، ولا يعدل عنه إلى ضده، فيدخل في الآية، وعن أبي أمامة الباهلي^(٩) - واسمه صُدَيِّ بن عجلان - قال: أحدثتم قيام رمضان، ولم يكتب عليكم، إنَّما كتب عليكم الصيام، فدوموا

(١) جامع البيان (١١/٦٨٩-٦٩٠)،

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٦٣).

(٣) الكشاف (٤/٤٦٩).

(٤) البحر المحيط (٨/٢٢٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٣١٥).

(٦) فتح القدير (٥/١٧٨).

(٧) المحرر الوجيز (١٤/٣٣٨).

(٨) زاد المسير (٧/٣١١-٣١٢).

(٩) أبو أمامة الباهلي: هو صُدَيِّ، بالتصغير، ابن عجلان، أبو أمامة الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام، ومات بها سنة ستة وثمانين. انظر تقريب التهذيب (ص: ٣٢٨).

على القيام، إذ فعلتموه ولا تتركوه، فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعاً لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، فعابهم الله بتركها فقال: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ (٢) مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾

الآية ٢٩، ٢٨

النص: ٢٢/٤٦٣ حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ الآية قال: لما نزلت هذه الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله عز وجل: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون﴾ قال: نكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا، كمثل رجل كان يقول: " إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا، كمثل رجل استأجر أجراً يعملون إلى الليل على قيراط ، فلما انتصف النهار سئمو عمله وملوا، فأعطاهم على قدر ذلك ثم استأجر أجراً إلى الليل على قيراطين، يعملون له بقية عمله، فقيل له: ما شأن هؤلاء أقلهم عملاً، وأكثرهم أجراً؟ قال: مالي أعطي من شئت. فأرجو أن نكون نحن أصحاب القيراطين.

٦٩٦، ٦٩٧/١١

تخريج النص:

— أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦١/٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٦٤).

(٢) كفلين: الكفل: النصيب وهو المثل: يقال ما لفلان كفل وهو الضعف. أنظر المعجم الوسيط ، قام باخراجه: إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث - جمهورية مصر العربية ، دار الدعوة: استانبول - تركيا ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، (٢/٧٩٣).

دراسة النص:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتنبوا معاصيه، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يعطكم ضعفين من الأجر لإيمانكم بعيسى صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بعث نبياً^(١). وزاد سعيد بن جبير فقال: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾^(٢)، وقال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا^(٣)، وقال الشوكاني: ليعلم أهل الكتاب أنهم لا

يقدرّون على أن ينالوا شيئاً من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم^(٤)، وبه قال ابن حبان^(٥)، وتبعهم وهبة الزحيلي: فقال: هذا وعد للمؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان بجميع الأنبياء يتضمن ثلاثة أمور: مضاعفة الثواب، وجعل النور لهم على الصراط للنجاة، ومغفرة الذنوب والسيئات^(٦).

ذكر السيوطي أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ...﴾ الآية فقال: أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: لما نزلت: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا...﴾ الآية فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لنا أجران ولكم أجر

(١) جامع البيان (٦٩٣/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣١٧/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٨/١٧).

(٤) فتح القدير (١٧٩/٥).

(٥) البحر المحيط (٢٢٩/٨).

(٦) التفسير المنير (٣٤٠/٢٧).

فاشدد ذلك على الصحابة، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ...﴾ الآية ، فجعل لهم أجرين مثل أجر مؤمني أهل الكتاب^(١)، وقوله ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: الكفل: الحظ وهو في الأصل ما يكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه عن السقوط، قول: يحصنكم الكفل من عذاب القبر، كما يحصن هذا الراكب الكفل من السقوط^(٢).

مما يؤيد هذا القول حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعلت اليهود، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ إلا فعلت النصارى، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عمالاً وأقل عطاءً هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا لا، قال فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء"^(٣)، فهذا قول قتادة والمفسرون، فالمراد تعظيم حال محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته وشرعه وكتابه، وأمر أهل الكتاب بالمبادرة إلى الإيمان برسالته خاتمة الشرائع الإلهية^(٤).

من هذا يتبين لنا أن الرسالة الخاتمة هي أفضل الرسالات هدياً وأعظم أجراً.

(١) لباب النقول في أسباب النزول (ص: ٢٨٩).

(٢) معاني القرآن، للفراء (١٣٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في: (٣٧) كتاب الإجارة، (٩) باب الإجارة إلى صلاة العصر، حديث رقم: (٢٢٦٩)، (١٩١/٢).

(٤) التفسير المنير (٣٤٥/٢٧).